

أُسُسُ بِنَاءِ شَخْصِيَّةِ الطِّفْلِ الْمُسْلِمِ

جمع وإعداد
الباحث في القرآن والسنة
علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

ماليزيا

((بهانج - دار المعمور))

حقوق الطبع لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد اهتم الإسلام بالكبار والصغار، الذكور والإناث، الأصحاء والمرضى، وذلك في كل شؤون حياتهم الخاصة والعامة ؛ ذلك لأنه من عند الله سبحانه وتعالى العليم الخبير، القائل في محكم كتابه : { فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة الروم.

وبناء شخصية الطفل المسلم يعدُّ هدفاً أساسياً من أهداف رسالة الإسلام، ذلك لأن الأطفال هم جيل المستقبل المنشود، ورأس المال الأمم .

فما نزرعه اليوم سوف نحصد ثماره في الغد، ومن زرع الشرَّ والفساد، فلن يحصد إلا الندامة .

وقد أولى العالم اليوم الطفولة اهتمامه، وذلك لأهميتها البالغة، وأنشئت مراكز البحوث والتربية التي تعنى بذلك.

ومع الأسف فقد أخذ المسلمون إبان الغزو الفكري والثقافي يستوردون كل شيء من عند الآخرين، ومن ذلك أساليب تربية الأطفال، ناسين أو متناسين أن التربية هي نتاج فكر وأخلاق وقيم أية أمة من الأمم، وأن هذه التربية المستوردة لن تربي جيلاً صالحاً ؛ ذلك لأنها تهتم ببعض الجوانب ولاسيما المادية منها، وتهمل الجوانب الروحية، كما أن اهتمامها بالجوانب المادية يقوم على إطلاق الشهوات، وإعطاء الطفل الحرية المطلقة في ذلك .

وهذا ما يتنافى تنافياً تاماً مع رسالة الإسلام، التي تختلف في نظرتها للإنسان والكون والحياة عن كل هذه النظرات القاصرة والضحلة .

وبما أن الإسلام من عند الله تعالى، فلم يترك المنهج الإسلامي ناحيةً من نواحي إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع، ماديةً كانت أو معنويةً.

إن هذه البشرية - وهي من صنع الله - لا تفتح مغاليق فطرقتها إلا بمفاتيح من صنع الله ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده - سبحانه - وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق، وشفاء كل داء: { وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } (٨٢) سورة الإسراء .. { إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } (٩) سورة الإسراء ..

ولكن هذه البشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه، ولا أن تذهب بالمرضى إلى مبدعه، ولا تسلك في أمر نفسها، وفي أمر إنسانيتها، وفي أمر سعادتها أو شقتها .. ما تعودت أن تسلكه في أمر الأجهزة والآلات المادية الزهيدة التي تستخدمها في حاجاتها اليومية الصغيرة .. وهي تعلم أنها تستدعي لإصلاح الجهاز مهندس المصنع الذي صنع الجهاز. ولكنها لا تطبق هذه القاعدة على الإنسان نفسه، فترده إلى المصنع الذي منه خرج، ولا أن تستفتي المبدع الذي أنشأ هذا الجهاز العجيب، الجهاز الإنساني العظيم الكريم الدقيق اللطيف، الذي لا يعلم مساربه ومداخله إلا الذي أبدعه وأنشأه: «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ». أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؟" ..

ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة. البشرية المسكينة الحائرة، البشرية التي لن تجد الرشد، ولن تجد الهدى، ولن تجد الراحة، ولن تجد السعادة، إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى صانعها الكبير، كما ترد الجهاز الزهيد إلى صانعه الصغير!¹ . فالمنهج الإسلامي متكامل من كل الجوانب، صالح لكل زمان ومكان .

¹ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ١٥)

إنه منهج متكامل في الاعتقاد والتصور، والتربية والتوجيه، والفرض والتكليف. منهج الله الذي يعلم لأنه هو الذي خلق: قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك^٢.

هذا وقد تنبه العديد من علماء الأمة، فكتبوا كتباً وأبحاثاً بينوا فيها البديل الإسلامي في التربية، ومنهم العلامة محمد قطب عافاه الله في كتابه الرائع ((منهج التربية الإسلامية)) . وكذلك الشيخ عبد الله علوان رحمه الله في كتابه القيم ((تربية الأولاد في الإسلام)) . وكذلك الشيخ محمد راتب النابلسي حفظه الله في كتابه القيم ((تربية الأولاد في الإسلام)) وكذلك الشيخ محمد نور سويد حفظه الله في كتابه النفيس ((منهج التربية النبوية للطفل)) وهو أوفاهما في هذا الموضوع .

فقد تكلم عنها بالتفصيل مشفوعة بأدلتها، ولكن الأدلة التي استدلت بها منها ما نقل تخريجه عن أهل العلم، ومنها ما سكت عنه، ومنها لم يذكر مصدره، وفيها الصحيح والحسن والضعيف، والواهي أحياناً .

وكذلك فيه بعض القصص والحكايات التي لم تثبت .

ولكن يبقى كتابه هذا من أفضل ما ألف في بابيه - فيما أعلم - .

وقد استفدت منه كثيراً، وسرت على تقسيمه مع بعض التعديل .

وأما كتابي هذا فقد جمع خلاصة ما كتب في هذا الموضوع، ولم أعتد فيه على أدلة أي واحد ممن كتب في هذا الموضوع، بل كنت أستخرج الدليل المناسب من مصدره الأساسي، وزدت الكثير من الأدلة، وحذفت الأدلة غير المقبولة .

وقد حكمت على الأحاديث بما يناسبها، دون تشدد أو تساهل، وكذلك فقد شرحت العديد من الآيات القرآنية بشكل مختصر، وذكرت غريب الحديث، وشرحت بعض الأحاديث حسب مقتضى الحال .

وذكرت بعض المسائل الفقهية ذات الصلة بشكل مختصر .

^٢ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٦٣٦)

وكل ذلك معزواً لمصادره الأساسية في نهاية كل بحث .

هذا وقد اشتمل هذا الكتاب على الفصول التالية :

الفصل الأول-البناء العقديُّ

الفصل الثاني -البناء العباديُّ

الفصل الثالث - البناء الاجتماعيُّ

الفصل الرابع-البناء الأخلاقيُّ

الفصل الخامس-البناء العاطفي والنفسي

الفصل السادس-البناء الجسميُّ

الفصل السابع-البناء العلمي والفكري

الفصل الثامن-البناء الصحيُّ

الفصل التاسع-تهذيبُ الدافع الجنسيِّ للطفل

وتحت كل فصل منها العديد من الأسس التي تفصله .

وإني أهدي هذا الكتاب لكل من كتب في هذا الموضوع، وأقول لهم: جزاكم الله عنا كل خير .

كما أهديه لكل أسرةٍ مسلمةٍ، ولكل مربٍّ ومصلح، يهتُمُّ بإنشاء جيل صالح يعيد للأمة مستقبلها، ودورها في الحياة .

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزي كاتبه وقارئه وناشره والذال عليه خير الجزاء في الدارين .

قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ} (٢٩) سورة ص.

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في ٧ شوال ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٢٧/٩/٢٠٠٩ م



أهم أسس بناء شخصية الطفل المسلم

تمهيد :

الشخصية المتزنة ذات أثر فعال في حياة الأفراد والجماعات، ولا تتكامل إلا عندما تكون قد وجهت من كل جوانبها، وربيت من كافة أقطارها، وهذبت من كل أطرافها . وإذا تأملنا حركة التاريخ، وجدنا أهمية بناء وتكوين الشخصية القوية، فلا تغيير للواقع الفاسد، المنحرف عن منهج الله تعالى، من غير قوة، ولا قوة من غير بناء، ولا بناء من غير إعداد، وتكوين، وتربية .

وإن أحصب مجال للبناء التربوي مرحلة الطفولة، التي هي أطول فترة من بين الكائنات الحية، وتتميز الطفولة البشرية كذلك بالمرونة والصفاء والفطرية، وهي تمتد زمنياً طويلاً: يستطيع المربي خلال هذه الفترة الطويلة، أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من خطة، ويتعرف إلى إمكاناته، ويتنبأ بمستقبله بقدر المستطاع، وكلما تدعم بناء الطفولة بالرعاية والإشراف والتوجيه، كلما كانت أثبت، وأرسخ، أمام الهزات المستقبلية التي ستعرض الطفل في مستقبل شبابه .

لذلك فإن عمل الوالد الفعال يبدأ من هذا الفصل، الذي تم التوسع في شرحه، وضرب الأمثلة النموذجية، لكل فكرة، لتكون ذخرا للمربين، وتغذية للأطفال، ولهذا قال ابن سينا في كتابه السياسة: باب سياسة الرجل ولده - فترة بداية التربية على حد تعبيره - : "إذا فطم يبدأ بتأديبه، ورياضة أخلاقه، قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة " .

وبالتالي فإن فكرة استصغار الطفل، وإهمال توجيهه، تعتبر باطلة، وإنما من بداية الفطام يبدأ التوجيه والإرشاد، والأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والتحييب والتقبيح، وهكذا. والآن سنبدأ بالتعرف على أسس بناء شخصية الطفل، وفي مقدمتها البناء العقدي .

الفصل الأول البناء العقدي

تمهيد :

تتميز العقيدة الإسلامية - الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى - بأنها كلها غيب، يحار المرء كيف يقدمها للطفل، كيف سيتعامل معها هذا الطفل ؟ وكيف يمكن تبسيطها ؟ وكيف يعرضها ؟ أمام كل هذه الأسئلة وغيرها، تأخذ الوالدين الحيرة والاستفسار عن هذه الكيفيات، ولكن من خلال تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال، نجد خمسة أركان أساسية في تثبيت هذه العقيدة:

قال الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد والتقليد المخض، نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه، فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل، وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام؛ بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه، ويشغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومحالستهم وسيماهم وسماعهم وهياتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له، فيكون أول التلقين كإلقاء

بذر في الصدر، وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة، أصلها ثابت وفرعها في السماء^٣

وذلك لأن كل مولود يولد على الفطرة الإيمانية، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} (١٧٢) سورة الأعراف

واذكر -أيها النبي- إذ استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم، وقررهم بتوحيده بما أودعه في فطرتهم من أنه ربهم وخالقهم ومليكنهم، فأقروا له بذلك، خشية أن ينكروا يوم القيامة، فلا يقرؤا بشيء فيه، ويزعموا أن حجة الله ما قامت عليهم، ولا عندهم علم بها، بل كانوا عنها غافلين.^٤

وعن عياض بن حمار أنه سمع النبي ﷺ يقول في خطبته: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، إِنَّ كُلَّ مَا أَنْحَلْتُهُ عَبْدِي حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، فَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، غَيْرَ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لَأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِيَّ بَكَ، وَأُنْزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُؤُهُ يَقْظَانُ وَنَائِمًا، وَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَنِي أَنْ أَخْبِرَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: إِذَا يَثْلَعُوا رَأْسِي فَيَتْرَكُوهُ خُبْرَةً، قَالَ فَاسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ، وَاغْزِهِمْ يَسْتَغْزُوكَ، وَأَنْفَقَ يُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَأَبْعَثْ جَيْشًا يَبْعَثُ خَمْسَةً أَمْثَالَهُمْ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ وَقَالَ: أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: إِمَامٌ مُقْسِطٌ مُصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَفِيقُ الْقَلْبِ بِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ عَفِيفٌ فَقِيرٌ مُصَدِّقٌ وَ، قَالَ: أَصْحَابُ النَّارِ خَمْسَةٌ: رَجُلٌ جَائِرٌ لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ، وَرَجُلٌ لَا يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَالضَّعِيفُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبِعٌ لَا يَبْعَثُ أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمِنَ الْمَوَالِي هُوَ، أَوْ مِنَ الْعَرَبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّابِعَةُ

^٣ -إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي - (١ / ١٨١)

^٤ - التفسير الميسر - (٣ / ١٣٣)

يَكُونُ لِلرَّجُلِ فَيُصِيبُ مِنْ حُرْمَتِهِ سِفَاحًا غَيْرَ نِكَاحٍ وَالشَّنْظِيرُ: الْفَاحِشُ وَذَكَرَ الْبُخْلُ وَالْكَذِبُ.^٥

وَأَشْهَرُ الْأَقْوَالِ: "أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفِطْرَةِ الْإِسْلَامَ". قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ. وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } الْإِسْلَامَ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي آخِرِ حَدِيثِ الْبَابِ اقْرَءُوا إِنَّ شِئْنَكُمْ { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } وَبِحَدِيثِ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ.^٦

وقال القاري في شرحه على مسند أبي حنيفة عند حديث كل مولود يولد على الفطرة: "أي فطرة الإسلام من التوحيد والعرفان، والمعنى لو حُلِّيَ وطبعه، لما احتار إلا طريق الإيمان، على وجه الإحسان، لما جبل عليه من الطبع المتهيئ لقبول الشرع، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها مائلاً إلى غيرها .

وقيل معناه: كل مولود يولد على معرفة الله تعالى، والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقرُّ بأن الله صانع، وهذا يوافق قول أبي حنيفة من أنه يجب على كل مكلف أن يعرف الله بمجرد عقله، مع عدم علمه ببعثة الرسل"^٧

والأنبياء والمرسلون قد عنوا عناية كبيرة بسلامة عقيدة أبنائهم، قال تعالى: {وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} (١٣٢) سورة البقرة

^٥ - صحيح مسلم - المكثر - (٧٣٨٦) وصحيح ابن حبان - (٤٢٢ / ٢) - (٦٥٣)

اجتالهم الشياطين: أي استخففتهم، فجالوا معهم، ويقال للقوم إذا تركوا القصد والهدى: اجتالهم الشياطين، أي: جالوا معهم في الضلالة.

أمرني أن أحرق قريشا: كناية عن القتل، ومثله في ذكر قتال أهل الردة، فلم يزل يحرق أعضائهم حتى أدخلهم من الباب الذي خرجوا منه، ومنه حديث المواقع في رمضان: «احترقت» أي: هلكت.

الفلج: الشدخ، وقيل: هو نضحك الشيء الرطب بالشيء اليابس.

لا زبر له: أي لا عقل له، ولا تماسك، وهو في الأصل مصدر.

الشنظير، من الأناسي: السوء الخلق، والفحاش: «المبالغ في الفحش».

^٦ - تحفة الأحوذى - (٤٢٦ / ٥)

^٧ - شرح مسند أبي حنيفة ص (٢٢٥)

وَكَاثَتْ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ لِلَّهِ مُحَبَّةً إِلَى نَفْسِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فَأَوْصَوْا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ حِينَ حَضَرَتْهُمْ الْوَفَاةُ وَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَأَحْسِنُوا فِي حَيَاتِكُمْ، وَالزُّمُوا ذَلِكَ لِيَرِزُكُمْ اللَّهُ الْوَفَاةَ عَلَيْهِ، لَأَنَّ الْمَرْءَ يَمُوتُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَيُيَعَّثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ.^٨

هذه هي ملة إبراهيم .. الإسلام الخالص الصريح .. ولم يكتفِ إبراهيم بنفسه إنما تركها في عقبه، وجعلها وصيته في ذريته، ووصى بها إبراهيم بنيه كما وصى بها يعقوب بنيه. ويعقوب هو إسرائيل الذي ينتسبون إليه، ثم لا يلبون وصيته، ووصية جده وجددهم إبراهيم! ولقد ذكر كل من إبراهيم ويعقوب بنيه بنعمة الله عليهم في اختياره الدين لهم: «يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ» ..

فهو من اختيار الله. فلا اختيار لهم بعده ولا اتجاه. وأقل ما توجهه رعاية الله لهم، وفضل الله عليهم، هو الشكر على نعمة اختياره واصطفائه، والحرص على ما اختاره لهم، والاجتهاد في ألا يتركوا هذه الأرض إلا وهذه الأمانة محفوظة فيهم: «فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» .. وها هي ذي الفرصة سانحة، فقد جاءهم الرسول الذي يدعوهم إلى الإسلام، وهو ثمرة الدعوة التي دعاها أبوهم إبراهيم ..^٩

وهذا لقمان يرعى ابنه، فيقول له: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} (١٦) سورة لقمان

يا بني أعلم أن السيئة أو الحسنة إن كانت قَدْرُ حبة خردل - وهي المتناهية في الصغر - في باطن جبل، أو في أي مكان في السموات أو في الأرض، فإن الله يأتي بها يوم القيامة، ويحاسب عليها. إن الله لطيف بعباده خبير بأعمالهم.^{١٠}

^٨ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٩)

^٩ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ١١٦)

^{١٠} - التفسير الميسر - (٧ / ٢٦٠)

ونلاحظ أن سورة الإخلاص التي تمثل الاعتقاد العقلي، وسورة الكافرون التي تمثل الاعتقاد العملي، هما من قصار السور القرآنية، التي تبحث في ميدان العقيدة، وما ذلك إلا إشارة إلى سهولة حفظهما على الأطفال، الذين يتميز أنفسهم بالقصر، وذاكرتهم بالنشأة الأولى، وإن من اهتمام النبي ﷺ بالأطفال أن يدعوهم إلى الإسلام دائماً، حتى شق طريقه في بناء جيل ضمّ علي بن أبي طالب الذي آمن بدعوة النبي ﷺ ولم يتجاوز سن العاشرة، وحتى إنه في زيارته ﷺ وعيادته للأطفال المرضى، كان يدعوهم إلى الإسلام، وبحضور آبائهم :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ غُلَامًا يَهُودِيًّا كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : أَسْلِمَ، فَتَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: فَأَسْلَمَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ.^{١١}

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ غُلَامًا يَهُودِيًّا كَانَ يَضَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَضُوءَهُ وَيُنَاولُهُ نَعْلَيْهِ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، وَأَبُوهُ قَاعِدٌ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : يَا فُلَانُ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَتَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ فَسَكَتَ أَبُوهُ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَتَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ أَبُوهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ الْغُلَامُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ بِي مِنَ النَّارِ.^{١٢}

وَعَنْ ابْنِ أَبِي حُسَيْنٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَهُ جَارٌ يَهُودِيٌّ لَا بَأْسَ بِخُلُقِهِ، فَمَرِضَ، فَعَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَتَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، فَسَكَتَ أَبُوهُ، وَسَكَتَ الْفَتَى، ثُمَّ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ أَبُوهُ فِي الثَّالِثَةِ: قُلْ مَا قَالَ لَكَ، فَفَعَلَ، فَمَاتَ، فَأَرَادَتِ الْيَهُودُ أَنْ تَلِيَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَحْنُ أَوْلَى بِهِ مِنْكُمْ، فَعَسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَكَفَّنَهُ، وَحَنَطَهُ، وَصَلَّى عَلَيْهِ.^{١٣}

^{١١} - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٥٦) وصحيح ابن حبان - (١١ / ٢٤٢) (٤٨٨٤)

^{١٢} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٤٥١) (١٢٧٩٢) - ١٢٨٢٣ - صحيح

^{١٣} - مصنف عبد الرزاق (٩٩٢٠) صحيح مرسل

وتابع السلف الصالح الاهتمام بدعوة الأطفال إلى الإسلام، فعن عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ: "كَانَ لَا يَدْعُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا يُنْصِرُ وَلَدَهُ وَلَا يَهُودُهُ فِي مُلْكِ الْعَرَبِ" ^{١٤} وعن كُرْدُوسِ التَّغْلِبِيِّ قَالَ: قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رَجُلٌ مِنْ تَغْلِبَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "إِنَّهُ قَدْ كَانَ لَكُمْ نَصِيبٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَخُذُوا نَصِيبَكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ"، فَصَالَحَهُ عَلَى أَنْ أَوْضَعَ عَلَيْهِمُ الْجَزِيَّةَ، وَلَا يُنْصِرُوا الْأَبْنَاءَ ^{١٥}

وقد فعل عمر رضي الله عنه هذا اقتداء برسول الله ﷺ، فعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ الْأَسَدِيِّ قَالَ قَالَ عَلِيُّ رضي الله عنه: لَمَّا بَقِيَ لِنَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ لِأَقْتُلَنَّ الْمُقَاتِلَةَ وَالْأَسْبِينَ الذَّرِيَّةَ فَإِنِّي كَتَبْتُ الْكِتَابَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ - وَبَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُنْصِرُوا أَبْنَاءَهُمْ. ^{١٦} وعن ابن أبي نَجِيحٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا، يَقُولُ لِعُلَّامٍ لَهُ نَصْرَانِيٌّ: "يَا حَرِيرُ أَسْلِمِ"، ثُمَّ قَالَ: "هَكَذَا كَانَ يُقَالُ لَهُمْ" ^{١٧}

وما هذا الذي تقدم معنا إلا تنبيه للأجيال القادمة، وقادتها وعلمائها، أن يهتمم بالأطفال، ولا يتركوهم هملاً، تعصف بهم الرياح، وتحتضنهم رجالات الكفر ودعاته .

الأساس العقدي الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد :

عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: "كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَوَّلَ مَا يُفْصَحُ أَنْ يُعَلِّمُوهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ" ^{١٨} وعن عَبْدِ الْكَرِيمِ أَبِي أُمَيَّةٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يُعَلِّمُ الْعُلَّامَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا أَفْصَحَ سَبْعَ مَرَّاتٍ: { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا } (١١١) سورة الإسراء" ^{١٩}

^{١٤} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (٩٦٨٥) صحيح مرسل

^{١٥} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (٩٦٨٨) فيه انقطاع

^{١٦} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٩ / ٢١٧) (١٩٢٧٣) حسن

^{١٧} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (٩٩٠٩) صحيح

^{١٨} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (٧٧٢٤) صحيح

^{١٩} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (٧٧٢٣) ضعيف

قال ابن القيم: "إذا كان وقت نطقهم فليلقنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا، وكان بنو إسرائيل كثيراً ما يسمون أولادهم بعمانويل ومعنى هذه الكلمة إلهنا معنا، ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن بحيث إذا وعى الطفل وعقل علم أنه عبد لله وأن الله هو سيده ومولاه"^{٢٠}

ولذلك كانت وصية النبي ﷺ لمعاذ ﷺ، فعن معاذ قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال: لا تُشرك بالله شيئاً وإن قُلتَ وحرقت، ولا تُعقن والدَيْك، وإن أمراك أن تخرج من أهلِكَ ومالك، ولا تُتركَنَّ صلاةً مكتوبةً مُتعمداً؛ فإن من ترك صلاةً مكتوبةً مُتعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمرًا؛ فإنهُ رأسُ كلِّ فاحشةٍ، وإيّاك والمعصية؛ فإن بالمعصية حلَّ سخطُ الله عزَّ وجلَّ، وإيّاك والفِرار من الرَّحْفِ وإن هلك النَّاسُ، وإذا أصاب النَّاسُ موتانٌ وأنتَ فيهم فابْتِ، وأنفقْ على عِيَالِكَ من طَوْلِكَ، ولا ترفعْ عنهم عصاك أدباً وأخفهم في الله.^{٢١}

ولم يلبث رسول الله ﷺ عندما أنزلت عليه الرسالة أن يبعد الأطفال عن الإيمان بدعوته، بل تجاوز الأفق الضيق، في الدعوات الحزبية، وانطلق إلى علي بن أبي طالب - وعمره لم يتجاوز العاشرة - ودعاه إلى الإيمان فآمن به، ولازمه في الخروج إلى الصلاة مستخفياً في شعاب مكة، حتى عن أهله وأبيه.

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب. ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصلّيان الصلوات فيها، شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان فقال لرسول الله ﷺ يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال أي عم هذا دين الله، ودين ملائكته ودين رُسُلِهِ ودين أبينا إبراهيم - أو كما

^{٢٠} - موسوعة كتب ابن القيم - (٢٣٥ / ٣)

^{٢١} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٦٦) (٢٢٠٧٥) ٢٢٤٢٥ - صحيح لغيره وفي إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - (٧ / ٩١) وجملته القول أن الحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح بلا ريب

قَالَ ﷺ - بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ رَسُولًا إِلَى الْعِبَادِ وَأَنْتَ أَيُّ عَمٍّ أَحَقُّ مَنْ بَذَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ وَدَعَوْتَهُ إِلَى الْهُدَى، وَأَحَقُّ مَنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ أَوْ كَمَا قَالَ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ أَيُّ ابْنِ أَحِي، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينَ آبَائِي وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ بَشِيءٌ تَكْرَهُهُ مَا بَقِيَتْ وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ لِعَلِّي أَيُّ بَنِي مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ يَا أَبَتِ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِ اللَّهِ وَصَدَّقْتَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ وَصَلَّيْتُ مَعَهُ لِلَّهِ وَاتَّبَعْتَهُ. فَزَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَهُ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالْزَمَهُ ٢٢.

أما أول من أسلم من الموالي فهو زيد بن حارثة الذي كان قد جاء به ضمن الأسرى من الشام، عمُّ السيدة خديجة حكيم بن حزام، فاخترته غلاماً لها، وطلبه رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه، ورباه بينهم ٢٣

وهكذا بدأ رسول الله ﷺ دعوته الجديدة في إقامة المجتمع الإسلامي الجديد، مركزاً اهتمامه على الأطفال بالرعاية والدعوة والدعاء، حتى نال عليٌّ رضي الله عنه شرف الدفاع عن رسول الله ﷺ بنومه في بيت الرسول ﷺ ليلة الهجرة، إنها تربية النبوة للأطفال الناشئين ليكونوا قادة المستقبل، ومؤسسي المجتمع الإسلامي الوليد الجديد، فهلاً نصحو لنقطة البداية في الانطلاقة الجديدة في هذا القرن الجديد؟!

الأساس العقدي الثاني: حب الله تعالى والاستعانة به ومراقبة الله، والإيمان بالقضاء والقدر:

لكل طفل مشكلاته الخاصة به، سواء منها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والمدرسية، وتختلف هذه المشكلات بين طفل وآخر، في حدتها وشدتها وطاوتها .. وقد يعبر الطفل عن مشكلاته بشكل شعوري أو لا شعوري، فبأي وسيلة يمكن معالجته من الداخل؟ وبأي طريقة يستطيع الطفل أن يخفف من آلامه - إن وجدت - ويخلصه من مشكلاته إن حصلت؟

٢٢ - سيرة ابن هشام - (١ / ٢٤٦) بلا إسناد

٢٣ - سيرة نبي الهدى والرحمة، عبد السلام هاشم حافظ ص (٨١) ط رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

إنها بترسيخ حب الله تعالى، والاستعانة به، ومراقبته، وبالإيمان بالقضاء والقدر، وهذا أسلوب رسول الله ﷺ وليس ابتكاراً من أحد غيره .

فبتعميق هذا الحب والاستعانة في نفسه، وتأصيل هذه المراقبة في قلبه، وغرس الإيمان بالقضاء والقدر في لبه وفوائده يستطيع الطفل مواجهة حياته الطفلية الآن، ومستقبل رجولته - أو: أموميته - فيما بعد :

١ - ما ورد في حض الأطفال على ذلك :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : "لَا تَرْفَعِ الْعَصَا عَلَى أَهْلِكَ، وَأَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ^{٢٤}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ.^{٢٥}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ، إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، فَقَدْ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الْكُتُبُ، فَلَوْ جَاءَتِ الْأُمَّةُ يَنْفَعُونَكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ، لَمَا اسْتَطَاعَتْ، وَلَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَضُرَّكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ لَكَ، مَا اسْتَطَاعَتْ.^{٢٦}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، أَوْ يَا غُلِيمُ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ

^{٢٤} - المعجم الأوسط للطبراني - (١٩٤٠) والمعجم الصغير للطبراني - (١ / ٨٦) (١١٤) والمعجم الكبير للطبراني -

(١١ / ٩٢) (١٣) حسن

^{٢٥} - سنن الترمذي - المكثر - (٢٧٠٦) صحيح

^{٢٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٧٧٥) (٢٧٦٣) صحيح

تَجِدُهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفُ إِلَيْهِ فِي الرَّحَاءِ، يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبُهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبُهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. ٢٧

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَدَ أَنْ يَقَالَ: "يَا فَتَى أَلَا أَهْبُ لَكَ؟ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ أَمَامَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٢٨

فإذا ما حفظ الطفل هذا الحديث، وفهمه جيداً، لم تقف أمامه عثرة، ولم يعوقه شيء في مسيرة حياته كلها، فأى تربية هذه - قديمة وحديثة - تستطيع أن تبلغ من نفس الطفل كما بلغها هذا الحديث؟!

إن لهذا الحديث قوة كبيرة على حل مشاكل الطفل، بفضل تأثره وروحانيته، وله القدرة في دفع الطفل نحو الأمام، بفضل استعانته بالله، ومراقبته له، وإيمانه بالقضاء والقدر، وإن أطفال الصحابة تلقوا هذا التوجيه النبوي، فهم يستعينون بالله على ما أصابهم من قدره، ويسألون الله عندما تنزل بهم المصائب، ويعتقدون بأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ويؤمنون بأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً .

وإليك بيان ذلك عملياً لا بالكلام النظري فقط :

روى آدم بن أبي إياس في "تفسيره" بإسناده عن محمد بن إسحاق قال: جاء مالك الأشجعي إلى النبي ﷺ - ، فقال: أَسْرَ ابني عوفٌ، فقال له: أرسل إليه أن رسول الله ﷺ - يأمرُكَ أن تُكثِرَ من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فأتاه الرسول فأخبره، فأكبَّ

٢٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٧٨٤) (٢٨٠٣) ٢٨٠٤ - صحيح

٢٨ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٣ / ١٦٠٦) (٤٠٤٤) حسن لغيره

عوفٌ يقول: لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، وكانوا قد شدُّوه بالقِدِّ فسقط القِدُّ عنه، فخرج فإذا هو بناقيةٍ لهم فركبها، فأقبل فإذا هو بسرحِ القوم الذين كانوا شدُّوه، فصاح بهم، فاتبع آخرها أولها، فلم يفاجأ أبويه إلَّا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوفُ وربِّ الكعبة، فقالت أمه: واسوأُتاه، وعوفٌ كئيبٌ يألم ما فيه من القدِّ، فاستبقَ الأبُ والخدامُ إليه، فإذا عوفٌ قد ملأَ الفناءَ إبلاً، فقصَّ على أبيه أمره وأمرَ الإبل، فأتى أبوه رسولَ الله - ﷺ -، فأخبره بخبرِ عوفٍ وخبرِ الإبل، فقال له رسول الله - ﷺ -: ((اصنع بها ما أحببت، وما كنتَ صانعاً بإهلك))، ونزل: {..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (٣) سورة الطلاق ٢٩

وعن السُّدِّي، في قوله: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا قَالَ: يُطْلَقُ لِلسُّنَّةِ، وَيُرَاجَعُ لِلسُّنَّةِ؛ زَعِمَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ عَوْفُ الْأَشْجَعِيِّ، كَانَ لَهُ ابْنٌ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَسْرَوْهُ، فَكَانَ فِيهِمْ، فَكَانَ أَبُوهُ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ، فَيَشْكُوا إِلَيْهِ مَكَانَ ابْنِهِ، وَحَالَتُهُ الَّتِي هُوَ بِهَا وَحَاجَّتُهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُهُ بِالصَّبْرِ وَيَقُولُ لَهُ: "إِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا" فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا يَسِيرًا إِذَا انْقَلَتِ ابْنُهُ مِنْ أَيْدِي الْعَدُوِّ، فَمَرَّ بِغَنَمٍ مِنْ أَغْنَامِ الْعَدُوِّ فَاسْتَأْفَقَهَا، فَجَاءَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ، وَجَاءَ مَعَهُ بِغَنًى قَدْ أَصَابَهُ مِنَ الْغَنَمِ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ٣٠

وعن عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْتَنَةً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَيْهَا" ٣١

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ فَتًى، مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلَتْهُ خَشْيَةٌ مِنَ النَّارِ فَكَانَ يَبْكِي عِنْدَ ذِكْرِ النَّارِ حَتَّى حَبَسَهُ ذَلِكَ فِي الْبَيْتِ وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ فِي الْبَيْتِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ اعْتَنَقَهُ الْفَتَى، وَخَرَّ مَيِّتًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "جَهِّزُوا صَاحِبَكُمْ فَإِنَّ الْفَرَقَ فَلَدَ كِبَدَهُ" ٣٢

٢٩ - جامع العلوم والحكم محقق - (٢١ / ٤١) وتفسير ابن كثير - دار طيبة - (٨ / ١٤٧) بلا سند

٣٠ - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٣١٧٤٩) حسن مرسل

٣١ - شعب الإيمان - (٢ / ٤٨٧) (١٢٨٩) فيه لين

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } [التحریم: ٦] ثَلَاثًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ - أَوْ قَالَ: يَوْمٍ - فَخَرَّ فَتَى مَعْشِيًا عَلَيْهِ فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى فُؤَادِهِ فَإِذَا هُوَ يَتَحَرَّكُ فَقَالَ: يَا فَتَى، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَهَا فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ بَيْنَنَا فَقَالَ ﷺ: أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى { ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } [إبراهيم: ١٤] " ٣٣

وهذا نموذج آخر في اهتمام السلف الصالح بترسيخ الإيمان وحلاوته، وأن الطريق إلى ذلك الوصول إلى درجة اليقين بالقضاء والقدر، ونلاحظ حرص السلف الصالح، وهم في أخرج الأوقات قبل الموت، على توجيه أولادهم وإرشادهم :

عن عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَالَ: أَجْلِسُونِي. فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ. ٣٤

وعن عطاء بن أبي رباح، قال: سألت الوليد بن عبادَةَ بن الصَّامِتِ كَيْفَ كَانَتْ وَصِيَّةُ أَبِيكَ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ ؟ قَالَ: دَعَانِي فَقَالَ لِي: "يَا بُنَيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْعِلْمَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحَدِّهِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ؟ قَالَ: كَيْفَ لِي أَنْ أُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، عَلَى هَذَا الْقَدَرِ فَإِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ " ٣٥

٣٢ - شعب الإيمان - (٢ / ٢٩١) (٩٠٨) حسن

٣٣ - شعب الإيمان - (٢ / ١٩٧) (٧٢٠) فيه ضعف

٣٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٥٤٧) (٢٢٧٠٥) ٢٣٠٨١ - صحيح لغيره

٣٥ - القضاء والقدر للبيهقي (٤١٧) صحيح

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ: "أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: يَا أَبُي، أَوْصِنِي وَاجْتَنِهِدْ، فَقَالَ: "أَجْلِسْنِي، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، فَقُلْتُ: فَكَيْفَ لِي بِأَنْ أَعْلَمَ الْقَدَرَ خَيْرَهُ وَشَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اجْرِ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ"، فَإِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ" ٣٦

وَعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابُ لَهُ، وَوَضَعُوا سَفَرَةً لَهُ، فَمَرَّ بِهِمْ رَاعِي غَنَمٍ، قَالَ: فَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: "هَلُمَّ يَا رَاعِي، هَلُمَّ"، فَأَصَبَ مِنْ هَذِهِ السَّفَرَةِ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: "أَتَصُومُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ شَدِيدِ سُمُومِهِ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ تَرَعَى هَذَا الْغَنَمَ؟" فَقَالَ لَهُ: أَيْ وَاللَّهِ أَبَادِرُ أَيَّامِي الْخَالِيَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ وَهُوَ يُرِيدُ يَخْتَبِرُ وَرَعَهُ: "فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شَاةً مِنْ غَنَمِكَ هَذِهِ فَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا وَنُعْطِيكَ مِنْ لَحْمِهَا فَتُفْطِرَ عَلَيْهِ؟" فَقَالَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي بِغَنَمٍ، إِنَّهَا غَنَمُ سَيِّدِي، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: "فَمَا عَسَى سَيِّدُكَ فَاعِلًا إِذَا فَقَدَهَا، فَقُلْتُ: أَكَلَهَا الذَّبُّ" فَوَلَّى الرَّاعِي عَنْهُ وَهُوَ رَافِعٌ أَصْبَعُهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ اللَّهُ، قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ يُرَدِّدُ قَوْلَ الرَّاعِي وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ الرَّاعِي: فَأَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى مَوْلَاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ الْغَنَمَ وَالرَّاعِي فَاعْتَقَ الرَّاعِي، وَوَهَبَ لَهُ الْغَنَمَ" ٣٧

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ، قَالَ: مَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بِرَاعٍ، فَقَالَ: "يَا رَاعِي الْغَنَمِ، هَلْ مِنْ جَوَرَةٍ؟" قَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَهُنَا رَبُّهَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: "تَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ أَكَلَهَا الذَّبُّ"، قَالَ فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: "فَأَنَا وَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ: أَيْنَ اللَّهُ، فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي، وَاشْتَرَى الْغَنَمَ فَاعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ" ٣٨

٣٦ - أُمَالِي ابْنِ بَشْرَانَ (٧٨٥) صحيح

٣٧ - شعب الإيمان - (٧ / ٢٢٣) (٤٩٠٨) حسن

٣٨ - شعب الإيمان - (١١ / ١٠٣) (٨٢٥٠) صحيح لغيره

وكان بعض المشايخ له تلامذة.. فكان يخص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له في ذلك، فقال: أبين لكن ذلك.. فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: اذبحه بحيث لا يراه أحد، ودفع إلى هذا أيضاً، فمضوا.. ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حياً فقال: هلا ذبحته؟ فقال: أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم أجد موضعاً لا يراه فيه أحد، فقال: لهذا أحصه بإقبالي عليه.^{٣٩}

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت ابن ثلاث سنين، أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، قال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ قلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالٍ، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت، ذلك ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة ١١ مرة، فقلته، ففي الليلة الثالثة قال: وقع في قلبي حلاوة الذكر، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتكم، وأدم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، قال: فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سرّي، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه، ومن كان الله ناظراً إليه، ومن كان الله شاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية.^{٤٠}

وأصبح سهل رحمه الله من كبار العارفين، ومن رجال الله الصالحين.. بفضل خاله الذي أدبه وعلمه ورباه، وغرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الإيمان والمراقبة، وأنبل مكارم الأخلاق.^{٤١}

تلطف، الضرب، والإهانة، والدفع نحو الوضوء، هذا السلوك العنيف لا يجذب الابن إليك، انظر التلطف، النعومة، أول أيام ثلاثة قل في شرك، دون أن تحرك شفتيك، ثم قل بلسانك، ثم اجعلها عشر مرات، ثم قل الله ناظري، هل يمكن أن أعصيه؟

^{٣٩} - الرسالة القشيرية - (١ / ٨٧)

^{٤٠} - الرسالة القشيرية - (١ / ١٣)

^{٤١} - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ١٢٦)

قال: في شاب له شيخ، قال له شيخه: يا بني إن لكل سيئة عقاباً، يبدو وقع في خطاً، زلت قدمه في معصية، بحسب كلام الشيخ انتظر العقاب، انتظر أياماً، أسبوعاً أسبوعين، ثلاثة أسابيع، أثناء الصلاة ناجى ربه، قال: يا رب لقد عصيتك ولم تعاقبني قال وقع في قلبه أن يا عبدي لقد عاقبتك ولم تدر، ألم أحرمك لذة مناجاتي ؟ .

بالتلطف، بالنعومة، بالركة، وبالحنان، والعطف، والطفل ينجذب، بدل أن تقول له إن لم تصلّ الفجر في جماعة سأضربك، لا، إن صليت الفجر في جماعة سأكافئك فرق كبير، دعك من العقوبات، دعك من التعنيف .^{٤٢}

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: عَلِّمُوا، وَلَا تُعَنِّفُوا ؛ فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعَنِّفِ .^{٤٣}

أورد ابن ظفر المكي في كتابه أنباء نجباء الأبناء: "إن الحارث الحاسبي - وهو صبي - مرَّ بصبيان وهم يلعبون على باب رجل تمار، فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم، وخرج صاحب الدار ومعه تمرات، فقال للحارث: كل هذه التمرات، قال الحارث: ما خبرك فيها ؟ قال: إني بعت الساعة تمرّاً من رجل، فسقطت من تمره، فقال أتعرفه ؟ فقال: نعم، فالتفت الحارث إلى الصبيان يلعبون، وقال: أهذا الشيخ مسلم ؟ قالوا: نعم، فمرّ وتركه، فتبعه التمار، حتى قبض عليه، وقال له: والله ما تنفّلت من يدي حتى تقول لي ما في نفسك مني، فقال: يا شيخ! إن كنت مسلماً، فاطلب صاحب التمرات، حتى تتخلص من تبعته، كما تطلب الماء إذا كنت عطشان شديد العطش، يا شيخ ! تطعم أولاد المسلمين السحت - الحرام - وأنت مسلم ؟ فقال الشيخ: والله لا اتجرت للدنيا أبداً "^{٤٤}

وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، كان عمه يرسل إلى بعض الولاة بأحوال بغداد، ليعلم بها الخليفة، وقد أرسلها مرة مع ابن أخيه أحمد بن حنبل فتورع عن ذلك، ورمى بها في الماء، تأثماً من الوشاية، والتسبب، لما عسى أن يكون فيها ضرر بالمسلمين، وقد لفتت

^{٤٢} - تربية الأولاد في الإسلام النابلسي - (١ / ٣٤)

^{٤٣} - مسند الطيالسي - (٤ / ٢٦٩) (٢٦٥٩) ضعيف

^{٤٤} - أنباء نجباء الأبناء (ص ١٤٨)

هذه النجاة كثيراً من أهل العلم والفراسات، حتى قال الهيثم بن جميل: "إِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ رَجُلًا يَكُونُ حُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ وَإِنْ فَضِيلَ بْنِ عِيَّاضٍ حُجَّةٌ أَهْلَ زَمَانِهِ. قَالَ الْهَيْثَمُ: "وَأَظُنُّ إِنَّ عَاشَ هَذَا الْفَتَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ سَيَكُونُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ"^{٤٥} وَعَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ جَمِيلٍ، قَالَ: "أَحْسِبُ هَذَا الْفَتَى - يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ - إِنْ عَاشَ يَكُونُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ"^{٤٦}

الأساس العقدي الثالث: ترسيخ حب النبي ﷺ وآل بيته الأطهار وأصحابه الكرام:

وبهذا يتحقق الشطر الثاني من الشهادة، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول، وقد سار السلف الصالح وخلفهم في تركيزها، وتثبيتها في نفس الطفل، إذ بها تتحرك مشاعر الطفل، وأحاسيسه، وتزيد حرارة الشعور الإسلامي، وتدفع به إلى كل خير، وتحلُّ له مشكلاته كلها، وتهوِّن عليه كل مصيبة .

ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة، أنها في مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه بأقوى شخصية حولها، وذلك لتقتدي بها، وتسير على هداها، وتقلدها في كل حركاتها، والتربية الإسلامية طلبت أن يشدَّ الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول ﷺ، إذ هو القدوة الثابتة الراسخة، والمثل الأعلى للبشرية كلها، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين .

وما العذاب الذي تصاب به النفس البشرية، وما الأمراض النفسية والعصبية المنتشرة هنا وهناك، إلا أثر من آثار البعد عن القدوة الصحيحة، وعدم التشبه برسول الله ﷺ، وإنما نلاحظ من الأجيال المنحرفة أنها تعيش في فراغ في الشخصية، تلهث وراء الموضات المتغيرة بين فصل وآخر من فصول السنة، وتركز وراء الممثلين والممثلات المائعين المنحرفين البعيدين كل البعد المنهج الرباني، والمتبعين للمنهج الشيطاني، وهم ينفخ الشيطان في بعض من يسمون أنفسهم مفكري العصر، ورواده المثقفين، الذين ينفخ الشيطان في

^{٤٥} - حَلِيَّةُ الْأَوَّلِيَاءِ (١٣٩٣٤)

^{٤٦} - حَلِيَّةُ الْأَوَّلِيَاءِ (١٣٩٦٩)

رؤوسهم، فيحسبونه فكرا نيرا، وما هو بنير، وهكذا نجد أهمية شخصية حية يقتدي بها
الطفل الناشئ، وهل هناك أفضل من الاقتداء بسيد الخلق وإمام الرسل ﷺ؟!

١- ما ورد في ترسيخ محبة النبي ﷺ وآله الأطهار، وصحابته الأخيار :

عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - قال: قال رسول الله - ﷺ - : "أدبوا أولادكم على خصال
ثلاث: على حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله
يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفياه".^{٤٧}

أي الرسول ﷺ وآل بيته وصحابته والعلماء والدعاة والشيوخ إلى يوم القيامة، أي الذين
يمثلون هذا الدين، وتلاوة القرآن: إذا أردت أن تدرّس الصغار فلتدرّسهم تلاوة القرآن
وتحفيظه وتسميعه والسير والصلاة هذه الموضوعات الأساسية للطفل، صلاة وسيرة وتلاوة.^{٤٨}
ومعنى ذلك أن الطفل لابد له من مثل أعلى، يحتاج إلى مثل، فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى
وصحابته والعلماء والتابعون، والأبطال والأشخاص الأفاضل هؤلاء اقرأ له في سيرتهم،
والقرآن الكريم، فيه ينمو وتقوى لغته ويستقيم لسانه^{٤٩}

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً سأل النبي - ﷺ - عن الساعة، فقال متى الساعة قال «
وماذا أعددت لها» .

قال لا شيء إلا أنني أحب الله ورسوله - ﷺ - . فقال «أنت مع من أحببت» . قال أنس
فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي - ﷺ - «أنت مع من أحببت» . قال أنس فأنا أحب
النبي - ﷺ - وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل
أعمالهم.^{٥٠}

٢- كيف ترسخ محبة النبي ﷺ في الأطفال ؟

أ- السرعة في الاستجابة لندائه، وتنفيذ أوامره :

^{٤٧} - تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - (٨ / ٦٨) [٧٧٥٣] ضعيف

^{٤٨} - تربية الأولاد في الإسلام للنابلسي - (٢ / ١٥)

^{٤٩} - تربية الأولاد في الإسلام للنابلسي - (٢ / ١٦)

^{٥٠} - صحيح البخاري - المكثر - (٣٦٨٨)

إن ازدياد سرعة الاستجابة يزيد من المحبة، وهي برهان هذا الحب، فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام، يسارع في تلبية دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام، دون استشارة أحد من الناس، لأن الأمر أمر عقيدة ومبدأ، ولكل وجهة هو موليها، ولكل امرئ عقيده التي يختارها، وكذلك يعايش ﷺ - وهو في العاشرة من عمره - الدعوة الإسلامية الأولى في مرحلتها: السرية والجهرية، دون خوف أو وجل، ويصلي مع النبي ﷺ وزوجته خديجة في شعاب مكة سرًا، فيراه أبوه أبو طالب، فإذا بعلي لا يخاف ولا يتلجلج.

ثم هذا أنس رضي الله عنه، وهو الطفل الصغير الذي قام على خدمة النبي ﷺ عشر سنين عن أحب شيء لدى الأطفال، ويستجيب للنداء، ويسارع لتنفيذ الأمر النبوي، فيترك اللعب، وينصاع للأمر، فعن أنس قال أتى علي رسول الله ﷺ - وأنا ألعب مع الغلمان - قال - فسلم علينا فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمي فلما جئت قالت ما حبسك قلت بعثني رسول الله ﷺ - لحاجة. قالت ما حاجته قلت إنها سر. قالت لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ - أحدًا. قال أنس والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك يا ثابت.^{٥١}

وعن أنس قال: كنت ألعب مع الغلمان، فأتانا رسول الله ﷺ فسلم، قال يزيد في حديثه علينا، وأخذ بيدي فبعثني في حاجة، وقعد في ظل حائط، أو جدار، حتى رجعت إليه، فبلغت الرسالة التي بعثني فيها، فلما أتيت أم سليم قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني النبي ﷺ في حاجة له، قالت: وما هي؟ قلت سر، قالت: احفظ على رسول الله ﷺ سره، قال: فما حدثت به أحدًا بعد.^{٥٢}

وعن أنس قال: قدم النبي ﷺ المدينة، وأنا ابن تسع سنين، فأنطلقت بي أمي أم سليم إلى نبي الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هذا ابني استخدمه. فخدمت النبي ﷺ تسع سنين، فما قال لي شيء فعلته: لم فعلت كذا وكذا، وما قال لي شيء لم أفعله: ألا فعلت كذا وكذا.

^{٥١} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٥٣٣)

^{٥٢} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٢٧٧) (١٢٠٦٠) ١٢٠٨٣ - صحيح

وَأَتَانِي ذَاتَ يَوْمٍ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، أَوْ قَالَ: مَعَ الصَّبْيَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ثُمَّ دَعَانِي فَأَرْسَلَنِي فِي حَاجَةٍ، فَلَمَّا رَجَعْتُ قَالَ: لَا تُخْبِرْ أَحَدًا، فَاحْتَبَسْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا أَتَيْتُهَا قَالَتْ: يَا بُنَيَّ، مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: أُرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ لَهُ، قَالَتْ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: إِنَّهُ قَالَ: لَا تُخْبِرَنَّ بِهَا أَحَدًا. قَالَتْ: أَيُّ بُنَيَّ، فَكُنْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّةً.^{٥٣}

وقول أنس رضي الله عنه: أتى عليَّ رسول الله ﷺ — وأنا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ "؛ دليل على: تخلية الصِّغار ودواعيهم من اللعب والانبساط، ولا يُضيق عليهم بالمنع ممَّا لا مفسدة فيه. وقوله: "فسلَّم علينا"؛ فيه دليل: على مشروعية السَّلام على الصَّبْيَانِ، وفائدته: تعليمهم السَّلام، وتمرينهم على فعله، وإفشاؤه في الصغار كما يفش في الكبار. وكتمان أنس سرَّ رسول الله ﷺ — عن أمه دليل: على كمال عقله، وفضله، وعلمه مع صغر سنه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.^{٥٤}

وعَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَاحْتَبَأْتُ مِنْهُ خَلْفَ بَابٍ، فَدَعَانِي، فَحَطَّأَنِي حَطَّاءً، ثُمَّ بَعَثَنِي إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ.^{٥٥}

بل إن هذا الأمر ليتعدى انتظار الأوامر، وينتقل أطفال الصحابة إلى مرحلة أعلى في الحب الصادق، وذلك بتربح حاجيات حبيبهم ﷺ، ليسارعوا إلى وضعها أمامه، دون أن يتكلم، أو يسمع أمراً، وهذا من قيم الحب الخالدة. فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْخَلَاءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وُضوءًا، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ.^{٥٦}

^{٥٣} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٤٤٩) (١٢٧٨٤) ١٢٨١٥ - صحيح

^{٥٤} - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٢٠ / ١٣٨)

^{٥٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٨٥٠) (٣١٣١) صحيح

^{٥٦} - صحيح البخاري - المكثر - (١٤٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٥٢٣) وصحيح ابن حبان - (١٥ /

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَوَضَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَهُورًا، فَقَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ قَالَتْ مَيْمُونَةُ: عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمُهُ التَّوْبِيلَ.^{٥٧}

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي الْخَلَاءَ، فَاتَّبَعَهُ أَنَا وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَيَسْتَنْجِي بِهَا.^{٥٨}
وَعَنْ أَبِي مُعَاذٍ وَهُوَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنْ حَاجَتِهِ أَجِيءُ أَنَا وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَيَسْتَنْجِي بِهِ.^{٥٩}

وَعَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَانَ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، فَلَمَّا أَتَى الشَّعْبَ نَزَلَ فَبَالَ وَلَمْ يَقُلْ: أَهْرَاقِ الْمَاءَ، فَاتَّيْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ﷺ وَضُوءًا خَفِيفًا، فَقُلْتُ: "الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: الصَّلَاةُ أَمَامَكَ. فَلَمَّا أَتَى حَمْعًا صَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ حَطُّوا رِحَالَهُمْ، ثُمَّ صَلُّوا الْعِشَاءَ" ^{٦٠}

ومنها مبايعة الأطفال للرسول ﷺ، فعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَفَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُمَا قَالَا خَرَجَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ حِينَ هَاجَرَتْ وَهِيَ حُبْلَى بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَدِمَتْ قُبَاءً فَنُفِست بِعَبْدِ اللَّهِ بِقُبَاءٍ ثُمَّ خَرَجَتْ حِينَ نُفِست إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لِيُحْكَمَهُ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْهَا فَوَضَعَهُ فِي حَجَرِهِ ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَكَّنَتْ سَاعَةً نَلْتَمِسُهَا قَبْلَ أَنْ نَجِدَهَا فَمَضَعَهَا ثُمَّ بَصَفَهَا فِيهِ فَإِنْ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ بَطْنُهُ لَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ثُمَّ قَالَتْ أَسْمَاءُ ثُمَّ مَسَحَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ ثُمَّ جَاءَ

^{٥٧} - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٥٣١) (٧٠٥٥) صحيح

^{٥٨} - مسند الطيالسي - (٣ / ٥٩٦) (٢٢٤٨) صحيح

^{٥٩} - صحيح ابن حبان - (٤ / ٢٩٠) (١٤٤٢) صحيح

^{٦٠} - أخبار مكة للفاكهي - (٢٧٥٢) صحيح

الرديف: الراكب خلف قائد الدابة -الإداوة: إناء صغير من جلد يحمل فيه الماء وغيره

وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ لِيُبَايِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَأَمَرَهُ بِذَلِكَ الزُّبَيْرُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حِينَ رَأَاهُ مُقْبِلًا إِلَيْهِ ثُمَّ بَايَعَهُ ٦١ .

وهكذا نشأ أطفال الصحابة على محبة رسولهم ﷺ ، يدفعهم إلى ذلك الآباء والأمهات، ومن شب على شيء شاب عليه .

قال النووي رحمه الله معلقاً على الحديث : "هَذِهِ بَيْعَةٌ تَبْرِيكٌ وَتَشْرِيفٌ لَا بَيْعَةٌ تَكْلِيفٌ" ٦٢ .

ب- قتال الأطفال لمن يؤذي النبي ﷺ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ بَيْنَ الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ، إِذْ غَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ أَيُّ عَمٍّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ بَنَ هِشَامٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ، يَا بَنَ أَخِي، فَقَالَ: أَخْبَرْتُ أَنَّهُ، يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ، حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ، مِنَّا، قَالَ: فَأَعْجَبَنِي قَوْلُهُ، قَالَ: فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، وَقَالَ مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ رَأَيْتُ أَبَا جَهْلٍ يَجُولُ بَيْنَ النَّاسِ، فَقُلْتُ لَهُمَا: هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْلَانِي عَنْهُ، فَابْتَدَرَاهُ، فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَقَتَلَاهُ ٦٣

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ غُلَامَيْنِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ لَوْ أَنِّي بَيْنَ أَضْلَعٍ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمٍّ، أَتَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: وَمَا

٦١ - صحيح مسلم- المكثر - (٥٧٤٠)

نفست: ولدت -نفست: ولدت أو حاضت- التحنيك: مضغ تمر أو نحوه وذلكه في فم المولود

٦٢ - شرح النووي على مسلم - (٧ / ٢٧٢)

٦٣ - صحيح البخارى- المكثر - (٣١٤١) وصحيح مسلم- المكثر - (٤٦٦٨) وصحيح ابن حبان - (١١ /

(١٧٢)(٤٨٤٠)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رحمه الله: هَذَا خَبَرٌ أَوْهَمَ جَمَاعَةً مِنْ أُمَّتِنَا، أَنَّ سَلْبَ الْقَتِيلِ، إِذَا اشْتَرَكَ النَّفْسَانِ فِي قَتْلِهِ، يَكُونُ خِيَارُهُ إِلَى الْإِمَامِ، بَأَن يُعْطِيَهُ أَحَدَ الْقَاتِلَيْنِ، مِنْ شَاءَ مِنْهُمَا، وَكُنَّا نَقُولُ بِهِ مُدَّةً، ثُمَّ تَدْبِرْنَا، فَإِذَا هَذِهِ الْقِصَّةُ كَانَتْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَحِينَئِذٍ لَمْ يَكُنْ حُكْمُ سَلْبِ الْقَتِيلِ لِقَاتِلِهِ، وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ، كَذَلِكَ كَانَ الْخِيَارُ إِلَى الْإِمَامِ، أَنْ يُعْطِيَ ذَلِكَ أَيْمًا شَاءَ مِنَ الْقَاتِلَيْنِ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي سَلْبِ أَبِي جَهْلٍ حِينَ أُعْطَاهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بَنَ الْجُمُوحِ، وَكَانَ هُوَ، وَمُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو قَاتِلَيْهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ، فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ بَعْدَ بَدْرٍ، بِسَبْعِ سِنِينَ، فَذَلِكَ مَا وَصَفْتُ عَلَى أَنَّ الْقَاتِلَيْنِ، إِذَا اشْتَرَكَ فِي قَتِيلٍ كَانَ السَّلْبُ لَهُمَا مَعًا.

حَاجَّتْكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي ؟ فَقَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَعَجِبْتُ لَذَلِكَ وَعَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ مِثْلَهَا، فَلَمْ أَتَشَبَّ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ تَرَجَّلَ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرِيَانِ ؟ هَذَا صَاحِبُكُمْ الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، فَابْتَدَرَاهُ، فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: "أَيُّكُمْ قَتَلَهُ ؟" قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: "أَمْسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ؟" قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: كِلَاكُمَا قَتَلَهُ "، وَقَضَى بِسَلْبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ، وَالرَّحْلَانِ: مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ^{٦٤}

ومن هذا المنطلق انطلق أطفال السلف الصالح في مقاتلة من يؤذي رسول الله ﷺ، سواء بالإشارة أو العبارة أو النيل من رسول الله ﷺ .

وفي المستطرف: " حكى أن غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالة وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره، فأخذها، فجعلوا يطلبونها منه فأبى، فقال غلام منهم: سألتك بحق محمد ﷺ إلا رددتها علينا، فأبى لعنه الله وسب رسول الله ﷺ ، فأقبلوا عليه بصوالتهم، فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه، فرفع ذلك إلى عمر رضي الله تعالى عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال: الآن عز الإسلام إن أطفالاً صغاراً شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الأسقف، والله سبحانه وتعالى أعلم^{٦٥}

وإن لم يستطع الطفل المسلم أن ينتقم من الرجال الذين يسيئون إلى رسول الله ﷺ فإنه ينقل الخبر الذي سمعه من كلام الفساق والمنافقين إلى رسول الله ﷺ وإلى المؤمنين من بعده.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، قَالَ: كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ حَدِيثِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، قَالُوا: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ،

^{٦٤} - شرح مشكل الآثار - (١٢ / ٢٧٦) (٤٧٨٩) صحيح

^{٦٥} - المستطرف في كل فن مستظرف - (١ / ٤٦٢) ولم أجد هذه الرواية فالله أعلم . انظر رد المحتار - (١٦ /

٢٢٥) مَطْلَبٌ فِي حُكْمِ سَبِّ الدِّمِيِّ النَّبِيِّ ﷺ - والموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٤ / ١٣٦)

وَقَائِدُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ - ؛ فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ، خَرَجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِهِمْ يُقَالُ لَهُ الْمُرْسِيعُ مِنْ نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ، فَتَزَاخَفَ النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا، فَهَزَمَ اللَّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، وَنَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَفَاءَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ أُصِيبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَلْبٍ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ لَيْثٍ بْنِ بَكْرٍ، يُقَالُ لَهُ هِشَامُ بْنُ صُبَابَةَ أَصَابَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ رَهْطِ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَفَتَلَهُ خَطَأً، فَبَيَّنَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَرَدَتْ وَارِدَةُ النَّاسِ وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ يُقَالُ لَهُ جَهْجَاهُ بْنُ سَعِيدٍ، يَقُودُ لَهُ فَرَسُهُ، فَارْدَحَمَ جَهْجَاهُ وَسِنَانُ الْجُهَنِيِّ حَلِيفُ بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزَرَجِ عَلَى الْمَاءِ فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ. وَصَرَخَ جَهْجَاهُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، فَعَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سُلُوفٍ، وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ، غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا ؟ قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاللَّهِ مَا أَعْدُنَا وَجَلَابِيبَ قُرَيْشٍ هَذِهِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ. أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ أَحَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ بِلَادِكُمْ ؛ فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ فَمَشَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ غَزْوِهِ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرِّ بِهِ عَبَادُ بْنُ بَشْرِ بْنِ وَقْشٍ فَلْيَقْتُلْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : "فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، لَا، وَلَكِنْ أَذِّنْ بِالرَّحِيلِ" وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَرْتَحِلُ فِيهَا، فَارْتَحَلَ النَّاسُ، وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ قَدْ بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا قُلْتُ مَا قَالَ، وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ ؛ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغُلَامُ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ، وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرَّجُلُ، حَدِّثْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، وَدَفَعَا عَنْهُ ؛ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَسَارَ، لَقِيَهُ أُسَيْدُ بْنُ

حُضِرَ، فَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ التَّبَوَّةِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رُحْتُ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ مَا كُنْتُ تَرُوحُ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - "أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟" قَالَ: فَأَيُّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي" . قَالَ: وَمَا قَالَ ؟ قَالَ: "زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ" . قَالَ أَسِيدُ: فَأَنْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْرِجُهُ إِنْ شِئْتَ، هُوَ وَاللَّهِ الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ؛ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْفُقْ بِهِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِكَ وَإِنْ قَوْمَهُ لَيَنْظِمُونَ لَهُ الْخَرَزَ لِيَتَوَجَّوْهُ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قَدْ اسْتَلَبْتَهُ مَلَكًا .." ٦٦

ج- حب أطفال الصحابة لما يحبُّ النبي ﷺ ، وكرهيتهم للجاهلية :

فَعَنْ أَنَسٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الدُّبَاءَ، قَالَ: فَأَتَيْتَ بِطَعَامٍ، أَوْ دَعَى لَهُ، قَالَ أَنَسٌ: فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُهُ وَأَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، لِمَا أَعْلَمُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ ٦٧

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: إِنْ حَيَّاطًا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَطْعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسٌ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَرَّبَ إِلَيْهِ خُبْزًا مِنْ شَعِيرٍ، وَمَرَقًا فِيهِ دُبَاءٌ، وَقَدِيدٌ، قَالَ أَنَسٌ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَّبِعُ الدُّبَاءَ مِنْ حَوَالِي الْقُصْعَةِ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. ٦٨

دباء: الدباء: القرع. -قديد: القديد: اللحم المملح اليابس.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلٌ فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ فَجِئَءَ بِمَرَقَةٍ فِيهَا دُبَاءٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ الدُّبَاءِ وَيُعْجِبُهُ - قَالَ - فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ جَعَلْتُ أُلْقِيهِ إِلَيْهِ وَلَا أَطْعَمُهُ. قَالَ فَقَالَ أَنَسٌ فَمَا زِلْتُ بَعْدُ يُعْجِبُنِي الدُّبَاءُ. ٦٩

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، أَنَّ أَبَا طَالُوتَ، حَدَّثَهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ يَأْكُلُ الْقُرْعَ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا لَكَ دُبَاءُ مَا أَحَبَّكَ إِلَيَّ لِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكَ ٧٠

٦٦ - جَامِعُ الْبَيَّانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبْرِيِّ (٣١٦٤٨) صحيح مرسل

٦٧ - مسند أبي يعلى الموصلي (٣٠٠٦) صحيح

٦٨ - صحيح البخارى- المكثر - (٥٤٣٩) وصحيح مسلم- المكثر - (٥٤٤٦) وصحيح ابن حبان - (١٠) /

(٤٠٣)(٤٥٣٩)

٦٩ - صحيح مسلم- المكثر - (٥٤٤٧)

٧٠ - مسند الشاميين ٣٦٠ - (٣ / ١٣٩) (١٩٥١) حسن

د- حفظ أطفال الصحابة والسلف للأحاديث النبوية :

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّهُ عَقَلَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ، وَعَقَلَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِهِ مِنْ بَثْرِ كَانَتْ فِي دَارِهِمْ.

فَرَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ سَمِعَ عَتَبَانَ بْنَ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيَّ - ﷺ - - وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - - يَقُولُ كُنْتُ أُصَلِّيَ لِقَوْمِي بَيْنِي سَالِمٍ، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وَيَبْنِيهِمْ وَادٍ إِذَا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَى اجْتِيَازِهِ قَبْلَ مَسْجِدِهِمْ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - - فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصْرِي، وَإِنَّ الْوَادِيَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إِذَا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَى اجْتِيَازِهِ، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي فَتُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « سَأَفْعَلُ ». فَعَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - - وَأَبُو بَكْرٍ - ﷺ - - بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - فَأَذْنَتْ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ « أَتَيْنَ ثُجْبًا أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ ». فَأَشْرَتْ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَحَبُّ أَنْ أُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - فَكَبَّرَ وَصَفَّفْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرٍ يُصْنَعُ لَهُ فَسَمِعَ أَهْلَ الدَّارِ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - - فِي بَيْتِي فَثَابَ رِجَالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ فِي الْبَيْتِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَا فَعَلَ مَالِكٌ لَا أَرَاهُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ذَاكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - « لَا تَقُلْ ذَاكَ أَلَا تَرَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ». فَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. أَمَّا نَحْنُ فَوَاللَّهِ لَا نَرَى وَدَّهَ وَلَا حَدِيثَهُ إِلَّا إِلَى الْمُتَافِقِينَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ». قَالَ مُحَمَّدٌ فَحَدَّثْتَهَا قَوْمًا فِيهِمْ أَبُو أَيُّوبَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - - فِي غَزْوَتِهِ الَّتِي تُؤْفَى فِيهَا وَيَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِمْ بَارُضُ الرُّومِ، فَأَنْكَرَهَا عَلَى أَبُو أَيُّوبَ قَالَ وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - - قَالَ مَا قُلْتَ قَطُّ. فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى فَجَعَلْتُ لِلَّهِ عَلَى إِنْ سَلَّمَنِي حَتَّى أَقْفَلَ مِنْ غَزْوَتِي أَنْ أَسْأَلَ عَنْهَا عَتَبَانَ بْنَ مَالِكٍ - ﷺ - - إِنْ وَجَدْتُهُ حَيًّا فِي مَسْجِدِ قَوْمِهِ، فَقَفَلْتُ فَأَهْلَلْتُ بِحِجَّةٍ أَوْ بِعُمْرَةٍ، ثُمَّ سَرْتُ حَتَّى قَدِمْتُ

الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ بَنِي سَالِمٍ، فَإِذَا عَتَبَانُ شَيْخٌ أَعْمَى يُصَلِّي لِقَوْمِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ مَنْ أَنَا، ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ فَحَدَّثَنِيهِ كَمَا حَدَّثَنِيهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ٧١ " وَعَنْ أَبِي الْحَوَرَاءِ السَّعْدِيِّ قَالَ قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ   مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ حَفِظْتُ مِنْهُ « دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ » ٧٢.

وَعَنْ أَبِي الْحَوَرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا تَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَذْكُرُ أَنِّي أَخَذْتُ ثَمْرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَأَلْقَيْتُهَا فِي فَمِي، فَانْتَزَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلُعَابِهَا، فَأَلْقَاهَا فِي الثَّمَرِ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا عَلَيْكَ لَوْ أَكَلْتَ هَذِهِ الثَّمْرَةَ؟ قَالَ: إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيَّةٌ قَالَ: وَكَانَ يُعَلِّمُنَا هَذَا الدُّعَاءَ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَرُبَّمَا قَالَ، تَبَارَكَتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ. ٧٣

وَعَنْ رِبِيعَةَ بِنِ شَيْبَانَ، أَنَّهُ قَالَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ  : مَا تَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَذْخَلَنِي غُرْفَةَ الصَّدَقَةِ، فَأَخَذْتُ مِنْهَا ثَمْرَةً، فَأَلْقَيْتُهَا فِي فَمِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلْقِهَا، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ. ٧٤
وَعَنْ أَبِي الْحَوَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَسُئِلَ مَا عَقَلْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَيَّ جَرِينٌ مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَأَخَذْتُ ثَمْرَةً، فَأَلْقَيْتُهَا فِي فَمِي، فَأَخَذَهَا بِلُعَابِي، فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ وَمَا عَلَيْكَ لَوْ تَرَكَتَهَا؟ قَالَ: إِنَّا آلُ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ قَالَ: وَعَقَلْتُ مِنْهُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ. ٧٥

٧١ - صحيح البخارى - المكثر - (١١٨٥ و ١١٨٦)

الحجة: اللفظة -مح: لَفَظَ ما في فمه -الحزير: طعام يتخذ من لحم يقطع صغارا ثم يطبخ ويجعل فيه دقيق

٧٢ - سنن النسائي - المكثر - (٥٧٢٩) صحيح

يريبك: الريب: الشك والتهمة، أي: دع ما يوقعك في التهمة والشك، وتجاوزه إلى ما لا يوقعك فيهما.

٧٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٣٣) (١٧٢٣) صحيح

٧٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٣٣) (١٧٢٤) صحيح

٧٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٣٤) (١٧٢٥) صحيح

وعن مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا وَنَحْنُ غَادِيَانِ مِنْ مَنَى إِلَى عَرَفَاتٍ عَنْ التَّلْبِيَةِ كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ كَانَ يُلَبِّي الْمُلَبِّي لَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ، وَيُكَبِّرُ الْمُكَبِّرُ فَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ^{٧٦}.

وَعَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ غَدَاةَ عَرَفَةَ مَا تَقُولُ فِي التَّلْبِيَةِ هَذَا الْيَوْمَ قَالَ سِرْتُ هَذَا الْمَسِيرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - وَأَصْحَابِهِ فَمِنَّا الْمُكَبِّرُ وَمِنَّا الْمُهْلِلُ وَلَا يَعِيبُ أَحَدُنَا عَلَى صَاحِبِهِ^{٧٧}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ قَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - غُلَامًا فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ هَا هُنَا رَجُلًا هُمْ أَسَنُّ مِنِّي وَقَدْ صَلَّيْتُ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَلَى امْرَأَةٍ مَاتَتْ فِي نَفْسِهَا فَقَامَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي الصَّلَاةِ وَسَطَهَا. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ قَالَ فَقَامَ عَلَيْهَا لِلصَّلَاةِ وَسَطَهَا^{٧٨}.

نفاسها: نفست المرأة بفتح النون وضمها، إذا ولدت، والنفاس: الولادة، وبفتح النون [لا غير]: إذا حاضت.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: بَتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ، فَبَالَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ نَامَ^{٧٩}.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فَقُمْتُ أُصَلِّي فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَخَذَ بِرَأْسِي فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ^{٨٠}.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: بَتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ،

^{٧٦} - صحيح البخارى - المكثر - (٩٧٠)

^{٧٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٣١٥٨)

^{٧٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٢٢٨١)

^{٧٩} - صحيح ابن حبان - (٤ / ٢٩٣) (١٤٤٥) صحيح

^{٨٠} - صحيح ابن حبان - (٥ / ٥٧٢) (٢١٩٦) صحيح

فَصَلَّى فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ، فَخَرَجَ، وَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ^{٨١}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقِرْبَةَ، فَأَطْلَقَ شِقَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أُبْلَغَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةٍ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَرْقُبُهُ، فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَادَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَنَامَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَإِذَا بَلَالٌ فَأَذَنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأَ، وَكَانَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَأَعْظَمَ لِي نُورًا.^{٨٢}

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ (وَكَانَ مِنْ صِغَارِ الصَّحَابَةِ)، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءُ مِنْ أَدَمٍ، قَالَ: فَخَرَجَ بَلَالٌ بِوُضُوئِهِ، فَبَيْنَ نَائِلٍ وَنَاضِحٍ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقِيهِ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ وَأَذَنَ بَلَالٌ، فَجَعَلَ يَتَّبِعُ فَاهُ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالًا: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، ثُمَّ رُكِرَتْ لَهُ عَنَزَةٌ، فَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْحِمَارُ وَالْكَلْبُ لَا يَمْنَعُ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ.^{٨٣}

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءُ مِنْ أَدَمٍ، قَالَ: فَخَرَجَ بَلَالٌ بِوُضُوئِهِ فَبَيْنَ نَائِلٍ وَنَاضِحٍ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقِيهِ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ وَأَذَنَ بَلَالٌ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، يَقُولُ: يَمِينًا وَشِمَالًا، يَقُولُ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، ثُمَّ رُكِرَتْ لَهُ عَنَزَةٌ، فَقَامَ فَصَلَّى

^{٨١} - صحيح ابن حبان - (٣٥٥ / ٦) (٢٦٢٦) صحيح

^{٨٢} - صحيح ابن حبان - (٣٦٣ / ٦) (٢٦٣٦) صحيح

^{٨٣} - صحيح مسلم - المكثر - (١١٤٧) وصحيح ابن حبان - (١٥٤ / ٦) (٢٣٩٤)

ركز: غرز الشيء منتصباً في الأرض - العترة: عصا أسفلها حديدة

الْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْحِمَارُ وَالْكَلْبُ لَا يُمْنَعُ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ^{٨٤}

وَعَنِ الْحَكَمِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا جُحَيْفَةَ يُحَدِّثُ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ بِالْهَاجِرَةِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ، ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ، وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ^{٨٥}

وهذه قصة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ففي كتاب العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: "فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه، واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال سمعت في البلاد بصبي يقال له أحمد بن تيمية وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدا لعلني أراه، فقال له خياط: هذه طريق كتابه وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبا إلى الكتاب، فجلس الشيخ الحلبي قليلاً فمرَّ صبيان فقال الخياط للحلبي: هذا الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ثم قال: يا ولدي امسح هذا حتى أملي عليك شيئا تكتبه، ففعل فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثا، وقال له اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه وقال: اسمعه عليّ، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي امسح هذا ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكون له شأنٌ عظيم، فإن هذا لم ير مثله أو كما قال^{٨٦}

^{٨٤} - مسند أبي يعلى الموصلي (٨٨٨) صحيح

^{٨٥} - مسند أبي يعلى الموصلي (٨٩١) صحيح

^{٨٦} - العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية [صفحة ٢٠]

بل كانوا يعطون مكافآت على حفظ الأطفال للأحاديث النبوية، قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهَمَ، يَقُولُ: قَالَ لِي أَبِي: "يَا بُنَيَّ، اطْلُبِ الْحَدِيثَ، فَكُلَّمَا سَمِعْتَ حَدِيثًا، وَحَفِظْتَهُ، فَلَكَ دِرْهَمٌ فَطَلَبْتُ الْحَدِيثَ عَلَى هَذَا" ^{٨٧}

وكانوا يخدمون أصحاب الحديث ليتعلموا منهم، قال زياد بن عبيد الله بن خزاعي بن عبد الله بن مغل: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: كَانَ أَبِي صَيْرَفِيًّا بِالْكُوفَةِ، فَكَرِبَهُ الدِّينُ، فَحَمَلَنَا إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَصَرْتُ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، إِذَا شَيْخٌ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ أَمْسِكْ عَلَيَّ هَذَا الْحِمَارَ حَتَّى أَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَأَرْكَعَ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ أَوْ تُحَدِّثُنِي، قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ أَنْتَ بِالْحَدِيثِ؟، وَاسْتَصْعَرَنِي، فَقُلْتُ: حَدِّثْنِي، فَقَالَ حَدَّثَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، فَحَدَّثَنِي بِثَمَانِيَةِ أَحَادِيثَ، فَأَمْسَكْتُ حِمَارَهُ، وَجَعَلْتُ أَتَحْفَظُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ، فَلَمَّا صَلَّيْ وَخَرَجَ، قَالَ: مَا نَفَعَكَ مَا حَدَّثْتُكَ، حَبَسْتَنِي فَقُلْتُ: حَدَّثْتَنِي بِكَذَا، وَحَدَّثْتَنِي بِكَذَا، فَردَّدْتُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، تَعَالَ غَدًا إِلَى الْمَجْلِسِ، فَإِذَا هُوَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ.. ^{٨٨}

وقال أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ: كُنَّا عِنْدَ الْأَعْمَشِ، وَنَحْنُ حَوْلَهُ نَكْتُبُ الْحَدِيثَ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ حَوْلَكَ؟ قَالَ: "هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ عَلَيْكَ دِينَكَ" ^{٨٩} ومَرَّ رَجُلٌ بِحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَحَوْلَهُ صَبِيَّانٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَلَمَةَ مَا هَذَا؟ قَالَ: "هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ عَلَيْكَ أَمْرَ دِينِكَ" ^{٩٠}

وقال سَعِيدُ بْنُ رَحْمَةَ الْأَصْبَحِيِّ: كُنْتُ أَسْبِقُ إِلَى حَلَقَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بَلِيلٍ مَعَ أَقْرَانِي، لَا يَسْبِقُنِي أَحَدٌ، وَيَجِيءُ هُوَ مَعَ الْأَشْيَاخِ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ غَلَبْنَا عَلَيْكَ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ

^{٨٧} - شَرَفُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١٣٣)

^{٨٨} - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٧٢)

^{٨٩} - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٦٤)

^{٩٠} - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٦٥)

فَقَالَ: "هَؤُلَاءِ أَرْجَى عِنْدِي مِنْكُمْ، أَنْتُمْ كَمْ تَعِيشُونَ؟ وَهَؤُلَاءِ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ بِهِمْ
"قَالَ: قَالَ سَعِيدٌ: فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ غَيْرِي" ٩١

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: "مَا رَأَيْتُ طَالِبًا لِلْعِلْمِ أَصْغَرَ مِنْهُ يَعْنِينِي، وَسَمِعْتُ
مِنْهُ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً" ٩٢

وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: قَالَ لِي الزُّهْرِيُّ: "مَا رَأَيْتُ طَالِبًا لِلْعِلْمِ أَصْغَرَ مِنْكَ" قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ:
"وَكُنْتُ أَحْفَظُ الْحَدِيثَ قَبْلَ أَنْ أَسْأَلَ الزُّهْرِيَّ عَنْهُ" قَالَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ: وَلِدَ ابْنُ عُيَيْنَةَ
سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ عَلَى مَا حَدَّثَنِي بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَذَنِيُّ، قَالَ:
سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى الطَّبَّاعَ وَمَاتَ الزُّهْرِيُّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ عَلَى مَا حَدَّثَنَا
بِهِ أَبُو عِمْرَانَ عَنْ شَبَابٍ، وَابْنُ الْبُرَيْجِ عَنْ أَبِي حَفْصٍ وَقَدْ أَخْبَرَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مِنْ رِوَايَةِ
الْجَوْهَرِيِّ، أَنَّهُ كَتَبَ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ، فَصَارَ بَيْنَ ابْتِدَاءِ كَتْبِهِ عَنْهُ إِلَى
يَوْمِ تُوْفِي الزُّهْرِيَّ سِتِّانَ أَوْ نَحْوَهُمَا، وَاسْتَصْغَرَهُ الزُّهْرِيُّ لِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَهِيَ حَدُّ الْبُلُوغِ
عِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ وَحَكِي لِي حَاكٍ أَنَّ الْأَوْزَاعِيَّ سُئِلَ عَنِ الْعُلَامِ:
يَكْتُبُ الْحَدِيثَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْحَدَّ الَّذِي تَجْرِي عَلَيْهِ فِيهِ الْأَحْكَامُ؟ فَقَالَ: إِذَا ضَبَطَ الْإِمْلَاءُ
جَازَ سَمَاعُهُ، وَإِنْ كَانَ دُونَ الْعَشْرِ، وَاحْتَجَّ بِحَدِيثِ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبُدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
"مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ" وَهَذِهِ حِكَايَةٌ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، وَلَا
أَعْرِفُ صِحَّتَهَا، إِلَّا أَنَّهَا صَحِيحَةٌ لِالْعِتْبَارِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالصَّلَاةِ وَالضَّرْبَ عَلَيْهَا إِنَّمَا هُوَ عَلَى
وَجْهِ الرِّيَاضَةِ، لَا عَلَى وَجْهِ الْوُجُوبِ، وَكَذَلِكَ كَتَبُ الْحَدِيثَ إِنَّمَا هُوَ لِلْقَاءِ وَتَحْصِيلِ
السَّمَاعِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا، فَلَيْسَ الْمُعْتَبَرُ فِي كَتْبِ الْحَدِيثِ الْبُلُوغُ وَلَا غَيْرُهُ، بَلْ يُعْتَبَرُ
فِيهِ الْحَرَكَةُ وَالتَّضَاجُعُ وَالتَّيَقُّظُ وَالضَّبْطُ، وَقَدْ ذَلَّ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ: "مَا رَأَيْتُ طَالِبًا لِلْعِلْمِ
أَصْغَرَ مِنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ" عَلَى أَنَّ طُلَّابَ الْحَدِيثِ عَصَرَ التَّابِعِينَ كَانُوا فِي حُدُودِ الْعِشْرِينَ،
وَكَذَلِكَ يَذْكُرُ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَأَخْبَرَنِي عِدَّةٌ مِنْ شُيُوخِنَا أَنَّهُ قِيلَ لِمُوسَى بْنِ إِسْحَاقَ:
كَيْفَ لَمْ تُكْتُبْ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ؟ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ لَا يُخْرِجُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي طَلَبِ

٩١ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٦٦)

٩٢ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٤٣)

الْعِلْمِ صِغَارًا حَتَّى يَسْتَكْمِلُوا عِشْرِينَ سَنَةً وَحَدَّثَنِي مَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
الْحَضْرَمِيَّ يَقُولُ ذَلِكَ أَيْضًا وَوُلِدَ الْحَضْرَمِيُّ سَنَةَ مَائَتَيْنِ، وَمَاتَ أَبُو نُعَيْمٍ سَنَةَ تِسْعِ
عَشْرَةَ ٩٣

وَقَالَ مُوسَى بْنُ هَارُونَ: "أَهْلُ الْبَصْرَةِ يَكْتُبُونَ لِعِشْرِ سِنِينَ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ لِعِشْرِينَ، وَأَهْلُ
الشَّامِ لثَلَاثِينَ" ٩٤

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ الْمَعْنِيَّ قَالَ: كَانَ أَبِي يَقُولُ: "أَيُّ بَنِي كُنَّا
صِغَارَ قَوْمٍ فَأَصْبَحْنَا كِبَارَهُمْ، وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ صَعَائِرُ قَوْمٍ وَيُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا كِبَارَهُمْ، فَمَا
خَيْرٌ فِي كِبَرٍ، وَلَا عِلْمَ لَهُ، فَعَلَيْكُمْ بِالسُّنَّةِ" ٩٥

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ: "أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ غُلَمَانَ الْمَكَاتِبِ وَيُحَدِّثُهُمْ لِكَيْلَا يَنْسَى حَدِيثَهُ" ٩٦.
وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ أَبِي حُسَيْنٍ الْمَكِّيُّ يُدْنِيَنِي فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُ
الْحَدِيثِ: تَرَاكَ تُقَدِّمُ هَذَا الْعِلَامَ الشَّامِيَّ، وَتُؤَثِّرُهُ عَلَيْنَا، فَقَالَ: "إِنِّي أُوْمَلُّهُ فَسَأَلُوهُ يَوْمًا عَنْ
حَدِيثٍ حَدَّثَ بِهِ عَنْ شَهْرٍ: "إِذَا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا فَقَدْ كَمُلَ" فَذَكَرَ الثَّلَاثَةَ وَنَسِيَ الرَّابِعَةَ،
فَسَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِي: كَيْفَ حَدَّثْتُكُمْ؟ فَقُلْتُ: حَدَّثْتَنَا عَنْ شَهْرٍ أَنَّهُ "إِذَا جَمَعَ
الطَّعَامُ أَرْبَعًا فَقَدْ كَمُلَ، إِذَا كَانَ أَوَّلُهُ حَلَالًا، وَسُمِّيَ عَلَيْهِ اللَّهُ حِينَ يُوضَعُ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ
الْأَيْدِي، وَحَمَدَ اللَّهُ حِينَ يَرْفَعُ" فَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ: كَيْفَ تَرَوْنِي" ٩٧

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيِّ، أَوْ غَيْرِهِ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عُيَيْنَةَ قَالَ: كُنْتُ اخْتَلَفْتُ إِلَى
الرُّهْرِيِّ، وَأَنَا حَدِيثُ السَّنِّ وَلِي ذُوَابَتَانِ، فَأَمْلَى يَوْمًا حَدِيثًا عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَسَعِيدٍ، فَلَمَّا
فَرَعْنَا جَلَسْنَا نُقَابِلَ، فَاخْتَلَفَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ

٩٣ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٤٤)

٩٤ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٤٥)

٩٥ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٦٧)

٩٦ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٦٨)

٩٧ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٦٩)

سَعِيدٌ، وَابْنُ شَهَابٍ يَسْمَعُ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ أَنْتَ يَا صَبِيٍّ؟ فَقُلْتُ: "عَنْ كِلَاهُمَا فَضَمَمْتُ الْكَافَ، فَجَعَلَ يَعْجَبُ مِنْ ضَبْطِي وَيَضْحَكُ مِنْ لَحْنِي" ٩٨
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: كَمْ سَمِعْتَ مِنَ الزُّهْرِيِّ؟ قَالَ: أَمَّا مَعَ النَّاسِ فَمَا لَا أُحْصِي، وَأَمَّا وَحْدِي فَحَدِيثٌ وَاحِدٌ قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا بَابَ بَنِي شَيْبَةَ، فَإِذَا أَنَا بِهِ جَالِسٌ إِلَى عَمُودٍ مِنْ أَسَاطِينِ الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَلَا أَجِدُهُ أَخْلَى مِنْهُ السَّاعَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدَّثَنِي حَدِيثًا أَوْ حَدِيثَيْنِ، فَقَالَ: سَلْنِي عَمَّا شِئْتَ قُلْتُ: حَدَّثَنِي حَدِيثَ الْمَخْزُومِيَّةِ، الَّتِي قَطَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهَا، قَالَ: فَضْرَبَ وَجْهِي بِالْحَصَا، ثُمَّ قَالَ: قُمْ، لَا أَقَامَكَ اللَّهُ، فَمَا يَزَالُ عَبْدٌ يَقْدُمُ عَلَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ قَالَ: فَقُمْتُ مُنْكَسِرًا نَادِمًا، فَجَلَسْتُ قَرِيبًا مِنْهُ، فَمَرَّ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ، لَابِنُ شَهَابٍ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، فَسَبَّحَ بِهِ فَلَمْ يَسْمَعْ، فَرَمَاهُ بِالْحَصَا، فَلَمْ يَبْلُغْهُ، فَاضْطَرَّ إِلَيَّ، فَقَالَ: قُمْ فَادْعُهُ لِي، فَدَعَوْتُهُ لَهُ، فَأَتَاهُ فَقَضَى حَاجَتَهُ، وَعُدْتُ إِلَى مَجْلِسِي، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَدَعَانِي، فَجِئْتُهُ فَقَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَمِيعًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الْعَجَمَاءُ جُبَارٌ وَالْبُتْرُ جُبَارٌ، وَالْمَعْدُنُ جُبَارٌ، وَفِي الرُّكَازِ الْخُمْسُ" هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الَّذِي أَرَدْتَ ٩٩

وَعَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ فَإِذَا أَنَا يَعْنِي بِرَجُلٍ يَتَهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قُلْتُ: مَنْ الَّذِي عَلَى يَمِينِهِ؟ قَالُوا: أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ قُلْتُ: مَنْ الَّذِي عَنْ يَسَارِهِ؟ قَالُوا: عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقُلْتُ: حَدَّثَنِي فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَكَانَ خَيْرَ مُحَمَّدِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَصُرَ بِرَجُلٍ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، يُنْقَرُ كَمَا يُنْقَرُ الْغُرَابُ، فَقَالَ: "لَوْ مَاتَ هَذَا لَمَاتَ عَلَى غَيْرِ دِينَ مُحَمَّدٍ" قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: مَاتَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً، بَعْدَ الزُّهْرِيِّ بِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى مَا أَخْبَرَنِي بِهِ ابْنُ أَبِي حَبِيبٍ

٩٨ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٧٠)

٩٩ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٧١)

الأنصاري، ثنا بكر الخياط، ثنا الواقدي حدثني ابن جريج ويمكن أن رآه ابن عيينة بالمدينة قبل وصوله إلى مكة، ثم رآه بمكة، ولم يعرفه حتى سمع منه ^{١٠٠} وقال محمد بن زياد الزياتي: سمعت ابن عيينة يقول: "حفظت عن عبدة بن أبي لبابة، وكان أسن من الحكم وحبيب بن أبي ثابت فقد دلت حكاية الزياتي، عن ابن عيينة، أنه حفظ وهو ابن عشر أو في حدوده لأن الحكم مات سنة أربع عشرة ومائة وحبيب بن أبي ثابت سنة تسع عشرة على ما أخبرني به أبو عمران عن شبيب وعد عبدة بن أبي لبابة في طبقتهم، ولم يذكر لي وفاته ^{١٠١}"

وقال محمد بن ميمون الخياط: قلت لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد، حديث حدث به الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة؟ فقال سفيان: أنا سمعته من محمد بن عبد الرحمن قبل أن أسمع من الزهري، عن امرأة منهم قالت: "كان ثورنا إلى جنب ثور النبي ﷺ، فحفظت منه قاف من كثرة ما كان يردها وقال ابن صاعد: هذه المرأة هي بنت حارثة بن النعمان ^{١٠٢}" وقال الفروي: سمعت مالكا يقول: دخلت أنا وموسى بن عقبة، ومشخة كثيرة على ابن شهاب، فسألنا لشاب منهم، عن حديث قال: "تركتم العلم حتى إذا صرتم كالشئ قد وهى طبعتموه لا جئتم والله بخير أبدا ^{١٠٣}"

وقال مطرف: سمعت مالك بن أنس يقول: قلت لأبي: أذهب فاكذب العلم فقالت لي أمي: تعال فلبس ثياب العلماء، ثم أذهب فاكذب قال: فأخذتني فلبستني ثيابا مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب الآن فاكذب ^{١٠٤}

بل هاجر أطفال السلف لسماع الحديث النبوي الشريف :

١٠٠ - المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (٧٣)

١٠١ - المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (٧٤)

١٠٢ - المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (٧٦) - التنوير: المؤيد

١٠٣ - المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (٧٧)

١٠٤ - المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (٧٨)

الإمام العلامة شيخ المحدثين مسند العراق أبو الحسن علي بن عاصم بن صهيب القرشي التيمي مولى قرية أخت القاسم بن محمد بن أبي بكر، الواسطي. ولد سنة سبع ومائة، فهو من أسنان سفيان بن عيينة. روى عن سهيل بن أبي صالح، وعطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن وحميد الطويل وخالد الحذاء وخلق سواهم. حدث عنه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويزيد بن زريع مع تقدمه وعبد بن حميد ومحمد بن يحيى الذهلي وخلق كثير. قال يعقوب بن شيبة: كان من أهل الدين والصلاح والخير البارع وكان شديد التوقي ومنهم من أنكر عليه كثرة الغلط والخطأ. قال ابن أعين: سمعت علي بن عاصم يقول: دفع إلي أبي مائة ألف درهم، قال: اذهب فلا أرى لك وجهًا إلا بمائة ألف حديث. قال البيكندي: كان يجتمع عند علي ابن عاصم أكثر من ثلاثين ألفًا. مات سنة إحدى ومائتين. قال يعقوب بن شيبة: سمعت عاصم بن علي يقول: أخبرني أبي أنه صام ثمانين شهر رمضان لم يفطر فيها يوما. قال: ومات وهو ابن أربع وتسعين سنة.^{١٠٥}

قَالَ الْخَضِرُ بْنُ أَبَانَ الْهَاشِمِيُّ، بِالْكُوفَةِ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَاصِمٍ، يَقُولُ: خَرَجْتُ مِنْ وَاسِطٍ إِلَى الْكُوفَةِ أَنَا وَهَشِيمٌ لِنَلْقَى مَنْصُورًا، فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ وَاسِطٍ، سِرْتُ فَرَأَسِخَ لِقَائِي إِمَّا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَإِمَّا غَيْرُهُ فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ أَسْعَى فِي دِينِ عَلِيٍّ، قَالَ: فَقُلْتُ ارْجِعْ مَعِي، فَإِنَّ عِنْدِي أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أُعْطِيكَ مِنْهَا أَلْفَيْنِ فَرَجَعْتُ فَأَعْطَيْتُهُ أَلْفَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَدَخَلْتُ هَشِيمٌ الْكُوفَةَ بِالْعِدَاةِ، وَدَخَلْتُهَا بِالْعَشِيِّ، فَذَهَبَ هَشِيمٌ، فَسَمِعَ مِنْ مَنْصُورٍ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا، وَدَخَلْتُ أَنَا الْحَمَّامَ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ مَضَيْتُ فَأَتَيْتُ بَابَ مَنْصُورٍ، فَإِذَا جَنَازَةٌ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالُوا: جَنَازَةُ مَنْصُورٍ، فَقَعَدْتُ أَبْكِي، فَقَالَ لِي شَيْخٌ هُنَاكَ: يَا فَتَى مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: قُلْتُ قَدِمْتُ عَلَى أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ، وَقَدْ مَاتَ، قَالَ: فَأَذْلُكَ عَلَى مَنْ شَهِدَ عُرْسَ أُمِّ ذَا، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: اكْتُبْ، حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: فَجَعَلْتُ أَكْتُبُ عَنْهُ شَهْرًا، فَقُلْتُ لَهُ مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ قَالَ أَنْتَ تُكْتُبُ عَنِّي مِنْذُ شَهْرٍ

^{١٠٥} - موسوعة مواقف السلف - (٣ / ١٩٨) وطبقات ابن سعد (٣١٣/٧) والتاريخ الكبير (٢٩٠/٦) وتاريخ بغداد (٤٥٨-٤٤٦/١١) وتهذيب الكمال (٥٢٠-٥٠٤/٢٠) وتهذيب التهذيب (٣٤٤/٧) وتذكرة الحفاظ (٣١٦/١)- (٣١٧) والسير (٢٤٩/٩-٢٦٢) وشذرات الذهب (٢/٢).

لَمْ تَعْرِفْنِي. أَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَلْقَى ابْنَ عَبَّاسٍ إِلَّا سَبْعَةَ دَرَاهِمٍ أَوْ تِسْعَةَ دَرَاهِمٍ، فَكَانَ عِكْرِمَةُ يَسْمَعُ مِنْهُ ثُمَّ يَجِيءُ فَيُحَدِّثُنِي" ١٠٦

فانظر يا رعاك الله إلى تضحية هذا الفتى، الذي بذل نصف ماله، وأضاع وقته، وهجر الأوطان، فتأخر عن لقاء الشيخ منصور، فهياً الله تعالى له شيخاً هو شيخ المشايخ، وأستاذهم آنذاك: حصين بن عبد الرحمن، وما ذاك إلا دليل على شدة الإخلاص في طلب العلم، وصدق المحبة لرسوله ﷺ .

وكذلك كتابة الأحاديث النبوية، والتأكد من صحة الكتابة، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: كَتَبْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: عَارَضْتُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: لَمْ تَكْتُبْ. ١٠٧ وهذا المنهج العلمي في عرض الكتابة على الأصل، والتأكد من صحة الكتابة، وسلامتها، يؤكد الحرص الكبير على جلالة قدر تراثنا العظيم، ويقظة الآباء والعلماء إلى المنهج العلمي القويم، وتعويد الصغير عليه ليشبَّ معه بكل ثقة واعتزاز .

وكذلك حفظ البنات للأحاديث النبوية، قال أبو عمر بن عبد البر: كان لمالك رحمه الله أربعة بنين: يحيى ومحمد وحمام وأُم البهاء فأما يحيى وأُم البهاء فلم يوص بهما إلى أحد وأوصى بالآخرين إلى إبراهيم بن حبيب رجل من أهل المدينة.

قال الزبيرى: كانت لمالك ابنة تحفظ علمه يعني الموطأ وكانت تقف خلف الباب فإذا غلط القارئ نقرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه.

وكان ابنه محمد يحيى وهو يحدث وعلى يده باشق ونعل كيساني وقد أرخى سراويله عليه فيلتفت مالك إلى أصحابه ويقول: إنما الأدب أدب الله هذا ابني وهذه ابنتي؟.

قال القروي: كنا نجلس عنده وابنه يحيى يدخل ويخرج ولا يقعد فيقبل علينا ويقول: إن ما يهون علي أن هذا الشأن لا يورث وأن أحداً لم يخلف أباه ومجلسه إلا عبد الرحمن بن

١٠٦ - الرَّحْلَةُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٧٣)

١٠٧ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٥٦٨) (٢٧١٩٢) صحيح

القاسم. وكان محمد هذا ابن اسمه أحمد سمع من جده مالك ذكره أبو عبد الله بن مفرج القرطبي في رواية مالك^{١٠٨}.

والأطفال يهتمون بروايات الحديث وفقهه، فعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال : قالت لي عائشة رضي الله عنها : يا بُنيَّ : "إِنَّهُ يَبْلُغُنِي أَنَّكَ تَكْتُبُ عَنِّي الْحَدِيثَ ثُمَّ تَعُودُ فَتَكْتُبُهُ" فَقُلْتُ لَهَا : أَسَمِعُهُ مِنْكَ عَلَى شَيْءٍ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْمَعُهُ عَلَى غَيْرِهِ، فَقَالَتْ : هَلْ تَسْمَعُ فِي الْمَعْنَى خِلَافًا ؟ قُلْتُ : لَا، قَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ " ^{١٠٩}

هـ - دراسة الأطفال للسيرة النبوية، ومدى تأثيرها فيهم :

حرص الصحابة والسلف الصالح - رضوان الله عليهم - على دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقينها لأطفالهم، حتى إنهم ليقرونها مع تعليم القرآن الكريم، لأنها الترجمان لمعاني القرآن، مع ما فيها من إثارة العاطفة، ومشاهدة الواقع الإسلامي، وتأثير عجيب في النفس، ولما تحمل في طياتها من معاني الحب، والجهاد في سبيل إنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

ويجد العلماء فيها ما يعينهم على فهم كتاب الله تعالى؛ لأنها هي المفسرة للقرآن الكريم في الجانب العملي، ففيها أسباب التزول، وتفسير لكثير من الآيات فتعينهم على فهمها، والاستنباط منها، ومعايشة أحداثها، فيستخرجون أحكامها الشرعية، وأصول السياسة الشرعية، ويحصلون منها على المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة، وبها يدركون الناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم، وبذلك يتذوقون روح الإسلام ومقاصده السامية، ويجد فيها الزهد معاني الزهد وحقيقته ومقصده، ويستقي منها التجار مقاصد التجارة وأنظمتها وطرقها، ويتعلم منها المبتلون أسمى درجات الصبر والثبات، فتقوى عزائمهم على السير في طريق دعوة الإسلام وتعظم ثقتهم بالله عز وجل، ويوقنوا أن العاقبة للمتقين.^{١١٠}

^{١٠٨} - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - (١ / ٧) وترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٢٨)

^{١٠٩} - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي - (٦١٣) حسن

^{١١٠} - انظر: مدخل لدراسة السيرة، د. يحيى اليحيى، ص ١٤.

وتتعلم منها الأمة الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، وسمو الأخلاق، وطهارة القلب، وحب الجهاد في سبيل الله، وطلب الشهادة في سبيله؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، يَقُولُ : "كُنَّا نَعْلَمُ مَعَاذِيَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَرَائِيَهُ كَمَا نَعْلَمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ" ١١١ .
وَعَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمِّي الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: "فِي عِلْمِ الْمَعَاذِي عِلْمُ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا" ١١٢ .

عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: "كَانَ أَبِي يُعَلِّمُنَا مَعَاذِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَعُدُّهَا عَلَيْنَا، وَسَرَائِيَهُ وَيَقُولُ: يَا بَنِيَّ هَذِهِ مَآثِرُ آبَائِكُمْ فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا" ١١٣ .

إن دراسة المهدي النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، يساعد العلماء والقادة والفقهاء والحكام على معرفة الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين، من خلال معرفة عوامل النهوض، وأسباب السقوط، ويتعرفون على فقه النبي ﷺ في تربية الأفراد وبناء الجماعة المسلمة، وإحياء المجتمع، وإقامة الدولة، فيرى المسلم حركة النبي ﷺ في الدعوة، والمراحل التي مر بها وقدرته على مواجهة أساليب المشركين في محاربة الدعوة، وتخطيطه الدقيق في الهجرة إلى الحبشة، ومحاولته إقناع أهل الطوائف بالدعوة، وعرضه لها على القبائل في المواسم، وتدرجه في دعوة الأنصار ثم هجرته المباركة إلى المدينة.... ١١٤

وقال السمعاني: يجب على الآباء تعليم أولادهم أن النبي ﷺ بعث بمكة إلى كافة الثقلين ودفن في المدينة وأنه واجب الطاعة والمحبة. ١١٥

و- حرص الأمهات على آثار الرسول ﷺ ليكون بركة على أطفالهم :

-
- ١١١ - الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاويِّ وَآدَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١٦٠٢) من طريق الواقدي
١١٢ - الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاويِّ وَآدَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١٦٠٠) والبداية والنهاية: لابن كثير (٢٥٦/٣)،
٢٥٧ ط/ دار المعرفة، (٢٤٢/٣) ط ١٩٧٨/٢ م مكتبة المعارف - لبنان، مكتبة النصر - الرياض.
١١٣ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي - (١٦٠١) و انظر: البداية والنهاية (٢٤٢/٢).
وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - (٤ / ١٠)
١١٤ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (١ / ٣)
١١٥ - فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (٢ / ٥٢)

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأَتَيْتُ، فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَائِمٌ فِي بَيْتِكَ عَلَى فِرَاشِكَ قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدَمٍ عَلَى الْفِرَاشِ، قَالَ: فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا قَالَ: فَجَعَلَتْ تُشَفُّ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعَصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمِّ سُلَيْمٍ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرْجُو بَرَكَتَهُ لَصَبَانِنَا، قَالَ: أَصَبْتَ. ١١٦

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ وَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا، وَلَيْسَتْ فِي بَيْتِهَا، قَالَ: فَأَتَيْتُ يَوْمًا، فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِكَ، قَالَتْ: فَجِئْتُ وَذَلِكَ فِي الصَّيْفِ، فَعَرِقَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى اسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدَمٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَجَعَلَتْ تُشَفُّ ذَلِكَ الْعَرَقَ، وَأَعَصِرُهُ فِي قَارُورَةٍ، فَفَزَعَ وَأَنَا أَصْنَعُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمِّ سُلَيْمٍ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرْجُو بَرَكَتَهُ لَصَبَانِنَا، قَالَ: أَصَبْتَ. ١١٧

قال الإنسان يقيظ: إذا سكن وأقام عند القائلة، وهي شدة الحر وسط النهار.
السك: شيء يتطيب به.

الحنوط: ما تطيب به أكفان الميت خاصة.

عتيد المرأة: الإناء الذي تترك فيه ما يعز عليها من متاعها.

سلت الدم عن الجرح والعرق عن الجسم: مسح يديه وجمعه.

بهذه الروح الطيبة، وبهذا الحب السامي لرسول الله ﷺ، وهذا التعلق الشديد به، وهذا الحرص الصادق تتسارع الأم العاقلة، لتفيد صغيرها من بآثار النبي ﷺ، وهذا تقرير أيضاً منه بقوله ﷺ "أصبت" فيقرها على عملها.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، قَالَ: فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ أَوْ الْفَجْرِ، قَالَ: ثُمَّ انْحَرَفَ جَالِسًا، وَاسْتَقْبَلَ

١١٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٦٩) (١٣١٠) ١٣٣٤٣ - وصحيح مسلم - المكثر - (٦٢٠٢)

العتيدة: الصندوق الصغير يجعل المرأة فيه المتاع النفيس

١١٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٨٢) (١٣٦٦) ١٣٣٩٩ - صحيح

النَّاسَ بِوَجْهِهِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلَيْنِ مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ لَمْ يُصَلِّا مَعَ النَّاسِ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِهِذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَالَ: فَأَتَيْتِي بِهِمَا تَرَعْدُ فَرَأَيْتُهُمَا، فَقَالَ: مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَ النَّاسِ؟ قَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا قَدْ صَلَّيْنَا فِي الرَّحَالِ. قَالَ: فَلَا تَفْعَلَا، إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ أَدْرَكَ الصَّلَاةَ مَعَ الْإِمَامِ، فَلْيُصَلِّهَا مَعَهُ، فَإِنَّهَا لَهُ نَافِلَةٌ. قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، قَالَ: وَنَهَضَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَهَضْتُ مَعَهُمْ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَشَبُّ الرَّجَالِ وَأَجْلَدُهُ. قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَزْحَمُ النَّاسَ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا إِمَّا عَلَى وَجْهِهِ، أَوْ صَدْرِي، قَالَ: فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَطِيبَ وَلَا أَبْرَدَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَهُوَ يَوْمَئِذٍ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ.^{١١٨}

الأساس العقدي الرابع: تعليم الطفل القرآن الكريم:

ينبغي لأبوي الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن، منذ الصغر، وذلك ليتوجهها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم، وأن هذا كلامه تعالى، وتسري روح القرآن في قلوبهم، ونوره في أفكارهم، ومداركهم، وحواسهم، وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشأ ويشبَّا على محبة القرآن والتعلق به، والالتزام بأوامره، والانتفاء عن مناهيه، والتخلق بأخلاقه، والسير على منهاجه .

قال الإمام السيوطي رحمه الله: "تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة، قبل أن تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال"^{١١٩}

وأكد ابن خلدون في مقدمته هذا المفهوم بقوله: تعليم الوالدين للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبق إلى القلوب من رسوخ

^{١١٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٦) (١٧٤٧٦) ١٧٦١٥ - صحيح

^{١١٩} - نقلاً عن تلاوة القرآن المجيد للشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله، موسوعة خطب المنبر - (١ / ٤٨٢٢) - أبي

لا تسافر

الإيمان وعقائده؛ بسبب آيات القرآن؛ ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم؛
الذي ينبنى عليه ما يُحصَلُ بعدُ من الملكات.^{١٢٠}

وكذلك قال ابن سينا^{١٢١}: "إذا هَيَأَ الصبي للتلقي، ووعي سمعه، أخذ في تعليم القرآن،
وصورت له حروف الهجاء، ولقن معالم الدين "

١ - ما ورد في تعليم الأطفال القرآن :

عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - قال: قال رسول الله - ﷺ - : "أدبوا أولادكم على خصال
ثلاث: على حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله
يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفياه".^{١٢٢}

وعَنْ أَبِي فَاطِمَةَ، أَنَّ عُمَآنَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه، عَادَ ابْنَ مَسْعُودٍ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ: مَا تَشْتَكِي ؟
قَالَ: ذُنُوبِي، قَالَ: فَمَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ: رَحْمَةَ رَبِّي، قَالَ: أَلَا نَدْعُو لَكَ الطَّيِّبَ ؟ قَالَ:
الطَّيِّبُ أَمْرَضَنِي، قَالَ: أَلَا أَمُرُ لَكَ بِعَطَائِكَ ؟ قَالَ: مَا مَنَعْتَنِيهِ قَبْلَ الْيَوْمِ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ،
قَالَ: تَدْعُهُ لِأَهْلِكَ وَعِيَالِكَ، قَالَ: إِنِّي قَدْ عَلَّمْتُهُمْ شَيْئًا إِذَا قَالُوهُ لَمْ يَفْتَقِرُوا، سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ قَرَأَ الْوَاقِعَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ يَفْتَقِرْ"^{١٢٣}

وكان من حرص الصحابة رضوان الله عليهم في توجيه أبنائهم دقة الملاحظة في مراقبة
أفعال أطفالهم مع القرآن، وحكاية ذلك للنبي ﷺ ، للتعرف على ما ينفع أطفالهم، فعَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَقْرَأُ
الْقُرْآنَ، فَلَا أَجِدُ قَلْبِي يَعْقِلُ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ قَلْبَكَ حُشِيَ الْإِيمَانُ، وَإِنْ
الْإِيمَانُ يُعْطَى الْعَبْدَ قَبْلَ الْقُرْآنِ^{١٢٤}.

١٢٠ - مقدمته ص ٣٩٧

١٢١ - في كتاب (السياسة) باب سياسة الرجل ولده .

١٢٢ - تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - (٨ / ٦٨) [٧٧٥٣] ضعيف

١٢٣ - شعب الإيمان - (٤ / ١١٨) (٢٢٦٧) وأسد الغابة - (٢ / ١٧٤) وتفسير ابن كثير - دار طيبة - (٧ /

٥١٢) ضعيف

١٢٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦١٧) (٦٦٠٤) حسن

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُبَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِابْنٍ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا يَقْرَأُ الْمُصْحَفَ بِالنَّهَارِ، وَيَبِيتُ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَنْقِمُ أَنْ ابْنَكَ يَظِلُّ ذَاكِرًا، وَيَبِيتُ سَالِمًا. ١٢٥

وانطلق الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون ابناءهم القرآن، استجابة لتوجيهات النبي ﷺ، فَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: خِيَارُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ وَأَخَذَ بِيَدِي وَأَجْلَسَنِي فِي مَكَانِي هَذَا. ١٢٦

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خِيَارُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، قَالَ: وَأَخَذَ بِيَدِي، فَأَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا أُقْرَأُ. ١٢٧

ونرى نصح الصحابة للناس بهذا القرآن، وتنشئة أطفالهم على حبه وتلاوته، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ. قَالَ لِرَجُلٍ: أَلَا أُطْرِفُكَ بِحَدِيثٍ تَفْرَحُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى يَا أَبَا عَبَّاسٍ يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ ﷺ: اقْرَأْ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، فَاحْفَظْهَا، وَعَلِّمَهَا أَهْلَكَ، وَجَمِيعَ وَلَدِكَ وَصَبِيَّانَ بَيْتِكَ، وَجِيرَانِكَ، فَإِنَّهَا الْمُنْجِيَةُ، وَهِيَ الْمُجَادِلَةُ. تُجَادِلُ وَتُخَاصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهَا لِقَارِئِهَا، وَتَطْلُبُ إِلَى رَبِّهَا أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ النَّارِ إِذَا كَانَتْ فِي حَوْفِهِ، وَيُنْجِي اللَّهُ تَعَالَى بِهَا صَاحِبَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَدِدْتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي" ١٢٨ ومن شدة حرص الصحابة على ارتباط أطفالهم بالقرآن، وحصول بركة القرآن لأولادهم: تحين أوقات نزول هذه البركات القرآنية، ليحضرها أطفالهم، عَنْ ثَابِتٍ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، كَانَ إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، فَدَعَا لَهُمْ. ١٢٩

١٢٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦١٩) (٦٦١٤) حسن

١٢٦ - الفوائد لتمام ٤١٤ - (١ / ١١٦) (٢١٣) صحيح

١٢٧ - سنن ابن ماجة - ط - الرسالة - (١ / ١٤٥) (٢١٣) صحيح

١٢٨ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - (١٥ / ٣٧١) (٣٧٦٣) ضعيف، وأصل الحديث صحيح

١٢٩ - المعجم الكبير للطبراني - (١ / ٢٩١) (٦٧٣) وفضائل القرآن للفريابي - (٧٤) صحيح

وفي غداء الألباب: "وَيَجْمَعُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ عِنْدَ الْخَتَمِ نَدْبًا رَجَاءَ عَوْدِ الْبَرَكَةِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْإِمَامُ ﷺ". ١٣٠

وهذا ابن عباس ﷺ يفاخر أنه قرأ المحكم على عهد رسول الله ﷺ، وهو طفل صغير، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُفْصَّلَ هُوَ الْمُحْكَمُ، تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ. ١٣١

وفي الفتح: "باب تعليم الصبيان القرآن" كَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ كَرِهَ ذَلِكَ، وَقَدْ جَاءَتْ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَأَسْنَدُهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُمَا، وَلَفْظُ إِبْرَاهِيمَ "كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُعَلِّمُوا الْعُلَامَ الْقُرْآنَ حَتَّى يَعْقِلَ" وَكَلَامُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كَرَاهِيَةَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ حُصُولِ الْمَلَالِ لَهُ، وَلَفْظُهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ أَيْضًا "كَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ يَقْرَأَ الصَّبِيُّ بَعْدَ حِينٍ".

وَأُخْرَجَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَدَّمَ غُلَامًا صَغِيرًا، فَعَابُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا قَدَّمْتَهُ، وَلَكِنْ قَدَّمْتُهُ الْقُرْآنَ. وَحُجَّةٌ مَنْ أَجَارَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَدْعَى إِلَى ثُبُوتِهِ وَرُسُوخِهِ عِنْدَهُ، كَمَا يُقَالُ التَّعْلَمُ فِي الصَّغَرِ كَالْتَّقَشِّ فِي الْحَجَرِ. وَكَلَامُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يُتْرَكَ الصَّبِيُّ أَوَّلًا مُرَفَّهًا ثُمَّ يُؤْخَذَ بِالْجِدِّ عَلَى التَّدْرِيجِ، وَالْحَقُّ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِالْأَشْخَاصِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ١٣٢

وأما السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد ساروا المسار نفسه، ومشوا الطريق نفسه، فقد جاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون: أن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته .. قال عياض: فإذا كان بعد العصر دعا انتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية - أسد بن الفرات - بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة "

٢- أجر الوالدين في تعليم القرآن :

١٣٠ - غداء الألباب في شرح منظومة الآداب - (٢ / ١٥٣)

١٣١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٦٦٧) (٢٢٨٣) وصحيح البخاري - المكثر - (٥٠٣٥)

١٣٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة - (٩ / ٨٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْؤُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَيْهِ حُلَّتَانِ لَا يَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَا كُسِينَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخَذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ" ١٣٣

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، قَالَ: فَيُعْطَى الْمُلْكُ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ، لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ قَالَ: فَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخَذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغْرِفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذَا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا. ١٣٤

وعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبُطْلَةُ. قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلَ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظْلَلَانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ غَيَّيْتَانِ، أَوْ فَرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكُ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخَذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغْرِفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذَا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا. ١٣٥

١٣٣ - المستدرک للحاکم (٢٠٨٦) حسن

١٣٤ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٥ / ٤٧٤) (٣٠٦٦٨) حسن

١٣٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٦١٨) (٢٢٩٥٠) (٢٣٣٣٨) حسن

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ بَنَى لَهُ غَرْسٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَحْكَمَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَلْبَسَ اللَّهُ وَالِدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَمَرِ" ١٣٦

٣- فهم الطفل للقرآن :

لا بد للمربي -أو الوالدين- أن يهتمما أثناء تلاوة القرآن، بشرح موجز بسيط للقرآن، حتى تفتح معاني القرآن قلب وعقل الصغير، ولا يظنُّ أحد أن الطفل صغير، فهذا الطفل الذي يعدُّه كثير من الناس لا يستحق الشرح لصغره، ولا يستحق الاهتمام بعقله لطفولته، هذا الطفل العجيب يستطيع أن يخزن من المعلومات ما يخزنه حاسب آلي عصري، وإليك الدليل :

عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: "سُئِلَ عَنْ سُورَةِ النَّسَاءِ، فَلَمَّا قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا صَغِيرٌ" ١٣٧

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي حُرَّةٍ الْجَزَرِيُّ: "سَأَلَ فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ سَعِيدَ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ، فَإِنِّي إِذَا أَتَيْتُ عَلَيْهِ تَمَنَيْتُ أَنْ لَا أَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ: حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا، قَالَ: "نَعَمْ، حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْ قَوْمِهِمْ أَنْ يَصَدِّقُوهُمْ، وَظَنَّ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنَّ الرُّسُلَ كَذَّبُوا. قَالَ: فَقَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مَزَّاحٍ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ رَجُلًا يُدْعَى إِلَى عِلْمٍ فَيَتَلَكَّا، لَوْ رَحَلْتُ فِي هَذِهِ إِلَى الْيَمَنِ كَانَ قَلِيلًا" ١٣٨

وَعَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ، قَالَ: قَالَ الَّذِي يُعَلِّمُ وَلَدَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لِمُعَاوِيَةَ: قَدْ تَعَلَّمَ مِنْ وَلَدِ يَزِيدَ كَذَا وَكَذَا الْقُرْآنَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: "إِنَّ أَغْرَ الضَّلَالَةِ الرَّجُلُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَفْقَهُ فِيهِ، فَيُعَلِّمُهُ الصَّبِيَّ وَالْمَرْأَةَ وَالْعَبْدَ، فَيُجَادِلُونَ بِهِ أَهْلَ الْعِلْمِ" ١٣٩

١٣٦ - المعجم الكبير للطبراني - (١٥ / ١٢٧) (١٦٨٤٣) حسن لغيره

١٣٧ - الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ (٣١٣٥) صحيح

١٣٨ - جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبْرِيِّ (١٨٢٧٠) صحيح

١٣٩ - فَضَائِلُ الْقُرْآنِ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ (٣٠٣) فيه جهالة - الفقه: الفهم والفتنة والعلم

وَعَنْ رَجُلٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه فَقَالَ: "إِنَّ أَعْرَى الصَّلَاةِ لَرَجُلٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَلَا يَفْقَهُ فِيهِ فَيُعَلِّمُهُ الصَّبِيَّ وَالْعَبْدَ وَالْمَرْأَةَ وَالْأَمَةَ فَيَجَادِلُونَ بِهِ أَهْلَ الْعِلْمِ" ^{١٤٠} " وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتَاهُ أَرَأَيْتُ قَوْلَهُ: (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) أَيُّنَا لَا يَسْهُو ؟ أَيُّنَا لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ؟ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، إِنَّمَا هُوَ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ، يَلْهُو حَتَّى يَضِيعَ الْوَقْتُ. ^{١٤١}

وَعَنْ مُصْعَبٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي سَعْدًا فَقُلْتُ: يَا أَبَةُ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أَسْهُو أَحَدَنَا فِي صَلَاتِهِ حَدِيثُ نَفْسِهِ ؟ قَالَ سَعْدٌ: "أَوَلَيْسَ كُلُّنَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ وَلَكِنَّ السَّاهِيَ عَنْ صَلَاتِهِ الَّذِي يُصَلِّيَهَا لَغَيْرِ وَقْتِهَا، فَذَلِكَ السَّاهِيَ عَنْهَا "، قَالَ مُصْعَبٌ مَرَّةً أُخْرَى: "تَرْكُهُ الصَّلَاةَ فِي مَوَاقِيتِهَا" ^{١٤٢}

وإليك نموذجاً عن دقة فهم الأطفال للقرآن، وحرصهم على فهمه، روي أن المأمون كان يقرأ القرآن وهو صغير على أستاذه الكسائي، وكان من عادة الكسائي أن يطرق إذا قرأ المأمون، فإذا أخطأ رفع رأسه ناظراً إليه، فيرجع إلى الصواب، فقرأ يوماً المأمون سورة الصف، ولما وصل إلى قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ } (٢) سورة الصف، فرفع الكسائي رأسه، فنظر المأمون إليه وكرر الآية، وهو يفتش عن خطئه، فوجدها صحيحة، فمضى في قراءته، ولما انصرف الكسائي، دخل المأمون على أبيه قائلاً: هل وعدت الكسائي بشيء؟ قال: كيف علمت بذلك يا بني ؟ فأخبره بالأمر، فسرَّ الرشيد لفطنة ابنه، وشدة ذكائه. ^{١٤٣}

٤- كيف يؤثر القرآن في نفس الطفل :

^{١٤٠} - جامع بيان العلم (١٤٣٢) فيه جهالة

^{١٤١} - مسند أبي يعلى الموصلي (٧٠٤) صحيح

^{١٤٢} - مسند أبي يعلى الموصلي (٦٧٨) صحيح

^{١٤٣} - أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم - (١ / ٨) ومنهج التربية النبوية للطفل ص ٢٣٦

- ٢٣٧، ولم أجد هذه القصة، فالله أعلم بها .

للقرآن تأثير كبير على النفس البشرية عامة، يهزها ويجذبها، ويضرب أوتارها، وكلما اشتدت النفس صفاء، كلما ازدادت تأثراً، والطفل أقوى الناس وأكثر الناس صفاء، وفطرته ما زالت نقية، والشيطان ما زال في كبوته تجاهها، وإذا تأملنا الآيات المكية وجدنا قصرة، تتناسب مع نفسه القصير، بالإضافة إلى قصار السور، التي تقدم للطفل موضوعاً متكاملًا بكلمات قليلة، سهلة الحفظ، قوية التأثير، والكاتب الأديب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله، فصل هذا البيان بشكل أوسع فقال^{١٤٤}: "إن لهذه السور القصار لأمرًا، وإن لها في القرآن لحكمة، هي من أعجب ما ينتهي إليه التأمل، حتى لا يقع من النفس إلا موقع الأدلة الإلهية المعجزة، فهي لم تنزل متتابعة، في نسق واحد، على هذا الترتيب، الذي تراه في المصحف، إذ لم يكن أول ما نزل من القرآن ولا آخره - {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} (١) سورة الناس، ثم هي بجملتها، وعلى إحصائها لا تبلغ من القرآن أكثر من جزء واحد، والقرآن كله ثلاثون جزءاً، وهو يتسع من بعدها قليلاً وكثيراً، حتى ينتهي إلى الطول، فقد علم الله أن كتابه سيثبت الدهر، على هذا الترتيب المتداول للحفظ، بأسباب أظهرها في المنفعة وأولها في المتزلة هذه السور القصار التي تخرج من الكلمات المحدودة إلى الآيات القليلة، والتي هي مع ذلك أكثر ما تجيء آياتها على فاصلة قليلة، مع قصر ما بين الفاصلة والفاصلة، فكل آية في وصفها، كأنها سورة من كلمات قليلة :

- لا يضيق بها نفسُ الطفل الصغير .
- وهي تتماثل في ذاكرته بهذه الفواصل، التي تأتي على حرف واحد، أو حرفين أو حروف قليلة متقاربة.
- فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور، حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه، ويثبت أثره في نفسه، فلا يكون بعد إلا أن يمرَّ فيه مرًّا.

^{١٤٤} - تاريخ آداب العرب ٢٠٦/٢

- وهو كلما تقدم وحده أسهل عليه، ووجد له خصائص تعينه على الحفظ، وعلى إثبات ما يحفظ، فهذا المعنى من قوله تعالى: {وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} (٨٢) سورة الإسراء.

وهي لعمر الله رحمة وأي رحمة، وإذا أردت أن تبلغ عجباً من هذا المعنى، فتأمل سورة في القرآن، وأول ما يحفظه الأطفال وهي سورة {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} (١) سورة الناس، وانظر كيف جاءت في نظمها :

كيف تكررت الفاصلة وهي لفظة الناس؟!

وكيف لا ترى في فواصلها إلا هذا الحرف: السين؟! الذي هو أشد الحروف صغيراً، وأطربها موقعاً من سمع الطفل الصغير، وأبعثها لنشاطه واجتماعه .

وكيف تناسب مقاطع السورة عند النطق بها، مع تردد النفس في أصغر طفل يقوى على الكلام، حتى كأنها تجري معه، وكأنها فصلت على مقداره؟!

وكيف يطابق الأمر كله، من جميع جهاته في أحرفها ونظمها ومعانيها؟!

ثم انظر كيف يجيء ما فوقها على الوجه الذي أشرنا إليه؟!

وكيف تمت الحكمة في هذا الترتيب العجيب؟!

كل ذلك يحصل للطفل وأكثر من ذلك، ومن تعامل مع الأطفال عند حفظهم لقصار السور يرى ذلك، ويلمس ذلك بيديه .

وهذا نموذج عملي من تأثر الأطفال بالقرآن :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } [التحریم: ٦] تَلَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ - أَوْ قَالَ: يَوْمٍ - فَخَرَّ فَتًى مَعْشِيًّا عَلَيْهِ فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى فُؤَادِهِ فَإِذَا هُوَ يَتَحَرَّكُ فَقَالَ: يَا فَتَى، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَهَا فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ بَيْنَنَا فَقَالَ ﷺ: أَمَّا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى { ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } [إبراهيم: ١٤] " ١٤٥

ومن تأثير القرآن في نفس الطفل حينما يعايشه ترتيلاً وفهماً، يستطيع هذا الطفل أن يحلّ كثيراً من مشاكله الاعتقادية والنفسية، وأن يقوم سلوكه، وأن يهدئ من انفعالاته العصبية، وأن يوسّع من ذاكرته، وعلى سبيل المثال نذكر هذه القصة اللطيفة في بابها للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعراي رحمه الله حيث قال: "كان صورة ما وقع لي وأنا صغير أني تفكرت يوماً في الله عزّ وجلّ، فقسسته على ما أتعقله، ثم صرفته ب { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (١١) سورة الشورى. "١٤٦

٥- نماذج من حفظة القرآن من الأطفال :

هذه نماذج نضعها بين يدي الوالدين، لتكون أداة فعالة في تنشيط العقول وتحريكها للتغذي بها المنهل العذب .

- أ- يقول الإمام الشافعي رحمه الله: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر^{١٤٧} .
- ب- ويقول سهل بن عبد الله التستري: مضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين^{١٤٨} .
- ت- أما ابن سينا فلما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن القرآن العزيز^{١٤٩} .
- ث- وأما الإمام النووي رحمه الله، فيقول الشيخ ياسين المراكشي عنه: رأيت الشيخ وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، قال: فوقع في قلبي محبته، وكان قد جعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، قال: فأتيت معلّمه فوصيته به، وقلت له: إنه يرجي أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي:

١٤٦ - في كتابة المنن الكبرى

١٤٧ - طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ١٥٤)

١٤٨ - إحياء علوم الدين ٧٢/٣

١٤٩ - وفيات الأعيان لابن خلكان نقلاً عن صفحات من صبر العلماء ص ١٥٢/١

أمنجّم أنت؟ فقلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك. قال: فذكر المعلم ذلك لوالده، وحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم.^{١٥٠}

٦- طفولة عجيبة في حفظ القرآن :

قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: "رأيتُ صبيّاً ابنَ أربع سنينَ قد حُمِلَ إلى المأمونِ قد قرأ القرآنَ ونظرَ في الرُّأي، غيرَ أنّه إذا جاعَ يَبْكِي" ^{١٥١}

وقال الخطيب: "سمعتُ القاضي أبا مُحَمَّدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَصْبَهَانِيّ، يَقُولُ: حَفِظْتُ الْقُرْآنَ وَلِيَّ خَمْسِ سِنِينَ، وَحُمِلْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْمُقَرِّيِّ لَأَسْمَعَ مِنْهُ وَلِيَّ أَرْبَعِ سِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: لَا تُسَمِّعُوا لَهُ فِيمَا قُرِئَ، فَإِنَّهُ صَغِيرٌ، فَقَالَ لِي ابْنُ الْمُقَرِّيِّ: اقْرَأْ سُورَةَ الْكَافِرُونَ، فَقَرَأْتُهَا، فَقَالَ: اقْرَأْ سُورَةَ التَّكْوِيرِ، فَقَرَأْتُهَا، فَقَالَ لِي غَيْرُهُ: اقْرَأْ سُورَةَ الْمُرْسَلَاتِ فَقَرَأْتُهَا، وَلَمْ أَغْلُظْ فِيهَا، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَرِّيِّ: سَمِعُوا لَهُ وَالْعَهْدَةَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ صَاحِبَ أَبِي مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ أَحْمَدَ بْنَ الْفَرَاتِ يَقُولُ: أَعْجَبُ مِنْ إِنْسَانٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُرْسَلَاتِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ وَلَا يَغْلُظُ فِيهَا، وَحَكَى أَنَّ أَبَا مَسْعُودٍ وَرَدَ أَصْبَهَانَ وَلَمْ تَكُنْ كُتُبُهُ مَعَهُ، فَأَمْلَى كَذَا وَكَذَا أَلْفَ حَدِيثٍ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ فَلَمَّا وَصَلَتْ الْكُتُبُ إِلَيْهِ قُبِلَتْ بِمَا أَمْلَى فَلَمْ يَخْتَلِفْ إِلَّا فِي مَوَاضِعَ يَسِيرَةٍ" ^{١٥٢}

٧- متى يبدأ الطفل بتعلم القرآن ؟

قال أبو عاصم: "ذهبتُ بِابْنِي إِلَى ابْنِ جُرَيْجٍ وَهُوَ ابْنُ أَقْلٍ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ، يُحَدِّثُهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ" وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ: لَا بَأْسَ أَنْ يُعَلَّمَ الصَّبِيُّ الْحَدِيثَ وَالْقُرْآنَ وَهُوَ فِي هَذَا السِّنِّ وَنَحْوِهِ ^{١٥٣}.

^{١٥٠} - المنهل العذب الروي - (١ / ٢) وطبقات الشافعية الكبرى - (٨ / ٢٢٦)

^{١٥١} - الْكَفَايَةُ فِي عِلْمِ الرَّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١٥٤)

^{١٥٢} - الْكَفَايَةُ فِي عِلْمِ الرَّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١٥٥)

^{١٥٣} - الْكَفَايَةُ فِي عِلْمِ الرَّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ < (١٥٣)

وعن أبي القاسم بن بكير، قال: سألت موسى بن هارون قلت: متى يسمع الصبي؟ - قال: "إذا فرّق بين الدابة والبقرة" ^{١٥٤}

وقال عبيد الله بن أحمد التميمي: سألت موسى بن هارون الحمّال: متى يسمع الصبي الحديث؟ قال: "إذا فرّق بين البقرة والحمار" ^{١٥٥}

٨- مكافأة للمقريء والطفل :

حين حذق حماد بن أبي حنيفة رحمه الله سورة الفاتحة، وهب أبو حنيفة خمسمئة درهم - وكان الكباش يشتري بدرهم - واستكثر المعلم هذا السخاء، إذ لم يعلمه إلا الفاتحة، فقال أبو حنيفة: لا تستحقر ما علمت ولدي، ولو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك، تعظيماً للقرآن ^{١٥٦}.

أما مكافأة الطفل، فهذا القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى، وهو في خضم المعركة، يتجوّل في المعسكر، فيجتاز على صغير بين يدي أبيه، وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته فقرّبه، وجعل له حظاً من خاص طعامه، ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعته. ^{١٥٧}

٩- المدارس الإسلامية في البلاد الإسلامية :

أ- إقبال الأطفال على المدارس القرآنية:

ضاقت المساجد بالصبيان حتى اضطر الضحاك بن مزاحم - معلم الصبيان ومؤدبهم - إلى أن يطوف على حمار، ليشرف على طلال مكتبه، الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف صبي، وكان لا يأخذ أجراً على عمله ^{١٥٨}.

^{١٥٤} - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (١٥٦)

^{١٥٥} - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (١٥٧)

^{١٥٦} - فتح باب العناية ص ١٩

^{١٥٧} - النوادر السلطانية ص ٩

^{١٥٨} - الفرج بعد الشدة - التنوخي - (١ / ٤١٩) والأعلام للزركلي - (٣ / ٢١٥) والعبر في خبر من غير - (١ /

٢٢) والوافي بالوفيات - (٥ / ٢٥٨) وسير أعلام النبلاء - (٤ / ٥٩٩) وشذرات الذهب - ابن العماد - (١ /

ب-هل يتعلم الطفل مع القرآن علماً آخر؟

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله: "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات. وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات. وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبنى عليه. واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان، باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات. فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاختصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحدق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة.

وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب، في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة. وكذا في الكبير إذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره. فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم. وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم. إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم. فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب.

ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة، وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما، وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذبال العلم على الجملة، لو كان فيها سند لتعليم العلوم. لكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم، ولا يحصل

بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول. وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد إذا وجد المعلم.

وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه، وعنايتهم بالخط تبع لذلك. وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس، لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس، واستقروا بتونس، وعندهم أخذ ولدانهم بعد ذلك.

وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا، ولا أدري بم عنايتهم منها. والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة، ولا يخلطونه بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده، كما تعلم سائر الصنائع، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان. وإذا كتبوا لهم الألواح فيخط قاصر عن الإجابة، ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يستحق له بعد ذلك من المهمة في طلبه، ويبتغيه من أهل صنعته.

فأما أهل إفريقية والمغرب، فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثلته، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها. وليس لهم ملكة في غير أساليبه، فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي، وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام وربما كان أهل إفريقية في ذلك أخف من أهل المغرب، لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه، فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل، إلا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة، لما أن أكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله^{١٥٩}.

^{١٥٩} - مقدمة ابن خلدون - (١ / ٣٤٦)

وإذا تأملنا واقعنا الحالي الذي نعيشه اليوم، نرى - والله أعلم - أنه لا بأس بجمع تعليم القرآن والعلوم الأخرى، إذ الذاكرة العقلية تتلقح من جميع العلوم، فتساندها على التفتح والتركيز والفهم، وهذا لطالب العلوم غير الشرعية، أما طالب العلم الشرعي فأول ما يبدأ بحفظه كتاب الله تعالى، ليكون مغذياً لروحه وعقله وبصيرته، ثم السنّة النبوية، والله أعلم

الأساس العقدي الخامس: تربية الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها:

"إنّ العقيدة الإسلامية تؤثر في الفرد والمجتمع، فهي تشعر الإنسان بقيمته الذاتية وخصائصه الإنسانية، ليسير في سلوكه الحيوي بوحى من هذه العقيدة، وهذا أرقى مستوى يصل إليه الفرد،...، وحين تنغرس العقيدة المؤمنة في نفوس معتنقيها، فإنها تعطي ضمانات لأصحابها بإصلاح النفوس والعقول والأرواح، فبدون عقيدة لا ينفع علم ولا تنفع تربية ولا يردع قانون... كذلك العقيدة تنمي بالفرد حب الخير لذاته لا طمعاً بنفع ولا انسياقاً وراء غرض دنيوي أو هوى، كما تشيع فيه روح التفاؤل وتبعد عنه روح القنوط واليأس، وبذلك يحيا المسلم للأمل والعمل والجد،...، والعقيدة لها أثر كبير في المجتمع، فهي توحد الهدف بين الفرد ومجتمعه، مما يضمن لها التماسك والتحاب.

فعقيدة كهذه يجب التضحية من أجلها بالمال والنفوس، فلنربّ أطفالنا ولنسجّ جهدنا إلى أن نربطهم دائماً بالعقيدة الإلهية، ولننمي فيهم روح الفداء والتضحية من أجلها، وكلنا يعلم أنّ الطفل المسلم اليوم يواجه الكثير من التحديات، وتُخطط له المؤامرات والدسائس، لتحرفه عن دينه السوي، ولتخرجه من دائرة الشريعة السمحاء.

فالصبر والثبات والتضحية هي الأصل للنجاح، والحصول عليهم ليس سهلاً، فالثبات والصبر يكونان من باب الرياضة النفسية التي لا بدّ منها لضمان ثبوته على عقيدته، لقد نُدب إلى التضحية والثبات كما ندب إلى الصبر ووعد عليهما بالأجر العظيم^{١٦٠}.

^{١٦٠} - انظر : تربية الطفل في الإسلام تأليف سيما راتب عدنان أبو رموز

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١١١) سورة التوبة

يُرَغِّبُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ فِي الْجِهَادِ، وَيُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّهُ سَيَعَوِّضُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ عَنْ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَإِلْحِقَاقِ الْحَقِّ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ، فَهُمْ حِينَ يُجَاهِدُونَ يَقْتُلُونَ أَعْدَاءَهُمْ، وَيُقْتَلُونَ هُمْ، وَهُمْ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُثَابُونَ عَلَى ذَلِكَ. وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا الْجَزَاءِ الْحَقِّ، وَجَعَلَهُ حَقًّا عَلَيْهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ .

ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّزَمِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَهْدِهِ لِلَّهِ إِلَى الْاسْتَبْشَارِ بِذَلِكَ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُتِمِّمِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَفَاءً بِالْعَهْدِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنْهُ التَّزَامًا بِالْوَعْدِ الَّذِي يَقْطَعُهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ رِيحٌ أَكْبَرُ مِنَ الرِّيحِ الَّذِي يُحَقِّقُهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي هَذِهِ الصِّفْقَةِ .^{١٦١}

ولنحدث أطفالنا عن مواقف من الصبر والثبات والتضحية من السلف الصالح، وفي مجتمعنا الحاضر.

"إن مسؤولية التربية العقائدية لدى المربين والآباء والأمهات هي مسؤولية هامة وخطيرة لأنها تهدف إلى خلق الشخصية الإسلامية السوية التي تحمل رسالة الإسلام إلى العالم بكل ما يهدف إليه الإسلام من فضائل وأخلاق" التحقيق الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (٣٠) سورة البقرة.

^{١٦١} - - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٤٧)

"فلنعمل على استقرار العقيدة وثباتها في أعماق أنفس أطفالنا لأنها تجعلهم أعزة فلا يذلون، بل أنوفهم شامخة أمام كل قوى الأرض لا ترهب سلطاناً ولا تخضع لهوى ولا تنطلق وراء الشهوات والملذات." ١٦٢

١ - غلام الأخدود قدوة للأطفال:

عن صُهَيْب، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ السَّاحِرُ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ سِنِّي، وَحَضَرَ أَجَلِي فَأَدْفَعْ إِلَيَّ غُلَامًا فَلَأَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ السَّحْرَ، وَكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ رَاهِبٌ، فَأَتَى الْغُلَامُ عَلَى الرَّاهِبِ، فَسَمِعَ مِنْ كَلَامِهِ فَأَعْجَبَهُ نَحْوُهُ وَكَلَامُهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا أَرَادَ السَّاحِرُ أَنْ يَضْرِبَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا أَرَادَ أَهْلُكَ أَنْ يَضْرِبوكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى دَابَّةٍ فَطِيعَةٍ عَظِيمَةٍ، وَقَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ أَمْرَ الرَّاهِبِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ أَمْ أَمْرُ السَّاحِرِ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ وَأَرْضَى لَكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَجُوزَ النَّاسُ، وَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَخْبَرَ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ، أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَإِنَّكَ سَتَبْتَلَى، فَإِنْ ابْتَلَيْتَ، فَلَا تَذُلْ عَلَيَّ، فَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَسَائِرَ الْأَدْوَاءِ وَيَشْفِيهِمْ، وَكَانَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ فَعَمِي، فَسَمِعَ بِهِ، فَأَتَاهُ بِهِدَايَا كَثِيرَةً فَقَالَ: اشْفِنِي وَلَكَ مَا هَاهُنَا أَجْمَعُ، فَقَالَ: مَا أَشْفِي أَنَا أَحَدًا، إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِهِ، دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمِنَ فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ، ثُمَّ أَتَى الْمَلِكَ، فَجَلَسَ مِنْهُ نَحْوَ مَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا فُلَانُ، مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ فَقَالَ: رَبِّي، قَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، قَالَ: أَوَلَيْكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّهُ عَلَى الْغُلَامِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ أَنْ تُبْرِئَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَهَذِهِ الْأَدْوَاءُ؟ قَالَ: مَا أَشْفِي أَنَا أَحَدًا، مَا يَشْفِي

غَيْرُ اللَّهِ، قَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَوَلَيْكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ
 أَيْضًا بِالْعَذَابِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَأَتَى بِالرَّاهِبِ، فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ،
 فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، وَقَالَ لِلْأَعْمَى: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ
 فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ فِي الْأَرْضِ، وَقَالَ لِلْعُلَامِ: ارْجِعْ عَنْ
 دِينِكَ، فَأَبَى، فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَرٍ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: إِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ
 دِينِهِ، وَإِلَّا فَدَهْدَهُوهُ مِنْ فَوْقِهِ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا عَلَوْا بِهِ الْجَبَلَ قَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا
 شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَتَدَهْدَهُوهُ أَجْمَعُونَ، وَجَاءَ الْعُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى
 الْمَلِكِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَرٍ فِي قُرُقُورٍ، فَقَالَ:
 إِذَا لَحِجْتُمْ بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَغَرِّقُوهُ فَلَحَجُّوا بِهِ الْبَحْرَ، فَقَالَ الْعُلَامُ:
 اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَغَرَّقُوا أَجْمَعُونَ، وَجَاءَ الْعُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ،
 فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى
 تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ بِهِ، فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ مَا أَمُرُكَ بِهِ قَتَلْتَنِي، وَإِلَّا فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ قَتْلِي، قَالَ:
 وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ، ثُمَّ تَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ فَتَأْخُذُ سَهْمًا مِنْ كِنَاتِي،
 ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعُلَامِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَفَعَلَ وَوَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ
 قَوْسِهِ ثُمَّ رَمَى فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعُلَامِ، فَوَضَعَ السَّهْمَ فِي صَدْغِهِ فَوَضَعَ الْعُلَامُ يَدَهُ عَلَى
 مَوْضِعِ السَّهْمِ وَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ، فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟
 فَقَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السَّكَّ فَخُدَّتْ فِيهَا الْأُخْدُودُ
 وَأُضْهِمَتْ فِيهَا النَّيْرَانُ، وَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ فَدَعُوهُ، وَإِلَّا فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا، قَالَ: فَكَانُوا
 يَتَعَادَوْنَ فِيهَا وَيَتَدَفَعُونَ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا تُرْضِعُهُ، فَكَانَتْهَا تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِي
 النَّارِ، فَقَالَ الصَّبِيُّ: يَا أُمُّهُ، اصْبِرِي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ.^{١٦٣}

٢- نماذج من تضحيات الصحابة والسلف الصالح :

^{١٦٣} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٩٢٦) (٢٣٩٣١) ٢٤٤٢٨ - وصحيح مسلم - المكثر - (٧٧٠٣)

المشار: المنشار - الأخدود: الشق العظيم في الأرض - القرقور: السفينة قيل الصغيرة وقيل الكبيرة - تقاعست: توقفت
 ولزمت موضعها وامتنعت عن التقدم - الكنانة: وعاء السهام

أ- النساء تشجع أطفالهن على الجهاد في سبيل الله :

عَنِ الشَّعْبِيِّ ؛ أَنَّ امْرَأَةً دَفَعَتْ إِلَى ابْنِهَا يَوْمَ أَحُدِ السَّيْفِ، فَلَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ، فَشَدَّتْهُ عَلَى سَاعِدِهِ بِنَسْعَةٍ، ثُمَّ أَتَتْ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا ابْنِي يُقَاتِلُ عَنْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ بَنِي أَحْمِلَ هَاهُنَا، أَيُّ بَنِي أَحْمِلَ هَاهُنَا، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَضُرِعَ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ: أَيُّ بَنِي، لَعَلَّكَ جَزَعْتَ ؟ قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. ^{١٦٤}

ب- النساء يفرحن باستشهاد أطفالهن :

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ حَارِثَةَ ابْنَ الرُّبَيْعِ جَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَّارًا، وَكَانَ غُلَامًا، فَجَاءَ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَوَقَعَ فِي ثُعْرَةٍ نَحَرِهِ، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ الرُّبَيْعُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَسَاصْبِرْ، وَإِلَّا فَسَيَّرِ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، قَالَ: فَقَالَ: يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجَنَّةٍ وَاحِدَةٍ وَلَكِنَّهَا حِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى. ^{١٦٥}

ج- الأطفال يقتلون الطغاة أعداء الله ورسوله ﷺ :

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ يَوْمَ بَدْرٍ فِي الصَّفِّ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةِ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعٍ مِنْهُمَا، فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي ؟ قَالَ: بَلَعَنِي أَنَّهُ سَبَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُهُ لَمْ يُفَارِقْ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَعَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، قَالَ: فَلَمْ أَتُسَبَّ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ لَهُمَا: أَلَا تَرَيَانِ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، فَابْتَدَرَاهُ فَاسْتَقْبَلَهُمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟ فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، قَالَ: هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ؟ قَالَا: لَا، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ: كِلَاكُمَا

^{١٦٤} - مصنف ابن أبي شيبة - (٢٠ / ٣٥٩) (٣٧٩٣٧) صحيح مرسل

^{١٦٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٦٩٣) (١٣٨٧١) ١٣٩٠٧ - صحيح

قَتَلَهُ وَقَضَى بِسَلْبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ، وَهُمَا مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ ابْنُ عَفْرَاءَ. ١٦٦

د- الأطفال يكون ويتوارون حتى يجاهدوا في سبيل الله :

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ مَخْرَجَهُ إِلَى بَدْرٍ وَاسْتَصْعَرَهُ فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ، قَالَ سَعْدٌ: فَعَقَدْتُ عَلَيْهِ حِمَالَةَ سَيْفِهِ وَلَقَدْ شَهِدْتُ بَدْرًا وَمَا فِي وَجْهِهِ إِلَّا شَعْرَةٌ وَاحِدَةٌ أَمْسَحَهَا بِيَدِي ثُمَّ أَكْثَرَ اللَّهُ لِي بَعْدُ مِنَ اللَّحَى يَعْني: الْبَنِينَ ١٦٧

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "رَأَيْتُ أُخِيَّ عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَبْلَ أَنْ يَعْرضَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْخُرُوجِ إِلَى بَدْرٍ يَتَوَارَى، فَقُلْتُ مَا لَكَ يَا أُخِي؟ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْتَصْعِرَنِي فَيُرْدَنِي، وَأَنَا أَحَبُّ الْخُرُوجِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي الشَّهَادَةَ، قَالَ: فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَصْعَرَهُ فَقَالَ: "ارْجِعْ"، فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ سَعْدٌ: فَكُنْتُ أَعْقِدُ لَهُ حِمَائِلَ سَيْفِهِ مِنْ صِغَرِهِ، فَقَتَلَ بَبْدَرٍ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً. قَتَلَهُ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ ١٦٨

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَصْعَرَ نَاسًا يَوْمَ أُحُدٍ، مِنْهُمْ: زَيْدُ بْنُ جَارِيَةَ، يَعْني نَفْسَهُ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَسَعْدُ بْنُ حَيْثَمَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ١٦٩

هـ- الأطفال يطلبون تجهيزهم للجهاد :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ فَتًى مِنْ أَسْلَمَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ الْعَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أَتَجَهَّزُ قَالَ «أَنْتَ فَلَانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرَضَ». فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -

١٦٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥١٥) (١٦٧٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٦٦٨)

١٦٧ - السُّنَّةُ لِلْمَرْوَزِيِّ (١٢٦) حسن

١٦٨ - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ (٣٠٠٥) من طريق الواقدي

١٦٩ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٣ / ١١٨٠) (٢٩٩٣) والإصابة في تمييز الصحابة [ج ٢ - ص ٥٩٥] (٢٨٨٥)

فيه جهالة، وفي المستدرک للحاکم (٢٣٤٩) قال: صحيح الإسناد !!!

يُفَرِّقُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ قَالَ يَا فُلَانَةُ أَعْطِيهِ الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ وَلَا تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئًا فَوَاللَّهِ لَا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارِكَ لَكَ فِيهِ ^{١٧٠}.

وَعَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَيَّمَتِ أُمِّي، وَقَدِمَتِ الْمَدِينَةَ، فَخَطَبَهَا النَّاسُ، فَقَالَتْ: لَا أَنْزَوْجُ إِلَّا بِرَجُلٍ يَكْفُلُ لِي هَذَا الْيَتِيمَ، فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم يَعْزِضُ غُلَامَانَ الْأَنْصَارِ، فِي كُلِّ عَامٍ فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ، قَالَ: فَعُرِضْتُ عَامًا، فَأَلْحَقَ غُلَامًا، وَرَدَّنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَلْحَقْتُهُ وَرَدَدْتَنِي وَلَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ، قَالَ: فَصَارَعْتُهُ، فَصَارَعْتُهُ فَصَرَعْتُهُ، فَأَلْحَقَنِي ^{١٧١}.

و- الآباء يصطحبون أبناءهم في المعارك:

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلَاثُ ضَرَبَاتٍ بِالسَّيْفِ، إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ، قَالَ إِنْ كُنْتُ لَأَدْخُلُ أَصَابِعِي فِيهَا. قَالَ ضُرِبَ ثَنَتَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ الْيَرْمُوكِ. قَالَ عُرْوَةُ وَقَالَ لِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حِينَ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَا عُرْوَةُ، هَلْ تَعْرِفُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ فَمَا فِيهِ قُلْتُ فِيهِ فُلَّةٌ فَلَهَا يَوْمَ بَدْرٍ. قَالَ صَدَقْتَ. بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ ثُمَّ رَدَّهَ عَلَى عُرْوَةَ. قَالَ هِشَامُ فَأَقَمْنَاهُ بَيْنَنَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَأَخَذَهُ بَعْضُنَا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُهُ. ^{١٧٢}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: إِنِّي لَفِي الْأُطَمِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، فَكَانَ يُطَاطِئُ لِي فَأَنْظَرُ إِلَى الْقِتَالِ، وَأُطَاطِئُ لَهُ فَيَنْظُرُ إِلَى الْقِتَالِ، فَرَأَيْتُ أَبِي يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ وَيَذْهَبُ يَكُرُّ عَلَى هَؤُلَاءِ وَيَكُرُّ عَلَى هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْتُ: يَا أَبَتِ، لَقَدْ رَأَيْتُكَ هَذَا الْيَوْمَ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ، تَكُرُّ عَلَى هَؤُلَاءِ مَرَّةً وَعَلَى هَؤُلَاءِ مَرَّةً، قَالَ: قَدْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم أَبُويْهِ. ^{١٧٣}.

^{١٧٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٠١٠)

^{١٧١} - المستدرک للحاکم (٢٣٥٣) صحيح

^{١٧٢} - صحيح البخارى - المكثر - (٣٩٧٣)

اليرموك: اسم موضع بالشام، ويومه يوم حرب كان بين المسلمين وبين الروم في خلافة عمر -رضي الله عنه-، وكانت الدولة فيه للمسلمين، وأبلى فيه الزبير بلاء حسنا. الشد: في الحرب: الحملة والجولة.

^{١٧٣} - مسند البزار كاملا - (١ / ١٧٦) (٩٦٦) صحيح - الأظم: البناء المرتفع - طأطأ: خفض

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُكَ، وَإِنَّكَ لَتَحْمِلُ عَلَى فَرَسِكَ
الْأَشْقَرَ، فَقَالَ: هَيْه، وَهَلْ رَأَيْتَنِي أَيْ بُنَيَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ حِينَئِذٍ جَمَعَ
لِأَبِيكَ أَبُوهُ يَقُولُ: "احْمِلْ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي" ١٧٤

يمثل هذا الجهاد ربى الصحابة أطفالهم، لا يعرفون تكاسلاً ولا تشاقلاً إلى الأرض، وإنما
يستخدمون شتى الأساليب لكيلا يستصغروهم النبي ﷺ فردهم، فتارة ييكون، وأخرى
يتوارون، وثالثة يقفون على رؤوس أصابعهم كل ذلك ليخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله،
وينالوا شهادة أخروية، لا يعدلها أي شهادة في الدنيا على الإطلاق، وبنوا مستقبلاً زاهراً
خالداً أبدياً في جنات قال الله تعالى عنها: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (١٣٣) سورة آل عمران .

الأساس العقدي السادس - تعليم الأطفال أحكام الحلال والحرام:

وذلك لأن المربي سيبين له الحرام حتى يجتنبه، والحلال المباح كي يفعله، والآداب الإسلامية
كي يمثلها. وخلاصة القول أن مسئولية التربية الإيمانية لدى المربين والآباء، والأمهات هي
مسئولية هامة، وخطيرة لكونها منبع الفضائل ومبعث الكمالات، بل هي الركيزة الأساسية
لدخول الولد في حظيرة الإيمان. وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤولية، ولا يتصف
بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى ولا
هدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم ليس له هم سوى أن يسد جوعته، ويشبع غريزته،
وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين.

فعلى الأب أو المربي أن لا يترك فرصة سانحة تمر إلا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على
الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان وبالصفات التي تقوي جانب العقيدة.

وهذا أسلوب فعال في ترسيخ العقيدة في نفوس الصغار، ولقد استعمله رسول الله ﷺ فعن
ابن عباس، قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ:
احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ

١٧٤ - شرح مشكل الآثار - (١٤ / ٢٨١) (٥٦١٩) صحيح

فَاسْتَعِزَّ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَخَفَّتِ الصُّحُفُ. ١٧٥.

وعن وهب بن كيسان أنه سمع عمر بن أبي سلمة يقول كنت غلاماً في حجر رسول الله - ﷺ - وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله - ﷺ - « يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك ». فما زالت تلك طعمتي بعد ١٧٦.

وعن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال: يا كعب بن عجرة، أعيذك بالله من إمارة السفهاء، إنها ستكون أمراء، من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدقتهم بكدبهم فليس مني، ولست منه، ولن يرد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكدبهم، فهو مني، وأنا منه، وسيرد علي الحوض. يا كعب بن عجرة، الصلاة قربان، والصوم جنة، والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والناس غاديان، فمبتاع نفسه، فمعتق رقبته، وموبقها. يا كعب بن عجرة، إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ١٧٧.



١٧٥ - سنن الترمذي - المكثر - (٢٧٠٦) صحيح

١٧٦ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٣٧٦)

١٧٧ - صحيح ابن حبان - (١٧٢٣) (٥ / ٩) صحيح

قال أبو حاتم رحمه الله: قوله ﷺ: ليس مني ولست منه يريد: ليس مثلي ولست مثله في ذلك الفعل والعمل، وهذه لفظة مستعملة لأهل الحجاز وقوله: لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت يريد به جنة دون جنة، لأنها جنات كثيرة، وهذا كقوله ﷺ: لا يدخل الجنة ولد الزنى، ولا يدخل العاق الجنة، ولا منان يريد جنة دون جنة، وهذا باب طويل سند كره فيما بعد من هذا الكتاب إن قضى الله ذلك وشاء.

الفصل الثاني

البناءُ العباديُّ

تمهيد :

الأساس الأول - الصلاة :

- ١- مرحلة الأمر بالصلاة :
- ٢- مرحلة تعليم الطفل الصلاة :
- ٣- مرحلة الأمر بالصلاة والضرب عليها :
- ٤- تدريب الأطفال على حضور صلاة الجامعة :
- ٥- نموذج للأطفال في قيام الليل :
- ٦- تعويد الطفل على صلاة الاستخارة :
- ٧- اصطحاب الأطفال لصلاة العيد :

الأساس الثاني - الطفل والمسجد :

- ١- أخذ الطفل غلى المسجد :
- ٢- ربط الطفل بالمسجد :

الأساس الثالث - الصوم :

الأساس الرابع - الحج :

الأساس الخامس - الزكاة :

تمهيد :

بناء العبادة يعدُّ مكملاً لبناء العقيدة، إذ العبادة تغذي العقيدة بروحها، كما أنها المنعكس الذي يعكس صورة العقيدة ويجسّمها، والطفل عندما يتوجه لنداء ربه، ويستجيب لأوامره فإنما هو يلي غريزة فطرية في نفسه، فيشبعها ويرويها .

فلا بدّ لكي يظل غرس العقيدة قوياً في النفس، من أن يسقى بماء العبادة، بمختلف صورها، وأشكالها، فبذلك تنمو العقيدة في الفؤاد وترعرع، وتثبت أمام عواصف الحياة وزعازعها^{١٧٨} .

والطفولة ليست مرحلة تكليف ؛ وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد، للوصول إلى درجة التكليف عند البلوغ، ليسهل عليه أداء الواجبات والفرائض، وليكون على أتم الاستعداد لخوض غمار الحياة، بكل ثقة وانطلاق، والعبادة لله تعالى تفعل في نفس الطفل فعلاً عجيباً ن فهي تشعره بالاتصال بالله عز وجل، وهي تهدئ من ثوراته النفسية، وهي تلجم انفعالاته الغضبية، فتجعله سوياً مستقيماً، إذ كثافة الشهوات ضعيفة في تلك الفترة، مما يجعل روحه تتجاوب أكثر فأكثر بمناجاة الله، ويأخذ الخشوع المساحة الكبرى من جسده، وهو يرتل آية أو يسمعها، أو هو واقف في الصلاة أو ساجد فيها، وهو يسمع أذان الإفطار ليبدأ بالطعام والشراب، بعد أن صام يومه، وهناك أسرار كثيرة للعبادة لا تعدُّ ولا تحصى، تؤثر في الطفل مما يزيد قوته ونشاطه، وبذلك تفضّل التربية النبوية عن أي تربية كانت.

وإن الله تعالى ليعجب من الولد الذي لا صبوة له، فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ.^{١٧٩}

وإن رسول الله ﷺ ليبشر الأطفال الذين نشؤوا على عبادة الله عز وجل ببشارة عظيمة، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ، رَفَعَ الْحَدِيثَ، قَالَ: الْمَوْلُودُ حَتَّى يَبْلُغَ الْحَنْثَ مَا عَمِلَ مِنْ حَسَنَةٍ كُتِبَ لَوَالِدِهِ أَوْ لَوَالِدَتِهِ، وَمَا عَمِلَ مِنْ سَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى وَالِدَيْهِ، فَإِذَا بَلَغَ

^{١٧٨} - تجربة التربية الإسلامية ص ٤٠ - لأستاذنا د - محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله

^{١٧٩} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٩٠٥) (١٧٣٧١) ١٧٥٠٦ - حسن

الْحَنْثَ جَرَى عَلَيْهِ الْقَلَمُ، أَمَرَ الْمَلَكُانَ اللَّذَانِ مَعَهُ أَنْ يَحْفَظَا وَأَنْ يُشَدِّدَا، فَإِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ أَمَّنَهُ اللَّهُ مِنَ الْبَلَايَا الثَّلَاثَةِ: الْجُنُونِ وَالْجُدَامِ وَالْبَرَصِ، فَإِذَا بَلَغَ الْخَمْسِينَ خَفَّفَ اللَّهُ مِنْ حِسَابِهِ، فَإِذَا بَلَغَ السِّتِينَ رَزَقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ بِمَا يُحِبُّ، فَإِذَا بَلَغَ السَّبْعِينَ أَحَبَّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، فَإِذَا بَلَغَ الثَّمَانِينَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَاتِهِ وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، فَإِذَا بَلَغَ التَّسْعِينَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَشَفَعَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، وَكَانَ أَسِيرَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، فَإِذَا بَلَغَ أَرْدَلَ الْعُمُرِ لَكِي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ مِنَ الْخَيْرِ، فَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ^{١٨٠}

ونلاحظ من خلال توجيهات النبي ﷺ أنه قد ركز على ستة أسس :

الأساس العبادي الأول

الصلاة

وتمر بمراحل هي :

١ - مرحلة الأمر بالصلاة :

يبدأ الوالدان بتوجيه الأوامر للطفل، بأن يقف معهما في الصلاة، وذلك في بداية وعيه وإدراكه بيمينه من شماله، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ، حَبِيبِ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا عَرَفَ الْغُلَامُ يَمِينَهُ مِنْ شِمَالِهِ، فَمُرُوهُ بِالصَّلَاةِ^{١٨١} وَعَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبِ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: مَتَى يُصَلِّي الصَّبِيُّ؟ فَقَالَتْ: كَانَ رَجُلٌ مِنَّا يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِذَا عَرَفَ يَمِينَهُ مِنْ شِمَالِهِ، فَمُرُوهُ بِالصَّلَاةِ^{١٨٢}. وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: "يُؤْمَرُ الصَّبِيُّ بِالصَّلَاةِ إِذَا عَرَفَ يَمِينَهُ مِنْ شِمَالِهِ"^{١٨٣}

^{١٨٠} - مسند أبي يعلى الموصلي (٣٦٧٨) حسن لغيره

^{١٨١} - المعجم الصغير للطبراني - (١ / ١٧٤) (٢٧٤) والإصابة ٣٩٦/٢ (٥١١٤) والعلل (٥٤٢) ورجح وقفه، وهو

صحيح

^{١٨٢} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٧) فيه ضعف

^{١٨٣} - شعب الإيمان - (١١ / ١٥٦) (٨٣٣٢) صحيح

وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أُمُّ يُونُسَ خَادِمُ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَتْ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: أَتَقِظُوا الصَّبِيَّ يُصَلِّي وَلَوْ سَجْدَةً.^{١٨٤}

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: يُعَلِّمُ الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ إِذَا عَرَفَ يَمِينَهُ مِنْ شِمَالِهِ.^{١٨٥}

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كَانَ يُعَلِّمُ الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ إِذَا أَثْعَرَ.^{١٨٦}

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كَانُوا يُعَلِّمُونَ الصَّبِيَّانَ الصَّلَاةَ إِذَا أَثْعَرُوا.^{١٨٧}

وَعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ يُعَلِّمُ بَنِيهِ الصَّلَاةَ إِذَا عَقَلُوا، وَالصَّوْمَ إِذَا أَطَاقُوا.^{١٨٨}

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَصْبِيِّ، قَالَ: يُؤْمَرُ الصَّبِيُّ بِالصَّلَاةِ إِذَا عَدَّ عَشْرِينَ.^{١٨٩}

٢- مرحلة تعليم الطفل الصلاة :

حيث يبدأ الوالدان بتعليم أركان الصلاة وواجباتها ومفاسداتها، وقد حدد النبي ﷺ سن السابعة بداية مرحلة التعليم، فعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ وَإِذَا بَلَغَ عَشَرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا »^{١٩٠}.

وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعَ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشَرَ »^{١٩١}.

وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا بَلَغَ الْغُلَامُ سَبْعَ سِنِينَ أُمِرَ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا بَلَغَ عَشْرًا ضُرِبَ عَلَيْهَا^{١٩٢}.

^{١٨٤} - مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ٣٤٧) (٣٥٠٢) فيه جهالة

^{١٨٥} - مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ٣٤٧) (٣٥٠٤) حسن

^{١٨٦} - مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ٣٤٧) (٣٥٠٥) صحيح

^{١٨٧} - مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ٣٤٧) (٣٥٠٦) صحيح

^{١٨٨} - مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ٣٤٧) (٣٥٠٧) صحيح

^{١٨٩} - مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ٣٤٧) (٣٥٠٨) صحيح

^{١٩٠} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٤) صحيح

^{١٩١} - سنن الترمذي - المكثر - (٤٠٩) صحيح

قَالَ أَبُو عِيْسَى حَدِيثُ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبُدِ الْجُهَنِيِّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ. وَقَالَا مَا تَرَكَ الْغُلَامُ بَعْدَ الْعَشْرِ مِنَ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يُعِيدُ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ، إِذَا بَلَغُوا سَبْعًا وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ^{١٩٣} بل كان رسول الله ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجونه في الصلاة، فعَنْ أَبِي الْحَوَرَاءِ قَالَ قَالَ الْحَسَنُ عَلَمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوُثْرِ فِي الْقُنُوتِ «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»^{١٩٤}.

وكان يصحح لهم أخطاءهم، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ غُلَامًا لَنَا يُقَالُ لَهُ أَفْلَحُ، وَكَانَ يَنْفُخُ إِذَا سَجَدَ، فَقَالَ: "يَا أَفْلَحُ، تَرِبَ وَجْهُكَ"^{١٩٥} ويعلمهم الأذان، قَالَ أَبُو مَحْذُورَةَ: خَرَجْتُ فِي عَشْرَةِ فِتْيَانٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ أَبْعَضُ النَّاسِ إِلَيْنَا، فَأَذَّنُوا فَقُمْنَا نُؤَدِّنُ نَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ائْتُونِي بِهِؤُلَاءِ الْفِتْيَانِ فَقَالَ: أَذْنُوا فَأَذَّنُوا فَكُنْتُ أَحَدَهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَعَمْ، هَذَا الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ، أَذْهَبَ فَأَذَّنَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، فَمَسَحَ عَلَى نَاصِيَّتِهِ، وَقَالَ: قُلْ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ ارْجِعْ، فَاشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ مَرَّتَيْنِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِذَا أَذْنَتْ بِالْأَوَّلِ مِنَ الصُّبْحِ فَقُلْ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ، الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ، وَإِذَا أَقَمْتَ فَقُلْهَا مَرَّتَيْنِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، أَسَمِعْتَ؟ قَالَ: وَكَانَ أَبُو مَحْذُورَةَ لَا يَجُزُّ نَاصِيَّتَهُ، وَلَا يُفَرِّقُهَا لَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَسَحَ عَلَيْهَا^{١٩٦}.

^{١٩٢} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٢٨٩) (١٥٣٣٩) ١٥٤١٤ - صحيح

^{١٩٣} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٣٤) (٦٦٨٩)

^{١٩٤} - سنن النسائي - المكثر - (١٧٥٦) صحيح

^{١٩٥} - سنن الترمذي - المكثر - (٣٨٢) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم - (١ / ٣٣٥) (١٠٥٢) صحيح

^{١٩٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٢٩٨) (١٥٣٧٦) ١٥٤٥٠ - صحيح لغيره

وكان ﷺ يوجه خطاباً قبل كل صلاة يصف الأطفال في الصف الأخير، فعن أبي مسعود قال كان رسول الله - ﷺ - يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول « اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلْنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »^{١٩٧}.

ويوجه ﷺ نداء للأطفال بعدم الالتفات بمنة ويسرة أثناء الصلاة، وما هذا إلا دليل الاهتمام بتعليم الطفل كيفية الصلاة، فعن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لى رسول الله - ﷺ - « يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْإِلْتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ الْإِلْتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ هَلَكَةٌ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَفِي التَّطَوُّعِ لَا فِي الْفَرِيضَةِ »^{١٩٨}.

وعن أنس بن مالك، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين، فذهبت بي أمي إليه، فقالت: يا رسول الله، إن رجال الأنصار ونساءهم قد أتحفوك غيري، ولم أجد ما أتحفك إلا ابني هذا، فاقبل مني يخدمك ما بدا لك قال: فخدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فلم يضربني ضربة قط، ولم يسبني، ولم يعبس في وجهي، وكان أول ما أوصاني به، أن قال: يا بُنَيَّ، اكتم سرِّي تكن مؤمناً، فما أخبرت بسرِّه أحدًا، وإن كانت أمي، وأزواج النبي ﷺ يسألنني أن أخبرهن بسرِّه فلا أخبرهن ولا أخبر بسرِّه أحدًا أبدًا، ثم قال: يا بُنَيَّ أسبغ الوضوء يزد في عمرك ويحبك حافظك، ثم قال: يا بُنَيَّ، إن استطعت أن لا تبيت إلا على وضوء فافعل، فإنه من أتاه الموت وهو على وضوء أعطي الشهادة، ثم قال: يا بُنَيَّ، إن استطعت أن لا تزال تُصلي فافعل فإن الملائكة لا تزال تُصلي عليك ما دمت تُصلي، ثم قال: يا بُنَيَّ، إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان لا بد فففي التطوع لا في الفريضة، ثم قال لي: يا بُنَيَّ، إذا ركعت فضع كفَّيك على ركبتيك، وأفرج بين أصابعك، وارفع يدك على جنيبك، فإذا رفعت رأسك من الركوع فكن لكل عضو موضعه، فإن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من لا يقيم صلبه في ركوعه وسجوده، ثم قال: يا بُنَيَّ، إذا سجدت فلا تنقر كما ينقر

^{١٩٧} - صحيح مسلم - المكثر - (١٠٠٠) - الأحلام والنهي: العقول والألباب.

^{١٩٨} - سنن الترمذي - المكثر - (٥٩٢) حسن

الدَّيْكَ، وَلَا تُقَعِّ كَمَا يُقَعِّي الْكَلْبُ، وَلَا تَفْتَرِشْ ذِرَاعَيْكَ افْتِرَاشَ السَّبْعِ، وَافْرِشْ ظَهْرَكَ قَدَمَيْكَ الْأَرْضَ، وَضَعْ إِلَيْتَيْكَ عَلَى عَقَبَيْكَ فَإِنَّ ذَلِكَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حِسَابِكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ بَالِغْ فِي الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ تَخْرُجْ مِنْ مُغْتَسَلِكَ لَيْسَ عَلَيْكَ ذَنْبٌ وَلَا خَطِيئَةٌ، قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، مَا الْمُبَالَغَةُ؟ قَالَ: تُبَلُّ أَصُولَ الشَّعْرِ، وَتُنْقِي الْبَشْرَةَ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنْ إِذَا قَدَرْتَ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ صَلَوَاتِكَ فِي بَيْنِكَ شَيْئًا فافْعَلْ فَإِنَّهُ يُكْثِرُ خَيْرَ بَيْنِكَ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكََةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْنِكَ فَلَا يَقَعَنَّ بَصْرُكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ، إِلَّا سَلَّمْتَ عَلَيْهِ تَرَجُّعٌ وَقَدْ زِيدَ فِي حَسَنَاتِكَ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُمَسِّيَ وَتُصْبِحَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِذَا خَرَجْتَ مِنْ أَهْلِكَ فَلَا يَقَعَنَّ بَصْرُكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ، إِلَّا ظَنَنْتَ أَنَّ لَهُ الْفَضْلَ عَلَيْكَ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونَنَّ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ إِنْ ذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ".^{١٩٩}

وسار الصحابة على منهج النبوة، فبدؤوا بتعليم أطفالهم بأنفسهم، فهذا علي عليه السلام يدعو الحسين، فليعمله كيفية الوضوء، ويحييه على استفساراته، فعن الحسين بن علي قال دَعَانِي أَبِي عَلِيُّ بَوْضُوءٍ فَقَرَّبْتُهُ لَهُ فَبَدَأَ فَعَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُمَا فِي وَضُوئِهِ ثُمَّ مَضْمَضَ ثَلَاثًا وَاسْتَنْشَرَ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثًا ثُمَّ الْيُسْرَى كَذَلِكَ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ مَسْحَةً وَاحِدَةً ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثًا ثُمَّ الْيُسْرَى كَذَلِكَ ثُمَّ قَامَ قَائِمًا فَقَالَ نَاوِلْنِي فَنَاوَلْتُهُ الْإِنَاءَ الَّذِي فِيهِ فَضْلٌ وَضُوئُهُ

^{١٩٩} - المعجم الصغير للطبراني - (٢ / ١٠٠) (٨٥٦) حسن

بدا: وضح وظهر -قط: بمعنى أبدا، وفيما مضى من الزمان - إسباغ الوضوء: إتمامه وإكماله واستيعاب أعضائه بالغسل - بد: مفر ومحالة - الصلب: ظهر الإنسان -الإقعاء: أن يُلصِقَ الرجلُ أَلْيَتَيْهِ بِالْأَرْضِ، وَيَنْصِبُ سَاقَيْهِ وَفَخَذَيْهِ، وَيَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا يُقَعِّي الْكَلْبُ. وقيل: هو أن يضع أَلْيَتَيْهِ عَلَى عَقَبَيْهِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ. والقول الأول: -العقب: عظم مؤخر القدم -الجُنُب: الذي يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المني، والجنابة الاسم، وهي في الأصل: البُعد. وسُمِّيَ الإنسان جُنُبًا لأنه نُهيَ أَنْ يَقْرَبَ مَوَاضِعَ الصَّلَاةِ مَا لَمْ يَتَطَهَّرْ. وقيل لِمُحَابَّتِهِ النَّاسَ حَتَّى يَعْتَسِلَ

فَشَرِبَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ قَائِمًا فَعَجِبْتُ فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ لَا تَعْجَبْ فَإِنِّي رَأَيْتُ أَبَاكَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَصْنَعُ مِثْلَ مَا رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ يَقُولُ لَوْضُوئِهِ هَذَا وَشَرِبَ فَضْلَ وَضُوئِهِ قَائِمًا. ٢٠٠

إن رؤية الطفل لوضوء الكبير له أكبر الأثر في تعليمه، وتطبيقه له بشكل عملي صحيح، فعن نافع، قال: رَأَيْتُ صَفِيَّةَ بِنْتَ أَبِي عُبَيْدٍ تَوْضَّاتُ، فَأَدْخَلَتْ يَدَيْهَا تَحْتَ خِمَارِهَا، فَمَسَحَتْ بِنَاصِيَتَيْهَا. ٢٠١

وعن نافع قال: رَأَيْتُ صَفِيَّةَ بِنْتَ أَبِي عُبَيْدٍ تَوْضَّاتُ وَأَنَا غُلَامٌ "فَإِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَمْسَحَ رَأْسَهَا سَلَخَتْ الْخِمَارَ" ٢٠٢

وهذا سعد بن أبي وقاص ﷺ يعلم أولاده الأدعية الماثورة، فعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ، يُعَلِّمُنَا حَمْسًا يَذْكُرُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ شُعْبَةُ: فَسَأَلْتُ ابْنَ عُمَيْرٍ، عَنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: الدَّجَالُ ٢٠٣

وعن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُنَا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَيَرْوِيهِنَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ" ٢٠٤

وهذه نصيحة ثمينة لابن مسعود ﷺ، فعن أَبِي الْأَحْوَصِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ حَافِظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ عَلَى الصَّلَاةِ. ٢٠٥

وعن عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "حَافِظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَعَوِّدُوهُمْ الْخَيْرَ فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ". ٢٠٦

٢٠٠ - سنن النسائي - المكثر - (٩٥) صحيح

٢٠١ - مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ٢٤) (٢٤٣) صحيح

٢٠٢ - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (٤٨) صحيح

٢٠٣ - مسند أبي يعلى الموصلي (٧١٦) صحيح

٢٠٤ - السنن الكبرى للنسائي (٦٦٩٠) صحيح

٢٠٥ - مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ٣٤٨) (٣٥١٦) صحيح

٢٠٦ - المعجم الكبير للطبراني - (٨ / ١٦٥) (٩٠٥٤) والسنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٣ / ٨٤) (٥٢٩٧) حسن

٣- مرحلة الأمر بالصلاة والضرب عليها :

وتبدأ في سنّ العاشرة من عمر الطفل، فإذا قصّر أو تهاون أو تكاسل في أدائها، فعند ذلك يجوز للوالدين استخدام الضرب، تأديباً له على ما فرط في حق نفسه، وعلى ظلمه لها باتباع سبل الشيطان، لأن الأصل في هذه المرحلة، أن ينصاع لأمر الله، حيث هو ما زال في مرحلة الفطرية، والشيطان ما زال تأثيره عليه ضعيفاً، فعدم صلاته دليل على تمكن الشيطان منه شيئاً فشيئاً، لذلك فهو بحاجة إلى العلاج النبوي وهو الضرب، ولا بأس بفهام الطفل سبب الضرب، وتلاوة حديث رسول الله ﷺ عليه، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ - « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاصْرِبْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ »^{٢٠٧}.

قال حجة الله الدهلوي: "أقول: بلوغ الصبي على وجهين: بلوغ في صلاحية السقم والصحة النفسانيتين، ويتحقق بالعقل فقط، وأمانة ظهور العقل سبع، فابن السبع ينتقل فيها لا محالة من حالة إلى حالة انتقالاتاً ظاهراً، وأمانة تمامه العشر فابن العشر عند سلامة المزاج يكون عاقلاً يعرف نفعه من ضرره ويحذق في التجارة وما يشبهها. وبلوغ في صلاحية الجهاد والحدود والمؤاخذه عليه، وأن يصير به من الرجال الذين يعانون المكائد، ويعتبر حالهم في السياسات المدنية والمالية، ويجبرون قسراً على الصراط المستقيم، ويعتمد على تمام العقل وتام الجثة وذلك بخمس عشر سنة في الأكثر، ومن علامات هذا البلوغ الاحتلام وإنبات العانة. والصلاة لها اعتباران: فباعتبار كونها وسيلة فيما بينه وبين مولاه منقذه عن التردّي في أسفل السافلين أمر بها عند البلوغ الأول. وباعتبار كونها من شعائر الإسلام يؤاخذون بها، ويجبرون عليها شاءوا أم أبوا حكمها حكم سائر الأمور. ولما كان سن العشر برزخاً بين الحدين جامعا بين الجهتين جعل له نصيباً منهما. وإنما أمر بتفريق المضاجع لأن الأيام أيام مراهقة فلا يبعد أن تفضي المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه".^{٢٠٨}

^{٢٠٧} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٥) صحيح

^{٢٠٨} - حجة الله البالغة - (١ / ٣٩٥)

٤- تدريب الأطفال على حضور صلاة الجمعة :

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا عَلَى مَرِيضٍ، أَوْ مُسَافِرٍ، أَوْ صَبِيٍّ، أَوْ مَمْلُوكٍ وَمَنْ اسْتَعْنَى عَنْهَا بَلْهَوٍ أَوْ تِجَارَةٍ اسْتَعْنَى اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ^{٢٠٩}.

وعن مَوْلَى لَالِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْجُمُعَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، إِلَّا أَرْبَعَةً: الصَّبِيُّ، وَالْعَبْدُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْمَرِيضُ.^{٢١٠}

وفي الموسوعة الفقهية: "إِنَّ مَنْ حَضَرَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ مِمَّنْ لَمْ تَتَوَقَّرْ فِيهِ هَذِهِ الشُّرُوطُ الْخَمْسَةُ يُنْظَرُ فِي أَمْرِهِ: فَإِنْ كَانَ فَاقِدًا أَهْلِيَّةَ التَّكْلِيفِ نَفْسَهَا، كَالصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ، صَحَّتْ صَلَاةُ الصَّبِيِّ وَاعْتُبِرَتْ لَهُ تَطَوُّعًا، وَبَطَلَتْ صَلَاةُ الْمَجْنُونِ ؛ لِعَدَمِ تَوْفُرِ الْإِدْرَاكِ الْمُصَحَّحِ لِأَصْلِ الْعِبَادَةِ".^{٢١١}

وبتدريب الصبي على صلاة الجمعة تحصل له عدة فوائد جمعة، منها :

- عندما يبلغ يكون معتاداً على إقامتها.
- تأثره بسماع الخطبة، إذ فطرته تكون حساسة للتقاط أحاديث الإيمان، وسيرة الرسول ﷺ، كما هي تدريب له لسماع العلم .
- يألف يجمعات المسلمين، ويشعر بدخوله للمجتمع، إذ لا بد أن يتعرف على من يعرفهم والده .
- على رأي من قال :بأن الساعة مستجابة في يوم الجمعة، هي لحظة الخطبة، فيكون من الحاضرين لهذه الساعة المستجابة، التي حدث عنها الرسول ﷺ .
- تكون تغذية إيمانية، وشحناً روحياً، على إقامة الصلوات الخمس، وطاعة الله بين الجمعة والجمعة.

^{٢٠٩} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٣ / ١٨٤) (٥٨٤٢) حسن

^{٢١٠} - مصنف ابن أبي شيبة - (٢ / ١٠٩) (٥١٩٠) صحيح

^{٢١١} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٧ / ٢٠٠)

- يتعرف بها على علماء الأمة ودعاتها، مما له كبير الأثر في كبره، فضلاً عن صغره .
- بصلابة الجمعة يحصل له بناء شخصية بكامل عناصرها: العقدية والعبادية والاجتماعية والعاطفية والعلمية والجسمية والصحية، والتهديب الجنسي، والله أعلم .

٥- نموذج للأطفال في قيام الليل :

لم يكتف أطفال الصحابة بالمحافظة على الصلوات الخمس، إنما تعدوها إلى النوافل، في قيام الليل، كما فعل ابن عباس رضي الله عنه، فعن ابن عباس قال بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ - وكان النبي ﷺ - عندها في ليلتها، فصلّى النبي ﷺ - العشاء، ثم جاء إلى منزله، فصلّى أربع ركعات، ثم نام، ثم قام، ثم قال « نام العليم ». أو كلمة تشبهها، ثم قام فقامت عن يساره، فجعلني عن يمينه، فصلّى خمس ركعات ثم صلى ركعتين، ثم نام حتى سمعت غطيطة - أو خطيطة - ثم خرج إلى الصلاة^{٢١٢} .

وعن ابن عباس قال بت في بيت خالتي ميمونة فبقيت كيف يصلي رسول الله ﷺ - - قال - فقام فبال ثم غسل وجهه وكفيه ثم نام ثم قام إلى القرية فأطلق شناقها ثم صب في الحفنة أو القصعة فأكبّه بيده عليها ثم توضأ وضوءاً حسناً بين الوضوءين ثم قام يصلي فجئت فقامت إلى جنبه فقامت عن يساره - قال - فأخذني فأقامني عن يمينه فتكاملت صلاة رسول الله ﷺ - ثلاث عشرة ركعة ثم نام حتى نفخ وكنا نعرفه إذا نام بنفخه ثم خرج إلى الصلاة فصلّى فجعل يقول في صلاته أو في سجوده « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً واجعل لي نوراً أو قال واجعلني نوراً »^{٢١٣}.

^{٢١٢} - صحيح البخارى- المكثر - (١١٧)

الخطيطة: الصوت الذى يخرج من نفس النائم -الغطيطة: الصوت الذى يخرج من نفس النائم

^{٢١٣} - صحيح مسلم- المكثر - (١٨٣٠)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةً، فَتَبَّعْتُ كَيْفَ يُصَلِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، وَقَالَ: فَأَخَذَنِي فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ^{٢١٤}

أرأيت إلى هذه الطفولة التي تهتم بحركات حبیبها ﷺ، وأن تصلي معه بعد النوم من الليل؟! ثم إلى هذا الاهتمام من الرسول ﷺ بصلاة الطفل الصغير معه، فيصح له، ويجعله عن يمينه ن بل هكذا كان شأنه ﷺ، أن يصلي مع الكبار والصغار، والرجال والنساء، ويدخل الفرح إلى البيوت المسلمة، فعن أنس بن مالك: أَنَّهُ كَانَ هُوَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُمُّهُ وَخَالَتُهُ فَصَلَّى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ أَنَسُ عَنْ يَمِينِهِ وَأُمُّهُ وَخَالَتُهُ خَلْفَهُمَا.^{٢١٥}

وعن عبد الله بن المختار، قَالَ: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ أَنَسٍ، قَالَ: وَرَبَّمَا قَعَدْنَا إِلَيْهِ أَنَا وَهُوَ، قَالَ: وَكَانَ مِنْ فِتْيَانِنَا أَحَدُثُ مِنِّي سِنًا، يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَّ أَنَسًا وَامْرَأَةً، فَجَعَلَ أَنَسُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالْمَرْأَةُ خَلْفَهُمَا.^{٢١٦}

٦- تعويد الطفل على صلاة الاستخارة :

عن أنس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَنَسُ إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَاسْتَخِرْ رَبَّكَ فِيهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْظُرْ إِلَى الَّذِي يَسْبِقُ إِلَى قَلْبِكَ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهِ^{٢١٧}.

قال الحنفية، والمالكية، والشافعية: ينبغي أن يُكرَّرَ المُسْتَخِيرُ الاسْتِخَارَةَ بِالصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ للحديث السابق ..

ويؤخذ من أقوال الفقهاء أن تَكَرَّارَ الاسْتِخَارَةِ يَكُونُ عِنْدَ عَدَمِ ظُهُورِ شَيْءٍ لِلْمُسْتَخِيرِ، فَإِذَا ظَهَرَ لَهُ مَا يَنْشَرُحُ بِهِ صَدْرُهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يَدْعُو إِلَى التَّكَرَّارِ. وَصَرَّحَ الشَّافِعِيُّ بِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَظْهَرْ لَهُ شَيْءٌ بَعْدَ السَّابِعَةِ اسْتَخَارَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ^{٢١٨}.

^{٢١٤} - صحيح ابن خزيمة - (٢ / ٣٨٧) صحيح

^{٢١٥} - صحيح ابن حبان - (٥ / ٥٨٣) (٢٢٠٦) صحيح

^{٢١٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٦٦٥) (١٣٧٤٤) ١٣٧٨٠ - صحيح

^{٢١٧} - عمل اليوم والليلة لابن السني - (٥٩٧) ضعيف جدا

^{٢١٨} - المغني ١ / ٧٦٣، وكشاف القناع ١ / ٤٠٨، وابن عابدين ١ / ٦٤٣، والطحاوي على مراقي الفلاح ص

٢١٨، والخرشي ١ / ٣٨، والفتوحات الربانية ٣ / ٣٥٦

أَمَّا الْحَنَابِلَةُ فَلَمْ نَجِدْ لَهُمْ رَأْيًا فِي تَكَرُّرِ الْإِسْتِخَارَةِ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي تَحْتَ أَيْدِينَا رَغْمَ كَثَرَتِهَا^{٢١٩}.

٧- اصطحاب الأطفال لصلاة العيد :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ يَخْرُجُ فِي الْعِيدَيْنِ مَعَ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ، وَالْعَبَّاسِ، وَعَلِيٍّ، وَجَعْفَرٍ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَأَيُّمَانَ ابْنِ أُمِّ أَيُّمَانَ رَافِعًا صَوْتَهُ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ فَيَأْخُذُ طَرِيقَ الْجَدَّادِينَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمُصَلَّى. وَإِذَا فَرَغَ رَجَعَ عَلَى الْحَدَّائِينَ حَتَّى يَأْتِيَ مَنْزِلَهُ.^{٢٢٠}

لَا خِلَافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي جَوَازِ التَّكْبِيرِ جَهْرًا فِي طَرِيقِ الْمُصَلَّى فِي عِيدِ الْأَضْحَى، أَمَّا التَّكْبِيرُ فِي عِيدِ الْفِطْرِ فَيَرَى جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ يُكَبَّرُ فِيهِ جَهْرًا^{٢٢١}



^{٢١٩} - المغني ١ / ٧٦٣، وكشاف القناع ١ / ٤٠٨ وانظر الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣ / ٢٤٦)

^{٢٢٠} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٣ / ٢٧٩) (٦٣٤٩) وأخرجه ابن خزيمة (١٤٣١) ضعيف

^{٢٢١} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٣ / ٢١٣)

الأساس العبادي الثاني

الطفل والمسجد

١ - أخذ الطفل إلى المسجد :

المسجد هو الصرح الذي يبنى الأجيال تلو الأجيال، ولقد كان وما زال هو المصدر لأجيال باعوا أنفسهم لله، وساروا على منهجه، واقتدوا برسولهم، لهذا عني أطفال الصحابة بالصلاة مع رسول الله ﷺ في المسجد، فهذا جابر بن سمره يحدثنا عن طفولته وصحبته لرسول الله ﷺ، فعن جابر بن سمره، قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانُ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدَّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا، أَوْ رِيحًا، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَارٍ^{٢٢٢}.

ويكون أخذ الطفل للمسجد عندما يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه، ويصبح نظيفاً، فلا يتبول، ولا يتغوط تحته، وإنما يذهب إلى بيت الخلاء بنفسه، ويكون قد تعلم آداب المسجد: من دخول بهدوء، ووضع الحذاء في مكانه المخصص، وطيه على بعض على بعض في أثناء السير، وعدم الركض في المسجد، والابتعاد عن مزاحمة الكبار، والانتباه واليقظة للخطبة، والدرس، والصلاة، وعدم العبث ..

قَالَ التَّوَوُّيُّ: يَجُوزُ إِدْخَالُ الصَّبِيِّ الْمَسْجِدِ وَإِنْ كَانَ الْأُولَى تَنْزِيهِ الْمَسْجِدِ عَمَّنْ لَا يُؤْمَنُ مِنْهُ تَنْجِيسُهُ.

وَصَرَّحَ الْمَالِكِيُّ بِعَدَمِ جَوَازِ إِدْخَالِهِ الْمَسْجِدَ إِنْ كَانَ لَا يَكْفُ عَنْ الْعَبَثِ إِذَا تُهِيَ عَنْهُ، وَإِلَّا فَيُكْرَهُ. وَكَذَلِكَ الْمَجَانِينُ^{٢٢٣}، لِمَا وَرَدَ مَرْفُوعًا: جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ

^{٢٢٢} - صحيح مسلم- المكثر - (٦١٩٧) - جؤنة العطار: هي التي يعد فيها الطيب ويدخره.

^{٢٢٣} ابن عابدين ١ / ٤٤١، وجواهر الإكليل ١ / ٨٠، والمجموع ٢ / ١٧٦، وروضة الطالبين ١ / ٢٩٧، ونخبة الرايع والساجد للجراعي ٢٠٤ و الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٠ / ٢٤٤)

وَمَجَانِيكُمْ، وَشِرَاءَكُمْ وَبَيْعَكُمْ، وَخُصُومَاتِكُمْ، وَرَفَعَ أَصْوَاتَكُمْ، وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ، وَسَلَّ سِيُوفَكُمْ، وَاتَّخَذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَحَمَرُوهَا فِي الْجُمُعِ. ٢٢٤

وقد طلب الرسول ﷺ من أئمة المساجد أن يخففوا من الصلاة رافة بالأطفال، الأمر الذي دل على جواز صلاة الأطفال، وأخذهم إلى المسجد .

فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا. فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ مِنْكُمْ مُتَفَرِّينَ فَأَيُّكُمْ أَمْ النَّاسَ فليُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ » ٢٢٥ .

وبحضور الطفل في الصلاة في المسجد، فإنه يشارك المسلمين في حفظ عدد الركعات، فعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: صَلَّى بِنَا عَلْقَمَةُ الظُّهْرَ خَمْسًا، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ: وَأَنْتَ يَا أَعُورُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ حَدَّثَ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ. ٢٢٦

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ صَلَّى بِنَا عَلْقَمَةُ الظُّهْرَ خَمْسًا فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ الْقَوْمُ يَا أَبَا شَيْبَلٍ قَدْ صَلَّيْتَ خَمْسًا. قَالَ كَلَّا مَا فَعَلْتُ. قَالُوا بَلَى - قَالَ - وَكُنْتُ فِي نَاحِيَةِ الْقَوْمِ وَأَنَا غُلَامٌ فَقُلْتُ بَلَى قَدْ صَلَّيْتَ خَمْسًا. قَالَ لِي وَأَنْتَ أَيْضًا يَا أَعُورُ تَقُولُ ذَاكَ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ فَأَنْقَتَلَ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَمْسًا فَلَمَّا انْقَتَلَ تَوَشَّوْشَ الْقَوْمُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ « مَا شَأْنُكُمْ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ زِيدَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ « لَا ». قَالُوا فَإِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَمْسًا. فَأَنْقَتَلَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ

٢٢٤ - مسند الشاميين ٣٦٠ - (٤ / ٣٢١) (٣٤٣٦) والسنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (١٠ / ١٠٣) (٢٠٧٦٥)

ضعيف

٢٢٥ - صحيح مسلم - المكثر - (١٠٧٢)

٢٢٦ - صحيح ابن حبان - (٦ / ٣٨٤) (٢٦٦١) صحيح

ثُمَّ قَالَ « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنَسَى كَمَا تَنْسَوْنَ ». « فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ ». ٢٢٧

كيف يصلي الأطفال مع الرجال في صلاة الجمعة ؟

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ أَنَّهُ كَانَ يُسَوِّي بَيْنَ الْأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي الْقِرَاءَةِ وَالْقِيَامِ، وَيَجْعَلُ الرُّكْعَةَ الْأُولَى هِيَ أَطْوَلُهُنَّ لِكَيْ يَثُوبَ النَّاسُ، وَيَجْعَلَ الرَّجَالَ قُدَّامَ الْغُلَمَانِ، وَالنِّسَاءَ خَلْفَ الْغُلَمَانِ، وَيُكَبِّرُ كُلَّمَا سَجَدَ، وَكُلَّمَا رَفَعَ وَيُكَبِّرُ كُلَّمَا نَهَضَ بَيْنَ الرُّكْعَتَيْنِ إِذَا كَانَ جَالِسًا ٢٢٨.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ قَالَ قَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَفَ الرَّجَالَ وَصَفَ خَلْفَهُمُ الْغُلَمَانُ ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ فَذَكَرَ صَلَاتَهُ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا صَلَاةُ أُمِّتِي ٢٢٩.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ صَلَّيْتُ أَنَا وَيَتِيمٌ فِي بَيْتِنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ - وَأُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ خَلَفْنَا ٢٣٠.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَائِشَةُ خَلَفْنَا نُصَلِّي مَعَنَا، وَأَنَا إِلَى جَنْبِ النَّبِيِّ ﷺ أَصَلِّي مَعَهُ ٢٣١.

وفي الموسوعة الفقهية: "وَمِنْ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ إِكْمَالُ الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلُ، وَأَنْ لَا يُشْرَعَ فِي إِنْشَاءِ الصَّفِّ الثَّانِي إِلَّا بَعْدَ كَمَالِ الْأَوَّلِ، وَهَكَذَا. وَهَذَا مَوْضِعُ اتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ، وَعَلَيْهِ فَلَا يَقِفُ فِي صَفٍّ وَأَمَامَهُ صَفٌّ آخَرُ نَاقِصٌ أَوْ فِيهِ فُرْجَةٌ، بَلْ يَشُقُّ الصُّفُوفَ لِسَدِّ الْخَلَلِ أَوْ الْفُرْجَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الصُّفُوفِ الَّتِي أَمَامَهُ ؛ لِلْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ.

٢٢٧ - صحيح مسلم- المكثر - (١٣١١)

انفتل: انصرف -توشوش: القوم: إذا تكلموا مختلطين في القول.

٢٢٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٦٠٨) (٢٢٩١١) (٢٣٢٩٩) - حسن

٢٢٩ - سنن أبي داود - المكثر - (٦٧٧) - حسن

٢٣٠ - صحيح البخارى- المكثر - (٧٢٧)

٢٣١ - صحيح ابن حبان - (٥ / ٥٨١) (٢٢٠٤) - صحيح

فَإِذَا حَضَرَ مَعَ الْإِمَامِ رَجُلَانِ أَوْ أَكْثَرُ، أَوْ رَجُلٌ وَصَبِيٌّ اصْطَفَا خَلْفَهُ . وَلَوْ حَضَرَ مَعَهُ رَجُلَانِ وَامْرَأَةٌ اصْطَفَى الرَّجُلَانِ خَلْفَهُ وَالْمَرْأَةُ خَلْفَهُمَا، وَلَوْ اجْتَمَعَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ وَالصَّبِيَّاتُ الْمُرَاهِقَاتُ وَأَرَادُوا أَنْ يَصْطَفُوا لِلْجَمَاعَةِ وَقَفَ الرِّجَالُ فِي صَفٍّ أَوْ صَفَيْنِ أَوْ صُفُوفٍ مِمَّا يَلِي الْإِمَامَ، ثُمَّ الصَّبِيَّانَ بَعْدَهُمْ، وَفِي وَجْهِهِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ يَقِفُ بَيْنَ كُلِّ رَجُلَيْنِ صَبِيٌّ لِيَتَعَلَّمَ أَفْعَالَ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ يَقِفُ النِّسَاءُ وَلَا فَرْقَ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ بَيْنَ الْكَبِيرَةِ وَالصَّبِيَّةِ الْمُرَاهِقَةِ .
أَمَّا الْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ فَيَرَوْنَ أَنَّ الصَّبِيَّاتِ الْمُرَاهِقَاتِ يَقِفْنَ وَرَاءَ النِّسَاءِ الْكَبِيرَاتِ . وَيَتَقَدَّمُ بِالنِّسْبَةِ لَهُؤُلَاءِ جَمِيعًا فِي الصُّفُوفِ الْأَوَّلِ الْأَفْضَلِ فَالْأَفْضَلُ .^{٢٣٢}

٢- ربط الطفل بالمسجد :

قال ابن الحاج رحمه الله: "يَنْبَغِي لِلآبَاءِ أَنْ يَنْظُرُوا لِأَوْلَادِهِمْ مِنَ الْمُؤَدِّينَ مَنْ هُوَ أَوْرَعُ وَأَزْهَدُ وَأَتْقَى إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَقَدَّمَ ؛ لِأَنَّهُ رِضَاعٌ ثَانٍ لِلصَّبِيِّ بَعْدَ رِضَاعِ الْأُمِّ .
وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلْيَحْذَرُ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَحَدَنَهُ بَعْضُ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ بِأَوْلَادِهِمْ مِنْ أَنَّهُمْ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ الْمَكْتَبِ الَّذِي يَقْرَأُونَ فِيهِ كِتَابَ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَعَلَّمُونَ فِيهِ شَرِيعَةَ نَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَذْهَبُونَ بِهِمْ إِلَى كُتَّابِ النَّصَارَى لِتَعْلِيمِ الْحِسَابِ وَهَذَا رِضَاعٌ ثَالِثٌ بَعْدَ رِضَاعِ الْمُؤَدِّبِ .

وَقَدْ قِيلَ الرِّضَاعُ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ، فَهَذَا أَمْرٌ شَنِيعٌ قَبِيحٌ مِنَ الْفِعْلِ ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ قُوَّةُ الْإِيمَانِ بَعْدُ وَلَمْ يَقْرَأِ الْعِلْمَ وَلَمْ يَعْرِفْ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ .

وَقَدْ تَسَبَّقَ إِلَيْهِ الدَّسَائِسُ مِنَ النَّصْرَانِيِّ الَّذِي يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْحِسَابَ أَوْ مِنَ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ عِنْدَهُ صَغَارًا كَانُوا أَوْ كِبَارًا، ثُمَّ إِنَّ النَّصْرَانِيَّ مَعَ ذَلِكَ يُؤَدِّبُهُ عَلَى مَا يَخْطُرُ لَهُ وَيَمُرُّ بِبَالِهِ مِنْ كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ وَيُظْهِرُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ تَعْلِيمِهِ الْحِسَابَ، وَهَذَا لَا يَرْضَى بِهِ عَاقِلٌ وَلَا مَنْ فِيهِ مُرُوءَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالصَّبِيُّ فِي هَذَا السَّنِّ قَابِلٌ لِكُلِّ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِثْلُ الشَّمْعِ أَيَّ شَيْءٍ عَمِلَتْ عَلَيْهِ طَبِيعٌ فِيهِ فَيَخَافُ عَلَى الْوَلَدِ -وَهُوَ الْغَالِبُ- أَنْ يَتَغَيَّرَ حَالُهُ فَيَرْجِعُ مَكَانُ

^{٢٣٢} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٧ / ٣٦)

الصَّدَقِ كَذِبًا وَبُهْتَانًا، وَمَوْضِعُ النَّصِيحَةِ غَشًّا وَخَدِيعَةً، وَمَوْضِعُ الْإِلْفَةِ بِالْمُسْلِمِينَ انْقِطَاعًا وَوَحْشَةً، وَمَكَانُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالْإِثْقَادِ خُبْنًا وَمُدَاهَنَةً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَكْرِهِمْ وَخِصَالِهِمْ الرَّدِّيَّةِ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَيُخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَرْكَنَ إِلَى قَوْلِ النَّصْرَانِيِّ أَوْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا مِنْ اعْتِقَادِهِ أَوْ اسْتِحْسَانِ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ .
وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَا تُمَكِّنْ زَانِعَ الْقَلْبِ مِنْ أَذُنِكَ لَا تَدْرِي مَا يَعْلُقُكَ مِنْ ذَلِكَ ...

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتَحَفَظُونَ عَلَى الرِّضَاعِ الثَّالِثِ أَكْثَرَ مِنَ الرِّضَاعَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ وَهُمَا رِضَاعُ الْأُمِّ وَرِضَاعُ الْمُؤَدَّبِ ؛ لِأَنَّ الصَّبِيَّ قَدْ رَجَعَ لَهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِالْأُمُورِ وَقَابِلِيَّةٌ لِقَبُولِ مَا سَمِعَهُ أَوْ رَأَاهُ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ رِضَاعِ الْمُؤَدَّبِ رِضَاعُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمُ الْمُتَّبِعِينَ لِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُبَيِّنِينَ لَهَا، الْكَاشِفِينَ عَنْ غَامِضِهَا وَالْمُخْرِجِينَ لِحَبَايَاهَا، فَإِذَا ارْتَضَعَ الصَّبِيُّ هَذَا الرِّضَاعَ الثَّالِثَ فَالْغَالِبُ أَنَّهُ إِنْ وَقَعَ لَهُ غَيْرُ مَا سَبَقَ إِلَيْهِ سَارَعَ بِسَبَبِ عِلْمِهِ وَمَا انْطَبَعَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةٍ مَا تَحَصَّلَ عَنْهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَحَبَّتَيْهِمَا وَإِثَارِهِمَا إِلَى إِنْكَارِهِ وَعَدَمِ قَبُولِهِ لِذَلِكَ .

وَقَدْ جَاءَ بَعْضُ النَّاسِ بِوَلَدِهِ إِلَى بَعْضِ السَّلَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُقَرِّئَهُ فَقَالَ لَهُ أَقْرَأْ قَبْلَ هَذَا عِلْمًا غَيْرَ مَا نَحْنُ فِيهِ يَعْنِي مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ نَعَمْ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ الْعَرَبِيَّةُ قَالَ لَهُ أَذْهَبْ بِوَلَدِكَ فَإِنَّهُ لَا يَجِيءُ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَ وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ تَعَزُّلَاتُ الْعَرَبِ وَأَشْعَارُهَا وَجُبِلَ عَلَى ذَلِكَ فَكَيْفَ يُمَكِّنُ صِلَاحَهُ فَلَمْ يُقَرِّئْهُ، وَمَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ مَطْلُوبَةٌ فِي الدِّينِ لِأَجْلِ فَهْمِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَفَهْمِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنْ مَا وَقَعَ لَوْمْ هَذَا السَّيِّدُ لَهُ إِلَّا لَمَّا سَبَقَ لَهُ مِنْ تَعَزُّلَاتِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا فَلَوْ سَبَقَ لَهُ الْعِلْمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ بَعْضُهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَمَا يُسَنُّ وَمَا يُنْدَبُ إِلَيْهِ لَمَّا عَذَلَهُ، فَإِذَا كَانَ هَذَا تَحَفُظُهُمْ عَلَى سَبَقِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ وُجُودِ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهَا فِي الشَّرْعِ كَمَا تَقَدَّمَ فَمَا بَالُكَ بِغَيْرِهَا .

ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى تَمَامِ مَا بَقِيَ مِنَ الْمَفَاسِدِ الَّتِي فِي دُخُولِ الصَّبِيِّ لِكِتَابِ النَّصَارَى .
فَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي ظَاهِرِهِ مِنَ الدَّلَةِ لِلْمُسْلِمِينَ بِسَبَبِ مَا فَعَلَ هَذَا بَوْلَدِهِ وَفِيهِ تَعْظِيمُ
النَّصَارَى .

فَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا أَوْلَادَ الْمُسْلِمِينَ يَأْتُونَ إِلَيْهِمْ لِيَتَعَلَّمُوا هَذِهِ الْفَضِيلَةَ مِنْهُمْ رَأَوْا أَنَّ لَهُمْ رِفْعَةً
وَسُودَّةً وَفَضِيلَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا كُلُّهُ مَمْنُوعٌ شَرْعًا وَعَقْلًا، فَيَا لِلَّهِ وَيَا لِلْعَجَبِ كَيْفَ
يُتْرَكُ التَّعْلِيمُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مُتَوَافِرُونَ فِي هَذَا الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَيُؤْتَى
إِلَى نَصْرَانِيٍّ عَدُوٍّ لِلدِّينِ وَعَدُوٍّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مُظْهِرٍ لِدَلِيلِكَ مُعَانِدٍ لِلْمُسْلِمِينَ فَهَذَا مِنَ
الْخَسْفِ الْبَاطِنِيِّ الَّذِي لَا يُرْتَابُ فِيهِ وَلَا يُشَكُّ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ النَّصَارَى فِي عِلْمِ الْحِسَابِ وَالطَّبِّ أَحْذَقُ وَأَعْرِفُ بِالتَّعْلِيمِ مِنْ غَيْرِهِمْ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا بَاطِلٌ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الصَّبِيُّ عَالِمٌ كُلِّ مَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي
يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ مِنَ النَّصْرَانِيِّ حَتَّى فَاقَ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّصْرَانِيِّ
لِزِيَادَةٍ عِنْدَهُ فِيهِ لَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ فِيهِ شَيْءٌ مَا مِنَ الْمَيْلِ إِلَى ذَلِكَ، فَكَيْفَ وَالصَّبِيُّ بَعْدُ لَمْ
يَلَمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْحِسَابِ وَلَا غَيْرِهِ وَلَوْ عَرَفَهُ لَكَانَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْرِفُ
أَكْثَرَ مِنَ النَّصْرَانِيِّ وَأَمْثَالِهِ فَلَا حَاجَةَ تَدْعُو إِلَى التَّعْلِيمِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ .

وَقَدْ أَقَامَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَقَالَ: قَدْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْكُمْ بِالْمُسْلِمِينَ .
وَقَدْ نَهَى رضي الله عنه أَنْ يَتَّخِذَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَاتِبًا، وَقَالَ جَوَابًا لِمَنْ أَتَى عَلَى نَصْرَانِيٍّ
بِالْمَعْرِفَةِ وَالْحَذَقِ فِي الْحِسَابِ مَاتَ النَّصْرَانِيُّ وَالسَّلَامُ ٢٣٣ .

وَقَالَ أَيْضًا: لَا تُكْرِمُوهُمْ وَقَدْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا تَأْمَنُوهُمْ وَقَدْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا
تَسْتَعْمِلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ إِلَّا الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى أَوْ كَمَا قَالَ .

فَانْظُرْ رَحِمَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ إِلَى اشْتِرَاطِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنه الْخَشْيَةِ فِيمَنْ تَوَلَّى مِنَ
الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَمَا بِأَلَكِ فِي حَقِّ أَعْدَاءِ الدِّينِ؟ وَإِنَّمَا هِيَ حُجَجٌ شَيْطَانِيَّةٌ

وَنَفْسَانِيَّةٌ وَرُكُوبٌ لِلْهَوَىٰ وَرُكُونٌ لِلْعَوَائِدِ الرَّدِيئَةِ وَتَرْكٌ لِلنَّظَرِ إِلَىٰ أَمْرِ الشَّرِيعَةِ وَمَا يُنْدَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْفَوَائِدِ الْحَمَّةِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيلَةِ أَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ بِمَنِّهِ .

وَفِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ الَّتِي يَأْبَاهَا الْإِسْلَامُ وَمَنْ فِيهِ عُذُوبَةٌ طَبَعَ وَانْقِيَادٌ لِلشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ . وَهِيَ أَنَّ الْمُعَلِّمَ النَّصْرَانِيَّ يَجْلِسُ عَلَىٰ مَوْضِعٍ مُّرْتَفِعٍ وَأَوْلَادُ الْمُسْلِمِينَ دُونَهُ وَيَقْبَلُونَ يَدَهُ أَوْ رُكْبَتَهُ حِينَ إِثْنَانِهِمْ إِلَيْهِ وَانْصِرَافِهِمْ وَيُقِيمُ السَّطُورَةَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ ذَلِكَ .

وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ الْوَلَدَ يَتَرَبَّى عَلَىٰ تَرْكِ التَّحْفُظِ مِنَ النَّجَاسَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ نَجَاسَةٌ فِيمَا يَعْتَقِدُونَهُ إِلَّا دَمَ الْحَيْضِ لَيْسَ إِلَّا، وَأَبْوَالُهُمْ وَفَضْلَانُهُمْ كُلُّهَا طَاهِرَةٌ عِنْدَهُمْ وَقَدْ يُسْتَقُونَ الْأَدْوِيَةَ بِالنَّجَاسَاتِ وَيَكْتُبُونَ مِنْهَا فَتَنْجَسُ أَحْسَادُهُمْ وَأَنْوَابُهُمْ مِنْ ذَلِكَ .

وَمِنْهَا أَنَّ الْمُعَلِّمَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ بِحَضْرَتِهِمْ وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ حَامِلَهَا وَحَاضِرَهَا فِي جُمْلَةٍ مَنْ لَعَنَ بِسَبَبِهَا، وَالْوَلَدُ الْمُسْلِمُ هُوَ حَاضِرُهَا وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَيَكُونُ حَامِلَهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَإِنْ كَانَ الْوَلَدُ بَالِغًا أَوْ مُرَاهِقًا فَهُوَ دَاخِلٌ تَحْتَ اللَّعْنَةِ، وَإِنْ كَانَ صَبِيًّا صَغِيرًا فَاللَّعْنَةُ عَائِدَةٌ عَلَىٰ وَالِدَيْهِ أَوْ وَلِيِّهِ أَوْ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَقُلَّ أَنْ يَسْلَمَ الْوَلَدُ مِنْ شُرُومِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا غَيْرَ مُكَلَّفٍ وَرُبَّمَا أَمَرَهُمُ الْمُعَلِّمُ بِحَمْلِ الْخَمْرِ إِلَيْهِ أَوْ إِلَىٰ بَيْتِهِ ؛ لِأَنَّ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَسْتَقْضِيَهُمْ فِي حَوَائِجِهِ وَضُرُورَاتِهِ .

وَمِنْهَا أَنَّ الْوَلَدَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ بِحَضْرَتِهِ وَيَمْنَعُهُمْ مِنَ الْانْصِرَافِ فِي وَقْتِ صَلَاةِ الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ أَوْ هُمَا مَعًا وَقَدْ يُمَوِّهُ عَلَيْهِمْ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ وَفَتْهًا أَوْ يَفُوتَهُ بَعْضُهَا .

وَمِنْهَا أَنَّ الْوَلَدَ فِي صَوْمِ رَمَضَانَ يَعْيُونَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَيَضْحَكُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ . وَمِنْهَا أَنَّهُمْ إِذَا كَانَ صَوْمُهُمْ يَمْنَعُونَ الْمَاءَ أَنْ يُؤْتَىٰ بِهِ إِلَىٰ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَيَقْبَلُ أَوْلَادُ الْمُسْلِمِينَ بِالْعَطَشِ غَالِبًا .

وَمِنْهَا أَنَّهُ يُخَافُ عَلَىٰ الْوَلَدِ وَهُوَ الْعَالِبُ أَنْ يَقَعَ فِي اعْتِقَادِهِمُ الْبَاطِلِ أَوْ فِي بَحْثِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ فِي الْوَاحِهِمْ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَّةِ وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِحَضْرَتِهِ فَقَدْ يَسْبِقُ إِلَىٰ الْوَلَدِ وَيَتَعَلَّقُ بِذَهْنِهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ وَقَعَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَلَّ أَنْ يَتَأَتَّىٰ خَلَاصَهُ مِنْهُ غَالِبًا .

وَسَبَبُ وَقُوعِ هَذِهِ النَّازِلَةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْحَدِيثِ { حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ }^{٢٣٤} فَانْظُرْ رَحِمَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْمَخُوفِ وَهُوَ أَنَّهُ مَا كَانَ سَبَبُ إِثْبَانِ الْوَلَدِ إِلَى النَّصْرَانِيِّ لِتَعْلِيمِ الْحِسَابِ إِلَّا حُبُّ الدُّنْيَا غَالِبًا لَا حَرَمَ أَنَّهُمْ عُوِذُوا عَلَى ذَلِكَ بِنَقِيضِهِ فَوَقَعُوا فِي الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى أَبْوَابِ الظُّلْمَةِ مِنَ الْكُتْبَةِ وَغَيْرِهِمْ . وَإِذَا تَرَبَّى الْوَلَدُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَالِ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ: أَوَّلُهُمَا وَهُوَ أَشَدُّهُمَا أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي اعْتِقَادِهِ كَمَا تَقَدَّمَ .

وَالثَّانِي: أَنْ يَقِلَّ اهْتِبَالُهُ بِأَمْرِ دِينِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَفِي حَقِّ غَيْرِهِ، فَأَيُّ شَيْءٍ وَقَعَ مِنْهُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ أَوْ مِنْ غَيْرِهَا فَلَا يَكْتَرِثُ بِهِ وَلَا يَنْدُمُ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَلَا يَغِيرُ عَلَى غَيْرِهِ وَهَذِهِ خَصْلَةٌ تُنَافِي أَخْلَاقَ الْمُسْلِمِينَ وَهَدْيَهُمْ وَآدَابَهُمْ .

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِ الرِّسَالَةِ لَهُ: وَاعْلَمْ أَنْ خَيْرَ الْقُلُوبِ أَوْعَاها لِلْخَيْرِ وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ، وَأَوْلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاعِبُونَ إِيصَالَ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْسُخَ فِيهَا وَتَنْبِيَهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ لِيَرْضَوْا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ وَتَعْمَلَ بِهِ حَوَارِجُهُمْ، فَإِنَّهُ رُويَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصَّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ يُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ وَأَنْ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصَّغَرِ كَالْتَّقَشِّ فِي الْحَجَرِ انْتَهَى .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَيُخَافُ عَلَى الْوَلَدِ الَّذِي يَدْخُلُ كُتَابَ النَّصَارَى أَنْ يَنْتَقِشَ فِي قَلْبِهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ أَوْ بَعْضُهُ وَلَا أَعْدِلُ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا نَسَأُلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ بِمَنِّهِ .

وَمِنْ أَفْحَحَ مَا فِيهِ وَأَهْجَنَهُ وَأَوْحَشَهُ أَنَّ الْوَلَدَ يَتَرَبَّى عَلَى تَعْظِيمِ النَّصَارَى وَالْقِيَامِ لَهُمْ الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ فِي حَقِّ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَعَدَمِ الْإِسْتِيحَاشِ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَسَمَاعِ اعْتِقَادِ أَذْيَانِهِمُ الْبَاطِلَةَ حَتَّى لَوْ خَرَجَ الصَّبِيُّ مِنْ مَكْتَبِهِمْ لَبَقِيَ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي التَّعْظِيمِ لَهُمْ وَعَدَمِ الْإِسْتِيحَاشِ مِنْهُمْ وَمِنْ أَذْيَانِهِمُ الْبَاطِلَةَ وَأَنَّهُ إِذَا رَأَى مُعَلِّمَهُ الَّذِي عَلَّمَهُ الْحِسَابَ أَوْ الطَّبَّ قَامَ إِلَيْهِ وَعَظَّمَهُ كَتَعْظِيمِ مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مَعَ بَعْضٍ أَوْ

^{٢٣٤} - الإتحاف ١٣١/٣ و ٣٥٤/٧ و ٨١/٨ و ٢٩٥ و ٤٩٤ و ترغيب ٢٥٧/٣ حذيفة و تخ ٤٧٢/٣ ثوبان والشعب

(١٠٤٥٨ و ١٠٥٠١) عن سفيان الثوري والحسن - حسن مرسل

أَكْثَرَ غَالِبًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ مَعَ كُلِّ مَنْ صَحِبَهُ فِي مَكْتَبِ مُعَلِّمِهِ النَّصْرَانِيِّ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِ دِينِهِ فَيَأْلَفُ هَذِهِ الْعَادَةَ الدِّمِيَّةَ الْمَسْخُوطَةَ شَرْعًا، وَلَا يَرْضَى بِهِذِهِ الْأَحْوَالِ مَنْ لَهُ عَقْلٌ أَوْ غَيْرَةُ إِسْلَامِيَّةٌ أَوْ تَفَاتٌ إِلَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٥١) سورة المائدة، وقوله تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} (٥٧) سورة المائدة، وقوله تَعَالَى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَسَوْفَ يُرْضَوْنَ عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٢٢) سورة المجادلة.

وقوله تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} (١) سورة المتحنة، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِّنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَفِيمَا ذَكَرَ تَنْبِيهُ عَلَى مَا عَدَاهُ^{٢٣٥}

وفيما قال رحمه الله عبرة لمن اعتبر، فشتان بين التربية في المسجد الذي هو بيت الله، الذي جاء فيه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَادُ الْمَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ" فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة: ١٨]^{٢٣٦}، وبين التربية خارجه ؛ ففي المسجد يتعلم كيف يعبد الله تعالى العبادة الحقة، وكيف يخشع، وكيف يعامل الآخرين، وتنغرس في نفسه جميع القيم والمثل العليا الإسلامية ..

^{٢٣٥} - المدخل لابن الحاج - (٢٠ / ٣)

^{٢٣٦} - شعب الإيمان - (٤ / ٣٧٦) (٢٦٨٠) حسن

وإذا علمنا أنه يجوز تعليم الأطفال - في المسجد - إذا لم يأخذ عليه أجراً كما قال الشيخ أنور الكشميري^{٢٣٧}، قلنا: إن المسجد الذي خرّج أطفال الصحابة، والسلف الصالح، قادرٌ على أن يخرج أمثالهم، إذا وجه الآباء والأمهات أطفالهم نحو المسجد، ترغيباً لا تنفيراً، وتحبيباً لا تقبيحاً، وتشجيعاً لا تخديلاً .

كذلك إذا وعى الكبار دورهم في المسجد، نحو الأطفال الذين يردون المسجد، فواجبهم النصح اللطيف، والموعظة الحسنة، والرفق واللين، وبسط الجناح، والتواضع، وإشعارهم بالعطف والحنان، وذلك ليعيد الطفل زيارته للمسجد والصلاة، وحضور الدرس فيه، وكم رأينا كباراً في السنّ منفرّين، فكانوا سبباً لانحراف كثير من الأطفال، بالصراخ عليهم، وطردهم من المساجد، وهذا من مصائب الأمة، تحتاج من إمام المسجد نصح هؤلاء وتنبيههم .

وحتى لا يتلقفهم أعداء الإسلام في مدارسهم - العلمانية- التي تنفث باسم الزعاف على هذا الدين .



^{٢٣٧} - فيض الباري على شرح صحيح البخاري (١/٢٣٠)

الأساس العبادي الثالث

الصوم

الصيام: "هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، بنية الصوم تقرباً إلى الله - عز وجل -" ٢٣٨
قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (١٨٣) سورة البقرة.

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّوْمِ تَهْدِيَةً لِّأَنفُسِهِمْ، وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ أَوْجَبَ الصَّوْمَ عَلَى الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُوجِبُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الصَّوْمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِيُعِدَّهُمْ لِقَوَى اللَّهِ، يَتْرَكَ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةَ الْمَيْسُورَةَ امْتِثَالاً لِّأَمْرِهِ، وَاحْتِسَاباً لِلْأَجْرِ عِنْدَهُ، فَتُرَبَّى بِذَلِكَ الْعَزِيمَةُ وَالْإِرَادَةُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ. ٢٣٩

"والصيام وسيلة لتقوى الله -عز وجل- بفعل الواجبات وترك المحرمات" ٢٤٠

وهو "عباده بين العبد وربه لا رقابة اجتماعية أو قانونية عليها" ٢٤١

"والصيام مدرسة تربية عالية الأحداث ووسيلة روحية فعّالة وناجحة لمصلحة الإنسان [وقد] أجمع المسلمون على وجوب صيام رمضان." ٢٤٢

وتبرز الغاية الكبيرة من الصوم بأنها "التقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة، طاعة لله، وإيثارا لرضاه. والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التي تهجس في البال، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه. فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم. وهذا الصوم أداة من أدواتها، وطريق

٢٣٨ - التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي، ص ٦٢٣، بيت الأفكار الدولية، ط٤،

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٢٣٩ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٩٠)

٢٤٠ - مختصر الفقه الإسلامي ص ٦٢٤

٢٤١ - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٥٦

٢٤٢ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٨٠

موصول إليها. ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفا وضيئا يتجهون إليه عن طريق الصيام .. «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» ٢٤٣ ..

فهو عبادة روحية جسدية، يتعلم منها الطفل الإخلاص الحقيقي لله تعالى، ومراقبته له في السر، وتربي إرادة الطفل عن الطعام رغم الجوع، والبعد عن الماء رغم العطش .
كما يقوى على كبح جماح رغباته، ويتعود فيه الطفل الصبر والجلد، وقد ربى الصحابة أطفالهم على عبادة الصوم، وقد عنون الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه - باب صَوْم الصَّبِيَّانِ (٤٧) - وَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِنَشْوَانٍ فِي رَمَضَانَ وَيَلِكُ، وَصَبِيَّائِنَا صِيَامٌ. فَضَرَبَهُ" قال الحافظ ابن حجر: "والجُمهُور عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى مَنْ دُونَ الْبُلُوغِ، وَاسْتَحَبَّ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمْ ابْنُ سِيرِينَ وَالزُّهْرِيُّ وَقَالَ بِهِ الشَّافِعِيُّ أَنَّهُمْ يُؤْمَرُونَ بِهِ لِلتَّمَرِينَ عَلَيْهِ إِذَا أَطَاقُوهُ، وَحَدَّثَهُ أَصْحَابُهُ بِالسَّبْعِ وَالْعَشْرِ كَالصَّلَاةِ، وَحَدَّثَهُ إِسْحَاقُ بِأَنَّ عَشْرَةَ سَنَةٍ، وَأَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ بَعَشَرَ سِنِينَ، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: إِذَا أَطَاقَ صَوْمَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَبَاعًا لَا يَضَعُ فِيهِمْ حُمْلَ عَلَى الصَّوْمِ، وَالْأَوَّلُ قَوْلُ الْجُمهُورِ، وَالْمَشْهُورُ عَنِ الْمَالِكِيَّةِ أَنَّهُ لَا يُشْرَعُ فِي حَقِّ الصَّبِيَّانِ.

ولقد تَلَطَّفَ الْمُصَنِّفُ فِي التَّعَقُّبِ عَلَيْهِمْ بِإِيرَادِ أَثَرِ عُمَرُ فِي صَدْرِ التَّرْجَمَةِ لِأَنَّهُ أَقْصَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ فِي مُعَارَضَةِ الْأَحَادِيثِ دَعَاى عَمَلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى خِلَافِهَا وَلَا عَمَلٍ يُسْتَنَدُ إِلَيْهِ أَقْوَى مِنَ الْعَمَلِ فِي عَهْدِ عُمَرُ مَعَ شِدَّةِ تَحَرِّيهِ وَوُفُورِ الصَّحَابَةِ فِي زَمَانِهِ، وَقَدْ قَالَ لِلَّذِي أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ مُؤْبِخًا لَهُ "كَيْفَ تُفْطِرُ وَصَبِيَّائِنَا صِيَامٌ"
وَأَعْرَبَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ فَقَالَ: إِذَا أَطَاقَ الصَّبِيَّانُ الصِّيَامَ الزَّمَوْهُ. فَإِنْ أَفْطَرُوا لِعَبْرِ عُذْرِ فَعَلَيْهِمُ الْقَضَاءُ. ٢٤٤

ومن اهتمام الصحابة بصيام أطفالهم أنهم يهيئون لهم اللعب أثناء الصوم ليتسلوا بها، فلا يشعرون بطول النهار، فعَنِ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ، قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَتِمَّ صَوْمُهُ،

٢٤٣ - - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ١٦٨)

٢٤٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة - (٤ / ٢٠٠)

وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيَصُمْ بِقِيَّةِ يَوْمِهِ ذَلِكَ، قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ وَنُصُومُ صِبْيَانَنَا الصَّغَارَ وَنَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ ٢٤٥.

وَعَنْ أُمِّهِ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَزِينَةَ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي صَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ يَصُومُهُ، وَيَأْمُرُ بِصِيَامِهِ، وَإِنْ كَانَ لِيدْعُو رُضْعَ فَاطِمَةَ فَيَتَّقِلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَيَقُولُ: لَا تُرْضِعُوهُمْ إِلَى اللَّيْلِ ٢٤٦.

وَعَنْ أُمِّهِ، قَالَتْ: قُلْتُ لِأُمِّهِ اللَّهُ بِنْتُ رَزِينَةَ سَمِعَتْ أُمَّكَ، تَذْكُرُ فِي صَوْمِ عَاشُورَاءَ شَيْئًا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، سَمِعْتُ أُمَّيَ رَزِينَةَ، تَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُعْظِمُهُ حَتَّى إِنْ كَانَ لِيدْعُو بِصَبْيَانِهِ، وَصَبْيَانِ فَاطِمَةَ الْمَرَضِيعِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَيَتَّقِلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَيَقُولُ: لَا تُرْضِعُوهُمْ إِلَى اللَّيْلِ فَكَانَ رِيقُهُ يُجْزئُهُمْ. ٢٤٧.

وَفِي الْحَدِيثِ حُجَّةٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ تَمْرِينِ الصَّبْيَانِ عَلَى الصِّيَامِ كَمَا تَقَدَّمَ لِأَنَّ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ السَّنِّ الَّذِي ذُكِرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَهُوَ غَيْرُ مُكَلَّفٍ، وَإِنَّمَا صَنَعَ لَهُمْ ذَلِكَ لِلتَّمْرِينِ. وَأَغْرَبَ الْقُرْطُبِيُّ فَقَالَ: لَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ، وَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ أَمَرَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَذِيبٌ صَغِيرٌ بِعِبَادَةٍ غَيْرِ مُتَكَرِّرَةٍ فِي السَّنَةِ، وَمَا قَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ رَزِينَةَ يَرُدُّ عَلَيْهِ. مَعَ أَنَّ الصَّحِيحَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ الْأُصُولِ أَنَّ الصَّحَابِيَّ إِذَا قَالَ فَعَلْنَا كَذَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ حُكْمُهُ الرَّفْعُ لِأَنَّ الظَّاهِرَ إِطْلَاعُهُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، وَتَقْرِيرُهُمْ عَلَيْهِ مَعَ تَوْفُرِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى سُؤْلِهِمْ إِيَّاهُ عَنِ الْأَحْكَامِ، مَعَ أَنَّ هَذَا مِمَّا لَا مَجَالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ فَمَا فَعَلُوهُ إِلَّا بِتَوْقِيفٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ٢٤٨.

٢٤٥ - صحيح البخاري- المكثر - (١٩٦٠) وصحيح مسلم- المكثر - (٢٧٢٥) وصحيح ابن حبان - (٨) /

(٣٨٥)(٣٦٢٠) -العهن: الصوف المصبوغ

٢٤٦ - الأحاد والثاني - (٥ / ٥٨١)(٣٤٣٧) حسن

٢٤٧ - المعجم الكبير للطبراني - (١٨ / ١٥)(٢٠١٦٦) حسن

٢٤٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة - (٤ / ٢٠١)

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يجمعون أطفالهم، ويدعون الله تعالى لحظة الإفطار، رجاء استجابة الدعاء، في تلك اللحظة المباركة، فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِوٍ إِذَا أَفْطَرَ دَعَا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَدَعَا.^{٢٤٩}

أثر الصيام في نفس الطفل :

- "ترشد فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة العملية التربية ببرامجها ومناهجها وأهدافها إلى تأكيد فريضة الصوم وتأصيلها وترسيخها في نفس الفرد المسلم منذ أن يصبح مكلفاً بها شرعياً وقادراً عليها صحياً، لأن لها أبلغ الآثار الإيجابية الفعالة في تقوية إيمانه وتوحيده في عقيدته وعبادته، وإيقاظ ضميره وصحة وجدانه، وإحساسه برقابة مولاه، وشعوره بحضوره المستمر معه أينما كان، وترقية خلقه، وتركيز روحه، وكسر حدة شهوته، والدربة على التحكم في انفعالاته وضبط غرائزه ونزواته، وتربية روح الاحتمال والصبر لديه، وتفجير معاني العطف والشفقة والرفق والخير في نفسه، وتحريك مشاركته الوجدانية الصادقة للآخرين وإعانة المحتاجين منهم والمعوذين، وتقوية ميله الاجتماعي فيعمل مع غيره على حفظ كيان جماعته بالتكافل والتراحم والتعاون، فضلاً عما للصوم من ميزة كبيرة في حفظه لصحة الصائم البدنية ووقايته من الأمراض والعلل المختلفة".^{٢٥٠}

- "يعتاد ألا يتكلم كذباً ولا زوراً ولا غشاً ولا يمارس غدرًا ولا خيانة ولا إيذاء أو عدواناً على الناس في أموالمهم أو أعراضهم"^{٢٥١}

فَعَنْ أَبِي صَالِحٍ الزِّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزَى بِهِ . وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرُفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ

^{٢٤٩} - مسند الطيالسي - (٤ / ٢٠) (٢٣٧٦) حسن

^{٢٥٠} - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٣٧-١٣٨

^{٢٥١} - - حلي، عبد الحميد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٥٨

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ
فَرَحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ ..^{٢٥٢}

- يتعلم النظام لأن المسلم في رمضان يأكل بنظام، وينام بنظام ويستيقظ بنظام، ولذا فإنك
تري أن النظام يتجلى في المجتمع الإسلامي بأروع صورته في رمضان^{٢٥٣}
وَاتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهُ يَصِحُّ الْإِعْتِكَافُ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَالصَّبِيِّ الْمُمِيزِ ..^{٢٥٤}



^{٢٥٢} - صحيح البخاري- المكثر - (١٩٠٤) وصحيح مسلم- المكثر - (٢٧٦٢) وصحيح ابن حبان - (٨ / ٢٥٩) (٣٤٨٢)

ولخلوف: خلف فم والصائم يخل خلوفاً: إذا تغيرت ريجه من ترك الأكل والشرب، والخلفة منه.
يرفت: الرفث: كلمة جامعة لكل ما يريد به الرجل من المرأة، وقيل: والتصريح بذكر الجماع، وهو الحرام في الحج على
المحرم، فأما الرفث في الكلام إذا لم يخاطب به امرأة، فلا يحرم عليه، ولكن يستحب له تركه.
يصحب: الصخب: الضجة والجلبة.

^{٢٥٣} - - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٥٨

^{٢٥٤} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٥ / ٢٠٩)

الأساس العبادي الرابع

الزكاة

الزكاة: "هي النماء والزيادة، وهي حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصة في وقت خاص" ٢٥٥

قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١٠٣) سورة التوبة

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِ الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الْبُخْلِ، وَالطَّمَعِ، وَالْقَسْوَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَتُزَكِّيَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ، وَتَرْفَعَهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ حَتَّى يَكُونُوا أَهْلًا لِلْسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَنْ يَدْعُو لَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ)، لَأَنَّ صَلَاةَ الرَّسُولِ رَحْمَةٌ بِهِمْ، وَرَاحَةٌ لَأَنْفُسِهِمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَاعْتِرَافِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَسَمِيعٌ لِدُعَاءِ الرَّسُولِ لَهُمْ، عَلِيمٌ بِإِخْلَاصِهِمْ فِي تَوْبَتِهِمْ، وَنَدَمِهِمْ مِنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ. ٢٥٦

"ليس الهدف من أخذ الزكاة جمع المال وإنفاقه على الفقراء والمحتاجين فحسب، بل الهدف أن يعلو بالإنسان عن المال، ليكون سيِّداً له، لا عبداً له، ومن هنا جاءت الزكاة ليزكوا المعطي والآخذ وتطهرهما." ٢٥٧

وقد ذكر الله الزكاة في القرآن مقرونة بعبادة عظيمة وهي الصلاة في أكثر من ثلاثين موضعاً. قال تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (١١) سورة التوبة

٢٥٥ - التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي ص ٥٩٣، وانظر إلى الصابوني، محمد علي، فقه العبادات، ص ٩، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

٢٥٦ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٣٩)

٢٥٧ - التويجري ص ٥٩٣-٥٩٤، انظر إلى إبراهيم الخطيب، زهدي محمد عيد، تربية الطفل في الإسلام، ص ٦٤-٦٥ .
سميح أبو مغلي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام، ص ٥٧

الآثار التربوية لفريضة الزكاة على الفرد والمجتمع :

الزكاة هي "منهاج تربوي وعلاج عملي أصيل لضعف النفس، وتطهيرها من داء الشح والأثرة وعبادة المال" ٢٥٨

"وترشد فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، العملية التربوية، من خلال برامجها ومناهجها وتوجيهاتها إلى الحرص على تكوين الفرد كعضو صالح في جماعة صالحة، تربطه بها مصالح ومنافع وغايات مشتركة، فيعمل على خيرها والرفع من مستواها والمشاركة بفائض ماله في إعانة الفقراء والمساكين والمحتاجين.

والمساهمة بثروته في تنمية ثروة الجماعة ومالها، واستثماره وترشيده فيها يعود بالخير على الجماعة كلها، ويجول دون تكديس الأموال وتخزينها، لأن في ذلك تعطيلاً لوظيفتها التي خصها الله تعالى بها، للرفع من مستوى الحياة البشرية وتطويرها وإشاعة السعادة بين الجميع، والتخفيف من آلام الفقراء والمعوذين وإزالة شقائهم وسد حاجاتهم،

ومن شأن الزكاة كتشريع رباني حكيم إذا رُسِّخت في نفس الناشئ منذ طفولته من خلال عملية التربية والتنشئة الاجتماعية، أن تؤدي إلى خلق مجتمع عادل رحيم تسوده المحبة بدل الحقد، والتعاطف بدل التقاطع والتعاون بدل الاستغلال والتكافل بدل الصراع والسعادة بدل الشقاء، وتقوى فيه روح الانتماء الاجتماعي بين أفرادها جميعاً، فيتعاونون على البر والتقوى والإحسان، فينقص البخل والشح والأنانية في نفوس الأثرياء، وتختفي الكراهية والحقد والحسد من نفوس الفقراء، ويعيش الجميع في وئام ومحبة وسلام". ٢٥٩

والزكاة لا يشترط لها العقل والبلوغ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رسول الله ﷺ - ومعه ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها «أعطيني زكاة هذا». قالت لا. قال «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة

٢٥٨ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٩١

٢٥٩ - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٣٤

سَوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ». قَالَ فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - وَقَالَتْ هُمَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ. ٢٦٠

وأما زكاة الفطر فإنها تدفع عن الجميع الكبير والصغير والذكر والأنثى، فعن ابنِ عُمَرَ - ﷺ - قَالَ فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ. ٢٦١

ونلاحظ أن هذه العبادة فرض، وليست نفلاً، ومن هنا نلاحظ حرص الإسلام على بقاء الأموال طاهرة مزكاة، قال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (١٠٣) سورة التوبة.



٢٦٠ - سنن أبي داود - المكثر - (١٥٦٥) حسن

مسكتان: المسكة بتحريك السين - واحدة المسك، وهي أسورة من ذبل أو عاج، فإذا كانت من غير ذلك، أضيفت إلى ما هي منه، فيقال: من ذهب أو فضة، أو غيرهما.

٢٦١ - صحيح البخارى - المكثر - (١٥٠٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٣٢٦)

الأساس العبادي الخامس

الحج

الحج: "هو التعبد لله - عز وجل - بأداء المناسك على ما جاء في سنة رسول الله - ﷺ - في مكان مخصوص وفي زمان مخصوص" ٢٦٢

قال تعالى: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ } ٩٦ { فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } ٩٧ { سورة آل عمران.

إن أول بيت بُني لعبادة الله في الأرض هو بيت الله الحرام الذي في "مكة"، وهذا البيت مبارك تضاعف فيه الحسنات، وتتنزل فيه الرحمات، وفي استقباله في الصلاة، وقصده لأداء الحج والعمرة، صلاح وهداية للناس أجمعين.

في هذا البيت دلالات ظاهرات أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمه وشرفه، منها: مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحجر الذي كان يقف عليه حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسماعيل، ومن دخل هذا البيت آمن على نفسه فلا يناله أحد بسوء. وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قصد هذا البيت لأداء مناسك الحج. ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجّه وعمله، وعن سائر خلقه. ٢٦٣

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت النبي - ﷺ - يقول « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » ٢٦٤.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، وَالْعُمْرَتَانِ أَوْ الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ يُكَفِّرُ مَا بَيْنَهُمَا. ٢٦٥

٢٦٢ - التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي ص ٦٧٨

٢٦٣ - التفسير الميسر - (١ / ٣٩٥)

٢٦٤ - صحيح البخاري - المكتز - (١٥٢١)

٢٦٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٥٣) (٧٣٥٤) - ٧٣٤٨ - صحيح

إذا أحرَمَ الصبي بالحج صح نفلًا، فإن كان مميزاً فعل كما يفعل البالغ من الرجال والنساء، وإن كان صغيراً عقَدَ عنه الإحرام وليه، ويطوف ويسعى به، ويرمي عنه الجمرات، والأفضل أن يؤدي ما قدر عليه من مناسك الحج أو العمرة، وإذا بلغ فيما بعد لزمه أن يحج حجة الإسلام.

إذا حج الصغير أو المملوك، ثم بلغ الصغير وعتق المملوك فعلى كل واحد منهما حجة أخرى.

يصح حج الصبي، ومن حج به فهو مأجور.^{٢٦٦} عن ابن عباس رضي الله عنه قال: رفعت امرأةً صبيًّا لها فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر».^{٢٦٧} أخرجه مسلم
وعن عبد الله بن عباس قال أقبلت راکبًا على حمارٍ أتانٍ، وأنا يومئذٍ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله - ﷺ - يصلي بمني إلى غير جدارٍ، فمررت بين يدي بعض الصف وأرسلت الأتان ترتع، فدخلت في الصف، فلم ينكر ذلك عليَّ.^{٢٦٨}

وإذا بلغ الأطفال الحلم، فعليهم حجة الإسلام، لأنه لا حج على الصبي، لكونه غير مخاطب، ومت فعله قبل البلوغ، يكون تطوعاً، فعن ابن عباس قال قال رسول الله - ﷺ - : «أَيُّمَا صَبِيٍّ حَجَّ، ثُمَّ بَلَغَ الْحَنْثَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَحُجَّ حَجَّةً أُخْرَى، وَأَيُّمَا أَعْرَابِيٍّ حَجَّ، ثُمَّ هَاجَرَ فَعَلَيْهِ حَجَّةً أُخْرَى، وَأَيُّمَا عَبْدٍ حَجَّ، ثُمَّ أُعْتِقَ فَعَلَيْهِ حَجَّةً أُخْرَى».^{٢٦٩}
وعن ابن عباس، قال احفظوا عني، ولا تقولوا: قال ابن عباس: أَيُّمَا عَبْدٍ حَجَّ بِهِ أَهْلُهُ، ثُمَّ أُعْتِقَ فَعَلَيْهِ الْحَجُّ، وَأَيُّمَا صَبِيٍّ حَجَّ بِهِ أَهْلُهُ صَبِيًّا، ثُمَّ أَدْرَكَ فَعَلَيْهِ حَجَّةُ الرَّجُلِ، وَأَيُّمَا أَعْرَابِيٍّ حَجَّ أَعْرَابِيًّا، ثُمَّ هَاجَرَ فَعَلَيْهِ حَجَّةُ الْمُهَاجِرِ.^{٢٧٠}

^{٢٦٦} - التوحيدي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي ص ٦٥١. وانظر إلى سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٩٧ والموسوعة الفقهية الكويتية - (١٧ / ٢٧) والموسوعة الفقهية الكويتية - (٨ / ٢٠١)

^{٢٦٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٣٣١٧)

^{٢٦٨} - صحيح البخاري - المكثر - (٧٦) - الأتان: أنثى الحمار - ناهزت: قاربت البلوغ

^{٢٦٩} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٤ / ٣٢٥) (٨٨٧٥) حسن

^{٢٧٠} - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٥٦٨) (١٥١٠٥) صحيح

وَعَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ :
إِذَا حَجَّ الصَّبِيُّ فَهِيَ لَهُ حَجَّةٌ حَتَّى يَعْقَلَ، فَإِذَا عَقَلَ فَعَلَيْهِ حَجَّةٌ أُخْرَى، وَإِذَا حَجَّ الْأَعْرَابِيُّ
فَهِيَ لَهُ حَجَّةٌ، فَإِذَا هَاجَرَ فَعَلَيْهِ حَجَّةٌ أُخْرَى" ٢٧١

وإن النبي ﷺ لينبه الأطفال ويعلمهم ويرشدهم أثناء الحج إلى أهمية يوم عرفة، وهم
يقومون بأداء مناسك الحج، كل ذلك بخطاب عاطفي مؤثر، فعن ابن عباس، قال: كَانَ
فُلَانٌ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ، قَالَ: فَجَعَلَ الْفَتَى يُلَاحِظُ النِّسَاءَ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ،
قَالَ: وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَهُ بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِهِ مَرَارًا، قَالَ: وَجَعَلَ الْفَتَى يُلَاحِظُ
إِلَيْهِنَّ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ابْنَ أَخِي، إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ مَلَكٍ فِيهِ سَمْعُهُ، وَبَصَرُهُ،
وَلِسَانُهُ، غُفِرَ لَهُ. ٢٧٢

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّكَ كَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ،
وَكَانَ الْفَتَى يُلَاحِظُ النِّسَاءَ. قَالَ: فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ بَصَرَهُ وَيَقُولُ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ هَذَا
يَوْمٌ مِنْ مَلَكٍ سَمْعُهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ، وَبَصَرُهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ، وَلِسَانُهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ" ٢٧٣

وقال الكاساني: "وَلَوْ أَحْرَمَ الصَّبِيُّ ثُمَّ بَلَغَ قَبْلَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، فَإِنْ مَضَى عَلَى إِحْرَامِهِ،
يَكُونُ حَجُّهُ تَطَوُّعًا عِنْدَنَا، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: يَكُونُ عَنْ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ إِذَا وَقَفَ بِعَرَفَةَ، وَهُوَ
بَالِغٌ، وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ مَنْ عَلَيْهِ حَجَّةُ الْإِسْلَامِ إِذَا نَوَى التَّغْلَّيَ عَنْ التَّغْلَّيَ عِنْدَنَا، وَعِنْدَهُ
يَقَعُ عَنِ الْفَرَضِ" وَلَوْ جَدَّدَ الْإِحْرَامَ بَانَ لَبَّى أَوْ نَوَى حَجَّةَ الْإِسْلَامِ، وَوَقَفَ بِعَرَفَةَ وَطَافَ
طَوَافَ الزِّيَارَةِ يَكُونُ عَنْ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ بِلَا خِلَافٍ" ٢٧٤

وقال البيهقي في الاعتقاد :

٢٧١ - أخرجه ابن خزيمة (٣٠٥٠) صحيح

٢٧٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٨٣١) (٣٠٤١) ٣٠٤٢ - حسن

٢٧٣ - أخبار مكة للفاكهي (٢٦٩٥) حسن

٢٧٤ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - (٤ / ٣٥٢) وانظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - (١ / ٤٠٥)

"عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا: (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) يَعْنِي: بِإِيمَانٍ فَأَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَنْبَاءَ بِصَلَاحِ الْأَبَاءِ الْجَنَّةَ "

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَبَرُ عَائِشَةَ رضي الله عنها فِي وَلَدِ الْأَنْصَارِيِّ قَبْلَ نُزُولِ الْآيَةِ، فَجَرَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْأَصْلِ الْمَعْلُومِ فِي جَرَيَانِ الْقَلَمِ بِسَعَادَةِ كُلِّ نَسَمَةٍ أَوْ شَقَاوَتِهَا فَمَنَعَ مِنَ الْقَطْعِ بِكَوْنِهِ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى أُمَّتَهُ بِالْحَقِّ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا عَمَلَهُ، فَجَاءَتْ أَخْبَارٌ بِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ فَعَلِمْنَا بِهَا جَرَيَانَ الْقَلَمِ بِسَعَادَتِهِمْ، فَمِنْهَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه "صَغَارُهُمْ دَعَامِصُ الْجَنَّةِ" أَوْ قَالَ: "دَعَامِصُ أَهْلِ الْجَنَّةِ"، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَيْضًا، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم "أَوْلَادُ الْمُسْلِمِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعُوا إِلَى آبَائِهِمْ" وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي هَلَكَ ابْنُ لَهُ قَالَ: فَعَزَّاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "يَا فُلَانُ أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ: أَنْ تُمَتَّعَ بِهِ عُمَرُكَ، أَوْ لَا تَأْتِيَ غَدًا أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ؟" فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَا بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ فَذَاكَ لَهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فَذَاكَ أَهَذَا لِهَذَا خَاصَّةً أَوْ مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَاكَ لَهُ؟ قَالَ: مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ "كَانَ ذَلِكَ لَهُ، وَأَسَانِيدُ هَذَا الْحَدِيثِ مَعَ غَيْرِهَا ذَكَرْنَاهَا فِي بَابِ الصَّبْرِ مِنْ كِتَابِ الْجَامِعِ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِيمَنْ وَافَى أَبَوَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُؤْمِنِينَ أَوْ أَحَدُهُمَا فَيَلْحَقُ بِالْمُؤْمِنِ ذُرِّيَّتُهُ كَمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ، وَيُسْتَفْتَحُ لَهُ كَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَيُحْكَمُ لَهَا بِأَنَّهَا كَانَتْ مِمَّنْ جَرَى لَهُ الْقَلَمُ بِالسَّعَادَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْمَنَاسِكِ مَا دَلَّ عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ نِعْمَتِهِ أَثَابَ النَّاسَ عَلَى الْأَعْمَالِ أَضْعَافَهَا، وَمَنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ أَلْحَقَ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَوَفَّرَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فَقَالَ: (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) فَلَمَّا مَنْ عَلَى الذَّرَارِيِّ بِإِدْخَالِهِمْ جَنَّتَهُ بِلَا عَمَلٍ كَانَ أَنْ مَنْ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَكْتُوبَ لَهُمْ عَمَلُ الْبِرِّ فِي الْحَجِّ وَإِنْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى قَالَ: وَقَدْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ فِي أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ. قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ فِي

جُمْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤْفُونَ الْقِيَامَةَ مُؤْمِنِينَ وَإِلْحَاقِ ذُرِّيَّتِهِمْ بِهِمْ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ إِلَّا أَنَّ الْقَطْعَ بِهِ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَعِيْنَهُ غَيْرُ مُمَكِّنٍ لِمَا يُخْشَى مِنْ تَغْيِيرِ حَالِهِ فِي الْعَاقِبَةِ، وَرُجُوعِهِ إِلَى مَا كُتِبَ لَهُ مِنَ الشَّقَاوَةِ فَكَذَلِكَ قَطْعُ الْقَوْلِ بِهِ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْمُؤَلُّودِينَ غَيْرُ مُمَكِّنٍ لِعَدَمِ عِلْمِنَا بِمَا يَتَوَلَّى إِلَيْهِ حَالُ مَتَّبِعِهِ وَبِمَا جَرَى لَهُ بِهِ الْقَلَمُ فِي الْأَزَلِ مِنَ السَّعَادَةِ أَوْ الشَّقَاوَةِ، وَكَانَ انْكَارُ النَّبِيِّ ﷺ الْقَطْعَ بِهِ فِي حَدِيثٍ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَنْ أَبِيهَا لِهَذَا الْمَعْنَى، فَتَقُولُ بِمَا وَرَدَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي جُمْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَلَا تَقْطَعُ الْقَوْلَ بِهِ فِي أَحَادِهِمْ لِمَا ذَكَرْنَا، وَفِي هَذَا جَمْعٌ بَيْنَ جَمِيعِ مَا وَرَدَ فِي هَذَا الْبَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمَنْ قَالَ بِالطَّرِيقَةِ الْأُولَى فِي التَّوَقُّفِ فِي أَمْرِهِمْ جَعَلَ امْتِحَانَهُمْ وَامْتِحَانِ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْآخِرَةِ ٢٧٥

ماورد في حج أطفال الصحابة :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: مَنْ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَتْ امْرَأَةٌ صَبِيًّا، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ أَجْرٌ. ٢٧٦

وَعَنْ كُرَيْبِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - مَرَّ بِامْرَأَةٍ وَهِيَ فِي مِحْفَتِهَا فَتِيلَ لَهَا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَأَخَذَتْ بِضَبْعِي صَبِيٍّ كَانَ مَعَهَا فَقَالَتْ أَلِهَذَا حَجٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ ». ٢٧٧

وَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: حَجَّ بِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ. ٢٧٨

٢٧٥ - الْإِعْتِقَادُ لِلْبَيْهَقِيِّ < بَابُ الْقَوْلِ فِي الْأَطْفَالِ أَنَّهُمْ يُؤَلَّدُونَ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ > (١١٩) وَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ لِلْبَيْهَقِيِّ (٥٧٧)

٢٧٦ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٥٦٩) (١٥١٠٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٣١٧)

٢٧٧ - موطأ مالك - المكثر - (٩٤٩) صحيح مرسل

الخفة: الهودج الذي لا قبة له - الضبع: وسط العضد وقيل هو ما تحت الإبط

٢٧٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٣٩٩) (١٥٧١٨) ١٥٨٠٩ - وصحيح البخاري - المكثر - (١٨٥٨)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ ».^{٢٧٩}

وَعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ هَذِهِ النَّاحِيَةَ الْحَجَّ، قَالَ: فَمَشَى مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، وَوَجَّهَكَ فِي الْخَيْرِ، وَكَفَّاكَ الْهَمَّ، فَلَمَّا رَجَعَ الْغُلَامُ سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ، قَبْلَ حَجِّكَ، وَكَفَّرَ ذَنْبَكَ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ.^{٢٨٠}

محاسن وأسرار الحج :

(١) الحج مظهر عملي للأخوة الإسلامية، ووحدة الأمة الإسلامية حيث تذوب في الحج فوارق الأجناس والألوان واللغات والأوطان والطبقات، وتبرز حقيقة العبودية والأخوة، فالجميع بلباس واحد يتجهون لقلبة واحدة ويعبدون إلهاً واحداً .

(٢) والحج مدرسة يتعود فيها المسلم على الصبر ويتذكر فيها اليوم الآخر وأهواله ويستشعر فيه لذة العبودية، ويعرف عظمة ربه، وافتقار الخلائق كلها إليه.

(٣) والحج موسم كبير لكسب الأجر، تضاعف فيه الحسنات وتكفر فيه السيئات، ...، فيرجع من الحج نقياً من الذنوب كيوم ولدته أمه.

(٤) تذكير بأحوال الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- ودعوتهم وجهادهم، وأخلاقهم وتوظيف النفس على فراق الأهل والولد .

(٥) الحج ميزان يعرف به المسلمون أحوال بعضهم وما هم عليه من علم أو جهل أو غنى أو فقر أو استقامة أو انحراف.^{٢٨١}

"ومما تقدم يتضح لنا أن فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة تركز على العبادات كمصدر حيوي وهام للعملية التربوية المستمرة والمتصلة بالنسبة للفرد والجماعة

^{٢٧٩} - سنن النسائي - المكثر - (٢٦٣٨) صحيح

قلت: وهذا إذا كان الجهاد فرض كفاية .

^{٢٨٠} - المعجم الكبير للطبراني - (١٠ / ٤٣٢) (١٢٩٧٣) وعمل اليوم والليلة لابن السني - (٥٠٥) فيه ضعف

^{٢٨١} - التويجري، ص ٦٤٧-٦٤٨

معاً، فالصلوات الخمس تربية يومية، و صلاة الجمعة تربية أسبوعية، وصلاة العيدين وصوم رمضان وإيتاء الزكاة والحج، تربية سنوية فكأنَّ التربية الإسلامية هي بحق تربية حياة متواصلة من مهد الإنسان إلى لحدّه، تحمل في طياتها أسباب السعادة في الدارين لمن اتقى ربه وتمسك بالفرائض وحرص على أدائها في أوقاتها المعلومة ووفق شروطها وأحكامها الشرعية المسنونة ويزيد الله تعالى الذين آمنوا هدىً وأجرًا وخيراً ولا خوف عليهم في الدنيا والآخرة ولا هم يحزنون.^{٢٨٢}



^{٢٨٢} - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٤٠

الفصل الثالث

البناء الاجتماعي

تمهيد :

- الأساس الأول - اصطحاب الطفل لمجلس الكبار :
- الأساس الثاني - إرسال الطفل لقضاء الحاجات :
- الأساس الثالث - تعويد الطفل سنّة السلام :
- الأساس الرابع - عياة الطفل إذا مرض :
- الأساس الخامس - اتخاذ الطفل أصدقاء من الأطفال :
- الأساس السادس - تعويد الطفل البيع والشراء :
- الأساس السابع - حضور الأطفال للحفلات المشروعة :
- الأساس الثامن - مبيت الطفل عند أقربائه الصالحين :
- خاتمة - نموذج عملي من اجتماعية الرسول ﷺ مع الأطفال :

تمهيد :

ونقصد ببناء الطفل اجتماعيًا: أن يكون متكفياً مع وسطه الاجتماعي، سواء مع الكبار، أو مع الأصدقاء، ومن هم في سنّه، وليكون فعّالاً إيجابياً، بعيداً كل البعد عن الانطواء، والخجل المقيت، يأخذ ويعطي بأدب واحترام، ويبيع ويشترى، ويخالط ويعاشر الناس، ومن خلال التأمل في الأحاديث النبوية نجد هناك أموراً خصها الرسول ﷺ في تكوين الطفل اجتماعيًا، وهي :

الأساس الأول - اصطحاب الطفل لمجالس الكبار :

كان الأطفال يحضرون مجالس النبي ﷺ ، وكان آباؤهم يأخذونهم إلى تلك المجالس الطيبة الطاهرة، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال كنا عند رسول الله - ﷺ - فقال « أخبروني بشجرة تُشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا، تُؤتي أكلها كل حين ». قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلّم، فلمّا لم يقولوا شيئاً قال رسول الله - ﷺ - « هي النخلة ». فلمّا قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال ما منعك أن تكلم قال لم أركم تكلمون، فكرهت أن أتكلّم أو أقول شيئاً. قال عمر لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا^{٢٨٣} .

وعن مجاهد قال صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعهُ يحدث عن رسول الله - ﷺ - إلا حديثاً واحداً، قال كنا عند النبي - ﷺ - فأتى بجُمَارٍ فقال « إن من الشجر شجرة مثلهما كمثّل المسلم ». فأردت أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم فسكت، قال النبي - ﷺ - « هي النخلة »^{٢٨٤} .

^{٢٨٣} - صحيح البخارى - المكثر - (٤٦٩٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٢٨٠)

^{٢٨٤} صحيح البخارى - المكثر - (٧٢)

وكان ﷺ يخالط ويعاشر الأطفال، فعن أبي التَّيَّاح، قال: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ؟ وَنُضِجَ بِسَاطٍ لَنَا، فَصَلَّى عَلَيْهِ. ٢٨٥

وعن أبي التَّيَّاح، قال: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ طَيْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ قَالَ: وَنُضِجَ بِسَاطٍ لَنَا قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَصَفَّنَا خَلْفَهُ. ٢٨٦

وفي أخذ الطفل إلى مجالس الكبار تظهر نواقصه واحتياجاته التربوية، فيستطيع المربي عند ذلك توجيهه نحو الكمال، ويشجعه على الجواب، عندما يطرح سؤال، فيتكلم بعد استئذان، بكل أدب ووقار، فينمو عقله، وتهذب نفسه، وينطلق لسانه، ويتعرف إلى أحاديث الكبار شيئاً فشيئاً، فيتهيأ لدخول المجتمع، وهكذا يتدرج رويداً رويداً، بتدريب والده له، وما قلناه عن الصبي مع والده، يقال عن البنت مع أمها.

فعن ابن عباس، قال: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحٍ بَدَرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً، فَقَالَ لِي: أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: "هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ"، قَالَ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ "وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلُكَ"، فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً، فَقَالَ عُمَرُ: "مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ" ٢٨٧

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، قال: كَانَ عُمَرُ يَسْأَلُنِي مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: تَسْأَلُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مَنْ حَيْثُ تَعْلَمُ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ "إِذَا جَاءَ

٢٨٥ - صحيح ابن حبان - (٦ / ٨٣) (٢٣٠٨) صحيح

٢٨٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٣٠٨) (١٢١٩٩) ١٢٢٢٣ - صحيح

٢٨٧ - صحيح البخاري - المكثر - (٤٢٩٤)

نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" [النصر آية ١]، قُلْتُ: إِنَّمَا هُوَ أَجَلُ النَّبِيِّ ﷺ، :، وَقَرَأَ السُّورَةَ إِلَى آخِرِهَا إِلَى "كَانَ تَوَّابًا" [النصر آية ٣]، فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقْتَ .

وفي رواية عن ابن عباس، قال: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي، وَمَا رَأَيْتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا" [النصر آية ١، ٢]، حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ وَنَسْتَعْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا نَحْمَدَ اللَّهَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَدْرِي، وَلَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، كَذَلِكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَّمَهُ اللَّهُ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَتُحْ مَكَّةُ، فَذَلِكَ عِلَامَةُ أَجَلِكَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ.

وفي رواية عن قتادة، وعاصم، أهما سمعا عكرمة، يقول: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: دَعَا عُمَرُ بَنَ الْخَطَّابِ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدَرِ، فَاجْمَعُوا أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ وَإِنِّي لِأُظُنُّ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَأَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ؟ قُلْتُ: سَابِعَةٌ تَمْضِي، أَوْ سَابِعَةٌ تَبْقَى مِنَ الْعَشْرِ الْوَاخِرِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَمِنْ أَيَّنَ عِلِمْتَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قُلْتُ: خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعَ أَرْضِينَ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنَّ الشَّهْرَ يَدُورُ فِي سَبْعٍ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ سَبْعٍ، وَيَأْكُلُ مِنْ سَبْعٍ، وَيَسْجُدُ عَلَى سَبْعٍ، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ سَبْعٌ، وَرَمِي الْجِمَارُ سَبْعًا، لِأَشْيَاءَ ذَكَرَهَا، فَقَالَ عُمَرُ: لَقَدْ فَطِنْتَ لِأَمْرِ مَا فَطِنَّا لَهُ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَزِيدُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: وَيَأْكُلُ مِنْ سَبْعٍ، قَالَ: هُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "فَاتَّبَعْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا" [عبس آية ٢٨، ٢٧].

وفي رواية عن ابن عباس، قال: قَالَ لِي الْعَبَّاسُ: أَيُّ بَنِي، إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكَ وَيُقَرِّبُكَ وَيَسْتَشِيرُكَ مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثَ خِصَالٍ: اتَّقِ لَا

يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبَهُ، وَلَا تُفْشِينَ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَعْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، قَالَ عَامِرٌ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ.^{٢٨٨}

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَالَ الْمُهَاجِرُونَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: ادْعُ أَبْنَاءَنَا كَمَا تَدْعُو ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: ذَاكُمْ فَتَى الْكُھُولِ، إِنَّ لَهُ لِسَانًا سَوُوءًا وَقَلْبًا عَقُولًا^{٢٨٩}

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ - وهو من صغار الصحابة - يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا أَكُلُ مُتَكِنًا »^{٢٩٠}.

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ: لَا أَكُلُ مُتَكِنًا^{٢٩١} لا آكل متكنا: قال الخطابي: يحسب أكثر العامة أن المتكئ هو المائل على أحد شقيه، لا يعرفون غيره، وكان بعضهم يتأول هذا الكلام على مذهب الطب، ودفع الضرر عن البدن: أنه إذا كان الأكل مائلا على أحد شقيه لا يكاد يسلم من ألم يناله في مجاري طعامه، فلا يسيغه ولا يسهل نزوله إلى معدته، قال الخطابي: وليس معنى [الحديث] ما ذهبوا إليه، إنما المتكئ ها هنا: هو المعتمد على الوطاء الذي تحته، فكل من استوى قاعدا على وطاء فهو متكئ، والاتكاء مأخوذ من الوكاء، وهو افتعال منه، فالتكئ هو الذي أوكأ مقعدته، وشدها بالقعود على الوطاء الذي تحته، أراد: أنه إذا أكل لم يقعد على الأوطئة والوسائد، فعل من يريد أن يستكثر من الأطعمة، ويتوسع في الألوان، ولكني أكل علقه، وأخذ من الطعام بلغة، فيكون قعودي مستوفزا، لا مستوطنا، فقد روي أنه ﷺ - «كان يأكل مقعيا»، ويقول: أنا عبد أكل كما يأكل العبد»^{٢٩٢}.

وهو ﷺ يصحبهم في الطريق ويركبهم معه، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَوْمًا فَقَالَ « يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ

^{٢٨٨} - المعجم الكبير للطبراني - (٩ / ١٢٨) (١٠٤٦٩ - ١٠٤٧٢) صحيح والآخر حسن

^{٢٨٩} - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٣ / ١٧٠٠) (٤٢٦١) صحيح مرسل

^{٢٩٠} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٣٩٨)

^{٢٩١} - مسند أبي يعلى الموصلي (٨٨٥) صحيح

^{٢٩٢} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٧ / ٣٩٤)

تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَخَفَتِ الصُّحُفُ».^{٢٩٣}

ويحدث النبي ﷺ عن حضوره مجالس الكبار، واجتماعاتهم، وهو غلام، فعن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ: شَهِدْتُ وَأَنَا غُلَامٌ حَلَفًا مَعَ عُمُومَتِي الْمُطَيِّبِينَ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنْتِي أَكُتُّهُ^{٢٩٤}

وإن رسول الله ﷺ لينبه الرجال إلى أدب المجلس، عندما يحضره الأطفال، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ - : "لَا يَجْلِسُ الرَّجُلُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَابْنِهِ فِي الْمَجْلِسِ". رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ^{٢٩٥}

ومن صور اختلاط الطفل بالكبار، ودخوله معهم مجالسهم، ويستوي في ذلك الصبي وال بنت، أن عمر رضي الله عنه ينبه إلى فائدته في الكبر، فيعرف الناس أن فلاناً لديه بنت للزواج، وهو يعرفها في صغرها، فيرغب في تزويجها لولده، فيتقدم للخطبة، أو أن الصبي وقعت في نفسه تلك الفتاة، فيجهز نفسه في الكبر لزواجه منها، فعن ابن جريج قال: أُخْبِرْتُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: "أَبْرَزُوا الْجَارِيَةَ الَّتِي لَمْ تَبْلُغْ لَعَلَّ بَنِي عَمِّهَا أَنْ يَرْغَبُوا فِيهَا"^{٢٩٦}

ومن صور اجتماعية الأطفال مع الكبار أن يجلس الكبار معهم، فيحدثونهم، وينصحوهم ويوجهونهم، وينقلون إليهم توجيهات ولي أمر المسلمين، فعن ابن سيرين، قال: جَلَسَ إِلَيْنَا رَجُلٌ، وَنَحْنُ غِلْمَانٌ، فَقَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ زَمَنَ كَذَا وَكَذَا: "أَنْ أَتَزِرُوا،

^{٢٩٣} - سنن الترمذي - المكثر - (٢٧٠٦) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

^{٢٩٤} - مسند أبي يعلى الموصلي (٨٤٤) حسن

الحلف: في الأصل المعاهدة والمعاهدة على التعاضد والتساعُد والاتفاق، فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد التَّهْيِي عنه في الإسلام-النعم: الإبل والشاء، وقيل الإبل خاصة - النكت: نقض العهد

^{٢٩٥} - المعجم الأوسط للطبراني - (٤٥٨٢) حسن لغيره

^{٢٩٦} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٠٠٣٤) فيه انقطاع

وَارْتَدُّوْا، وَانْتَعِلُوا، وَقَابِلُوا النَّعَالَ، وَعَلَيْكُمْ بَعْشٍ مَعَدٌّ، وَذَرُّوْا التَّنَعُّمَ، وَزِيَّ الْأَعَاجِمِ،
وَقَابِلُوا النَّعَالَ "يَعْنِي زِمَامَيْنِ" ٢٩٧

وهكذا جلس السلف الصالح مع الأطفال، ينقلون إليهم التوجيهات العمرية المفيدة،
ليكونوا شخصية فذة، في مستقبل حياتهم .

الأساس الثاني - إرسال الطفل لقضاء الحاجات :

وهذا عامل هام في نشوء الطفل اجتماعيا، إذ أن قضاء الحاجات المتزلية، أو لأحد
الوالدين، ذو أثر فعال وإيجابي في حياة الطفل، فعال في حياة الطفل إذ هو يتعرف على
مجاهيل الحياة، فيشعر بفرح ونشوة المعرفة، وثقة في مواجهة الأمور، وفعال في مستقبله، إذ
يكون قد اكتسب مهارة، وخبرة في طفولته التي تمكنه من متابعة حياته، بخطى ثابتة مركزة
بدون خلل أو اضطراب .

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ فَرَغْتُ مِنْ خِدْمَتِهِ،
قُلْتُ: يَقِيلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ إِلَى صَبْيَانٍ يَلْعَبُونَ قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ،
قَالَ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَى الصَّبْيَانِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ لَهُ، فَذَهَبْتُ فِيهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي فَيْءٍ حَتَّى أَتَيْتُهُ،
وَاحْتَبَسْتُ عَلَى أُمِّي عَنِ الْإِبَانِ الَّذِي كُنْتُ أَتِيهَا فِيهِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهَا، قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟
قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ لَهُ، قَالَتْ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: هُوَ سِرٌّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ:
فَاحْفَظْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ.

قَالَ ثَابِتٌ: قَالَ لِي أَنَسٌ: لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، أَوْ كُنْتُ مُحَدِّثًا بِهِ لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا
ثَابِتُ. ٢٩٨

ومن الخدمة التي يتدرب الطفل على فعلها وضع مائدة الطعام، وذلك ليشترك الأسرة في
العمل، ويساهم في الإعداد، ويتعرف إلى أماكن الأشياء ومسمياتها، فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ
لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ فِي السَّحَرِ: يَا أَنَسُ، إِنِّي أُرِيدُ الصِّيَامَ، فَأَطْعِمْنِي شَيْئًا. قَالَ:

٢٩٧ - جامعُ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ (٥٩٨) فيه جهالة

٢٩٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٠٤) (١٣٠٢٢) ١٣٠٥٣ - صحيح

فَجِئْتُهُ بِتَمْرٍ وَإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ بَعْدَ مَا أَذِنَ بِلَالٌ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ، انْظُرْ إِنْسَانًا يَأْكُلُ مَعِيَ. قَالَ: فَدَعَوْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي شَرِبْتُ شَرْبَةً سَوِيقًا وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ فَتَسَحَّرْ مَعَهُ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ. ٢٩٩

قلت: المقصود أنه ﷺ أكل بعد الأذان الأول، وقبل الأذان الثاني الذي هو أذان الفجر، بدليل حديث أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - رضى الله عنه - قَالَ تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ. قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالسُّحُورِ قَالَ قَدَرُ خَمْسِينَ آيَةً ٣٠٠.

فعلى هذا فالمراد بقوله: "كم كان بين الأذان والسحور" أي أذان ابن أم مكتوم، لأن بلالا كان يؤذن قبل الفجر. والآخر يؤذن إذا طلع.

واستدل (البخاري) به على أن أول وقت الصبح طلوع الفجر لأنه الوقت الذي يحرم فيه الطعام والشراب، والمدة التي بين الفراغ من السحور والدخول في الصلاة - وهي قراءة الخمسين آية أو نحوها - قدر ثلث خمس ساعة، ولعلها مقدار ما يتوضأ. فأشعر ذلك بأن أول وقت الصبح أول ما يطلع الفجر " ٣٠١

وقد يقول قائل: فما المائدة التي أعدها أنس؟ إنها تمر وماء! أقول: ليست العبرة بكثرة الطعام، وإنما العبرة في المبدأ نفسه؛ أن يقوم الصبي في هذا الوقت من الليل - وقت السحور - الذي ينام فيه الصبيان، بل ينام فيه شداد الرجال، ثم يُعد ما تيسر مما رزق الله سبحانه ليطعم بعد ذلك رسول الله ﷺ. نعم إنها التربية الحسنة، والرعاية الواعية للأبناء والشباب. ٣٠٢

تلك التربية العملية التي تجعل الطفل لا ينسى، ويجدّث بها في كبره، وتزاد إلى رصيده خبرته، وتكون شخصيته الاجتماعية بالتفاعل مع الحياة والناس، ولا ينتابه الخجل المقيت،

٢٩٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٠٨) (١٣٠٣٣) ١٣٠٦٤ - صحيح

٣٠٠ - صحيح البخاري - المكثر - (١٩٢١)

٣٠١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر - (٢ / ٥٤)

٣٠٢ - أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم - (١ / ٣)

والتفوق على نفسه، بل ترفده خبرته مع والديه، مما يجعله واثقاً من نفسه، لا تهره المواقف الاجتماعية مهما اختلفت حدتها وقسوتها.

الأساس الثالث - تعويد الطفل سنّة السلام :

السلام هو التحية الإسلامية بين المسلمين، والطفل يتعرض للقاء الناس على اختلاف مستوياتهم، فهو يحتاج ليتعرف على مفتاح الكلام معهم .

ونلاحظ أسلوباً لطيفاً من الرسول ﷺ وصحابته في غرس سنّة السلام في نفس الطفل، وهو بدء الكبير بالسلام على الأطفال، حتى إذا عرفوا ذلك، فإنك تراهم ييؤون بالسلام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال كان النبي ﷺ يفعلُهُ ٣٠٣ .

وعن أنس، قال: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ فَرَعْتُ مِنْ خِدْمَتِهِ، قُلْتُ: يَقِيلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ إِلَى صَبِيَّانِ يَلْعَبُونَ قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ، قَالَ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَى الصَّبِيَّانِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ لَهُ، فَذَهَبْتُ فِيهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي فَيْءٍ حَتَّى أَتَيْتُهُ، وَاحْتَبَسْتُ عَلَى أُمِّي عَنِ الْإِبَانِ الَّذِي كُنْتُ أَتِيهَا فِيهِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهَا، قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ لَهُ، قَالَتْ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: هُوَ سِرٌّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: فَاحْفَظْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ. ٣٠٤

وعن أنس، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُ الْأَنْصَارَ، فَيَسَلِّمُ عَلَى صَبِيَّانِهِمْ، وَيَمْسَحُ بِرُؤُوسِهِمْ، وَيَدْعُو لَهُمْ. ٣٠٥

وَقَالَ أَنَسُ انْتَهَى إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا غُلَامٌ فِي الْغِلْمَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ - أَوْ قَالَ إِلَى جِدَارٍ - حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ. ٣٠٦
وعن أنس، قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ صَبِيَّانُ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. ٣٠٧

٣٠٣ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٢٤٧)

٣٠٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٠٤) (١٣٠٢٢) - ١٣٠٥٣ - صحيح

٣٠٥ - أخرجه "النسائي"، في "الكبرى" (٨٢٩١) صحيح

٣٠٦ - سنن أبي داود - المكثر - (٥٢٠٥) صحيح

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ صَبِيَّانُ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، وَأَرْسَلَنِي فِي حَاجَةٍ، وَجَلَسَ فِي الطَّرِيقِ يَنْتَظِرُنِي، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْتُ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: فَاحْفَظْ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ٣٠٨

قال ابن بطال: فِي السَّلَامِ عَلَى الصَّبِيَّانِ تَدْرِيبُهُمْ عَلَى آدَابِ الشَّرِيعَةِ. وَفِيهِ طَرَحَ الْأَكَابِرُ رِدَاءَ الْكِبَرِ وَسُلُوكَ التَّوَاضُعِ وَلَيْنِ الْجَانِبِ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْمُتَوَلِّي فِي "التَّيَمَّةِ" مَنْ سَلَّمَ عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ الرَّدُّ لِأَنَّ الصَّبِيَّ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفَرَضِ، وَيَنْبَغِي لَوْلَاهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالرَّدِّ لِيَتِمَّرَنَّ عَلَى ذَلِكَ، وَلَوْ سَلَّمَ عَلَى جَمْعٍ فِيهِمْ صَبِيٌّ فَرَدَّ الصَّبِيُّ دُونَهُمْ لَمْ يَسْقُطْ عَنْهُمْ الْفَرَضُ. وَكَذَا قَالَ شَيْخُهُ الْقَاضِي حُسَيْنٌ، وَرَدَّهُ الْمُسْتَظْهِرِيُّ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الْأَصَحُّ لَا يُجْزَى، وَلَوْ ابْتَدَأَ الصَّبِيَّ بِالسَّلَامِ وَجَبَ عَلَى الْبَالِغِ الرَّدُّ عَلَى الصَّحِيحِ.

قُلْتُ: وَبُسْتَنَى مِنَ السَّلَامِ عَلَى الصَّبِيٍّ مَا لَوْ كَانَ وَضِيئًا وَخُشْيَ مِنَ السَّلَامِ عَلَيْهِ الْاِفْتِتَانِ فَلَا يُشْرَعُ وَلَا سِيَّما إِنْ كَانَ مُرَاهِقًا مُنْفَرِدًا. ٣٠٩

وأما سلام الطفل على والديه أو الكبار فإنه يعود أن يبدأ هو بالسلام، خاصة عندما يدخل البيت، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "يُسَلِّمُ الرَّكَبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ" ٣١٠

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يُسَلِّمُ الرَّكَبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ، وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَإِذَا مَرَّ الْقَوْمُ فَسَلِّمْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَجْزَأَ عَنْهُمْ، وَإِذَا رَدَّ عَنِ الْآخَرِينَ وَاحِدًا أَجْزَأَ عَنْهُمْ" ٣١١

٣٠٧ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٤٤٥) (٢٦٢٨٨) صحيح

٣٠٨ - الأدب المفرد للبخاري - (١١٣٩) صحيح

٣٠٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة - (١١ / ٣٣)

٣١٠ - صحيح البخاري - المكثر - (٦٢٣٢)

٣١١ - شعب الإيمان - (١١ / ٢٦٨) (٨٥٢٦) صحيح مرسل

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُسَلِّمُ الرَّاَكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ^{٣١٢}
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ ».^{٣١٣}

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَهٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ ».^{٣١٤}
وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً قَالَ: مَا رَأَيْتُهُ إِلَّا يُوجِبُهُ قَوْلُهُ: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} (٨٦) سورة النساء^{٣١٥}

الأساس الرابع - عيادة الطفل إذا مرض :

إن عيادة المريض من حق المسلم على أحييه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَمْسٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ: رَدُّ التَّحِيَّةِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَشُهُودُ الْجَنَازَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللَّهَ.^{٣١٦}
وثابها كبير عند الله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرَضْتُ فَلَمْ تُعِدْنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ، فَلَمْ تُعِدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي؟ وَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ:

^{٣١٢} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٧٤١) (١٠٦٢٥) - ١٠٦٣٣ - صحيح لغيره

^{٣١٣} - سنن أبي داود - المكثر - (٥٢٠٠) - صحيح

^{٣١٤} - سنن الترمذی - المكثر - (٢٩١٥) - قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

^{٣١٥} - الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (١١٣٦) - صحيح

^{٣١٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٧٥) (٨٣٩٧) - ٨٣٧٨ - صحيح

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا اسْتَطْعَمَكَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي^{٣١٧}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تُعِدْنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تُعِدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عِدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي. وَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا اسْتَسْقَاكَ فَلَمْ تَسْقِهِ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا اسْتَطْعَمَكَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا لَوْ أَنَّكَ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي.^{٣١٨}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ، غُمِرَ فِيهَا.^{٣١٩}

وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ قَالَ « جَنَاهَا ».^{٣٢٠}

لذلك فإنَّ مما يساعد على بناء الروابط الاجتماعية للأطفال: عيادتهم إذا مرضوا، فعندما يرى الطفل، وهو ما زال في مرحلة الفطرة والصفاء، أن الناس الكبار يأتون إليه، فإنه يتعوّد هذه العادة الحسنة - والتي هي من حق المسلم على أخيه-، كما أنها تخفف من آلامه وأسقامه، وإذا دعمت هذه الزيارة بدعوة الطفل للإسلام، وتثبيته على الإيمان، والتوبة والمغفرة إلى الله، فإن العيادة تؤتي أكلها كاملة مثمرة، مضاعفة الأجر، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ ، فعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ -

^{٣١٧} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٧٢١) وصحيح ابن حبان - (١ / ٥٠٣) (٢٦٩)

^{٣١٨} - صحيح ابن حبان - (٣ / ٢٢٤) (٩٤٤) صحيح

^{٣١٩} - صحيح ابن حبان - (٧ / ٢٢٢) (٢٩٥٦) صحيح

^{٣٢٠} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٧١٩) -الخرفة: أى اجتناء ثمر الجنة

فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ - يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ « أَسْلِمَ ». فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِيعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ - . فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ - وَهُوَ يَقُولُ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ » ٣٢١ .

وهكذا نجد منه ﷺ استغلال كل فرصة، ليغرس شيئاً في نفس الطفل، وفي كل لقاء يعلمه علماً نافعاً، وفي كل مشاهدة يعودّه على الخير.

الأساس الخامس - اتخاذ الطفل أصدقاء من الأطفال :

من السنن الاجتماعية الثابتة بين الناس: الصلابة والصدقة، فمن طبيعة النفس البشرية أن تخالط الناس، وتتعرف عليهم، وتتخذ من بينهم ثلة تقترب منهم، وتعيش معهم، حياة الألفة والمحبة .

فإذا أحسن الوالدان اختيار الصديق الصالح لطفلهن، فقد فتحا باباً تربوياً، في إصلاح هذا الطفل، وتنميته، وإذا علمنا أن الطفل سيختار طفلاً ما صديقاً لأننا لا نستطيع أن نعكس الفطرة، فإذا كان من الأولى بذل المساعدة لهذا الطفل في عملية اختيار الطفل والصديق الصالح، الذي سيساعده على طاعة الله، وزيادة السلوك الإسلامي الصحيح، لهذا وجدنا رسول الله ﷺ يلعب في طفولته مع الأطفال، ويمرّ عليهم وهو الرسول القائد وهم يلعبون، فيسلم عليهم، ولا يعنف عليهم، وهو يراهم يلعبون بشكل جماعي، ولا يطردهم، بل يدعو لهم، بأن يتزل عليهم سلام من الله ورحمة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَرَأَيْتُ صَبِيَّائًا يَلْعَبُونَ، فَقَعَدْتُ مَعَهُمْ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيِ الصَّبِيَّانِ. ٣٢٢

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على اهتمام الرسول ﷺ بحرصه أن ينشأ الطفل في جوّ جماعي بين الأطفال، بعيداً على الانزواء والعزلة .

ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولد، رفاق السوء والخلطة الفاسدة، ولا سيما إن كان الولد بليد الذكاء، ضعيف العقيدة، متميع الخلق فسرعان ما يتأثر بمصاحبة

٣٢١ - صحيح البخاري - المكثر - (١٣٥٦)

٣٢٢ - أخرجه عبد بن حميد (١٣٧٥) صحيح

الأشرار، ومرافقة الفجار، وسرعان ما يكتسب منهم أخط العادات، وأقبح الأخلاق. بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة، حتى يصبح الإحرام طبعاً من طباعهم، والانحراف عادة متأصلة من عاداتهم، ويصعب بعد ذلك رده إلى الجادة المستقيمة، وإنقاذه من وهدة الضلال، وهوة الشقاء.

والإسلام بتعاليمه التربوية وجه الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة، وخاصة في سن التمييز والمراهقة، ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون، وإلى أين يغدون ويروحون؟ وإلى أي الأماكن يذهبون ويرتادون؟

كما وجههم أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة، ليكتسبوا منهم كل خلق كريم، وأدب رفيع، وعادة فاضلة.

كما وجههم أن يحذروهم من خلطاء الشر، ورفاق السوء، حتى لا يقعدوا في حبال غيهم، وشباك ضلالهم وانحرافهم.

وإليكم توجيهات الإسلام وتحذيراته من قرناء الشر، ورفاق السوء والفساد:

- قال تعالى: { وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) } [الفرقان: ٢٧ - ٣٠].

- وقال أيضاً: { قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) سورة ق

- وقال كذلك: { الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) سورة الزخرف
الأصدقاء على معاصي الله في الدنيا يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة، لكن الذين تصادقوا على تقوى الله، فإن صداقتهم دائمة في الدنيا والآخرة. ٣٢٣

وقال عن أثر صاحب الفاسق: { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ

(٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) {
[الصفات: ٥٠ - ٥٧]

فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة، وهذا من تمام الأنس.

قال قائل من أهل الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي.

يقول: كيف تصدّق بالبعث الذي هو في غاية الاستغراب؟ إذا متنا وتمزقنا وصرنا تراباً وعظاماً، نُبعث ونُحاسب ونُجازى بأعمالنا؟

قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: هل أنتم مُطلعون لنرى مصير ذلك القرين؟ فاطلع فرأى قرينه في وسط النار.

قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث: لقد قاربت أن تهلكني بصدقك إياي عن الإيمان لو أطلعك. ولولا فضل ربي بهدايتي إلى الإيمان وتبتي عليه، لكنت من المحضرين في العذاب معك. ٣٢٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ. ٣٢٥
وَعَنْ أَبِي مُوسَى - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ، لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِلَّا مَا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ يُخْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً». ٣٢٦

فما أجدد الآباء والمربين أن يأخذوا بهذه التوجيهات الكريمة، حتى تنصلح أحوال أولادهم، وتسموا أخلاقهم، ويظهر في المجتمع أدبهم، وحتى يكونوا في الأمة أداة خير، ورسول إصلاح، ودعاة هداية، فينصلح المجتمع بصلاحهم، وتفتخر الأمة بكريم فعالهم، وجميل صفاتهم ٣٢٧.

٣٢٤ - التفسير الميسر - (٨ / ٨١)

٣٢٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٨٠) (٨٤١٧) ٨٣٩٨ - صحيح

٣٢٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٢١٠١)

٣٢٧ - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ٩٨)

الأساس السادس - تعويد الطفل البيع والشراء:

إن اهتمام الرسول ﷺ بتكوين الطفل اجتماعيا واقتصاديا، يتجلى في توجيهه لكل ميادين الحياة، ليتفاعل الطفل مع الواقع الجديد، والمجتمع الجديد، الذي ينشأ فيه، فعملية البيع والشراء تكسبه حركة اجتماعية قوية، إذ يتعامل مع أطفال مثله، ويعود كيفية النشوء في هذه الحياة، ويستفيد من وقته في شيء مفيد، كما أنها تكسبه الثقة النفسية الاجتماعية، ويتحول إلى إنسان سوي، يتعلم الجد في الحياة شيئا فشيئا، بعيداً عن الهزل، ويتعود الأخذ والعطاء، ويفهم الحياة فهماً جيداً، صحيحاً، بعيداً عن الدلال المفرط، المقيت، الذي يقتل الأطفال أينما وجدوا.

بل إن رسول الله ﷺ ليدعو لهذا الطفل بأن يبارك الله له تجربته، وفي صفقته، فعن عمرو بن حريث، أن رسول الله ﷺ مرَّ بعبد الله بن جعفر وهو يبيع مع الغلمان أو الصبيان فقال: اللهم بارك له في بيعه، أو قال: في صفقته^{٣٢٨}

وعن عبد الله بن جعفر، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، استعمل عليهم زيد بن حارثة فإن قتل زيد، أو استشهد، فأمركم جعفر، فإن قتل، أو استشهد، فأمركم عبد الله بن رواحة فلقوا العدو، فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه، وأتى خبرهم النبي ﷺ، فخرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيدا أخذ الراية، فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ففتح الله عليه فأمهل، ثم أمهل آل جعفر، ثلاثاً، أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم ادعوا إلي ابني أخي قال: فجاء بنا كأننا أفرخ، فقال: ادعوا إلي الحلاق، فجاء بالحلاق فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله

٣٢٨ - مسند أبي يعلى الموصلي (١٤٦٧) صحيح

فَشَبَّيْهِ خَلْقِي وَخُلُقِي ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ: فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتَمَنَّا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^{٣٢٩}.

وهذا والله من أعظم المواقف للنبي الكريم ﷺ، فعبد الله بن جعفر ابن ابن عم النبي ﷺ، وأبوه قائد المسلمين وشهيدهم في غزوة مؤتة، وهو الطيار الذي يطير بجناحين في الجنة، ثم مع هذا يرى النبي ﷺ ابنه في السوق يبيع الجلود المدبوغة والقرب وغيرها؛ فلم يججل النبي ﷺ من ذلك، وهم أشرف الناس عند الله وعند الناس، ولم يمنعه ﷺ من البيع بل دعا له بالبركة والمزيد، ولم يجعل كذلك خزانة بيت المال تحت تصرفه، بل تركه يعتمد على نفسه، كيف لا وهو القائل ﷺ: "اللَّهُمَّ، اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّةً".^{٣٣٠}

الأساس السابع - حضور الأطفال للحفلات المشروعة :

وهذا مكان تجمع آخر، يذهب إليه الأطفال، فيتعارفون فيه، على هذا الحفل الكريم، الذي سيكون يوماً ما أحد أعضائه الأساسيين، فيشاهدون الكبار والصغار، ويسمعون الأحاديث الودية، والأفراح الجميلة، فتبتهج نفوسهم، وتتحرك مشاعرهم .

فهذا رسول الله ﷺ يشاهد الصبيان في حفل الزفاف، فيقرئهم على مجيئهم وإقبالهم على الحضور، ولا ينكر عليهم، ويدعو للحاضرين جميعاً، فتشمل دعوته هؤلاء الأطفال .
عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ - النَّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ مُقْبِلِينَ - قَالَ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ عُرْسٍ - فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ - مُمْتَلِئاً، فَقَالَ « اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ». قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ^{٣٣١}.

^{٣٢٩} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٤٥) (١٧٥٠) صحيح

^{٣٣٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٢٤٧٤) وصحيح ابن حبان - (١٤ / ٢٥٥) (٦٣٤٤) قوتا القوت: ما يقوم

بالإنسان من الطعام، وانظر أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم - (١ / ٣)

^{٣٣١} - صحيح البخاري - المكثر - (٣٧٨٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٥٧٣)

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى صَبِيئًا وَتَسَاءً مُقْبِلِينَ، قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ عُرْسٍ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مُثْمَلًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، يَعْنِي الْأَنْصَارَ ٣٣٢.

وبهذا يتم تكوين الطفل اجتماعيًا بأخذه إلى الأماكن العامة والأفراح، بشرط عدم مخالطة أهل التبرج والسفور، ولا الجلوس مع مرتكبي المخالفات الشرعية كالمدخنين والمغنين أهل الفسق.

الأساس الثامن - مبيت الطفل عند أقربائه الصالحين :

إن خروج الطفل من بيته، إلى بيت أحد أقربائه الصالحين، ونومه عندهم فيه تدريب له، على رؤية أسرة ثانية، فيتدرب على التعامل مع أقربائه، ويستفيد منهم علمًا، وفهمًا، وعبادة، وصلاحًا، كما أن فيه تدريباً على صلة الأرحام، وزيادة أواصر المحبة مع أقربائه، بالإضافة إلى ترك أثر طيب في كبره، عندما يتذكر مبيته، وزيارته الطفولية، فيرويهما ويعتزُّ بها، كما أن فيها تدعيمًا لحسن العلاقة الاجتماعية، وإذا نبّه الوالدان الطفل، على الاستفادة من مبيته، عند أقربائه، من علمهم وتقواهم، كان خيرًا على خير.

فهذا ابن عباس رضي الله عنه، يعلم الأطفال جميعاً الحرص على زيارة الأقرباء الصالحين، والاستفادة منهم .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ - عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ - الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، ثُمَّ قَالَ « نَامَ الْعُلَيْمُ ». أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا، ثُمَّ قَامَ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ - أَوْ خَطِيطَهُ - ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ ٣٣٣.

٣٣٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٤٥٢) (١٢٧٩٧) ١٢٨٢٨ - صحيح

٣٣٣ - صحيح البخارى - المكتز - (١١٧)

الخطيط: الصوت الذى يخرج من نفس النائم - الغطيط: الصوت الذى يخرج من نفس النائم

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَتُّ فِي بَيْتٍ خَالَتِي مَيْمُونَةً فَبَقِيْتُ كَيْفَ يُصَلِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ - فَقَامَ فَبَالَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الْقَرْبَةِ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا ثُمَّ صَبَّ فِي الْجَفْنَةِ أَوْ الْقَصْعَةَ فَأَكْبَهُ بِيَدِهِ عَلَيْهَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا حَسَنًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَجَنَّتْ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ - قَالَ - فَأَخَذَنِي فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَتَكَامَلْتُ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ وَكُنَّا نَعْرِفُهُ إِذَا نَامَ بِنَفْخِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى فَجَعَلَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ أَوْ فِي سُجُودِهِ «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ شِمَالِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا أَوْ قَالَ وَاجْعَلْنِي نُورًا».^{٣٣٤}

وَعَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - وَهِيَ خَالَتُهُ فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوَسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَأَهْلُهُ فِي طَوْلِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَجَلَسَ يَمْسُحُ التَّوَمَّ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنْ مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى، يَفْتُلُهَا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ، حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ.^{٣٣٥}

خاتمة - نموذج عملي من اجتماعية الرسول ﷺ مع الأطفال :

والآن نضع بين يديك النموذج العملي، والقدوة الحسنة، من اجتماعية رسول الله ﷺ مع الأطفال، ليكون الختام في هذا المقام، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمٌ - وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ « يَا أَبَا

^{٣٣٤} - صحيح مسلم- المكثر - (١٨٣٠)

^{٣٣٥} - صحيح البخارى- المكثر - (١٨٣) -الشن: القرية البالية -يفتل: يفتل: يذل

عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التَّغِيرُ». نُعْرُ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ
الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكُنْسُ وَيُنْصَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَتَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا. ٣٣٦

وانظر هذا الشرح النفيس لهذا الحديث الشريف لخاتمة الحفاظ الحافظ ابن حجر العسقلاني
رحمه الله، وهو يقف على هذا الحديث وقفة رائعة تفصيلية، لتري أن التربية النبوية
للأطفال نستطيع أن نستخلص منها الشيء العجيب، وأن الأمة الإسلامية كيف انتكست
في أصولها التربوية، عندما بدأت تصدق فلان وعلان، وابتعدت على محمد بن عبد الله ﷺ
سيد الخلق وإمام المرسلين !!؟

ونبدأ بابن القاص رحمه الله: "قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَفِيمَا رَوَيْنَا مِنْ قِصَّةِ أَبِي عُمَيْرٍ سِتُّونَ
وَجْهًا مِنَ الْفَقْهِ وَالسُّنَّةِ، وَفُنُونِ الْفَائِدَةِ وَالْحِكْمَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ سُنَّةَ الْمَاشِي أَنْ لَا يَتَبَخَّرَ
فِي مَشْيِهِ وَلَا يَتَبَطَّأَ فِيهِ، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا مَشَى تَوَكَّأَ كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ، وَمِنْهَا أَنْ
الزِّيَارَةَ سُنَّةٌ، وَمِنْهَا الرُّخْصَةُ لِلرَّجَالِ فِي زِيَارَةِ النِّسَاءِ غَيْرِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ، وَمِنْهَا زِيَارَةُ
الْحَاكِمِ الرَّعِيَّةِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا خَصَّ الْحَاكِمُ بِالزِّيَارَةِ وَالْمُخَالَطَةِ بَعْضَ الرَّعِيَّةِ دُونَ بَعْضٍ
فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمِيلٍ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَكْرَهُ لِلْحُكَّامِ ذَلِكَ، وَإِذَا ثَبَتَ مَا وَصَفْنَا كَانَ
فِيهِ وَجْهٌ مِنْ تَوَاضُعِ الْحَاكِمِ لِلرَّعِيَّةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى كَرَاهِيَةِ الْحِجَابِ لِلْحُكَّامِ، وَفِيهِ أَنَّ
الْحَاكِمَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَسِيرَ وَحْدَهُ، وَأَنَّ أَصْحَابَ الْمَقَارِعِ بَيْنَ يَدَيْ الْحُكَّامِ وَالْأَمْرَاءِ مُحَدَّثَةٌ
مَكْرُوهَةٌ؛ لِمَا رَوِيَ فِي الْخَبَرِ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَمْنَى عَلَى نَاقَةٍ لَهُ لَا ضَرْبَ وَلَا طَرْدَ، وَلَا
إِلَيْكَ إِلَيْكَ، وَفِي قَوْلِهِ: "يَعْشَانَا" مَا يَدُلُّ عَلَى كَثَرَةِ زِيَارَتِهِ لَهُمْ، وَأَنَّ كَثَرَةَ الزِّيَارَةِ لَا تَخْلُقُ
الْحُبَّ وَالْمَوَدَّةَ وَلَا تُنْقِصُهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا طَمَعٌ، وَأَنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: "رُزْ
غِبَّا تَزِدُّ حُبًّا" كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِمَا رَأَى فِي زِيَارَتِهِ مِنَ الطَّمَعِ؛ لِمَا كَانَ بِأَبِي
هُرَيْرَةَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ حَتَّى دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مِرْوَدَةٍ، وَكَانَ لَا يُدْخِلُ يَدَهُ فِيهَا إِلَّا
أَخَذَ حَاجَتَهُ فَحَصَلَتْ لَهُ الزِّيَارَةُ دُونَ الطَّمَعِ، وَفِي قَوْلِهِ: "يُخَالِطُنَا"، مَا يَدُلُّ عَلَى الْإِلْفَةِ
بِخِلَافِ التُّفُورِ، وَذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْمُؤْمِنِ، كَمَا رَوِيَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ "الْمُؤْمِنُ أَلُوفٌ،

٣٣٦ - صحيح البخاري - المكثر - (٦٢٠٣) - النغير: تصغير نغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار

وَالْمَنَافِقُ نَفُورٌ "، وَمِنْهَا أَنَّ مَا رُويَ فِي الْخَبَرِ: "فَرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ" إِذَا كَانَتْ فِي لُقْيِهِمْ مَضَرَّةٌ لَا عَلَى الْعُمُومِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ أَلْفَةٌ وَمَوَدَّةٌ، فَالْمُخَالَطَةُ أَوْلَى وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ شَبَابِ النِّسَاءِ وَعَجَائِزِهِنَّ فِي الْمُعَاشَرَةِ، إِذْ اعْتَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَنْ رَأَاهُ وَاقِفًا مَعَ صَفِيَّةَ وَلَمْ يَعْتَذِرْ مِنْ زِيَارَتِهِ أُمِّ سُلَيْمٍ، بَلْ كَانَ يَعْشَاهُمُ الْكَثِيرُ، وَفِي قَوْلِهِ: "مَا مَسَسْتُ شَيْئًا قَطُّ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" مَا يَدُلُّ عَلَى مُصَافَحَتِهِ، وَإِذَا ثَبَّتَ الْمُصَافِحَةُ دَلَّ عَلَى تَسْلِيمِ الزَّائِرِ، إِذَا دَخَلَ وَدَلَّ عَلَى مُصَافَحَتِهِ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ يُصَافِحَ الرَّجُلُ دُونَ الْمَرْأَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: فَمَا مَسَسْنَا، وَإِنَّمَا قَالَ: مَا مَسَسْتُ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ سُنَّتُهُ ﷺ فِي التَّسْلِيمِ عَلَى النِّسَاءِ وَمُبَايَعَتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يُصَافِحُ الرِّجَالَ دُونَهُنَّ، وَفِي لَيْنِ كَفِّهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَمَّدَ الْمُصَلِّي إِلَى شِدَّةِ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْيَدَيْنِ فِي السُّجُودِ كَمَا اخْتَارَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ؛ لِمَا وَجَدَهُ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ شَتْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَمَّدَ إِلَى شِدَّةِ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْيَدَيْنِ فِي السُّجُودِ لِيُؤَثَّرَ عَلَى يَدَيْهِ دُونَ جَبْهَتِهِ، وَفِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْاخْتِيَارِ لِلزَّائِرِ إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ كَمَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ، وَفِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْاخْتِيَارَ فِي السُّنَّةِ الصَّلَاةُ عَلَى الْبِسَاطِ، وَالْحَرِيدِ وَالْحَصِيرِ، وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ: إِنَّهُ كَانَ حَصِيرًا بَالِيًا، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ كَانَ يَكْرَهُ الصَّلَاةَ عَلَى الْحَصِيرِ، وَيَنْزِعُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا، وَفِي تَضَحِيهِمْ ذَلِكَ لَهُ وَصَلَاتِهِ عَلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ ﷺ أَنَّ فِي الْبَيْتِ صَبِيًّا صَغِيرًا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ تَرُكُ التَّقَرُّزِ، وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ عَلَى الطَّهَارَةِ حَتَّى يُعْلَمَ يَقِينُ النَّجَاسَةِ. وَفِي تَضَحِيهِمْ الْبِسَاطَ لِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْاخْتِيَارَ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَقُومَ فِي صَلَاتِهِ عَلَى أَرْوَحِ الْحَالِ وَأَمْكِنَهَا، لَا عَلَى أَجْهَدِهَا وَأَشَدِّهَا؛ لِئَلَّا يَشْغَلَهُ الْجَهْدُ عَمَّا عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِ الصَّلَاةِ وَخُشُوعِهَا كَمَا أَمَرَ الْجَائِعُ أَنْ يَبْدَأَ بِالطَّعَامِ قَبْلَ الصَّلَاةِ خِلَافَ مَا زَعَمَ بَعْضُ الْمُجْتَهِدِينَ إِذْ زَعَمَ أَنَّ الْاخْتِيَارَ لَهُ أَنْ يَقُومَ عَلَى أَجْهَدِ الْحَالِ، كَمَا سَمِعَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُمْ لَبَسُوا الْمُسْحَ إِذَا قَامُوا مِنَ اللَّيْلِ وَقَفَدُوا أَقْدَامَهُمْ، وَفِي صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِمْ؛ لِيَأْخُذُوا دَلِيلًا عَلَى جَوَازِ حَمْلِ الْعَالِمِ عِلْمَهُ إِلَى أَهْلِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَلَى الْعِلْمِ مَذَلَّةٌ، وَأَنَّ مَا رُويَ فِي أَنَّ الْعِلْمَ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي إِذَا كَانَتْ فِيهِ لِلْعِلْمِ مَذَلَّةٌ أَوْ

كَانَ مِنَ الْمُتَعَلِّمِ عَلَى الْعَالَمِ تَطَاوُلٌ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ اخْتِصَاصٍ لِأَبِي طَلْحَةَ إِذْ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ قَبْلَةَ بَيْتِهِمْ بِالنَّصِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دُونَ الدَّلَائِلِ وَالْعَلَامَاتِ، وَفِي قَوْلِهِ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَ مَازَحَهُ، مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُمَازَحُهُ كَثِيرًا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ فِي ذَلِكَ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ مُمَازَحَةَ الصَّبِيَّانِ مُبَاحٌ، وَالثَّانِي أَنَّهَا إِبَاحَةٌ سُنَّةٌ، لَا إِبَاحَةٌ رُخْصَةٌ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ إِبَاحَةً رُخْصَةً لَأَشْبَهَ أَنْ لَا يُكْثَرُهَا، كَمَا قَالَ فِي مَسْحِ الْحَصَى لِلْمُصَلِّي: "فَإِنْ كُنْتُ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَمَرَّةً"؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ رُخْصَةً لَا سُنَّةً. وَفِيهِ إِذَا مَازَحَهُ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ التَّكْبِيرِ وَالتَّرْفَعِ، وَمَا يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَخْتَلِفَ حَالُ الْمُؤْمِنِ فِي الْمَنْزِلِ مِنْ حَالِهِ إِذَا بَرَزَ، فَيَكُونُ فِي الْمَنْزِلِ أَكْثَرَ مَزَاحًا، وَإِذَا خَرَجَ أَكْثَرَ سَكِينَةً وَوَقَارًا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الرِّيَاءِ، كَمَا رُوِيَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ: كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ أَفْكِهِ النَّاسِ إِذَا خَلَا بِأَهْلِهِ، وَأَزْمَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَمَا وَصَفْنَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا رُوِيَ فِي صِفَةِ الْمُنَافِقِ أَنَّهُ يُخَالِفُ سِرَّهُ عِلَانِيَتَهُ لَيْسَ عَلَى الْعُمُومِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى مَعْنَى الرِّيَاءِ وَالتَّفَاقُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ، وَفِي قَوْلِهِ: فَرَأَاهُ حَزِينًا، مَا يَدُلُّ عَلَى إِبْتَاتِ التَّفَرُّسِ فِي الْوُجُوهِ، وَقَدْ احْتَجَّ بِهَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ أَهْلِ الْفِرَاسَةِ بِمَا يَطُولُ ذِكْرُهُ، وَأَكْرَهُ الْإِكْثَارَ إِذَا الْغَرَضُ غَيْرُهُمَا، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الاسْتِدْلَالِ بِالْعِبَرَةِ لِأَهْلِيهَا، إِذْ اسْتَدَلَّ ﷺ بِالْحُزْنِ الظَّاهِرِ فِي وَجْهِهِ عَلَى الْحُزْنِ الْكَامِنِ فِي قَلْبِهِ، حَتَّى حَدَاهُ عَلَى سُؤَالِ حَالِهِ، وَفِي قَوْلِهِ: "مَا بَالُ أَبِي عُمَيْرٍ؟" دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ السُّنَّةُ إِذَا رَأَيْتَ أَخَاكَ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ حَالِهِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ - كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ - عَلَى حُسْنِ الْأَدَبِ بِالسُّنَّةِ فِي تَفْرِيقِ اللَّفْظِ بَيْنَ سُؤَالَيْنِ، فَإِذَا سَأَلْتَ أَخَاكَ عَنْ حَالِهِ قُلْتَ: مَا لَكَ؟ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ: "مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ؟"، وَإِذَا سَأَلْتَ غَيْرَهُ عَنْ حَالِهِ قُلْتَ: "مَا بَالُ أَبِي فُلَانٍ؟" كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: "مَا بَالُ أَبِي عُمَيْرٍ؟"، وَفِي سُؤَالِهِ ﷺ مَنْ سَأَلَ عَنْ حَالِ أَبِي عُمَيْرٍ دَلِيلٌ عَلَى إِبْتَاتِ خَبَرِ الْوَاحِدِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُكْنَى مَنْ لَمْ يُولَدْ لَهُ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَكْرَهُ ذَلِكَ حَتَّى أُخْبِرَ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي قَوْلِهِ: مَاتَ نَعِيرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، تَرْكُهُ النَّكِيرَ بَعْدَ مَا

سَمِعَ ذَلِكَ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى الرُّحْصَةِ فِي اللَّعِبِ لِلصَّبِيَّانِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الرُّحْصَةِ لِلْوَالِدَيْنِ فِي تَخْلِيَةِ الصَّبِيِّ وَمَا يُرُومَ مِنَ اللَّعِبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ دَوَاعِي الْفُجُورِ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ يَكْرَهُ لَوَالِدَيْهِ أَنْ يُخْلِيَاهُ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ إِنْفَاقَ الْمَالِ فِي مَلَاعِبِ الصَّبِيَّانِ لَيْسَ مِنْ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَاهِي الْمُنْهِيَةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى إِمْسَاكِ الطَّيْرِ فِي الْقَفْصِ، وَقَصَّ جَنَاحَ الطَّيْرِ ؛ لِمَنْعِهِ مِنَ الطَّيْرَانِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ التُّغَيْرَةُ الَّتِي كَانَ يَلْعَبُ بِهَا فِي قَفْصٍ أَوْ نَحْوِهِ مِنْ شَدِّ رَجُلٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ أَنْ تَكُونَ مَقْصُوصَةً الْجَنَاحِ، فَإِنَّهُمَا كَانَ الْمَنْصُوصُ فَالْبَاقِي قِيَاسٌ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَاهُ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَكْرَهُ قَصَّ جَنَاحِ الطَّائِرِ وَحَبْسَهُ فِي الْقَفْصِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ رَجُلًا لَوْ اصْطَادَ صَيْدًا خَارِجَ الْحَرَمِ، ثُمَّ أَدْخَلَ الْحَرَمَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِرسَالُهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّمَ الْإِصْطِيَادَ بَيْنَ لَابَتَيْ الْمَدِينَةِ، وَأَجَازَ لِأَبِي عُمَيْرٍ إِمْسَاكَهُ، فِيهَا وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُقْتَبِلُ بِإِمْسَاكِ ذَلِكَ وَمِنْ حَجَّتِهِ فِيهِ أَنْ مَنْ اصْطَادَ صَيْدًا ثُمَّ أَحْرَمَ وَهُوَ فِي يَدِهِ فَعَلَيْهِ إِرسَالُهُ، فَكَذَلِكَ إِذَا اصْطَادَ فِي الْحِلِّ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْحَرَمَ، وَفَرَّقَ الشَّافِعِيُّ بَيْنَ الْمَسْأَلَتَيْنِ كَمَا وَصَفْنَا، فَقَالَ: مَنْ اصْطَادَ، ثُمَّ أَحْرَمَ وَالصَّيْدُ فِي مِلْكِهِ فَعَلَيْهِ إِرسَالُهُ، وَمَنْ اصْطَادَهُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْحَرَمَ، فَلَا إِرسَالَ عَلَيْهِ. وَفِي قَوْلِهِ: "مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ ؟" دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَصْغِيرِ الْأَسْمَاءِ كَمَا صَغَّرَ التُّغَيْرَةَ، وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ كَانَ ابْنُ لَآبِي طَلْحَةَ يُكْتَبُ أَبَا عُمَيْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَارَحَهُ بِذَلِكَ يَبْكِي أَبُو عُمَيْرٍ، فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ أَنْ قَوْلَ النَّبِيِّ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: إِذَا بَكَى الْيَتِيمُ اهْتَزَّ الْعَرْشُ لَيْسَ عَلَى الْعُمُومِ فِي جَمِيعِ بُكَائِهِ، وَذَلِكَ أَنْ بُكَاءَ الصَّبِيِّ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا بُكَاءُ الدَّلَالِ عِنْدَ الْمِرَاحِ وَالْمُلَاطَفَةِ، وَالْآخَرُ بُكَاءُ الْحُزْنِ أَوْ الْخَوْفِ عِنْدَ الظُّلْمِ أَوْ الْمَنْعِ عَمَّا بِهِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ، فَإِذَا مَارَحَتْ يَتِيمًا أَوْ لَاطَفَتْهُ فَبَكَى فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى اهْتِزَازُ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْحَكِيمَ لَا يُوَاجِهُ بِالْخِطَابِ غَيْرَ الْعَاقِلِ، وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: لَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ صِفَةُ الْحَكِيمِ فِي خِطَابِهِ أَنْ لَا يَضَعَ الْخِطَابَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ كَذَلِكَ دَلِيلٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ ﷺ وَاجَهُ الصَّغِيرَ بِالْخِطَابِ عِنْدَ الْمِرَاحِ فَقَالَ: "يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ ؟" وَلَمْ يُوَاجِهُهُ بِالسُّؤَالِ عِنْدَ الْعِلْمِ وَالْإِثْبَاتِ، بَلْ خَاطَبَ غَيْرَهُ، فَقَالَ: "مَا بَالُ أَبِي عُمَيْرٍ ؟"، وَفِيهِ دَلِيلٌ

عَلَى أَنْ لِلْعَاقِلِ أَنْ يُعَاشِرَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ، وَلَا يَحْمِلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى عَقْلِهِ، وَفِي
نَوْمِهِ ﷺ عَنْهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ عِمَادَ الْقَسَمِ بِاللَّيْلِ وَأَنْ لَا حَرَجَ عَلَى الرَّجُلِ فِي أَنْ يَقِيلَ
بِالنَّهَارِ عِنْدَ امْرَأَةٍ فِي غَيْرِ يَوْمِهَا، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى سُنَّةِ الْقِيلُولَةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى خِلَافِ مَا
زَعَمَ بَعْضُهُمْ فِي أَدَبِ الْحُكَّامِ أَنْ نَوْمَ الْحُكَّامِ وَالْأَمْرَاءِ فِي مَنْزِلِ الرَّعِيَّةِ وَتَحْوِ ذَلِكَ مِنْ
الْأَفْعَالِ دَنَاءَةٌ تُسْقِطُ مُرُوءَةَ الْحَاكِمِ، وَفِي نَوْمِهِ عَلَى فِرَاشِهَا دَلِيلٌ عَلَى خِلَافِ قَوْلِ مَنْ
كَرِهَ أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ فِي مَجْلِسِ امْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَهُ بِمَحْرَمٍ، أَوْ يَلْبَسَ ثَوْبَهَا وَإِنْ كَانَ عَلَى
تَقْطِيعِ الرَّجَالِ، وَفِيهِ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ الْمَرْءُ عَلَى امْرَأَةٍ فِي مَنْزِلِهَا وَزَوْجُهَا غَائِبٌ، وَإِنْ
لَمْ تَكُنْ ذَاتَ مَحْرَمٍ لَهُ، وَفِي نَضْحِ الْبَسَاطِ لَهُ وَنَوْمِهِ عَلَى فِرَاشِهَا دَلِيلٌ عَلَى إِكْرَامِ الزَّائِرِ،
وَفِيهِ أَنْ التَّنْعَمَ الْخَفِيفَ غَيْرَ مُخَالَفٍ لِلْسُّنَّةِ، وَأَنْ قَوْلُهُ: "كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدْ
الْتَقَمَ الصُّورَ" لَيْسَ عَلَى الْعُمُومِ إِلَّا فِيمَا عَدَا التَّنْعَمَ الْقَلِيلَ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِفَرْضٍ
عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُشَيِّعَ الزَّائِرَ إِلَى بَابِ الدَّارِ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَشْيِيعِ الضَّيْفِ إِلَى بَابِ
الدَّارِ، إِذْ لَمْ يُذَكَّرْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَشْيِيعُهُمْ لَهُ إِلَى الْبَابِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي
تَفْسِيرِ مَا ذُكِرَ مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ هِنْدَ بِنِ أَبِي هَالَةَ: كَانُوا إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ لَمْ
يَفْتَرِقُونَ إِلَّا عَنْ ذُوقٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ أَرَادَ بِهِ الطَّعَامَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ بِهِ ذُوقَ الْعِلْمِ،
فَفِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ الدَّلِيلُ عَلَى تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَهُ عَلَى ذُوقِ الْعِلْمِ إِذْ قَدْ أَذَقَهُمُ الْعِلْمَ،
وَلَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ ذُوقُ الطَّعَامِ، وَكَانَ مِنْ صِفَتِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُوَاسِي بَيْنَ جُلَسَائِهِ حَتَّى يَأْخُذَ
مِنْهُ كُلٌّ بِحِظٍّ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ رَسُولُ ﷺ اللَّهُ فِي دُخُولِهِ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ صَافِحَ أَنْسَاءٍ، وَمَازَحَ
أَبَا عُمَيْرَ الصَّغِيرَ، وَنَامَ عَلَى فِرَاشِ أُمِّ سُلَيْمٍ حَتَّى نَالَ الْجَمِيعُ مِنْ بَرَكَتِهِ ﷺ، وَإِذْ كَانَ
طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَأَقْلُ مَا فِي تَحْفِظِ طُرُقِهِ أَنْ يَكُونَ نَافِلَةً، وَفِيهِ أَنْ قَوْمًا
أَنْكَرُوا خَبَرَ الْوَاحِدِ، ثُمَّ افْتَرَقُوا فِيهِ وَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ بِجَوَازِ خَبَرِ الْاِثْنَيْنِ قِيَاسًا عَلَى
الشَّاهِدَيْنِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بِجَوَازِ خَبَرِ الثَّلَاثَةِ، وَنَزَعَ بِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: فَلَوْلَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ
فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ الْآيَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بِجَوَازِ خَبَرِ الْأَرْبَعَةِ قِيَاسًا عَلَى
أَعْلَى الشَّهَادَاتِ وَأَكْبَرِهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بِالشَّائِعِ وَالْمُسْتَفِيزِ، فَكَانَ فِي تَحْفِظِ طُرُقِ
الْأَخْبَارِ مَا يَخْرُجُ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ حَدِّ الْوَاحِدِ إِلَى حَدِّ الْاِثْنَيْنِ، وَخَبَرِ الثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَةِ، وَلَعَلَّهُ

يَدْخُلُ فِي خَبَرِ الشَّائِعِ الْمُسْتَفِيزِ، وَفِيهِ أَنْ الْخَبَرَ إِذَا كَانَتْ لَهُ طُرُقٌ وَطَعَنَ الطَّاعِنُ عَلَى بَعْضِهَا احْتَجَّ الرَّاوي بِطَرِيقٍ آخَرَ وَلَمْ يَلْزِمَهُ انْقِطَاعُ مَا وَجَدَ إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ سَبِيلًا وَفِيهِ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ الثَّقَلَةِ وَالرُّوَاةِ وَمَقْدَارِهِمْ، فِي كَثْرَةِ الْعِلْمِ وَالرُّوَايَةِ فَفِي تَحْفَظِ طُرُقِ الْأَخْبَارِ وَمَعْرِفَةِ مَنْ رَوَاهَا وَكَمْ رَوَى كُلُّ رَاوٍ مِنْهُمْ مَا يُعْلَمُ بِهِ مَقَادِيرُ الرُّوَاةِ وَمَرَاتِبُهُمْ فِي كَثْرَةِ الرُّوَايَةِ وَفِيهِ أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَفْصَوْا فِي مَعْرِفَةِ طُرُقِ الْخَبَرِ عَرَفُوا بِهِ غَلَطَ الْعَالِطِ إِذَا غَلَطَ، وَمَيَّزُوا بِهِ كَذِبَ الْمُدْلِسِ، وَتَدَلَّيْسَ الْمُدْلِسِ، وَإِذَا لَمْ يَسْتَفْصِ الْمَرْءُ فِي طَرِيقِهِ وَاقْتَصَرَ عَلَى طَرِيقٍ وَاحِدٍ كَانَ أَقَلُّ مَا يَلْزِمُهُ إِذَا دَلَّسَ عَلَيْهِ فِي الرُّوَايَةِ أَنْ يَقُولَ: لَعَلَّهُ قَدْ رَوَى وَلَمْ أَسْتَفْصِ فِيهِ، فَرَجَعَ بِاللَّائِمَةِ وَالتَّقْصِيرِ عَلَى نَفْسِهِ وَالْانْقِطَاعِ، وَقَدْ حَلَّ لِحَصْمِهِ، فَذَلِكَ كُلُّهُ سِتُونٌ وَجْهًا مِنْ فُنُونِ الْفَقْهِ وَالسُّنَّةِ، وَالْفَوَائِدِ، وَالْحِكْمَةِ، ثُمَّ نَزِيدُ عَلَى السَّتِينِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ فِيهِ تَثْبِيتُ الْإِمْتِحَانِ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَمْثَالِهِمْ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى شَيْءٍ مِنْ تَخْرِيجِ فَقْهِهِ، وَيَسْتَخْرِجُ أَحَدُنَا مِنْهُ - بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ - كُلَّ هَذِهِ الْوُجُوهِ، وَفِي ذَلِكَ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا اجْتِهَادُ الْمُسْتَخْرِجِ فِي اسْتِنْبَاطِهِ، وَالثَّانِي تَبْيِينُ فَضِيلَتِهِ فِي الْفَقْهِ وَالتَّخْرِيجِ عَلَى أَغْيَارِهِ، وَالْعَيْنُ الْمُسْتَنْبِطُ مِنْهَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنْ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَةِ اللَّطِيفِ فِي تَدْيِيرِ صُنْعِهِ أَنْ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيُفْضَلَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ^{٣٣٧}

وفي الفتح :

"فيه استحباب التأني في المشي، وزيارة الإخوان، وجواز زيارة الرجل للمرأة الأجنبية إذا لم تكن شابة وأمنت الفتنة، وتخصيص الإمام بعض الرعية بالزيارة، ومخالطة بعض الرعية دون بعض، ومشى الحاكم وحده، وأن كثرة الزيارة لا تنقص المودة. وفيه مشروعية المصافحة لقول أنس فيه: "ما مسست كفا ألين من كف رسول الله ﷺ" وتخصيص ذلك بالرجل دون المرأة، وأن الذي مضى في صفته ﷺ أنه "كان شثن الكفين" خاص بعبالة الجسم لا بخشونة اللمس.

٣٣٧ - حَدِيثُ ابْنِ الْقَاصِّ (٥-١)

وفيه استحباب صلاة الزائر في بيت المzor ولا سيما إن كان الزائر ممن يتبرك به، وجواز الصلاة على الحصر، وترك التقزز لأنه علم أن في البيت صغيرا وصلّى مع ذلك في البيت وجلس فيه.

وفيه أن الأشياء على يقين الطهارة لأن نضحهم البساط إنما كان للتنظيف.
وفيه أن الاختيار للمصلي أن يقوم على أروح الأحوال وأمكنها، خلافا لمن استحب من المشددين في العبادة أن يقوم على أحدها.
وفيه جواز حمل العالم علمه إلى من يستفيده منه، وفضيلة لآل أبي طلحة وليته إذ صار في بيتهم قبله يقطع بصحتها.

وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح وأما إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير زيارة الممزوح معه. وفيه ترك التكبر والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر أو في البيت فيمزح، وأن الذي ورد في صفة المنافق أن سرّه يخالف علانيته ليس على عمومه.

وفيه الحكم على ما يظهر من الأمارات في الوجه من حزن أو غيره. وفيه جواز الاستدلال بالعين على حال صاحبها، إذ استدل ﷺ بالحزن الظاهر على الحزن الكامن حتى حكم بأنه حزين فسأل أمه عن حزنه. وفيه التلطف بالصدق صغيرا كان أو كبيرا، والسؤال عن حاله، وأن الخبر الوارد في الزجر عن بكاء الصبي محمول على ما إذا بكى عن سبب عامدا ومن أذى بغير حق.

وفيه قبول خبر الواحد لأن الذي أجاب عن سبب حزن أبي عمير كان كذلك.
وفيه جواز تكتية من لم يولد له، وجواز لعب الصغير بالطير، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيع اللعب به، وجواز إنفاق المال فيما يتلهى به الصغير من المباحات، وجواز إمساك الطير في القفص ونحوه، وقص جناح الطير إذ لا يخلو حال طير أبي عمير من واحد منهما وأيهما كان الواقع التحق به الآخر في الحكم.
وفيه جواز إدخال الصيد من الحل إلى الحرم وإمساكه بعد إدخاله، خلافا لمن منع من إمساكه وقاسه على من صاد ثم أحرم فإنه يجب عليه الإرسال.

وفيه جواز تصغير الاسم ولو كان لحيوان، وجواز مواجهة الصغير بالخطاب خلافا لمن قال: الحكيم لا يواجه بالخطاب إلا من يعقل ويفهم، قال: والصواب الجواز حيث لا يكون هناك طلب جواب، ومن ثم لم يخاطبه في السؤال عن حاله بل سأل غيره. وفيه معاشرة الناس على قدر عقولهم. وفيه جواز قيلولة الشخص في بيت غير بيت زوجته ولو لم تكن فيه زوجته، ومشروعية القيلولة، وجواز قيلولة الحاكم في بيت بعض رعيته ولو كانت امرأة، وجواز دخول الرجل بيت المرأة وزوجها غائب ولو لم يكن محرما إذا انتفت الفتنة.

وفيه إكرام الزائر وأن التنعم الخفيف لا ينافي السنّة، وأن تشييع المزور الزائر ليس على الوجوب. وفيه أن الكبير إذا زار قوما واسى بينهم، فإنه صافح أنسا، ومازح أبا عمير، ونام على فراش أم سليم، وصلى بهم في بيتهم حتى نالوا كلهم من بركته" وما أحاب به ابن القاص من مخاطبة من لا يميز التحقيق فيه جواز مواجهته بالخطاب إذا فهم الخطاب وكان في ذلك فائدة ولو بالتأنيس له، وكذا في تعليمه الحكم الشرعي عند قصد تمرينه عليه من الصغر كما في قصة الحسن بن علي لما وضع التمرة في فيه قال له "كخ كخ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة"...، ويجوز أيضا مطلقا إذا كان القصد بذلك خطاب من حضر أو استفهامه ممن يعقل، وكثيرا ما يقال للصغير الذي لا يفهم أصلا إذا كان ظاهر الوعك: كيف أنت؟ والمراد سؤال كافله أو حامله.

وذكر ابن بطال من فوائد هذا الحديث أيضا استحباب النضح فيما لم يتيقن طهارته. وفيه أن أسماء الأعلام لا يقصد معانيها، وأن إطلاقها على المسمى لا يستلزم الكذب، لأن الصبي لم يكن أبا وقد دعي أبا عمير. وفيه جواز السجع في الكلام إذا لم يكن متكلفا، وأن ذلك لا يمتنع من النبي ﷺ كما امتنع منه إنشاء الشعر. وفيه إتحاف الزائر بصنيع ما يعرف أنه يعجبه من مأكول أو غيره. وفيه جواز الرواية بالمعنى، لأن القصة واحدة وقد جاءت بألفاظ مختلفة. وفيه جواز الاقتصار على بعض الحديث، وجواز الإتيان به تارة مطولا وتارة ملخصا، وجميع ذلك يحتمل أن يكون من أنس ويحتمل أن يكون ممن بعده،

والذي يظهر أن بعض ذلك منه والكثير منه ممن بعده، وذلك يظهر من اتحاد المخارج واختلافها.

وفيه مسح رأس الصغير للملاطفة، وفيه دعاء الشخص بتصغير اسمه عند عدم الإيذاء، وفيه جواز السؤال عما السائل به عالم لقوله: "ما فعل النغير؟" بعد علمه بأنه مات. وفيه إكرام أقارب الخادم وإظهار المحبة لهم، لأن جميع ما ذكر من صنيع النبي ﷺ مع أم سليم وذويها كان غالبا بواسطة خدمة أنس له. وقد نوزع ابن القاص في الاستدلال به على إطلاق جواز لعب الصغير بالطير، فقال أبو عبد الملك: يجوز أن يكون ذلك منسوخا بالنهي عن تعذيب الحيوان. وقال القرطبي: الحق أن لا نسخ، بل الذي رخص فيه للصبي إمساك الطير ليلتهى به، وأما تمكنه من تعذيبه ولاسيما حتى يموت فلم يباح قط. "٣٣٨"

وهكذا وجدنا أن عملية البناء الاجتماعي للطفل، ركن هام في بناء شخصيته، وتقويمها وتهذيبها واستقامتها، وأنا تحقق الثقة النفسية الاجتماعية للطفل.



الفصل الرابع البناءُ الأخلاقيُّ

تمهيد :

الأساس الأول- خلق الأدب :

ما ورد في غرس الأدب في الأطفال :

نماذج من حياة السلف الصالح :

أنواع الآداب النبوية للأطفال :

١- الأدب مع الوالدين :

٢- الأدب مع العلماء :

٣- أدب الاحترام والتوقير :

٤- أدب الأخوة :

٥- أدب الجار :

٦- أدب الاستئذان :

٧- أدب الطعام :

٨- أدب مظهر الطفل :

٩- أدب استماع القرآن :

الأساس الثاني - خلق الصدق:

الأساس الثالث- خلق كتم الأسرار :

الأساس الرابع- خلق الأمانة :

الأساس الخامس -خلق سلامة الصدر من الأحقاد :

خاتمة: مثال عملي من خلق الرسول ﷺ مع الأطفال :

تمهيد :

الخلقُ بضم اللم وسكونها: السجية والطبع، كذا في الصحيح، وذكر القرطبي في تفسيره: الخلقُ في اللغة: هو ما أخذ الإنسان به نفسه من الأدب، لأنه يصير كالخلقة فيه، فأما ما طُبِعَ عليه من الأدب فهو الخِمْ وهو بالكسر: السجية والطبيعة، لا واحد له من لفظه، فيكون الخلقُ: الطبع المتكلف، والخِمْ: الطبع الغريزي.^{٣٣٩}

وبناء على تعريف القرطبي للخلق، فإن الطفل يحتاج لهذا البناء الأخلاقي، وذلك لتكون حركة الطفل الاجتماعية- السابق ذكرها في البحث الذي قبله - سليمة ن وهذا الجهد لا بدَّ منه ؛ لأن عملية الانتقال من الطبع المتكلف إلى الطبع الغريزي صعبة، وزمنها يمتد حتى عمر الإنسان، وهو يقوم أخلاقه، وبالتالي فإن جهد الوالدين والمربين يكون لازماً في هذه المرحلة الطفلية، التي ذكرنا أنها تتميز بالفطرية والصفاء وسرعة التلقي والاستجابة .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله ""ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عودّه المربي في صغره من حرد وغضب ولجاج وعجلة وخفة مع هواه وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها ""^{٣٤٠}

يقول شيخ الأزهر محمد خضر الحسين رحمه الله: "إن الصبيَّ يولد على الفطرة الخالصة، والطبع البسيط فإذا قوبلت نفسه الساذجة بخلق من الأخلاق نُقِشت صورته في لوحها، ثم لم تزل تلك الصورة تمتد شيئاً فشيئاً حتى تأخذ بجميع أطراف النفس وتصير كيفية راسخة فيها ماثلة لها من الانفعال بضدها، يؤيد هذا أنا إذا رأينا في الغرباء من هو لطيف الخطاب، جميل اللقاء، مهذب الأملية، لا ترتاب في دعوى أنه ممن أنبتّه الله في البيوت الفاضلة نباتاً حسناً ""^{٣٤١} .

^{٣٣٩} - عن فتح الغفار بشرح المنار (٧/١) لابن نجيم الحنفي .

^{٣٤٠} - موسوعة كتب ابن القيم - (٢٣٥ / ٨)

^{٣٤١} - السعادة العظمى ص (٦٠)

وإليك تفصيل هذه الأسس :

الأساسُ الخُلُقِيُّ الأول - خلق الأدب :

قال الحافظ ابن حجر: "والأدب استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك. وقيل: إنه مأخوذ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه" ٣٤٢

لذا تبرز أهمية الأدب في المعاملة والعشرة حتى إنه المظهر الخارجي الذي يعبر عن الصغير والكبير، لذلك حمل الطفل عليه، وقصره على ارتداء ثوب الأدب، كان من أولويات التربية الخلقية .

عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ رَبَاحٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ قَالَ لِابْنِهِ: "يَا بُنَيَّ ابْتَغِ الْعِلْمَ صَغِيرًا فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ يَشُقُّ عَلَى الْكَبِيرِ "

قال أبو عمر^{٣٤٣}: "أَنشَدَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ لِصَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ فِي شِعْرِ لَهُ :

وإِنْ مَنْ أَدَّبْتُهُ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُؤْتَقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصُرْتَ مِنْ يَبْسِهِ
وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ارْعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ كَذَا الصَّبَا عَادَ إِلَى نِكْسِهِ

وديننا الحنيف، وشريعتنا الإسلامية حوت خصال الخير والأدب لتقويم الأحداث، وتعهدهم منذ الصغر، قال ابن مسكويه: "والشريعة هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل المرضية، والبلوغ إلى السعادة الإنسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم" ٣٤٤

ما ورد في غرس الأدب في الأطفال :

٣٤٢ - فتح الباري لابن حجر - (١٠ / ٤٠٠)

٣٤٣ - جامع بيان العلم (٣٩٦)

٣٤٤ - انظر: تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٢٩ .

تتجلى أهمية الأدب وغرسه ونحله للطفل، أكثر فأكثر، عندما نرى أن الرسول ﷺ أعطاه أهمية عظيمة، في البناء الأخلاقي، حتى يجعل غرسه في الطفل، وتعويده عليه، ليصبح طبيعة من طبائعه الخلقية، وسجية من سجايه الطبيعية، أفضل من عملية الصدقة التي تطفئ الخطيئة، مع ما في الصدقة من أهمية في الإسلام، فعن جابر بن سمرّة، أن رسول الله ﷺ قال: **لَأَنْ يُؤَدَّبَ الرَّجُلُ وَلَدُهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَصْفِ صَاعٍ.**^{٣٤٥}

وإن النبي ﷺ يبين للوالدين أن أعظم هدية للطفل هي الأدب، وأفضل توريث له هو الأدب الحسن، عن أيوب بن موسى، عن أبيه، عن جده، قال: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ.**^{٣٤٦}

قَالَ الشَّاعِرُ^{٣٤٧}:

خَيْرُ مَا وَرَّثَ الرَّجَالُ بَنِيهِمْ أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَائِرِ وَالْأَوْرَاقِ فِي يَوْمٍ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءِ
تِلْكَ تَفَنَّى وَالِدَيْنِ وَالْأَدَبُ الصَّالِحُ لَا يَفْنِيَانِ حَتَّى اللَّقَاءِ
إِنْ تَأَدَّبْتَ يَا بُنَيَّ صَغِيرًا كُنْتَ يَوْمًا تُعَدُّ فِي الْكِبَرَاءِ

وقال علي بن المديني رحمه الله: "توريث الأولاد الأدب، خير لهم من توريث المال، الأدب يكسبهم المال والجاه والمحبة للإخوان، ويجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة"^{٣٤٨}

ولعل البعض يغفل عن أهمية الأدب، ويعده من الأمور البسيطة، يمكن التساهل فيها، أو يجوز تناسيها، وما يدري هذا أنه يهين ولده للعقوق، وما علم هذا المسكين أن غرس الأدب حق الولد على أبيه، كواجب حق الطعام والشراب، فعن الحارث بن التُّعْمَانِ قال

^{٣٤٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤٨) (٢٠٩٧٠) ٢١٢٧٩ - ضعيف

^{٣٤٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٧١٨) (١٦٧١٧) ١٦٨٣٧ - ضعيف

^{٣٤٧} - الآداب الشرعية - (٤ / ٢٦٥)

^{٣٤٨} - تنبيه المغترين للشعراني ص (٤١)

:سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « أَكْرُمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ ».^{٣٤٩}

قال المناوي: "(أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم) بأن تعلموهم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق وتخرجوهم في الفضائل وتزكوهم على المطلوبات الشرعية ولم يرد إكرامهم بزينة الدنيا وشهواتها والأدب استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً واجتماع خصال الخير أو وضع الأشياء موضعها أو الأخذ بمكارم الأخلاق أو الوقوف مع كل مستحسن أو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك أو الظرف وحسن التنازل أو مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق قال بعض العارفين: الأدب طبقات فأكثر طبقات أدب أهل الدنيا في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأشعار العرب وأدب أهل الدين رياضة النفس وترك الشهوات وأدب الخواص طهارة القلوب".^{٣٥٠}

ووعى السلف الصالح أهمية الأدب ومقداره، وسمو رفعة، فأيقظوا أطفالهم عليه، وشبوا على ذلك، ونصحوا الأمة به، فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنه يوجه نداءه للوالدين بخطاب رقيق، يضع معادية رياضية، ومساواة حسابية، فعن عُثْمَانَ الْحَاطِي، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ لِرَجُلٍ: "أَدَّبَ ابْنُكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ، مَاذَا أَدَّبْتَهُ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ، وَإِنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ بَرِّكَ وَطَوَاعِيَّتِهِ لَكَ"^{٣٥١}

أما لماذا كان هذا الاهتمام الكبير بالأدب، وأن يصبح سجية طبيعية في نفس الطفل فلأنه: "يكتسب من الأدب الصالح: العقل النافذ، ومن العقل النافذ حسن العادة، ومن حسن العادة الطباع الحمودة، ومن الطباع الحمودة العمل الصالح، ومن العمل الصالح رضا الرب، من رضا الرب مالِك الدائم .

^{٣٤٩} - سنن ابن ماجه - المكثر - (١١ / ٢٠٩) (٣٨٠٢) ضعيف

^{٣٥٠} - فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (٤ / ٦) (١٤١٩)

^{٣٥١} - شعب الإيمان - (١١ / ١٣٥) (٨٢٩٥) حسن

ويكتسب من الأدب السوء: فساد العقل، ومن فساد العقل سوء العادة، ومن العادة السيئة رداءة الطبع، ومن الطباع الرديئة سوء العمل، من العمل السيئ سوء القالة وغضب الله، ومن غضب الله وسخطه الذل الدائم".^{٣٥٢}

وهكذا سار السلف الصالح يوجهون أطفالهم إلى أهمية الأدب، ويورثونه لهم، فإلى حياة هؤلاء هلمَّ سوًّا، نصغي ونستمع ونتعلم .

نماذج من حياة السلف الصالح :

"قَالَ رُوَيْمٌ: لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ اجْعَلْ عَمَلَك مِلْحًا وَأَدَبَكَ دَقِيقًا، أَيُّ اسْتَكْبَرُ مِنَ الْأَدَبِ حَتَّى تَكُونَ نِسْبَتُهُ فِي الْكَثْرَةِ نِسْبَةَ الدَّقِيقِ إِلَى الْمِلْحِ فَإِنَّ كَثِيرَ الْأَدَبِ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعَمَلِ مَعَ قَلَّةِ الْأَدَبِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا كَانَ لَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ وَلَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ كَانَ الْمُمَكِّنُ فِي عِبَادَتِهِ تَعَالَى هُوَ الْأَدَبُ"^{٣٥٣}

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَبِيبٍ بْنِ الشَّهِيدِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: "يَا بُنَيَّ، إِيْتِ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ، وَتَعَلَّمْ مِنْهُمْ، وَخُذْ مِنْ أَدَبِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَهَدْيِهِمْ، فَإِنَّ ذَاكَ أَحَبُّ إِلَيَّ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ"^{٣٥٤}

وذلك حتى يتعلم الابن الأدب مع الحديث، قبل أن يتعلم الحديث بلا أدب، فيؤدي به إلى عدم التأدب مع حديث الرسول ﷺ مما يورث في قلبه الضلال .

وَقَالَ أَبُو زَكَرِيَّا الْعَبْرِيُّ: "عِلْمٌ بِلَا أَدَبٍ كَنَارٍ بِلَا حَطَبٍ، وَأَدَبٌ بِلَا عِلْمٍ كَرُوحٍ بِلَا جِسْمٍ، وَإِنَّمَا شَبَّهْتُ الْعِلْمَ بِالنَّارِ لِمَا رَوَيْنَا عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ: مَا وَجَدْتُ لِلْعِلْمِ شَبَهًا إِلَّا النَّارَ، نَقْتَبِسُ مِنْهَا وَلَا نَنْتَفِصُ عَنْهَا"^{٣٥٥}

وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: قَالَ لِي مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: "نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ"^{٣٥٦}

^{٣٥٢} - نصيحة الملوك للماوردي ص (١٧٣)

^{٣٥٣} - أنوار البروق في أنواع الفروق - (٥ / ٢٠٩)

^{٣٥٤} - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١٠)

^{٣٥٥} - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١٢)

ولكن ما هي أهم الصفات الأدبية التي خصّها رسول الله ﷺ في توجيه الأطفال نحوها،
وغرسها فيهم ونحلهم إياها؟ من خلال الاستقراء في الأحاديث الشريفة، تم الحصول على
تسعة آداب وهي :

أنواع الآداب النبوية للأطفال :

١ - الأدب مع الوالدين :

على المربين أن يلقنوا الأولاد هذه الآداب السلوكية مع آبائهم وأمهاتهم وهي مرتبة كما
يلي: ألا يمشوا أمامهم، وألا ينادوهم بأسمائهم، وألا يجلسوا قبلهم، وألا يتضجروا من
نصائحهم، وألا يأكلوا من طعام ينظرون إليه، وألا يرقوا مكاناً عالياً فوقهم، وألا يخالفوا
أمرهم.. والأصل في مراعاة هذه الآداب قوله تبارك وتعالى: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا
تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) } [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]

وأمر ربك -أيها الإنسان- وألزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، وأمر
بالإحسان إلى الأب والأم، وبخاصة حالة الشيخوخة، فلا تضجر ولا تستثقل شيئاً تراه من
أحدهما أو منهما، ولا تسمعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأنيف الذي هو أدنى مراتب القول
السيئ، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، ولكن ارفق بهما، وقل لهما -دائماً- قولاً ليناً
لطيفاً.

وكنْ لأهلك وأبيك ذليلاً متواضعاً رحمةً بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة
أحياءً وأمواتاً، كما صبرا على تربيته طفلاً ضعيفاً الحول والقوة.^{٣٥٧}
وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلٌ وَمَعَهُ شَيْخٌ فَقَالَ لَهُ: "يَا فُلَانُ مَنْ هَذَا
مَعَكَ؟" قَالَ: أَبِي. قَالَ: فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ، وَلَا تَسْتَسِيبَ
لَهُ. "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ"^{٣٥٨}

^{٣٥٦} - الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّأْيِ وَآدَابِ السَّمْعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١١)

^{٣٥٧} - التفسير الميسر - (٥ / ١٧)

وَعَنْ رَجُلٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَأَى رَجُلًا يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْ رَجُلٍ، فَقَالَ: "مَا هَذَا مِنْكَ؟"، قَالَ: أَبِي، قَالَ: "فَلَا تَمْشِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا تَجْلِسْ حَتَّى يَجْلِسَ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ، وَلَا تَسْتَسَبِّ لَهُ" ٣٥٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا مَعَ غُلَامٍ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: "مَنْ هَذَا؟" قَالَ: أَبِي. قَالَ: "فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَسْتَسَبِّ لَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ" ٣٦٠
قلت: معنى لا تستسب له: أي لا تفعل فعلا يتعرض فيه لان يسبك أبوك زجرا لك تأديبا على فعلك القبيح.

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ، أَنَّهُ قَالَ: "لِمَنِ الْعُقُوقُ أَنْ تُسَمِّيَ أَبَاكَ، وَأَنْ تَمْشِيَ أَمَامَهُ فِي طَرِيقٍ" ٣٦١

وَعَنْ أَبِي غَسَّانَ الضَّبِّيِّ قَالَ: خَرَجْتُ أَمْشِي مَعَ أَبِي بَظْهَرِ الْحَرَّةِ، فَلَقَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَبِي. قَالَ: لَا تَمْشِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَكِنْ امْشِ خَلْفَهُ أَوْ إِلَى جَانِبِهِ، وَلَا تَدْعُ أَحَدًا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلَا تَمْشِ فَوْقَ إِجَارِ أَبِيكَ تَحْتَهُ، وَلَا تَأْكُلْ مَا قَدْ نَظَرَ أَبِيكَ إِلَيْهِ لَعَلَّهُ قَدْ اشْتَهَاهُ. ثُمَّ قَالَ: أَتَعْرِفُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَدَّاشٍ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: "فَخَذَهُ فِي جَهَنَّمَ مِثْلُ أُحُدٍ، وَضَرَسُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "كَانَ عَاقًا لَوَالِدَيْهِ". رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ٣٦٢

أدب خطاب الوالدين :

٣٥٨ - المعجم الأوسط للطبراني - (٤٣٠٩) حسن لغيره

٣٥٩ - جامع معمر بن راشد (٧٤١) حسن لغيره

٣٦٠ - عمل اليوم والليلة لابن السني (٣٩٤) حسن لغيره

٣٦١ - عمل اليوم والليلة لابن السني (٣٩٥)

٣٦٢ - المعجم الأوسط للطبراني - (٧٠٤٩) فيه جهالة

بظهر البلدة أو المكان: على أطرافه - الإجار: السطح الذي ليس حواليه ما يرد الساقط عنه - العقوق: الاستخفاف بالوالدين وعصيانهما وترك الإحسان إليهما

عَنْ أَبِي الْهَدَّاجِ التَّجِيبِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: كُلُّ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، فَقَدْ عَرَفْتُهُ، إِلَّا قَوْلَهُ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا مَا هَذَا الْقَوْلُ الْكَرِيمُ؟ فَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: قَوْلُ الْعَبْدِ الْمُذْنِبِ لِلسَّيِّدِ الْفُظِّ الْعَلِيطِ^{٣٦٣}

بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء.

ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء، توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام. إلى الذرية. إلى الناشئة الجديدة. إلى الجيل المقبل. وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء. إلى الأبوة. إلى الحياة المولية. إلى الجيل الذاهب! ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف، وتتلفت إلى الآباء والأمهات.

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد. إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات. وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلها الأجل - وهما مع ذلك سعيدان! فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله، ويندفعون بدورهم إلى الأمام. إلى الزوجات والذرية .. وهكذا تندفع الحياة.

ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء. إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليدذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف! وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد، بعد الأمر المؤكد بعبادة الله.

ثم يأخذ السياق في تظليل الجو كله بأرق الظلال وفي استجاشة وجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان: «إِمَّا يَلْعَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا» .. والكبر له جلاله، وضعف الكبر له إحقاؤه وكلمة «عِنْدَكَ» تصور معنى الالتجاء والاحتماء

^{٣٦٣} - جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبْرِيِّ (٢٠٢٣) صحيح

في حالة الكبر والضعف .. «فَلَا تُقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تُنْهَرُهُمَا» وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضييق، وما يشي بالإهانة وسوء الأدب .. «وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشي بالإكرام والاحترام. «وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» وهنا يشف التعبير ويلطف، ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان. فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عينا، ولا يرفض أمرا. وكأنما للذل جناح يخفضه إيدانا بالسلام والاستسلام. «وَقُلْ: رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» فهي الذكرى الحانية. ذكرى الطفولة الضعيفة يرهاها الولدان، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان. وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع، ورعاية الله أشمل، وجناب الله أرحب. وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء.

ولأن الانفعالات والحركات موصولة بالعقيدة في السياق، فإنه يعقب على ذلك يرجع الأمر كله لله الذي يعلم النوايا، ويعلم ما وراء الأقوال والأفعال: «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ، إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا». وجاء هذا النص قبل أن يمضي في بقية التكاليف والواجبات والآداب ليرجع إليه كل قول وكل فعل وليفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطيء أو يقصر، ثم يرجع فيتوب من الخطأ والتقصير.

وما دام القلب صالحا، فإن باب المغفرة مفتوح. والأوابون هم الذين كلما أخطأوا عادوا إلى ربهم مستغفرين.^{٣٦٤}

قال القنوجي: " { وقل لهما قولاً كريماً } لطيفا لنا جميلا سهلا أحسن ما يمكن التعبير عنه من لطف القول وكرامته مع حسن الأدب والحياء والاحتشام قال محمد بن زبير يعني إذا دعواك فقل لبيكما وسعديكما وقيل هو أن يقول يا أماه يا أبتاه ولا يدعوها بأسمائهما ولا يكنيهما^{٣٦٥}

^{٣٦٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٢٢١)

^{٣٦٥} - حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة - (١ / ١٢٩)

قال السبكي: "كُنْتُ جَالِسًا بِدِهْلِيزِ دَارِنَا، فَأَقْبَلَ كَلْبٌ فَقُلْتُ: احْسَأْ كَلْبَ ابْنِ كَلْبٍ، فَرَجَرَنِي الْوَالِدُ، فَقُلْتُ أَلَيْسَ هُوَ كَلْبٌ ابْنُ كَلْبٍ؟ قَالَ: شَرَطُ الْجَوَازِ عَدَمُ قَصْدِ التَّحْقِيرِ، فَقُلْتُ: هَذِهِ فَائِدَةٌ" ٣٦٦

فليكن شعار الأبناء عندما يتعلمون شيئاً من الوالدين أو يستفيدون منهم، أن يقولوا - هذه فائدة - لإدخال المسرة إلى قلوبهم، وتعويد النفس على التواضع، وفقني الله وإياك لذلك .

ومن واقع الحياة ننظر إلى الموقفين الصالحين المحبوبين المرزوقين فنجدهم بارين بوالديهم وننظر إلى الأشقياء المحرومين وإلى غلاظ القلوب والمردولين فنجدهم عاقين لوالديهم. وعن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ حَمَلَ أُمَّهُ عَلَى عُنُقِهِ، فَجَعَلَ يَطُوفُ بِهَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيهَا الْمَذَلُّ ... إِذَا ذُعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُدْعَرْ
وَمَا حَمَلْتَنِي أَكْثَرَ ثُمَّ قَالَ: أَثَرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: "لَا، وَلَا بِزَفَرَةٍ" ٣٦٧

أدب النظر إلى الوالدين :

عن ابن عباس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِذَا نَظَرَ الْوَالِدُ إِلَى وَلَدِهِ - يَعْنِي فَسَّرَ بِهِ - كَانَ لِلْوَلَدِ عُنُقٌ نَسَمَةٌ"، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ نَظَرَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةَ نَظْرَةً؟ قَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ" ٣٦٨

وعن الوليد بن مُصِيرٍ بْنِ أَوْسٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ: كَانُوا يَقُولُونَ: الصَّلَاحُ مِنَ اللَّهِ، وَالْأَدَبُ مِنَ الْآبَاءِ ٣٦٩

وهذه باقة من الآداب الإسلامية مع الوالدين.

٣٦٦ - بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشرعية نبوية - (٤ / ٤١٨)

٣٦٧ - شعب الإيمان - (١٠ / ٣١٣) (٧٥٥٠) صحيح

٣٦٨ - شعب الإيمان - (١٠ / ٢٦٦) (٧٤٧٣) حسن لغيره

٣٦٩ - الأدب المفرد للبخاري (٩٢) حسن

العلم بأن الله تعالى أوصى ببرهما، وحسن صحبتتهما، والإحسان إليهما، وقرن ذلك بعبادته، وتعظيما لشأهما، وتكريما لقدرهما، وأن النبي - ﷺ - أوصى بصلتهما وطاعتهما وخدمتهما، وجعل عقوقهما من أكبر الكبائر.

السلام عليهما عند الدخول عليهما والخروج من عندهما، وقرن السلام بتقبيل يديهما تعظيم قدرهما، وإكرام شأنهما وإجلال مقامهما، والوقوف لهما احتراماً عند دخولهما.

التأدب عند مخاطبتهما، ولين القول لهما، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما.

تلبية نداءهما، والمسايرة لقضاء حوائجهما، وطاعة أمرهما، وتنفيذ وصاياهما، وعدم الاعتراض على قولهما، إلا إذا أمرا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إدخال السرور على قلوبهما بالإكثار من برهما، وتقديم الهدايا لهما، والتودد لهما بفعل كل ما يحبانه ويفرحان به، المحافظة على أموالهما وأمتعتهما، وعدم أخذ شيء منهما إلا بإذنها.

المحافظة على سمعتهما، والحذر من التسبب في شتمهما، تفقد مواضع راحتتهما، وتجنب إزعاجهما أثناء نومهما، أو الدخول عليهما في غرفتهما إلا بإذنها.

تجنب مقاطعتهما في كلامهما، أو مجادلتهما، أو معاندتهما، أو لومهما، أو السخرية منهما، أو الضحك والقهقهة بحضرتهما.

تجنب مد اليد إلى الطعام قبلهما، أو الاستئثار بالطيبات دونهما.

تجنب التقدم في المشي عليهما، أو الدخول أو الخروج أو الجلوس قبلهما.

تجنب الاضطجاع أو مد الرجل أمامهما، أو الجلوس في مكان أعلى منهما.

استشارتهما في جميع الأمور، والاستفادة من رأيهما وتجربتهما وقبول نصائحهما.

الإكثار من الدعاء لهما، والطلب من الله تعالى أن يجزيهما كل خير على فضلهما وإحسانهما وتربيتهما.

الإكثار من زيارة قبريهما إن توفيا، والإكثار من ذكرهما والترحم عليهما.

العمل بوصيتتهما، وصلة أرحامهما، وخدمة أحبائهما من بعدهما.^{٣٧٠}

٣٧٠ - انظر التفاصيل في كتابي ((المذهب في الآداب الإسلامية)) ص (١٠٨-١١٤)

٢- الأدب مع العلماء :

من وحي هذه التعاليم الاسلامية لم تمض فترة وجيزة إلا وصار كل بيت قبلة، وكل سوق مدرسة، وانقلبت الصحاري والمراعي إلى منابع للنور والحكمة وفنون العلم والمعارف، ثم انطلق المسلمون إلى أصقاع الأرض ينشرون هذا العلم بين الناس، ويصرونهم سبيل سعادتهم، ويدلوهم على حقيقة إنسانيتهم، وأسرار خلقهم.. ويثون حضارة ما عرفت الإنسانية أعظم منها هدفا ولا أنبل منها غاية ولا أرحم منها على بني الإنسان.

إنها رسالة الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو، قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ - الْمَسْجِدَ وَقَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَقَوْمٌ يَتَذَكَّرُونَ الْفَقْهَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: كَلَّا الْمَجْلِسَيْنِ إِلَيَّ خَيْرٌ، أَمَّا الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ فَإِنْ شَاءَ أُعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ وَيَتَعَلَّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا، وَهَذَا أَفْضَلُ فَقَعَدَ مَعَهُمْ. "٣٧١

فلا بد من التأدب مع العلماء، وأن نعرف لهم مكانتهم، فما فاز من فاز إلا بالأدب، وما سقط من سقط إلا بسوء الأدب.

واعلموا أن الأمة لا تحترم ولا تقدر إلا من يحترم العلماء والأئمة. قال الحافظ ابن عساكر يرحمه الله مخاطباً رجلاً تجراً على العلماء: (إنما نحترمك ما احترمت الأئمة)، ولا شك أن أهل العلم أولى الناس، بالاحترام والأدب معهم وحسن الخلق في معاملتهم، ولين الجانب لهم وتقديرهم؛ لأن كل ذلك من الدين ولأجل الدين، وإذا كان العبد مطالب شرعاً بحسن الخلق مع عامة الناس فإن خاصتهم من أهل العلم والديانة أولى بذلك وأحرى. "٣٧٢

وقال يحيى بن معاذ: العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم. قيل: وكيف ذلك؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة. "٣٧٣

٣٧١ - مسند الطيالسي - (٤ / ١١) (٢٣٦٥) حسن

٣٧٢ - فتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (٢٠ / ١٩٧)

٣٧٣ - إحياء علوم الدين - (١ / ١٠)

وهكذا تجد أهمية الأدب في حضرة العلماء وتوقيرهم، وألفت كتب كثيرة بهذا الشأن، منها أدب الإملاء والاستملاء للإمام السمعاني، ومنها أدب العلم والمتعلم لابن قتيبة، وغيرهما كثير .

١- ماورد في الأدب مع العلماء :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ لُقْمَانَ، قَالَ لِابْنِهِ: يَا بَنِيَّ عَلَيْكَ بِمَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ، وَاسْتَمِعْ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ بنورِ الْحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ". ٣٧٤

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالَمِنَا. ٣٧٥

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفَ لِعَالَمِنَا حَقَّهُ. ٣٧٦

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثَلَاثٌ مَنْ تَوَقَّرَ جَلَالَ اللَّهِ: ذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَحَامِلُ كِتَابِ اللَّهِ، وَحَامِلُ الْعِلْمِ مَعَ مَنْ كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا" ٣٧٧

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يَسْتَحِفُّ بِحَقِّهِمْ إِلَّا مُنَافِقٌ: ذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَذُو الْعِلْمِ، وَإِمَامٌ مُقْسِطٌ". ٣٧٨

ب- نماذج من أدب أطفال السلف الصالح مع العلماء :

قال الليث بن سعد: "كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَجْلِسُ فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَبْنَاءُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَلَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَبْتَدِئَهُمْ بِحَدِيثٍ أَوْ يَجِئَهُ سَائِلٌ فَيَسْأَلُ فَيَسْمَعُونَ" ٣٧٩

٣٧٤ - الأمثال للرامهرمزي - (٥٧) والمعجم الكبير للطبراني - (٧ / ٢٢١) (٧٧١٦) ضعيف

٣٧٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٥٦٠) (٢٢٧٥٥) ٢٣١٣٥ - صحيح لغيره

٣٧٦ - مسند الشاشي ٣٣٥ - (٢ / ٢٨٩) (١٢٦١) صحيح لغيره

٣٧٧ - المذخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٥٤٧) حسن لغيره

٣٧٨ - المعجم الكبير للطبراني - (٧ / ٢٢٤) (٧٧٢٤) حسن لغيره

٣٧٩ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٩٤٧) فيه انقطاع

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -
إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا، قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ - فَأَتَنِي بِجُمَارٍ فَقَالَ « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً
مِثْلَهَا كَمِثْلِ الْمُسْلِمِ ». فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُ، قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ - « هِيَ النَّخْلَةُ » . ٣٨٠

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: "لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا فُلَانُ هَلُمَّ
فَلَنَسْأَلَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ". فَقَالَ: وَاعْجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى
النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَى؟ فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ
عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لَيُبْلَغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَأَتِيهِ، وَهُوَ قَائِلٌ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى
بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِهِ التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ، فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا
جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ فَأَتَيْكَ؟ فَأَقُولُ: لَآ، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ. فَأَسْأَلُهُ عَنِ
الْحَدِيثِ. قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَأَانِي، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: "كَانَ هَذَا الْفَتَى
أَعْقَلَ مِنِّي" ٣٨١

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: هَلُمَّ فَلَنَسْأَلَ
أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: وَاعْجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى النَّاسَ
يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ فِيهِمْ؟ قَالَ: فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ
أَسْأَلَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنْ كَانَ يَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَأَتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ
فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلَّا أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ فَأَتَيْكَ، فَأَقُولُ: لَآ أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ، قَالَ:
فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى رَأَانِي وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلِي
يَسْأَلُونَنِي فَيَقُولُ: هَذَا الْفَتَى كَانَ أَعْقَلَ مِنِّي" ٣٨٢

٣٨٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٧٢)

٣٨١ - سنن الدارمي > باب الرحلة في طلب العلم (٥٩٥) صحيح

٣٨٢ - المذخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٥٥٣) صحيح

قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَرَوَيْنَا مِنْ وَجْهِهِ كَثِيرَةً عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ رَفَقْتُ بِابْنِ عَبَّاسٍ لَأَسْتَخَرَجْتُ مِنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا" قَالَ الشَّعْبِيُّ: "كَانَ أَبُو سَلَمَةَ يُمَارِي ابْنَ عَبَّاسٍ؛ فَحُرِّمَ بِذَلِكَ عِلْمًا كَثِيرًا" وَقَالَ الْحُكَمَاءُ: إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ "وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَبْنِهِ: "يَا بُنَيَّ، إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ، وَتَعَلَّمْ حُسْنَ الِاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الصَّمْتِ، وَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثًا وَإِنْ طَالَ حَتَّى يُمْسِكَ" وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: "جَالِسُوا الْعُلَمَاءَ؛ فَلْيُنْكُمُوا إِنْ أَحْسَنْتُمْ حَمْدُوكُمْ وَإِنْ أَسَاءْتُمْ تَأَوَّلُوا لَكُمْ وَعَذَرُوكُمْ وَإِنْ أَخْطَأْتُمْ لَمْ يُعَنِّفُوكُمْ وَإِنْ جَهِلْتُمْ عَلِّمُوكُمْ وَإِنْ شَهِدُوا لَكُمْ نَفَعُوكُمْ" ٣٨٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ قَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - غَلَامًا فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ هَا هُنَا رَجُلًا هُمْ أَسْنُ مِنِّْي وَقَدْ صَلَّيْتُ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَلَى امْرَأَةٍ مَاتَتْ فِي نَفْسِهَا فَقَامَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي الصَّلَاةِ وَسَطَّهَا. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ قَالَ فَقَامَ عَلَيْهَا لِلصَّلَاةِ وَسَطَّهَا. ٣٨٤

قال الإمام الغزالي: آداب المتعلم مع العالم "أن يبدأه بالتحية والسلام، وأن يقلل بين يديه الكلام، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه، ولا يسأل ما لم يستأذن أولاً، ولا يقول في معارضة قوله: قال فلان بخلاف ما قلت، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه، ولا يسأل جليسه في مجلسه، ولا يلتفت إلى الجوانب، بل يجلس مطرقاً ساكناً متأدباً كأنه في الصلاة، ولا يكسر عليه السؤال عند ملله، وإذا قام قام له، ولا يتبعه بكلامه وسؤاله، ولا يسأله في طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله، ولا يسىء الظن به في أفعال ظاهرها منكرة عنده، فهو أعلم بأسرارهم، وليذكر عند ذلك قول موسى للخضر - عليهما السلام:

٣٨٣ - جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٦١٤) - بَلَاغًا بِلَا سِنْدٍ

٣٨٤ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٢٨١)

(أَخْرَقَتْهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)، وكونه مخطئًا في إنكاره اعتمادًا على الظاهر. ٣٨٥

٣- أدب الاحترام والتوقير :

عَنْ زُرَيْبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوسَّعُوا لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا ». ٣٨٦
وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ حَقَّ كَبِيرَنَا. ٣٨٧

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرُ الْعَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامُ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ. ٣٨٨

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ صَغِيرَنَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ" ٣٨٩

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، يَقُولُ: "إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَرِعَايَةَ الْقُرْآنِ مِنْ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَطَاعَةَ الْإِمَامِ يَعْنِي الْمُقْسِطِ" ٣٩٠
وَعَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسَوَاكٍ فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ فَنَاولْتُ السَّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا فَقِيلَ لِي كَبِّرْ. فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ ». ٣٩١

قوله: ((كَبِّر)) ؛ أي: ابدأ بالكبير توقيرًا له، ومراعاة لحق السن في الإسلام، وهذا كما قال في حديث حُويصة: ((كَبِّرْ، كَبِّرْ)) . وقد استوفينا الكلام على هذا المعنى هناك ٣٩٢

٣٨٥ - بداية الهداية - (١ / ٢١)

٣٨٦ - سنن الترمذي - المكثر - (٢٠٤٣) ضعيف، والمرفوع صحيح

٣٨٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٤٤) ٦٧٣٣ - صحيح

٣٨٨ - مصنف ابن أبي شيبة - (٦ / ٥٣٦) (٢٢٣٥٣) وسنن أبي داود - المكثر - (٤٨٤٥) مرفوعاً صحيح

٣٨٩ - شعب الإيمان - (١٣ / ٣٥٧) (١٠٤٧٨) صحيح لغيره

٣٩٠ - شعب الإيمان - (١٣ / ٣٥٨) (١٠٤٧٩) صحيح لغيره

٣٩١ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٠٧١)

وَعَنْ سَهْلٍ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةَ بْنَ مَسْعُودٍ ابْنِ زَيْدٍ أَنَّهُمَا أَتَيَا خَيْرَ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ صُلْحٌ فَتَفَرَّقَا لِحَوَائِجِهِمَا فَأَتَى مُحَيِّصَةَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قِتِيلاً فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَأَنْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَخُوَيْصَةَ وَمُحَيِّصَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ - وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ سِنًا - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « كَبُرَ الْكُبْرُ ». فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَتَحْلِفُونَ بِخَمْسِينَ يَمِينًا مِنْكُمْ فَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ صَاحِبِكُمْ أَوْ قَاتِلِكُمْ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَحْلِفُ وَلَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَرَقَالَ « تُبَرِّئُكُمْ يَهُودُ بِخَمْسِينَ يَمِينًا ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَأْخُذُ أَيْمَانَ قَوْمٍ كَفَّارٍ فَعَقَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْ عِنْدِهِ. ٣٩٣

وهكذا وجدنا أهمية أدب الاحترام والتوقير للكبار وللعلماء، وتقديم الكبير للكلام، إلا إذا طلب من الصغير الكلام أو كان المقام مقام سؤال .

٤ - أدب الأخوة :

تقدم أدب احترام الصغير للكبير وتوقيره للصغير، وهذا رسول الله ﷺ لا يسمح لأي أخ سواء كان صغيراً أم كبيراً أن يشهر أي نوع من السلاح لتخويف أخيه، وإلقاء الرعب في قلبه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ تَلْعَنُ أَحَدَكُمْ إِذَا أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. ٣٩٤

ويؤكد ﷺ للأبناء أن الأخ الكبير له منزلة خصوصية في الإسلام، وما ذاك إلا لتحمله أعباء الأسرة، ومسؤولية تربية إخوته الصغار، ورعايته لهم، فعَنْ عُثَيْمِ بْنِ كَثِيرٍ بْنِ كُلَيْبٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - وَلَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الْأَكْبَرُ مِنَ الْإِخْوَةِ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِ" ٣٩٥

٣٩٢ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (١٨ / ٥١)

٣٩٣ - سنن النسائي - المكثر - (٤٧٣١) صحيح - عقل: أدى الدية عنه

٣٩٤ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٨٣٢) وصحيح ابن حبان - (١٣ / ٢٧٢) (٥٩٤٤)

٣٩٥ - شعب الإيمان - (١٠ / ٣١٤) (٧٥٥٤) ضعيف

فإذا ما غرس الوالدان في نفس الكبير: العطف والحب والحنان لإخوته الصغار، وغرسا في نفس الصغير الاحترام والتقدير للأخ الكبير، فإنه بذلك تسير الأسرة سيراً متوازناً كلٌّ يعرف واجبه نحو الآخر، قبل أن يعرف حقه عليه .

٥- أدب الجار :

الجار له حقوق كبيرة في الإسلام، وما ذلك إلا لتقوية روابط المجتمع المسلم، وقد كان للطفل آداب مع أطفال جيرانه ندب إليها الرسول ﷺ الآباء، لتعويد أطفالهم عليها، من حسن التحسس بالآلام، وعدم إيذائه بأي طريقة من طرق الإيذاء، وفي مقدمتها عدم خروج الطفل ويده شيء من الطعام يأكل منه، أو فاكهة يتناولها، ليغيب بها ولد الجار، الذي قد لا يملك والداه أن يشتريا له، أو أن يكون الجار في ضائقة مالية، لا تمكنه من الشراء الفوري، وبذلك يتعود الطفل ألا يأكل في الطريق إلا للضرورة، وإنما بالبيت، ليكون ذلك أدعى إلى الالتزام بالآداب العامة.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ جَارِهِ مَخَافَةً عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُؤْمِنٍ، وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بِوَأْتِقَهِ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْجَارِ: إِذَا اسْتَعَانَكَ أَعْنَتَهُ، وَإِذَا اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِذَا افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِذَا مَرَضَ عُدْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَأْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَإِذَا مَاتَ أَتْبَعْتَ جَنَازَتَهُ، وَلَا تَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ تَحْجُبُ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تُؤْذِيهِ بِقِتَارِ قَدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا، وَإِنْ اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَاهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلَا يَخْرُجُ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَبْلُغُ حَقُّ الْجَارِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ رَحِمَ اللَّهُ "فَمَا زَالَ يُوصِيهِم بِالْجَارِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ سَيُورِثُهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الْحَيْرَانُ ثَلَاثَةٌ: فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقَّانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ الْقَرِيبُ لَهُ حَقُّ الْجَارِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الْقَرَابَةِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ

فَالْجَارُ الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ "قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُطْعِمُهُمْ مِنْ نُسُكِنَا، قَالَ: "لَا تُطْعِمُوا الْمُشْرِكِينَ شَيْئًا مِنَ النَّسُكِ" ٣٩٦

فعدم إغاطة الطفل لجيرانه من الأطفال مطلب نبوي لكل طفل مسلم يجب رسول الله ﷺ ، ولكل أب وأم في أن يغرسا ذلك في قلوب أطفالهم .

ما أعظم الإسلام بهذه الآداب الرفيعة، عندما يلتزم بها المسلمون، ويتعاملون بها .

٦-أدب الاستئذان :

الاستئذان أدب رفيع، يدل على حياء صاحبه وشهامته، وتربيته وعفته، وتزاهة نفسه وتكريمها عن رؤية ما لا يجب أن يراه عليه الناس، أو سماع حديث لا يحل له أن يسترقه دون معرفة المتحدثين، أو الدخول على قوم وإيقاعهم بالمفاجأة والإحراج.

والاستئذان هو طلب الأذن، ويكون لدخول بيت، أو الانضمام إلى مجلس، أو الخروج منه، أو التصرف في متاع غيره، أو إبداء رأي في مجتمعات الناس، أو سماع حديثهم.

ولذا فإن أدب الاستئذان واجب الكبير والصغير، وله مكانة خاصة في التشريع الإسلامي حتى خصه الله تعالى بآيات تتلى على مر الأجيال، وتعاقب العصور، وله أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية والأسرية، لذلك كان يعرفه صغار الصحابة مثل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فضلاً عن كبارهم .

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ - وَكَأَنَّهُ كَانَ مَشْغُولًا - فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى، فَفَرَّغَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ؟ إِذْنُوا لَهُ، قِيلَ: قَدْ رَجَعَ، فَدَعَاهُ، فَقَالَ: كُنَّا نُؤَمِّرُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: تَأْتِينِي عَلَى ذَلِكَ بِالْبَيِّنَةِ، فَأَنْطَلِقَ إِلَى مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: لَا يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا إِلَّا أَصْغَرُنَا: أَبُو

٣٩٦ - شعب الإيمان - (١٢ / ١٠٥) (٩١١٣) ومسنند الشاميين ٣٦٠ - (٣ / ٣٣٩) (٢٤٣٠ و ٢٤٥٨) وفتح

الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر - (١٠ / ٤٤٦) والزهد لهناد بن السري - (١٠٣١) حسن لغيره "استقرضك": طلب منك قرضاً . "عدت عليه": زرته وتعهدته، "القتار": رائحة الطبخ تنبعث من الوعاء حين الطبخ .

سَعِيدُ الْخُدْرِيِّ فَذَهَبَ بِأَبِي سَعِيدٍ، فَقَالَ عُمَرُ: أَخْفَيْ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟
أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، يَعْنِي الْخُرُوجَ إِلَى التَّجَارَةِ" ٣٩٧

فنسي عمر أمير المؤمنين أنه عندما لا يؤذن للشخص بالدخول فعليه الرجوع من حيث أتى، دون غضب أو سخط، فكان الشاهد المذكور على سنة رسول الله ﷺ أبو سعيد الخدري رحمه اللهم أجمعين .

وقد درّب القرآن الكريم الطفل على الاستئذان، فأمر الوالدين بتعليم الطفل الاستئذان في ثلاثة أوقات حرجة في حياة الوالدين الزوجية، وهي: قبل الفجر، وعند الظهر، وبعد العشاء، أي في الأوقات التي يخلو فيها الوالدان إلى النوم، حيث يكون كل من الوالدين في لباس خاص، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٥٨) سورة النور.

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه مُروا عبيدكم وإماءكم، والأطفال الأحرار دون سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاثة: من قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة، ووقت خلع الثياب للقيولة في الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت للنوم، وهذه الأوقات الثلاثة عورات لكم، يقل فيها التستر، أما فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن؛ لحاجتهم في الدخول عليكم، طوافون عليكم للخدمة، وكما بيّن الله لكم أحكام الاستئذان بيّن لكم آياته وأحكامه وحججه وشرائع دينه. والله عليم بما يصلح خلقه، حكيم في تدبيره أمورهم. ٣٩٨

٣٩٧ - الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (١١٠٥) صحيح

٣٩٨ - التفسير الميسر - (٦ / ٢٦٢)

فإذا بلغ الطفل الحلم، وقرب منه، ودخل في سنّ التكليف، أمر بالاستئذان في كل آن، في البيت وغيره، وكلما وجد أمامه الباب مغلقاً، إلى هذا أشارت الآية الكريمة: { وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (٥٩) سورة النور

وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية، فعليهم أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار، وكما بيّن الله آداب الاستئذان يبيّن الله تعالى لكم آياته. والله عليم بما يصلح عباده، حكيم في تشريعه.^{٣٩٩}

كيف كان رسول الله ﷺ يستأذن ؟

ينبغي على من قرع الباب مستأذناً أن يقف بجانب الباب الذي لا يظهر منه البيت عند فتحه، وظهره للباب، وعليه أن يغض بصره ما استطاع.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تَلْقَاءِ وَجْهِهِ وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ أَوْ الْأَيْسَرِ وَيَقُولُ « السَّلَامُ عَلَيْكُمُ السَّلَامُ عَلَيْكُمُ » . وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ سُتُورٌ . رواه أبو داود^{٤٠٠}

الرسول القدوة يستأذن الأطفال :

إن الحق حق، لا يعرف كبيراً ولا صغيراً، واتباع السنّة واجب على الجميع، مهما علت درجاتهم، وبلغت منازلهم، فهذا رسول الله ﷺ وهو قائد الأمة ومعلمها، يرشد الكبار والصغار في الأمة كلها، ويعرفها حق الطفل، فعن سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله ﷺ أتى بشراب وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أأأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال: لا والله يا رسول الله، لا أؤثر بنصبي منك أحداً، قال: فتله رسول الله ﷺ في يده^{٤٠١}.

^{٣٩٩} - التفسير الميسر - (٦ / ٢٦٣)

^{٤٠٠} - سنن أبي داود - المكثر - (٥١٨٨) صحيح

^{٤٠١} - صحيح البخاري - المكثر - (٢٣٥١) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٤١٢) وصحيح ابن حبان - (١٢) /

(١٥٢) (٥٣٣٥) - انظر التفاصيل في كتابي ((المهذب في الآداب الإسلامية)) - آداب الاستئذان ص ٤٥٦ فما بعدها

٧-أدب الطعام:

الطعام نعمة إلهية كبرى. لفت الله سبحانه نظر الإنسان إليها في كثير من الآيات القرآنية لينظر فيها ويعتبر، ويعرف قدرها ويشكر الرازق الكريم: { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَنْبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَاتٍ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) } عبس.

فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ أنا صببنا الماء على الأرض صبًّا، ثم شققناها بما أخرجنا منها من نبات شتى، فأنبتنا فيها حبًّا، وعنْبًا وعلفًا للدواب، وزيتونًا ونخلاً وحدائق عظيمة الأشجار، وثمارًا وكلاً تنعمون بها أنتم وأنعامكم.^{٤٠٢}

عن وَهَبِ بْنِ كَيْسَانَ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يَا غُلَامُ سَمِعَ اللَّهُ، وَكُلَّ يَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ ». فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ "متفق عليه"^{٤٠٣}
وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَعَثْتُ مَعِيَ أُمَّ سُلَيْمٍ بِمِكْتَلٍ فِيهِ رُطْبٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ أَجِدْهُ، وَخَرَجَ قَرِيبًا إِلَى مَوْلَى لَهُ، دَعَاهُ صَنَعَ لَهُ طَعَامًا. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا هُوَ يَأْكُلُ، فَدَعَانِي لِأَكُلَ مَعَهُ قَالَ: وَصَنَعَ لَهُ ثَرِيدًا بِلَحْمٍ وَقُرْعٍ قَالَ: وَإِذَا هُوَ يُعْجِبُهُ الْقُرْعُ قَالَ: فَجَعَلْتُ أَجْمَعُهُ وَأُذْنِيهِ مِنْهُ. قَالَ: فَلَمَّا طَعِمَ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، قَالَ: وَوَضَعْتُ لَهُ الْمِكْتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَأْكُلُ، وَيَقْسِمُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ آخِرِهِ.^{٤٠٤}

ماذا تفعل إذا دخل عليك طفل وأنت تأكل ؟

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَمِّي عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ فَبِعَثْنِي إِلَيْهِ فَقَالَ لِي: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْخِ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ

^{٤٠٢} - التفسير الميسر - (١٠ / ٤٠٨)

^{٤٠٣} - صحيح البخارى- المكثر - (٥٣٧٦) وصحيح مسلم- المكثر - (٥٣٨٨)

^{٤٠٤} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٢٧٤) (١٢٠٥٢) ١٢٠٧٥ - صحيح

عَمِّي مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ: هَلْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ؟ فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ؟ فَقَالَ: نَعَمْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ أَنَا وَغُلْمَةٌ مَعِي، فَوَجَدْنَاهُ يَأْكُلُ تَمْرًا فِي قِنَاعٍ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَبَضَ لَنَا مِنْ ذَلِكَ قَبْضَةً وَمَسَحَ عَلَى رُءُوسِنَا. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ^{٤٠٥}

ومن آداب الأكل التي ينبغي للطفل تعلمها:

- ١- ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه.
- ٢- وأن يقول عند أخذه: بسم الله، وفي نهايته: الحمد لله.
- ٣- وأن يأكل مما يليه، ويصغر اللقمة، عملاً بقول المصطفى #: "وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ".
- ٤- وألا يبادر (يسرع) إلى طعام قبل غيره.
- ٥- وألا يُحَدِّقَ النظر إليه ولا إلى من يأكل.
- ٦- وألا يسرع إلى الأكل، وأن يجيد المضغ.
- ٧- وألا يوالي بين اللقم.
- ٨- وألا يلطخ وجهه ولا ثوبه.
- ٩- وألا يذم أي طعام، فإذا أعجبه أكله. وإلا تركه من غير ذم.
- ١٠- وأن يُعوِّدَ الخبز القفار (بغير إدام) في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأذم حتماً، وأن يُقَبِّحَ عنده كثرة الأكل ؛ بأن يشبه كل من يُكثِرُ الأكل بالبهايم، وبأن يُذم بين يديه الصبي الذي يُكثِرُ الأكل، ويُمدح عنده الصبي المتأدب، القليل الأكل، وأن يُحبب إليه قلة المبالاة بالطعام، والقناعة بالطعام الحسن.^{٤٠٦}

٨- أدب مظهر الطفل:

هناك اهتمام من الرسول ﷺ بمظهر الطفل، سواء كان في شعره وحلاقه أو في لون لباسه، وخروجه به في الطريق .

^{٤٠٥} - المعجم الأوسط للطبراني - (١١١٦٣) والمعجم الكبير للطبراني - (٢٩١ / ٦) (٦٥٥٦) ضعيف

^{٤٠٦} - أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم - (١ / ٣) وإحياء علوم الدين - (٢ / ٢٧٢) والمدخل لابن الحاج - (٥ / ٣١)

١- أدب الشعر والحلافة :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى صَبِيًّا قَدْ حُلِقَ بَعْضُ شَعْرِهِ وَتُرِكَ بَعْضُهُ فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: احْلِقُوا كُلَّهُ، أَوْ ائْرُكُوا كُلَّهُ.^{٤٠٧}

وَعَنْ نَافِعٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنِ الْقَزَعِ" قُلْتُ: وَمَا الْقَزَعُ؟ قَالَ: فَأَشَارَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: إِذَا حَلَقَ الصَّبِيُّ ثُرَكَ هَهُنَا شَعْرٌ، وَهَهُنَا شَعْرٌ، وَهَهُنَا شَعْرٌ، فَأَشَارَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ إِلَى نَاصِيَتِهِ، وَنَاحِيَتَيْ رَأْسِهِ، فَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ الْجَارِيَةُ وَالْغُلَامُ، قَالَ: لَا أَدْرِي هَكَذَا الصَّبِيُّ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَعَاوَدْتُهُ، قَالَ: أَمَّا الْقُصَّةُ وَالْقَفَا لِلْغُلَامِ فَلَا بَأْسَ بِهِمَا، وَلَكِنَّ الْقَزَعَ أَنْ يُتْرَكَ بِنَاصِيَتِهِ شَعْرٌ، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ غَيْرُهُ وَكَذَلِكَ شَقِي رَأْسُهُ هَذَا وَهَذَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.^{٤٠٨}

وَعَنْ نَافِعٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنِ الْقَزَعِ فَقُلْتُ: وَمَا الْقَزَعُ؟ فَأَشَارَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: إِذَا حَلَقَ الصَّبِيُّ وَتَرَكَ هَاهُنَا شَعْرًا وَهَاهُنَا شَعْرًا فَأَشَارَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ إِلَى نَاصِيَتِهِ وَجَانِبَيْ رَأْسِهِ، فَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ: الْجَارِيَةُ وَالْغُلَامُ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي، هَكَذَا قَالَ.^{٤٠٩}

قال ابن القيم في تحفة المودود :

"والقزع أربعة أنواع :

أحدها أن يحلق من رأسه مواضع، من هنا هنا وها هنا، مأخوذ من تقزُع السحاب، وهو تقطعه .

الثاني أن يحلق وسطه ويرتك جوانبه، كما يفعله شماسة النصارى .

الثالث أن يحلق جوانبه، ويترك وسطه، كما يفعله كثير من الأباش والسفل .

^{٤٠٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٤٢٨) (٥٦١٥) صحيح

^{٤٠٨} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٩٢٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٦٨١) وشعب الإيمان - (٨ /

(٤٤٠) (٦٠٦٣)

^{٤٠٩} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٣١٦) (٥٥٠٦) صحيح

الرابع أن يخلق مقدمه، ويترك مؤخره، وهذا كله من القزع والله أعلم. ^{٤١٠}

وقد أشرف ﷺ على حلاقة بعض الأطفال شخصيًا، فعن عبد الله بن جعفر، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا، استعمل عليهم زيد بن حارثة فإن قتل زيد، أو استشهد، فأمرهم جعفر، فإن قتل، أو استشهد، فأمرهم عبد الله بن رواحة فلقوا العدو، فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه، وأتى خبرهم النبي ﷺ، فخرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيدًا أخذ الراية فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ففتح الله عليه فأمهل، ثم أمهل آل جعفر، ثلاثًا، أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: لا تَبْكُوا عَلَى أَحِي بَعْدَ الْيَوْمِ ادْعُوا إِلَي ابْنِي أَحِي قَالَ: فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلَّاقَ، فَجِيءَ بِالْحَلَّاقِ فَحَلَّقَ رُؤُوسَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبَّهِ عَمَّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبَّهِ خَلْقِي وَخُلُقِي ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ: فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتِمَّنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيَّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ^{٤١١}

وأما شعر البنت فقد كان لها منه ﷺ نصيب في التوجيه، فعن أسماء قالت: سألت امرأة النبي ﷺ - فقالت يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبه، فأمرق شعرها، وإني زوجتها أفأصل فيه فقال «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمَوْصُولَةَ» ^{٤١٢}.

الواصله: التي تصل للمرأة شعرها بشعر آخر زور. و«الموصولة» المفعول بها ذلك. و«المستوصلة» التي تطلب أن يفعل بها ذلك، وتأمر من يفعله بها.

^{٤١٠} - موسوعة كتب ابن القيم - (٢ / ٢٢٧)

^{٤١١} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٤٥) (١٧٥٠) صحيح

^{٤١٢} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٩٤١) - امرق: تساقط

وهكذا تجد شعر الطفل المسلم متميزاً عن باقي الأطفال، فلا يلهث وراء الموضات المتغيرة، ولا وراء الممثلين الفارغين، مبتعداً عن أي توجيه يخالف حبيبته ورسوله ﷺ .

ب- أدب لون اللباس :

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ فَقَالَ « إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسُهَا »^{٤١٣}.

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، أَنَّ جُبَيْرَ بْنَ نُفَيْرٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو حَدَّثَهُ قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، إِنَّ هَذِهِ ثِيَابُ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسُهَا.^{٤١٤}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَأَى النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ فَقَالَ « أُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا ». قُلْتُ أَغْسِلُهُمَا. قَالَ « بَلْ أَحْرِقْهُمَا »^{٤١٥}.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الثِّيَابِ الْمُعْصَفَرَةِ، وَهِيَ الْمَصْبُوغَةُ بِعُصْفَرٍ، فَأَبَاحَهَا جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَمَالِكٌ، لَكِنَّهُ قَالَ: غَيْرَهَا أَفْضَلُ مِنْهَا، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ أَنَّهُ أَجَازَ لُبْسَهَا فِي الْبُيُوتِ وَأَفْنِيَةِ الدُّوَرِ، وَكَرِهَهُ فِي الْمَحَافِلِ وَالْأَسْوَاقِ وَنَحْوِهَا، وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: هُوَ مَكْرُوهٌ كَرَاهَةً تَنْزِيهِ، وَحَمَلُوا النَّهْيَ عَلَى هَذَا ؛ لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبَسَ حُلَّةَ حَمْرَاءَ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَصْبُغُ بِالصُّفْرِ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: النَّهْيُ مُنْصَرِفٌ إِلَى مَا صُبِغَ مِنَ الثِّيَابِ بَعْدَ النَّسِجِ، فَأَمَّا مَا صُبِغَ غَزْلُهُ، ثُمَّ نُسِجَ، فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي النَّهْيِ. وَحَمَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ النَّهْيَ هُنَا عَلَى الْمُحْرَمِ بِالْحَجِّ أَوْ الْعُمَرَةِ لِيَكُونَ مُوَافِقًا لِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ: نَهْيَ الْمُحْرَمِ أَنْ يَلْبَسَ ثَوْبًا مَسَّهُ وَرْسٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ. وَأَمَّا الْبَيْهَقِيُّ ﷺ فَأَثَقَنَ الْمَسْأَلَةَ فَقَالَ فِي

^{٤١٣} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٥٥٥)

المعصفر: المصبوغ بالعصفر وهو نبات أصفر اللون

^{٤١٤} - مسند الطيالسي - (٤ / ٣٦) (٢٣٩٢) صحيح

^{٤١٥} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٥٥٧)

المعصفر: المصبوغ بالعصفر وهو نبات أصفر اللون

كِتَابُهُ مَعْرِفَةُ السُّنَنِ: نَهَى الشَّافِعِيُّ الرَّجُلَ عَنِ الْمُزْعَفَرِ، وَأَبَاحَ الْمُعْصِفَرِ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَإِنَّمَا رَخَّصْتُ فِي الْمُعْصِفَرِ لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يَحْكِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ النَّهْيَ عَنْهُ، إِلَّا مَا قَالَ عَلِيٌّ ؓ: نَهَانِي، وَلَا أَقُولُ: نَهَاكُمْ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ تُدَلُّ عَلَى النَّهْيِ عَلَى الْعُمُومِ، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ، ثُمَّ ذَكَرَ أَحَادِيثَ أُخَرَ، ثُمَّ قَالَ: وَلَوْ بَلَغَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الشَّافِعِيَّ لَقَالَ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ ذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ مَا صَحَّ عَنْ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا كَانَ حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ خِلَافَ قَوْلِي فَأَعْمَلُوا بِالْحَدِيثِ، وَدَعُوا قَوْلِي، وَفِي رِوَايَةٍ: فَهُوَ مَذْهَبِي. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَأَنْهَى الرَّجُلَ الْحَلَالَ بِكُلِّ حَالٍ أَنْ يَتَزَعَفَرَ. قَالَ: وَأَمْرُهُ إِذَا تَزَعَفَرَ أَنْ يَغْسِلَهُ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: فَتَبَعَ السُّنَّةَ فِي الْمُزْعَفَرِ، فَمَتَابَعَتُهَا فِي الْمُعْصِفَرِ أَوْلَى. قَالَ: وَقَدْ كَرِهَ الْمُعْصِفَرُ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبِهِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا، وَرَخَّصَ فِيهِ جَمَاعَةٌ، وَالسُّنَّةُ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ٤١٦

وَفِي الْمَوْسُوعَةِ الْفَقْهِيَّةِ ٤١٧: "الْأَصْلُ جَوَازُ التَّزَعْفَرِ لِلْمَرْأَةِ. أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ نَقَلَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَنْهَى الرَّجُلَ الْحَلَالَ بِكُلِّ حَالٍ أَنْ يَتَزَعَفَرَ، وَأَمْرُهُ إِذَا تَزَعَفَرَ أَنْ يَغْسِلَهُ، وَأَرْخَصَ فِي الْمُعْصِفَرِ، لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يَحْكِي عَنْهُ إِلَّا مَا قَالَ عَلِيٌّ ؓ: نَهَانِي وَلَا أَقُولُ نَهَاكُمْ .

وَقَالَ الْحَنْفِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ: بِكَرَاهَةِ لُبْسِ الثِّيَابِ الْمَصْبُوغَةِ بِالزَّعْفَرَانِ وَالْمُعْصِفَرِ لِلرِّجَالِ لِلْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ، وَقَدْ حَمَلُوا النَّهْيَ عَلَى الْكَرَاهَةِ لَا عَلَى التَّحْرِيمِ، وَهُوَ مَشْهُورٌ ... وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ رَخَّصَ فِي لُبْسِ الْمُزْعَفَرِ وَالْمُعْصِفَرِ فِي الْبُيُوتِ وَكَرِهَهُ فِي الْمَحَافِلِ وَالْأَسْوَاقِ .

٤١٦ - شرح النووي على مسلم - (٧ / ١٥٦)

٤١٧ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٣ / ٢٢٣)

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَكَرِهَ ذَلِكَ لَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَلَمًا يُوَاجِهُ أَحَدًا بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ فِي وَجْهِهِ فَلَمَّا قَامَ الرَّجُلُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَمَرْتُمْ هَذَا أَنْ يَتْرَكَ هَذِهِ الصُّفْرَةَ" ٤١٨.

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لُبْسَ هَذَيْنِ لَا يَعْذُو الْكَرَاهَةَ، فَلَوْ كَانَ مُحَرَّمًا لِأَمْرِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَغْسِلَهُ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ نُصَحِهِ وَإِرْشَادِهِ. هَذَا وَالْكَرَاهَةُ لِمَنْ تَزَعَفَرُ فِي بَدَنِهِ أَشَدُّ مِنَ الْكَرَاهَةِ لِمَنْ تَزَعَفَرُ فِي ثَوْبِهِ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَزَعَفَرَ الرَّجُلُ ٤١٩.

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سَفَرٍ فَضَمَّخُونِي بِالزَّعْفَرَانِ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يُرَحِّبْ بِي وَلَمْ يَيْشَّ بِي وَقَالَ: اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ قَالَ: فَغَسَلْتُهُ عَنِّي فَجِئْتُ وَقَدْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يُرَحِّبْ بِي وَلَمْ يَيْشَّ بِي وَقَالَ: اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ فَغَسَلْتُهُ عَنِّي ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَرَحَّبَ بِي وَقَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَحْضُرُ جَسَاةَ الْكَافِرِ بِخَيْرٍ وَلَا الْمُتَضَمِّخَ بِالزَّعْفَرَانِ وَلَا الْجُنُبَ وَرَخَّصَ لِلْجُنُبِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ، أَوْ يَنَامَ أَنْ يَتَوَضَّأَ. ٤٢٠

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: "وَأَنْ يُحِبَّ إِلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ الْبَيْضَ دُونَ الْمُلُونِ وَالْإِبْرِيسِمَ وَيَقْرَرُ عِنْدَهُ أَنْ ذَلِكَ شَأْنُ النِّسَاءِ وَالْمَخْنَثِينَ وَأَنَّ الرِّجَالَ يَسْتَنْكِفُونَ مِنْهُ وَيَكْرَهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَمَهْمَا رَأَى عَلَى صَبِي ثَوْبًا مِنْ إِبْرِيسِمٍ أَوْ مِلُونٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَنْكِرَهُ وَيَذْمَهُ، وَيَحْفَظُ الصَّبِيَّ عَنِ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ عَوْدُوا التَّنْعَمَ وَالرَّفَاهِيَةَ وَلِبْسَ الثِّيَابِ الْفَاحِشَةِ" ٤٢١.

تَحْرِيمُ لِبْسِ الْحَرِيرِ عَلَى الذَّكَورِ :

فَمَنْذُ أَنْ يَفْتَحَ الطِّفْلُ عَيْنَيْهِ فَيَعُودَ سَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَبْعَدُ عَنِ الْأَلْبَسَةِ الْحَرَمَةِ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الصَّاحِبِيُّ الْجَلِيلُ بِكُلِّ جِدٍّ وَصَرَامَةٍ، عَنْ أَبِي كَنْفٍ، قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى

٤١٨ - شعب الإيمان - (٨ / ٣٣٧) (٥٩١١) صحيح

٤١٩ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٨٤٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٦٢٩)

٤٢٠ - مسند الطيالسي - (٢ / ٣٧) (٦٨١) حسن

٤٢١ - إحياء علوم الدين - (٢ / ٢٧٢)

أَتَيْتُ دَارَهُ، فَأَتَاهُ بُنُونٌ لَهُ عَلَيْهِمْ قُمُصٌ حَرِيرٌ فَخَرَفَهَا، وَقَالَ: انْطَلِقُوا إِلَى أُمَّكُمْ فَلْتَلْبِسَكُمْ
غَيْرَ هَذَا. ٤٢٢

وَعَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ شَمَّاسٍ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: رَأَى ابْنُ مَسْعُودٍ ابْنًا لَهُ عَلَيْهِ قَمِيصٌ مِنْ حَرِيرٍ،
فَشَقَّه، وَقَالَ: إِنَّمَا هَذَا لِلنِّسَاءِ. ٤٢٣

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَدِمَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ كُسِيَ وَلَدُهُ الْحَرِيرَ، فَزَعَّ
مِنْهُ مَا كَانَ عَلَى ذُكُورٍ وَلَدِهِ، وَتَرَكَ مِنْهُ مَا كَانَ عَلَى بَنَاتِهِ ٤٢٤.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ إِبرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ عَلَى عُمَرِ،
عَلَيْهِ قَمِيصٌ حَرِيرٍ، فَشَقَّ الْقَمِيصَ. ٤٢٥

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ عَلَيْهِ قَمِيصٌ حَرِيرٌ،
فَقَالَ: "مَنْ كَسَاكَ هَذَا؟"، قَالَ: أُمِّي، قَالَ: فَشَقَّه، قَالَ: "قُلْ لَأُمِّكَ تَكْسُوكَ غَيْرَ هَذَا". ٤٢٦

وَلَا شَكَّ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَزَقَ الْقَمِيصَ لِأَنَّهُ تَعْلَمُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْحَرِيرَ لِلنِّسَاءِ
وَلَيْسَ لِلرِّجَالِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ
وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لِبَنَاتِهِمْ ٤٢٧.

ذَهَبَ الْحَنْفِيَّةُ وَهُوَ قَوْلُ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ وَوَجْهُهُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ: إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ
إِلْبَاسُ الصَّغِيرِ الذَّكَرِ الْحَرِيرَ. لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَدَارَ الْحُرْمَةَ عَلَى الذُّكُورَةِ. إِلَّا أَنَّ اللَّابِسَ إِذَا
كَانَ صَغِيرًا فَلَا يَلْبَسُهُ عَلَى مَنْ أَلْبَسَهُ لَا عَلَيْهِ. لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا. وَلِعُمُومِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: وَحُرِّمَ
عَلَى ذُكُورِهَا. وَلَمَّا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا نَنْزِعُهُ عَنِ الْعِلْمَانِ وَنَتْرُكُهُ

٤٢٢ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ١٦٢) (٢٥١٤٤) حسن

٤٢٣ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ١٦٢) (٢٥١٤٥) حسن

٤٢٤ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ١٦٢) (٢٥١٤٦) فيه انقطاع

٤٢٥ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ١٦٣) (٢٥١٤٧) صحيح

٤٢٦ - المعجم الكبير للطبراني - (٨ / ٦٨) (٨٦٩٩) حسن

٤٢٧ - سنن الترمذي - المكثر - (١٨٢٤) صحيح

عَلَى الْجَوَارِي ^{٤٢٨} وَالْجَوَارِي الْبَنَاتُ الصَّغِيرَاتُ. وَمَنْ قَالَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ بِذَلِكَ اسْتَشْنَى الرُّضِيعَ لِلْمَشَقَّةِ الدَّاحِلَةِ عَلَى أُمِّهِ ^{٤٢٩} .
وَيَذْهَبُ الشَّافِعِيُّ إِلَى جَوَازِ إِبْسَاسِهِ صِغَارَ الذُّكُورِ. وَهَذَا قَوْلُ لِلْمَالِكِيَّةِ، وَوَجْهُهُ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ فَلَا يَتَعَلَّقُ التَّحْرِيمُ بِلِبْسِهِمْ .
وَهُنَاكَ وَجْهٌ ثَالِثٌ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا بَلَغَ الصَّبِيُّ سَبْعَ سَنَوَاتٍ يَحْرُمُ إِبْسَاسُهُ ثَوْبَ حَرِيرٍ . ^{٤٣٠}

٩-أدب استماع القرآن:

قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (٢٠٤) سورة الأعراف

هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيرا كثيرا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًا متجددًا، وهدى متزايدًا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاتته خير كثير.

ومن أؤكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات، حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة، وغيرها. ^{٤٣١}

^{٤٢٨} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٠٦١) صحيح

^{٤٢٩} - بدائع الصنائع ٥ / ١٣٠، مواهب الجليل ١ / ٥٠٥، والمغني لابن قدامة ١ / ٤٢٣ .

^{٤٣٠} - حاشية الجمل على شرح المنهج ٢ / ٨٢، المغني ١ / ٤٢٣، ومواهب الجليل ١ / ٥٠٦ . الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٧ / ٢٠٨)

وليعلم الوالد ولده أدب السماع لكتاب الله تعالى بحيث لا يشغل نفسه أثناء تلاوة القرآن الكريم، حتى تؤتي هذه القراءة أكلها، وتينع ثمارها في نفسه .

وإذا أراد أن يعمل تلاوة القرآن فلتكن على تمهل، مع مراعاة آداب التلاوة، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَلَا يُجَاوِزُونَ الْعَشَرَ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعاً " ٤٣٢



٤٣١ - تفسير السعدي - (١ / ٣١٤)

٤٣٢ - - تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ < سُورَةُ الْفَاتِحَةِ > (٢٣٠٠) صحيح

الأساسُ الخُلُقِيُّ الثاني - خُلُقُ الصدق:

الصدق: صدق فلان في الحديث: أخبر بالواقع^{٤٣٣}، والكذب: خلاف الصدق^{٤٣٤}

"إن الصدق دعامة الفضائل، ومظهر من مظاهر السلوك النظيف ودليل الكمال وعنوان الرقي، بالصدق توطد الثقة بين الأفراد والجماعات، لا يستغني عنه حاكم ولا تاجر، ولا رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير."^{٤٣٥}

فخلق الصدق أصل هام من أصول الأخلاق الإسلامية، والتي تحتاج إلى جهد لتركيزها وتثبيتها، ورسول الله ﷺ اهتم بتثبيت هذا الخلق في الطفل، وهو يراقب تصرفات الوالدين مع الطفل، وذلك لتجنب وقوع الوالدين في رذيلة الكذب على الطفل، ويضع قاعدة عامة: أن الطفل إنسان، له حقوقه في التعامل الإنساني، ولا يجوز للوالدين خداعه بأيّة وسيلة كانت، واللامبالاة في التعامل معه .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِنَا وَأَنَا صَبِيٌّ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَخْرُجُ لِلْعَبِّ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ ؟ قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ.^{٤٣٦}

وَعَنْ أَبِي الْحَوَرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا تَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ: أَذْكُرُ أَنِّي أَخَذْتُ ثَمْرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَأَلْقَيْتُهَا فِي فَمِي، فَانْتَرَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُلْعَابَهَا، فَأَلْقَاهَا فِي التَّمْرِ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا عَلَيْكَ لَوْ أَكَلْتَ هَذِهِ الثَّمْرَةَ ؟ قَالَ: إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيَّةٌ قَالَ: وَكَانَ يُعَلِّمُنَا هَذَا الدُّعَاءَ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ

^{٤٣٣} - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٥٣٦

^{٤٣٤} - المصدر نفسه، ص ٨١٦

^{٤٣٥} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٥٠

^{٤٣٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٣٩٤) (١٥٧٠٢) ١٥٧٩٣ - حسن لغيره

عَافَيْتَ، وَتَوَلَّيْنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطِيتَ، وَفَنِي شَرٌّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّهُ لَا يَزِلُّ
مَنْ وَالَيْتَ، وَرُبَّمَا قَالَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ.^{٤٣٧}

وقد اهتم السلف الصالح بتركيز هذا الخلق، الذي يتفرع عنه الصدق في الوعد، سواء وعد
الكبار للصغار، أو وعد الأطفال لبعضهم البعض، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَرَوَايَا الْكَذِبِ، فَإِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ بِالْجَدِّ وَلَا بِالْهَزْلِ، وَلَا يَعِدُ
الرَّجُلُ صَبِيَّهُ مَا لَا يَفِي لَهُ بِهِ، أَلَا إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ،
وَالصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ: صَدَقَ وَبَرَّ،
وَالْكَاذِبِ: كَذَبَ وَفَجَرَ، أَلَا إِنَّ الْعَبْدَ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَاذِبًا، وَيَصْدُقُ حَتَّى
يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا"^{٤٣٨}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ شَرَّ الرِّوَايَا رَوَايَا الْكَذِبِ، إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ فِي جَدٍّ وَلَا
هَزْلٍ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي
إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُقَالُ لِلصَّادِقِ صَدَقَ وَبَرَّ وَيُقَالُ لِلْكَاذِبِ كَذَبَ
وَفَجَرَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صَدِيقًا، وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ
كَاذِبًا"^{٤٣٩}

لماذا يكذب الأطفال ؟:

- "قد يكذب الطفل تحدياً لوالديه اللذين يعاقبانه بشدة، فهو يكذب هرباً من العقاب.

- وقد يكذب مازحاً مع أصدقائه بُغية الفكاهة.

- وقد يكذب الطفل الذي يشعر بالنقص لكي يستدرّ عطف المحيطين به .

- وقد يدعي أنه مريض، لأنه لا يريد الذهاب إلى المدرسة. وغير ذلك "^{٤٤٠}

ولكي نُخلص الأبناء من عادات الكذب:

^{٤٣٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٣٣) (١٧٢٣) صحيح

^{٤٣٨} - تَهْذِيبُ الْأَثَرِ لِلطَّبْرِيِّ (١٤٦٨) صحيح

^{٤٣٩} - تَهْذِيبُ الْأَثَرِ لِلطَّبْرِيِّ (١٤٦٩) صحيح

^{٤٤٠} - حسان شمسي باشا، كيف تربي أبنائك في هذا الزمان، ص ١١٦-١١٧

- "نأخذته عن الصدق وأهميته دون إكراه أو ضغط، نشعره بالعطف والمحبة ونشجع فيه الثقة بالنفس ونُبصِّره بأهمية الأمانة والصدق فيما يقوله ويفعله ونذكر له أحاديث الرسول - ﷺ - التي تحت على الصدق، فعن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا.^{٤٤١}

وعن قيس، قال: قال أبو بكر: إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبُ الْإِيمَانِ^{٤٤٢}.

- ومن أخطر الأمور أن يعترف الطفل بخطئه ثم يعاقبه بعد اعترافه فكأننا نعاقبه على الصدق، وندفع الطفل دفعاً إلى الكذب^{٤٤٣}



^{٤٤١} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٨٠٥) وصحيح ابن حبان - (١ / ٥٠٩) (٢٧٤)

^{٤٤٢} - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ١٥١) (٢٦١١٥) صحيح

^{٤٤٣} - كيف تربي أبنائك في هذا الزمان، ص ١١٧-١١٨

الأساسُ الخُلُقِيُّ الثالث - خلقُ كتم الأسرار :

"لقد عني رسول الله - ﷺ - - بحفظ السرِّ لدى الأطفال، لأن هذا الخلق يسهم في تكوين إرادة الطفل الواعية الفاعلة، لأن الطفل يريد أن يتكلم بما يملك من معارف أو معلومات، فعندما تدرّبه على حفظ السرِّ فإنه يتدرب على بذل جهد نفسي مخالف لطبائع الطفولة الفطرية، فإذا نما [جعل] حفظ السر فيه، وإنَّ عدداً من الصفات والسجايا تنمو مع هذا الخلق مثل قوة الإرادة وانضباط اللسان ورباطه الجأش، مما يتسبب في غرس الثقة الاجتماعية ونمو بذرة القوة في نفس الناشئة".^{٤٤٤}

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: انْتَهَى إِلَيْنَا النَّبِيُّ - ﷺ - ، وَأَنَا فِي غِلْمَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدَيَّ، فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ، أَوْ فِي جِدَارٍ، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَتَيْتُ أُمَّ سُلَيْمٍ، قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِرِسَالَةٍ، قَالَتْ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: احْفَظْ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ بَعْدَ أَحَدًا قَطُّ.^{٤٤٥}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ أُرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَأَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِحَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشٌ نَخْلٍ. قَالَ ابْنُ أَسْمَاءَ فِي حَدِيثِهِ يَعْنِي حَائِطٌ نَخْلٍ.^{٤٤٦}



^{٤٤٤} - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٣٤. وانظر إلى سهام مهدي

جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٥٨-٣٦٠

^{٤٤٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٦٠٤) (١٣٤٦٩) - ١٣٥٠٣ - صحيح

^{٤٤٦} - صحيح مسلم - المكثر - (٨٠٠)

الحائش: الملتف المجتمع من النخل - المهدف: ما ارتفع من الأرض

الأساسُ الخُلُقِيُّ الرابع - خلقُ الأمانة :

"كشف الحق أن الأمانة دعامة بقاء الإنسان ومستقر أساس الحكومات وروح العدالة وحدها وهي أحد عناصر تكامل الشخصية"^{٤٤٧}

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٥٨) سورة النساء
إن الله تعالى يأمركم بأداء مختلف الأمانات، التي أوثقتكم عليها إلى أصحابها، فلا تفرطوا فيها، ويأمركم بالقضاء بين الناس بالعدل والقسط، إذا قضيتهم بينهم، ونعم ما يعظكم الله به ويهديكم إليه. إن الله تعالى كان سميعاً لأقوالكم، مُطلعاً على سائر أعمالكم، بصيراً بها.^{٤٤٨}

فالأمانة خلق أصيل، اتصف به سيدنا محمد ﷺ من عهد الطفولة إلى عهد الرسالة، حتى وصفه المشركون بالصادق الأمين، وفي ذلك عبرة للطفل المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ ، لتساعده فيما بعد على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وقد حدد ﷺ مسؤولية الولد في مال أبيه، فيكون أميناً على القيام به، بلا إسراف ولا تبذير، فعن الزهري قال أخبرنا سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله - ﷺ - يقول « كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئولٌ عن رعيته، الإمام راعٍ ومسئولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئولٌ عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسئولةٌ عن رعيته، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئولٌ عن رعيته - قال وحسبتُ أن قد قال - والرجل راعٍ في مال أبيه ومسئولٌ عن رعيته وكلُّكم راعٍ ومسئولٌ عن رعيته » .^{٤٤٩}

ونلاحظ اهتمام الرسول ﷺ بخلق الأمانة وتأصيله في الطفل، أنه لم يرض من الطفل خطأه في هذا الركن، وإنما عاقبه، عندما أخلَّ به، وشدَّ أذن الطفل، فعن عبد الله بن بسرٍ

^{٤٤٧} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٥٥

^{٤٤٨} - التفسير الميسر

^{٤٤٩} - صحيح البخاري- المكثر - (٨٩٣) وصحيح مسلم- المكثر - (٤٨٣٢)

الْمَازِنِيِّ، عليه السلام قَالَ: بَعَثَنِي أُمِّي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام يَقْطِفُ مِنْ عِنَبٍ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ أُبْلِعَهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا جِئْتُ بِهِ أَخَذَ أُذُنِي وَقَالَ: "يَا غَدْرُ" ^{٤٥٠}.

وَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام بَعَثَ مَعَهُ بِقَظْفَيْنِ: وَاحِدٍ لَهُ، وَالْآخَرَ لَأُمِّهِ عَمْرَةَ، فَلَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام عَمْرَةَ فَقَالَ: أُرْسَلْتُ لَكَ مَعَ الثُّعْمَانَ بِقَظْفٍ مِنْ عِنَبٍ، فَقَالَتْ: لَا فَأَخَذَ النَّبِيُّ عليه السلام بِلَدَّتِهِ، فَقَالَ: "يَا غَدْرُ" ^{٤٥١}.



^{٤٥٠} - عَمَلُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ لِأَيِّ السَّنَةِ (٤٠٠) ضَعِيفٌ

^{٤٥١} - مسند الشاميين ٣٦٠ - (٢ / ٣٥٥) (١٤٨٧) ضَعِيفٌ جَدًّا

الأساسُ الخُلُقِيُّ الخامس - خلق سلامة الصدر من الأحقاد :

إن سلامة الصدر من الأحقاد، تحقق توازناً نفسياً لدى الإنسان، وتعوده على حب الخير للمجتمع، وتطلق عنان قوة الخير للنس البشرية، إلى أعلى قممها .

وقد وجه النبي ﷺ نداءً للطفل الناشيء أنس بن مالك، أن يغسل أدران نفسه صباحاً ومساءً، فيسمح من أساء إليه، ويفرغ قلبه من أي بقايا من وساوس الشيطان ونفثه، في الرؤوس والنفوس، فعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ ». ثُمَّ قَالَ لِي « يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي. وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ »^{٤٥٢}.

وليحدث الطفل بقصة الرجل الذي شهد له النبي ﷺ بالجنة، فعن الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"، قَالَ: فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ لِحِيَّتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ وَقَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ فَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ صَرَّتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِبُّ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُزَوِّبَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ الثَّلَاثُ فَعَلْتُ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ أَنَسُ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو يُحَدِّثُ أَنَّهُ: بَاتَ مَعَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، قَالَ: فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَ مِنَ اللَّيْلِ، وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكَدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلُهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ، فَأَنْظَرَ مَا عَمَلُكَ فَلَمْ أَرُكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ

^{٤٥٢} - سنن الترمذی - المکتب - (٢٨٩٤) حسن

فِي نَفْسِي عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَهَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا تُطَاقُ^{٤٥٣}

من مضار (الحقد)

- (١) الحقد يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في غمّ وحزن.
- (٢) الحقد مرض عضال من أمراض القلب، يخشى معه أن يتسرّب الإيمان من هذا القلب المريض.
- (٣) الأحقاد نزع من عمل الشيطان لا يستجيب له إلّا من خفت أحلامهم وطاشت عقولهم.
- (٤) الحقد مصدر للعديد من الرذائل مثل الحسد والافتراء والبهتان والغيبة.
- (٥) في الحقد دليل على غباء صاحبه ووضاعته لأنّه ينظر إلى الأمور نظرة قاصرة لا تتجاوز شهواته الخاصّة.
- (٦) الحقد يغضب ربّ عزّ وجلّ ويؤدّي بصاحبه إلى الخسران المبين في الدنيا والآخرة.
- (٧) الحاقّد قلق النفس دائماً لا يهدأ له بال طالما رأى نعمة الله يسعد بها سواه.
- (٨) الحاقّد ساقط المهمّة، ضعيف النفس، واهن العزم، كليل اليد.
- (٩) الحاقّد رجل مضللّ ضائع، مخطيء في تقديره فهو محصور التفكير في الدنيا ومتاعها ويتبع بالغیظ من نال منها حظّاً أوفر.
- (١٠) الحاقّد جاهل برّبّه وبسننه في هذا الكون، لأنّ لله حكماً قد لا تظهر في التوّ واللحظة، وقد يكون ما ظنّه الحاقّد نعمة فاتته وأدركت غيره مجرد ابتلاء واختبار تجلب على صاحبها من العناء ما لا يطيقه الحاقّد الذي يتمنّاها.
- (١١) الحقد يظهر عيوب الإنسان ويكشف عن الداء الدفين فيه.^{٤٥٤}



^{٤٥٣} - شعب الإيمان - (٩ / ٨) (٦١٨١) صحيح

^{٤٥٤} - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - (١٠ / ٤٤٤٠)

الأساس الخلقي السادس - التحذير من الأخلاق الهابطة:

إن مسؤولية الآباء في هذا المجال مسؤولية شاملة بكل ما يتصل بإصلاح نفوسهم، وتقويم اعوجاجهم، وترفعهم عن الدنيا، وحسن معاملتهم للآخرين..

فهم مسؤولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق، والأمانة، والاستقامة، والإيثار، وإغاثة الملهوف، واحترام الكبير، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والمحبة للآخرين.. ومسؤولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب، والشتائم والكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينبئ عن فساد الخلق، وسوء التربية..

ومسؤولون عن ترفعهم عن دنيا الأمور، وسفاسف العادات، وقبائح الأخلاق، وعن كل ما يحط بالمروءة والشرف والعفة..

ومسؤولون عن تعويدهم على مشاعر إنسانية كريمة، وإحساسات عاطفية نبيلة، كالإحسان إلى اليتامى، والبر بالفقراء، والعطف على الأرامل والمساكين..

إلى غير ذلك من هذه المسؤوليات الكبيرة الشاملة التي تتصل بالتهذيب، وترتبط بالأخلاق..

وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر الإسلام تعتمد في الدرجة الأولى على قوة الملاحظة والمراقبة.. فجدير بالآباء والأمهات والمعلمين، وكل من يهيمه أمر التربية والأخلاق.. أن يلحظوا في الأولاد ظواهر أربعة، وأن يعيروها اهتمامهم لكونها من أقبح الأعمال، وأحط الأخلاق، وأرذل الصفات..^{٤٥٥}

وهذه الظواهر مرتبة كما يلي:

١ - خلق الكذب:

وهو خلق ذميم فواجب على الآباء والمربين أن يراقبوا أولادهم حتى لا يقعوا في ذلك الخلق الشنيع.

^{٤٥٥} - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ١٣٤)

ويكفي الكذب تشنيعاً وتقبيحاً أن عده الإسلام من خصال النفاق فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا عاهد أخلف، وإذا خاصم فجر.»^{٤٥٦}

إن من أخطر المضاعفات الناشئة في نفس الطفل إذا وعدته وأخلفت، إذا وعدته فلا بد من أن تنجز وعده، لأنك إذا أخلفت وعده علمته الكذب عملياً.. درس عملي في الكذب لا ينسى قد لقنته له، بالطبع لن يقول لك كذاب بل سيسكت، عرفك أنك كاذب، فلا يهم الكلام ولكن المهم الحقيقة.

فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ - «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم - قال أبو معاوية ولا ينظر إليهم - ولهم عذاب أليم شيخ زان وملي كذاب وعائل مستكبر»^{٤٥٧}.

وعن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله عز وجل صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً^{٤٥٨}.

والكذب خيانة، فعن التوأس بن سمعان الكلبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب كذا»^{٤٥٩}.

وعن عبد الله بن عامر، أنه قال: دعيتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة^{٤٦٠}.

^{٤٥٦} - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٨٨) (٢٥٤) وصحيح البخاري - المكثر - (٣٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٢١٩)

^{٤٥٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٣٠٩) - العائل: الفقير

^{٤٥٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٣٠) (٣٦٣٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٨٠٥)

^{٤٥٩} - شعب الإيمان - (٦ / ٤٦١) (٤٤٧٩) حسن

فإذا لاحظ الأب أن ابنه يكذب يجب أن يتابع الأمر ولا يتساهل، أحياناً الأب يحسن الظن ويتساهل، فقد حضر للبيت وهو متعب وسمع ابنه يروي قصةً كاذبةً ويتركه، لكن حينما يحمل الأب ابنه على الصدق ويتعب بالتحقيق والتدقيق والنصيحة والمتابعة لعله بعد حين يقطفُ ثماراً يانعة.

الإنسان الصادق لا يقدر بثمن، فشيء عظيم أن تكون صادقاً، فالصدق مع الناس ينقلك إلى الصدق مع نفسك، ثم تنتقل إلى الصدق مع الله، يوجد صدق مع الله، وأحياناً يكون الإنسان صادقاً مع نفسه فلا يحاول أن يوهم نفسه أو هاماً غير صحيحة، يبدأ صدقه مع الناس، ثم مع نفسه، ثم مع الله^{٤٦١}.

وأحياناً فإن الأب القاسي على أولاده يدفعهم إلى الكذب، فحينما يكون العقاب أليماً يلجأ الطفل إلى الكذب لينجو من العقاب بحكم الدفاع عن نفسه، أمّا إذا كان الأب متفهماً لابنه فإنه يشعره أن الصدق منجاة، وأنه إذا أخطأ ينبغي أن يذكر خطأه، وأن الأب لا يملك إلا أن ينصحه ويبيّن له .

إن القسوة البالغة من الآباء كثيراً ما تحمل الأبناء على الكذب، لينجو الطفل من عقاب الأب، هو لا ينوي أن يكذب ولكن يريد أن ينجو من العقاب الأليم، ولذلك فإن أحد أسباب الكذب قسوة الآباء في معاملة أولادهم المذنبين، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: عَلِّمُوا، وَلَا تُعْظِفُوا؛ فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعْظِفِ^{٤٦٢}.

ربّما كان التعنيف أسهل ولكن التعليم يحتاج إلى نفسٍ طويل .. ويحتاج إلى بيان، وإلى حنان، وإلى صبر وتروٍّ، وإلى تأنٍّ، والثمارُ اليانية التي يقطفها المعلم لا تُقدَّر بثمن، أمّا الثمار التي يقطفها المعنف ربّما أدّت إلى الكذب، وإلى ترك المتزل، وإلى الخوف من الأب، وإلى أن يصبح وجود الأب في البيت مكروهاً، وإذا خرج الأب من بيته تنفس أولاده

^{٤٦٠} - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٤٠٥) (٢٦١٢٢) حسن

^{٤٦١} - تربية الأولاد في الإسلام للنابلسي - (٣ / ١٤)

^{٤٦٢} - مسند الطيالسي - (٤ / ٢٦٩) (٢٦٥٩) فيه جهالة

الصُّعداء فإذا عاد صار جو البيت عبوساً قمطيراً، فأنت لا تنجح كآب إلا إذا كان دخولك إلى البيت عيداً لهم، وغرساً، وإلا إذا كان غيابك مأساة، وهذا هو الأب الناجح .
ويجب أن يوقن المعلم أن أكثر المشكلات التي يعاني منها في تربية تلاميذه تعود إليه، فلو كان ليئناً صار الصف فوضى وإذا صار فوضى اشتد اضطراب المدرس وكان عنيفاً جداً معهم، لينه سبب الفوضى، والفوضى سببت له هذه الشدة النفسية، وهذه سببت له القسوة البالغة في معاملته، فلذلك ترى المعلم الناجح لا يعزوها إليهم، بل يعزو أخطاء تلاميذه إليه.

الأب الناجح كلما رأى من ابنه انحرافاً أو تقصيراً أو خروجاً لا ينبغي له أن يقول: يا أحي جيل صعب .. لا تقل ذلك، بل اتهم نفسك واتهم أسلوبك في التربية، واتهم تقصيرك مع أبنائك قبل أن اتهم الأبناء هذا هو الأصل، أي إن أخطاء الأولاد تُعزى إلى إهمال الآباء، أو إلى لينهم الشديد، أو إلى قسوتهم البالغة، (لا تكن ليئناً فتعصر ولا قاسياً فتكسر)، فليس من الصعوبة أن تكون قاسياً، ولا أن تكون ليئناً فكلاهما سهل، ولكن الصعوبة البالغة أن يحار ابنك فيك، لين يشف عن رحمة وقسوة تشف عن حزم، وهكذا علمنا الله عز وجل .. والأنبياء الكرام يعبدون الله رغباً ورهباً، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، وربنا عز وجل يعاملك معاملة ترى أنه رحيم رحيم، فإذا توسعت في الرحمة وتجاوزت الحدود رأيت قسوة لا حدود لها، ربنا عز وجل يؤدبك، لا يريدك أن تكون منبسطاً إلى درجة التجاوز، ولا منقبضاً إلى درجة اليأس، بل يُريدك أن تكون راغباً وراهباً، راجياً وخائفاً. وهذا هو الأكمل (لا تكن ليئناً فتعصر ولا قاسياً فتكسر)

هذا الكلام موجه للأب، وللمعلم، ومدير الدائرة، ومدير الثانوية، ولأي منصب قيادي، من السهل أن تكون عنيفاً، ومن السهل أن تكون ليئناً، ولكن البطولة أن تجمع بينهما، وأن يحار فيك مرؤوسوك، أي لين وقاس .. حازم ورحيم .

٢- خلق السرقة:

وهو لا يقل خطراً عن الكذب، وهو منتشر في البيئات المتخلفة التي لم تتخلق بأخلاق الإسلام، ولم تترب على مبادئ التربية والإيمان. ومن المعلوم بدهة أن الطفل منذ نشأته إن

لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه، وأن يتعود على الأمانة وأداء الحقوق، فإن الولد - لاشك - سيدرج على الغش والسرقة والخيانة، وأكل الأموال بغير حق، بل يكون شقياً مجرمًا، يستجير منه المجتمع، ويستعيز من سوء فعالة الناس لهذا كان لزاماً على الآباء أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله، والخشية منه، وأن يعرفوهم بالنتائج الوخيمة التي تنجم عن السرقة وتستفحل بسبب الغش والخيانة.

إن صحبة قرناء السوء شيء خطير جداً، لا شيء يشغل الآباء كأن ترى من هو صديق ابنك؟ ولا يوجد عمل أعظم من هذا العمل، فلا شيء تسعد به في الدنيا سوى أن تربّي ابنك، فمثلاً إن وجدت مع ابنك ممحاة جديدة فاسأله من أين؟ هذا اليوم لم يأخذ منك مصروفاً، فمن أين أحضرها يا بني؟ أغلب الظن أن رفيقه أعطاه إياها، وأنت قبلت هذا الكلام.. لا هذا كلام غير صحيح، ولو كفلك أن تذهب إلى المدرسة وتطلب إحضار رفيقه وتسأله مرة واحدة فيتعلم الابن أنه قبل أن يكذب يعدّ للألف، ودائماً الآباء يجدون مع أبنائهم إما مالا أو حاجات أو أقلاماً أو دفاتر، فيوجد آباء لا يسألون أبداً ولا يهتمون، فيطرح الأب سؤالاً فيتلقى جواباً تقليدياً.. وجدها في الطريق، أو رفيقه أعطاه إياها، فأين أنت سائر، هذا قبول ساذج، فيجب أن تحقق.

فالأب الذي يغضّ النظر عن غرض أو حاجة عند ابنه.. يجب أن يسأله: من أين جئت بها؟ فيجيب: اشتريتها. فتسأله: من أعطاك المال؟.. لأن معظم النار من مستصغر الشرر. ويقولون: أمّهات الفضائل.. الصدق والأمانة.

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيِّ، أَمَّنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا نُؤْذِي، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، اتَّمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطَرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بَطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وَعَمَرُو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ، قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا

النَّجَاشِيِّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدَّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدَمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطَرِيقٍ مِنْهُمُ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مَنَا غُلْمَانُ سُفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاؤُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعَ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنْ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمُ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مَنَا غُلْمَانُ سُفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاؤُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعَ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيَّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَّقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَاسْلِمَهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلْيُرُدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَا اللَّهُ، أَيُّمَ اللَّهِ إِذَنْ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَاسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَا فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي. قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمْنَا، وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، كَائِنْ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنْ. فَلَمَّا جَاؤُوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَافَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ

الْأَرْحَامَ، وَنُسِيَءُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِمَّا الضَّعِيفُ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِمَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَرْنَا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جَوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كَهْيَعَصٍ، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لَحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَافَقَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهُ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلَقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمَ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أُكَادُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَا تَبْنِيَهُمْ غَدًا عِيَّهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضِرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ، وَكَانَ أَتَقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللَّهِ لَا خَيْرَ لَهُ أَتُهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْعَدُوُّ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلِ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلَهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمُ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِينَا كَانْنَا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ

به نَبِيْنَا: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ، قَالَتْ: فَضْرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عَيْسَى ابْنُ مَرِيَمَ مَا قُلْتُ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاحَرَتْ بِطَارِفَتَيْ حَوْلِهِ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ أَذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سَيُومٌ بِأَرْضِي، وَالسَّيُومُ: الْآمِنُونَ، مَنْ سَبَّكُمْ غُرْمٌ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرْمٌ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنْتِي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ، وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ، رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودَا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَ بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ، يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنِ حَزْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ. قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عَرْضُ النَّيْلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقَعَةَ الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحَدِثِ الْقَوْمِ سِنًا، قَالَتْ: فَتَفَخُّوا لَهُ قَرَبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النَّيْلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ. قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللَّهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالتَّمَكُّينَ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ بِمَكَّةَ ٤٦٣.

وهذه أمهات الفضائل، فإن من عنده أمانةٌ وصدق، ولم يكن عنده عفاف .. بالتعبير الشائع (نفسه خضراء) .. لأن غضُّ البصر أمانة، أيضاً هناك قاعدةٌ في الأخلاق: إن الأخلاق لا تُجزأ .. فالأمين على أموال الناس أمينٌ على أعراضهم في الوقت نفسه، فالذي يخون الناس في أعراضهم ليس بعيداً أن يخونهم في أموالهم، فالأمانة لا تجزأ .

إذا الشيء الذي أتمناه أن تراقب .. أحياناً الابن يسرق دون أن يكون سارقاً، أي توجد عنده رغبةٌ تملك دون أن يعي، فقد يزور أقاربه فيجد لعبة تعجبه فيأخذها، أو يجد حاجةً فيضعها في جيبه ويذهب، فلا تعدُّه سارقاً .. لا، ولكن نبّهه وقل له: هذه ليست لك. علّمه قبل أن تعاقبه، وبالمناسبة فكثيرٌ من الآباء يُترلون أشدَّ العقاب بأولادهم قبل أن يبينوا لهم أن هذا ممنوع. وعندنا قاعدةٌ في الدين: لا معصية دون تكليف وهو لم يكلف .. ليست هناك معصية فالأب الذي ينهال ضرباً على ابنه لأنّه رأى معه حاجةً ليست له، فقبل أن يضربه يجب أن يبلغه ويقول له: يا بني هذه ليست لك، وهذه مخالفة للشرع، والله عزّ وجلّ هكذا علّمنا: أدّوا الأمانات إلى أهلها، لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، ذكره بالآيات وبالأحاديث، وبيّن له .. ثمّ حاسبه، ولا تحاسب قبل أن تبين، ولا تنزل العقاب قبل أن تشرح، وقبل أن تبين أمر الله عزّ وجلّ .

الآباء يستقلون التحقيق في حاجات يجدونها مع أبنائهم:

إذا أحد أسباب انتشار ظاهرة السرقة بين الأولاد، أن الآباء يستقلون التحقيق في حاجات يجدونها مع أبنائهم، وقد يسألون فيأتي جوابٌ ساذج، أو جواب تقليدي، إنّه التقطها من الطريق أو أعاره إياها صديقه في المدرسة، فيقتنع الأب بهذا الجواب، ولا يتابع التحقيق، أمّا الأب الذي يخاف على مستقبل أولاده، فيتابع التحقيق إلى أن يضع يده على حقيقة ما جرى، ثمّ يوجّه ثمّ يحاسب .

فأنت عندما تنمّي الوازع الباطني عند ابنك، هذا أرقى من أن تنمّي الوازع الخارجي . فالإنسان يتحرّك إمّا بوازع باطني أو برادع خارجي. فلو فرضنا من باب المثل المضحك: أن أحد الأشخاص يسبح في المسبح، وأراد أن يتبول لم يحدث شيء، ولم يشعر به أحد، الآن يقال إن بعض المسابح أضيفت لمائه مادةٌ تتفاعل مع البول، فإذا فعلها أحد السابحين، طفت حوله دائرةٌ بنفسجية اللون، ويوجد حارس معه مكبرٌ شديد للضوء، فيأخذونه ويدخلونه غرفةً خاصّةً على مدخل هذا المسبح، ومعلق على جدرانها عباراتٌ قاسيةٌ جدّاً بحقه .. وضع المادّة التي تتلون مع البول في المسبح هذا رادع خارجي، وأوربّا كلّها والغرب كلّها النظام الدقيق المطبّق عليهم أساسه الرادع الخارجي.

فإذا قطعت الكهرباء عنهم ليلةً، تَمَّت في هذه الليلة مئتا ألف سرقة، السرعة الآن في الطرقات .. يوجد رادار مخفي يكشف السرعة الفائقة، فاخترعوا جهازاً يشوش على الرادار، فاخترعت الدولة جهازاً يكشف عن أجهزة التشويش، فالحياة الغربية كلها، والحياة المادية كلها، وحياة أهل الإعراض عن الله، أساسها الرادع الخارجي، ولكن الدين الإسلامي إضافة لوجود الرادع الخارجي هناك أساس الالتزام الوازع الباطني، فالمرابي الناجح يربي أبنائه على الوازع الباطني قبل أن يربيهم على الوازع الخارجي .. فالوازع الباطني، علمه الخوف من الله عز وجل، علمه أن الله يراقبه، وعلمه الخشية من الله دون رقيب .

فَعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابُ لَهُ، وَوَضَعُوا سَفْرَةً لَهُ، فَمَرَّ بِهِمْ رَاعِي غَنَمٍ، قَالَ: فَسَلِّمْ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: "هَلُمَّ يَا رَاعِي، هَلُمَّ"، فَأَصَبَ مِنْ هَذِهِ السَّفْرَةِ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: "أَتَصُومُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ شَدِيدِ سُمُومِهِ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ تَرْعَى هَذَا الْغَنَمَ؟" فَقَالَ لَهُ: "أَيُّ وَاللَّهِ أَبَادِرُ أَيَّامِي الْخَالِيَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ وَهُوَ يُرِيدُ يَخْتَبِرُ وَرَعَهُ: "فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شَاةً مِنْ غَنَمِكَ هَذِهِ فَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا وَنُعْطِيكَ مِنْ لَحْمِهَا فَتُفْطِرَ عَلَيْهِ؟" فَقَالَ: "إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي بِغَنَمٍ، إِنَّهَا غَنَمُ سَيِّدِي، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: "فَمَا عَسَى سَيِّدُكَ فَاعِلًا إِذَا فَقَدَهَا، فَقُلْتَ: أَكَلَهَا الذُّبُّ" فَوَلَّى الرَّاعِي عَنْهُ وَهُوَ رَافِعٌ أُصْبَعُهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: أَأَيْنَ اللَّهُ، قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ يُرَدِّدُ قَوْلَ الرَّاعِي وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ الرَّاعِي: فَأَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى مَوْلَاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ الْغَنَمَ وَالرَّاعِي فَأَعْتَقَ الرَّاعِي، وَوَهَبَ لَهُ الْغَنَمَ" ٤٦٤ .

فهذا الراعي وضع يده على جوهر الدين، عندما تقول لي: أين الله؟ أعدك فقيهاً وأعدك عالماً، ومتديناً حقيقياً، وإن كانت معلوماتك قليلة جداً، وطالما أنك قلت: أين الله؟ فقد وضعت يدك على جوهر الدين، هذا هو الدين .

من لم يكن له ورعٌ يصدّه عن معصية الله إذا خلا، لم يعبأ الله بشيءٍ من عمله. عود نفسك أن تقول: أين الله؟ المؤمن يؤدّي ما عليه دون قضاء، ويؤدّي ما عليه دون إزعاج، لأنّه يعرف أين الله، الله مراقب .

٣- خلق السباب والشتائم:

وهو خلق قبيح منتشر في محيط الأولاد خاصة من تربوا بعيدا عن هدى القرآن، والالتزام بالإسلام.

والسبب في انتشار ظاهرة السباب والشتائم. بين الأولاد يعود إلى أمرين:

الأول: المربي نفسه:

فالولد حينما يسمع من أبويه كلمات الفحش والسباب وألفاظ الشتيمة والمنكر.. فإن الولد - لاشك - سيحاكي كلماتهم، ويتعود ترداد ألفاظهم. فلا يصدر منه في النهاية إلا كلام فاحش، ولا يتلفظ إلا بمنكر القول وزوره.

إن أحد أكبر أسباب بداعة لسان الصغار، هو أن الأب أحيانا يتكلّم كلاماً بذئياً إمّا في ساعة غضبه الشديد، أو في ساعة انبساطه، فالكلمات البذيئة التي يقولها الأب في البيت مازحاً أو جاداً، غاضباً أو راضياً، هذه تُحفر في نفس الأبناء، فهل من الممكن أن طفلاً يسبّ الدين؟ نعم .. إذا سمعها من أبيه، وهل من الممكن أن طفلاً يتكلّم بأسماء العورات صراحة؟ نعم .. إذا سمعها من أبيه. فأوّل سبب رئيس لبذاءة اللسان ولظاهرة السباب والشتائم .. هو الأب نفسه .

قال أبو الزبير: حَدَّثَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ - أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ - وَهِيَ تُرْفَرِفُ فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أُمُّ السَّائِبِ - أَوْ يَا أُمِّ الْمُسَيَّبِ - تُرْفَرِفِينَ؟ قَالَتْ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ ﷺ: لَا تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ^{٤٦٥}.

^{٤٦٥} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٣٥) وصحيح ابن حبان - (٢٠٠ / ٧) (٢٩٣٨)

ترفرفين: ترعدين من البرد

(الحمى: الحرارة)، ما رضي النبي ﷺ من ابنته أن تلعن الحمى فإذا كان الأب يلعن كل شيء والأم تلعن كل شيء مع كلام مجاوز للحدود، وهذا الطفل موجود ويسمع، والطفل يتكلم بما يسمع .

إذاً أوّل أسلوب في تربية الأقوال تهذيب اللسان أن يكون الأب والأم على أعلى مستوى من تهذيب اللسان، هناك كلمات ليست معصية .. مثلاً أين هو وماذا يفعل ؟ أجيب: والله في الحمام، هذه كلمة لطيفة، توجد أسماء أخرى مثلاً: يتوضأ أيضاً كلمة لطيفة. ومثلاً أبسته الداخلية تلوثت هذه أحلى من كلمات أخرى، وبالمقابل يمكن أن تعود ابنك أن يتكلم الكلمات التي يقولها معظم الناس بأسمائها الصريحة .. فهبط بذلك مستواه.

ولم يتكلم كلمة تنير الشهوة، والقرآن كله آداب وحياء، الكلمة التي لا أطيعها أن يقول الإنسان: لا حياء في الدين ويتكلم أشكلاً وألواناً، الدين كله حياء، وهذه الكلمة: لا حياء في الدين بمعنى أنك ينبغي أن تسأل عن حكم فقهيّ. فلو رأى مثلاً ماءً شفافاً على ثيابه الداخلية ترى هل يحتاج إلى غسل ؟ نقول له: لا هذا ليس منياً هذا مذي، فإذا استحي الإنسان أن يسأل إما أن يقع بالشك في صلاته، أو يرهق نفسه بما لم يكلفه به الشرع، فكلما رأى هذا السائل يغتسل، لا ليست له حاجة في الاغتسال بل يجزئه الوضوء، هذا معنى لا حياء في الدين، واسأل على انفراد، بعض الناس يشتركون كتاباً فقهيّاً ويضعه في البيت، فمهما طرأ عليه من أسئلة يجد الجواب فيه، وبذلك حُلت القضية .

أوّل نقطة إذاً: الكلام البذيء، السباب، الشتائم، هبوط مستوى الكلام .. يعود في بعض أسبابه إلى المرّبي، إلى الأم والأب .

الثاني: الخلطة الفاسدة:

فالولد الذي يُلقى للشارع، ويُترك لقرناء السوء، ورفقاء الفساد، فمن البديهي أن يتلقن منهم لغة اللعن.

والله يسمع الإنسان من أولاد الأزقة كلاماً شهد الله أن الحجر يستحي منه، تجد رجلاً في الستين من عمره يخجل منه، طفل صغير يتكلم كلاماً بذيئاً، فأين أبوه وأين أهله ؟ فالعوام يقولون: المرّبي غالٍ، أما هذا فلا شأن له لا عند الله ولا عند الناس .

فالأب قيمته الحقيقيّة: أولاده، والأم قيمتها الحقيقيّة: أولادها، فلو كانت معها أعلى شهادة علميّة، وأولادها مهملون فهي جاهلة، ويوجد بالجيل السابق أمّهات، عندهن حرصٌ على أولادهن، وعلى تربيتهن وعلى تهذيبهن وعلى تأديبهن مع أنّهن أمّيات - عندهن حرصٌ بالغ لا حدود له، لهذا نقول: شهادة المرأة أولادها .

لهذا كله وجب على الآباء والأمّهات والمربين جميعاً أن يعطوا للأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب، وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير كما يجب عليهم أن يجنبوهم لعب الشارع، وصحبة الأشرار، وقرناء السوء- حتى لا يتأثروا من انحرافهم ويكتسبوا من عاداتهم.

ويجب عليهم كذلك أن يبصروهم مغبة آفات اللسان ونتيجة البذاءة في تحطيم الشخصية، وسقوط المهابة، وإثارة البغضاء والأحقاد بين أفراد المجتمع.

ولعلاج هذه الظاهرة ما يلي :

١ - احترام الطرف الآخر :

إنّ معظم الناس إذا حاورَ إنساناً يستخدمَ أساليب التحريج مثل: أنت لا تفهم، ماذا تفهم عن هذا الموضوع ؟ هذا سباب .. لكنّ الإنسان الرّاقى يدير المناقشة عشر ساعات ولا يتكلّم كلمة واحدة فيها جرحٌ للطرف الآخر، من أين هذا الأدب نقتبسه ؟ من القرآن: {قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ} (٢٥) سورة سبأ.

{ لا تسألون } عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق وسلوك طريق الإنصاف، ودعوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعا لكم من اتباع الحق، فإن أحكام الدنيا تجري على الظواهر، ويتبع فيها الحق، ويجتنب الباطل، وأما الأعمال فلها دار أخرى، يحكم فيها أحكم الحاكمين، ويفصل بين المختصمين، أعدل العادلين.

ولهذا قال: { قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا } أي: يحكم بيننا حكماً، يتبين به الصادق من الكاذب، والمستحق للثواب، من المستحق للعقاب، وهو خير الفاتحين^{٤٦٦}.

وقال تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (٢٤) سورة سبأ.

وقوله: { وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } أي: إحدى الطائفتين منا ومنكم، على الهدى، مستعلية عليه، أو في ضلال مبين، منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وحزم بالحق الذي هو عليه، وبطلان ما عليه خصمه.

أي: قد شرحنا من الأدلة الواضحة عندنا وعندكم، ما به يعلم علماً يقينا لا شك فيه، من الحق منا، ومن المبطل، ومن المهتدي ومن الضال؟ حتى إنه يصير التعيين بعد ذلك، لا فائدة فيه، فإنك إذا وازنت بين من يدعو إلى عبادة الخالق، لسائر المخلوقات المتصرف فيها، بجميع أنواع التصرفات، المسدي جميع النعم، الذي رزقهم وأوصل إليهم كل نعمة، ودفع عنهم كل نقمة، الذي له الحمد كله، والمملك كله، وكل أحد من الملائكة فما دونهم، خاضعون لهيبته، متذللون لعظمته، وكل الشفعاء تخافه، لا يشفع أحد منهم عنده إلا بإذنه العلي الكبير، في ذاته، وأوصافه، وأفعاله، الذي له كل كمال، وكل جلال، وكل جمال، وكل حمد وثناء ومجد، يدعو إلى التقرب لمن هذا شأنه، وإخلاص العمل له، وينهى عن عبادة من سواه، وبين من يتقرب إلى أوثان، وأصنام، وقبور، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك لأنفسها، ولا لمن عبدها، نفعا ولا ضرا، ولا موتاً [ص ٦٨٠] ولا حياة، ولا نشورا، بل هي جهادات، لا تعقل، ولا تسمع دعاء عابديها، ولو سمعته ما استجابت لهم، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويتبرأون منهم، ويتلاعنون بينهم، ليس لهم قسط من الملك، ولا شركة فيه، ولا إعانة فيه، ولا لهم شفاعة يستقلون بها دون الله، فهو يدعو مَنْ هذا وصفه، ويتقرب إليه مهما أمكنه، ويعادي من أخلص الدين لله، ويحاربه، ويكذب رسل الله، الذين جاءوا بالإخلاص لله وحده، تبين لك أي الفريقين، المهتدي من الضال،

^{٤٦٦} - تفسير السعدي - (١ / ٦٧٩)

والشقي من السعيد؟ ولم يحتج إلى أن يعين لك ذلك، لأن وصف الحال، أوضح من لسان المقال^{٤٦٧}.

ب — عدم سباب الطرف الآخر:

اسمعوا من سيدنا يوسف عليه السلام: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (١٠٠) سورة يوسف

إخوته أكرموا بحقه، ولكنه جعل الشيطان هو المسؤول لئلا يجرهم، فإذا ناقش الإنسان وحاور، يمكن أن يجعل المناقشة عشر ساعات ولا يحتاج لكلمة فيها تجريح، وطعن وسباب، أو سخرية أو انتقاص، أو احتقار، إذا سباب المسلم فسوق .

ويمكنك أن تلقى على أسماعهم بعض الأحاديث التي تنهى عن اللعن والسب فعن زبيد قال سألت أبا وائل عن المرجئة، فقال حدثني عبد الله أن النبي - ﷺ - قال « سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر »^{٤٦٨} ..

ت — على الإنسان ألا يعمل عملاً سيئاً لئلا يجلب لوالديه السباب والشتائم :

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ». قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال « يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه »^{٤٦٩} .

وقد نفهم هذا الحديث بشكل موسع، أي إذا أساء الإنسان ربماً جلب سباباً لأبيه وأبيه، وعند العوام فوراً يصل في سبابه إلى الأب والجد وسائر أفراد الأسرة، فكلما كان الإنسان محسناً جلب لوالديه السمعة الطيبة، فإذا أساء لعن الناس والديه.

^{٤٦٧} - تفسير السعدي - (١ / ٦٧٩)

^{٤٦٨} - صحيح البخاري - المكثر - (٤٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٣٠)

^{٤٦٩} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٩٧٣)

أَمَّا الْإِنْسَانُ فَعَلِيهِ أَلَّا يَعْمَلَ عَمَلًا سَيِّئًا لِّثَلَا يَجْلِبَ لَوَالِدِيهِ السَّبَابَ وَالشَّتَائِمَ، فَعَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا^{٤٧٠}.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ - حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا قَالَ غَيْرُ مُسَدِّدٍ تَعْنِي قَصِيرَةً. فَقَالَ « لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ ». قَالَتْ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ « مَا أَحَبُّ أَتَى حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا »^{٤٧١}.

تجد ابنة تدرس في المدرسة، أعطاه الله شيئاً وحرمها من شيء آخر، تجد البنات من حولها ودون تربية يسخرن منها، بسبب ما تفقده، فتجد في المجتمعات المسلمة مجتمعاً مقصراً، فيه تراشق بالتهم، وفيه تعيير وغمز ولمز، أي حينما قالت عنها إنها قصيرة، "قال: يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته".

فمثلاً أن تذكر شيئاً عن شخص ما بأن تقول: طوله كذا. فهذا الكلام يجب ألا نتكلم به إطلاقاً؛ لأنَّ هذا خلق الله، فالإنسان يملك صفاته ولا يملك شكله، فمن منّا له خيار بشكله؟ لا أحد له خيار في ذلك، وعلى كل حال لا بد من شكر الله على نعمه، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي^{٤٧٢}. هذا شيء لطيف جداً.. أما إذا كان شكل الإنسان.. طويلاً أو قصيراً أو أبيض أو أسمر اللون فهذا من خلق الله.

فالرجل قيمته بعلمه وأخلاقه، وهذا ينبغي له، أن يُرَسَّخَ حَتَّى فِي عَالَمِ النِّسَاءِ، فَالْأَمُّ الَّتِي تَتَحَدَّثُ دَوماً فِي مَجْلِسِهَا عَنْ عَيُوبِ الْأَخْرِيَّاتِ وَصِفَاتِهِنَّ، فَقَدْ عَقَّدَتْ ابْتِنَاهَا، فَيَا أَيُّهَا النِّسَاءُ تَحَدَّثْنَ عَنْ دِينِهِنَّ وَعَنْ أَخْلَاقِهِنَّ وَعَنْ وَرْعِهِنَّ، وَمَا يَحْفَظْنَ مِنْ قُرْآنٍ وَعَنْ إِخْلَاصِهِنَّ لِبَيْتِهِنَّ وَزَوْجِهِنَّ وَأَنَّهُنَّ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ، اجْعَلْنَ مَجَالَ التَّسَابُقِ فِي الْأَخْلَاقِ، لَا فِي الْجَمَالِ.. فَعِنْدَمَا تَتَكَلَّمُ الْأُمُّ عَنْ جَمَالِ بَنَاتِهَا وَقَرِيْبَاتِهَا وَصَدِيقَاتِهَا، وَهَذِهِ رَغَبُوا فِيهَا لِأَنَّ

٤٧٠ - صحيح ابن حبان - (١٣ / ١٣) (٥٧٠٦) صحيح

٤٧١ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٨٧٧) صحيح

٤٧٢ - صحيح ابن حبان - (٣ / ٢٣٩) (٩٥٩) صحيح

صفاتها كذا، وابنتها الصغيرة تسمع ذلك فماذا سيحدث لها ؟ .. يجب أن لا نطرح هذه الموضوعات والموضوع الجمالي دائماً، بل يطرح الموضوع الكمال .

فالأم الجاهلة حديثها دوماً عن جمال من حولها، فإذا كانت ابنتها تفقد شيئاً مما ذكرته أمها من صفات الجمال فقد تصاب بعقدة نفسية وتتحطم، فلا يجوز عقد مفاضلة في الشكل بل يجب أن تكون المفاضلة في الخلق والتدين .

فالأبوة مسؤولية .. فالأب مسؤول إن كان قد ربى أولاده تربية صالحة دخل الجنة بسببهم، وسعد إلى أبد الآبدين، وما شاء الله أن يكون نظام الحياة نظام أسرة، إلا ليمنح الآباء فرصة للعمل الصالح .. هذا ابنك،

فقد كان الرسول ﷺ إن لم يعجبه اسم قام بتغييره فوراً، فعن عائشة أن النبي ﷺ - كَانَ يُعَيِّرُ الْإِسْمَ الْقَبِيحَ ٤٧٣ .

وهناك معلمون حكماء إن وجدوا اسماً من أسماء الطلاب يثير الضحك فيغير له اسمه فوراً وطوال العام .

وعن معاذ بن جبل، قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ ثُمَّ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} حَتَّى بَلَغَ {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} .

ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: تَكْفُ عَلَيْكَ هَذَا قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: تَكَلُّكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ هَلْ يُكِبُّ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ ٤٧٤ .

٤٧٣ - سنن الترمذي - المكثر - (٣٠٧٣) موصولاً ومرسلاً ورجح المرسَل

٤٧٤ - سنن ابن ماجة - ط - الرسالة - (٥ / ١١٦) (٣٩٧٣) صحيح لغيره - ثكلت: فقدت

فالكلام أكبر عمل سيئ، إذ ليس المؤمن بالطَّعان، ولا اللَّعان، ولا الفاحش، ولا البذيء. والمؤمن لا يكون بذيئاً، بصراحة هل في مزحه يوجد جنس أو غمز ولمز وكلام مغشوش؟ هذا والله بعيد عن الإيمان، فكلام المؤمن أظهر من ماء السماء، وأنقى من الثلج، ولا يلفظ كلمة مغشوشة أو معيبة إطلاقاً، وهناك كلام يغشه الناس، كيفما تكلم يغشّه ويجوِّره ويقول: هكذا تقصد؟ فتجيبه: والله لم أقصد هذا الكلام. وهؤلاء هم أهل الدنيا بسبب بعدهم عن الله عزَّ وجلَّ، يضحكون لهذا المزاح الرخيص، الَّذي يحوّل الكلام إلى معانٍ كلّها مما يكون بين المرء وزوجه ..

وقال أسامة بن منقذ: "قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك، فقدمت العرب من أحياء القبائل، فجلس هشام لرؤسائهم، فدخلوا عليه، وفيهم درواس بن حبيب، وله أربع عشرة سنة، عليه شملتان وله ذؤابة. فأحجم القوم وهابوا هشاماً، ووقعت عين هشام على درواس فاستصغره، فقال لحاجبه: ما يشاء أحد أن يصل إلي إلا وصل ! حتى الصبيان؟! فعلم درواس أنه يريد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن دخولي لم يخلّ بك شيئاً، ولقد شرفني، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمرٍ أحجموا دونه، وإن الكلام نشرٌ، والسكوت طيٌّ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره. فقال له هشام: فانشر لا أبالك !! وأعجبه كلامه. فقال: أصابتنا سنون ثلاثة: فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أنقت العظم، وفي أيديكم فضول أموال: إن كانت لله ففرقوها على عباده المستحقين لها، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، واعلم، يا أمير المؤمنين، أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد، لا حياة للجسد إلا به. فقال هشام: ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً. وأمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم. فقال: يا أمير المؤمنين، ارددها إلى جائزة العرب، فأني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم. قال: فمالك من حاجة تذكرها لنفسك؟ قال: مالي من حاجةٍ دون عامة المسلمين!!^{٤٧٥}.

^{٤٧٥} - لباب الآداب لأسامة بن منقذ - (١ / ١٠٠)

فالسلف الصالح إذا التقى بمسؤول، كانوا يطلبون طلباً عاماً للمسلمين، لا يطلب طلباً خاصاً له، أو حاجات شخصية، والعلماء العاملون المخلصون لا يطلبون لأنفسهم شيئاً، بل لعامة المسلمين ..

٤ - خلق الميوعة والانحلال:

"أما ظاهرة الميوعة والانحلال فهي من أقبح الظواهر التي تفشت بين أولاد المسلمين وبناتهم في هذا العصر الذي يلعب بالقرن العشرين، فحيثما أجلت النظر تجد كثيراً من المراهقين الشباب والمراهقات الشبابات قد انساقوا وراء التقليد الأعمى، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية دون رادع من دين، أو وازع من ضمير، كأن الحياة في تصورهم عبارة عن متعة زائلة، وشهوة هابطة، ولذة محرمة، فإذا ما فاتهم هذا فعلى الدنيا السلام.

وقد ظن بعض ذوي العقول الفارغة أن آية النهوض بالرقص الماجن، وعلامة التقدم بالاختلاط الشائن، ومقياس التجديد بالتقليد الأعمى، فهؤلاء قد انهزموا من نفوسهم، وانهزموا من ذوات شخصياتهم وإرادتهم قبل أن يهزموا في ميادين الكفاح والجهاد.

فترى الواحد من هؤلاء ليس له هم في الحياة إلا أن يتخففس في مظهره، وأن يتخلع في مشيته، وأن يتصنع في منطقه، وأن يبحث عن ساقطة مثله ليذبح رجولته عند قدمها، ويقتل شخصيته في التودد إليها.. وهكذا يسير من فساد إلى فساد، ومن ميوعة إلى ميوعة حتى يقع في نهاية المطاف في الهاوية التي فيها دماره، وهلاكه.

ومن هنا يتعين على المربي أن يهذب أخلاق الولد وأن يبعده عن صحبة السوء وأن يربطه بالصحة الطيبة، وعليه أيضاً أن يباشر الولد فإذا وجد منه اعوجاجاً سارع بتقويمه قبل أن يتأصل فيه.

وقد رويت أحاديث كثيرة تنهى عن التشبه بغير المسلمين، فعن ابن عمر قال قال رسول الله - ﷺ - « خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللَّحَى »^{٤٧٦}.
وعن ابن عمر قال قال رسول الله - ﷺ - « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »^{٤٧٧}.

^{٤٧٦} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٢٥)

^{٤٧٧} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٠٣٣) صحيح

فمن هوي الكفرة حُشر معهم، ولا ينفعه عمله شيئاً، تجد شاباً بأيام بطولاته كل همّه زينته الظاهرة، يجلس ساعات وراء المرأة كأنّه فتاة، هذا من الميوعة والانحلال، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - ﷺ - قال « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالأَكْفِ »^{٤٧٨}.

وعن حذيفة قال قال رسول الله - ﷺ - « لَا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلَمُوا »^{٤٧٩}.

لا يكن الإنسان مقلداً، بل يجب أن ينطلق الإنسان في تصرفاته من دينه، لا بالتقليد الأعمى، وفي الحقيقة توجد نقطة دقيقة .. نحن يمكننا أن نقلد الأجانب ولكن في العلم لا في الأخلاق والسلوك، وتحضري كلمة وهي لأحد الأدباء قال: ثقافة أمة بمثابة عسل، استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها .

الثقافات تؤخذ، والعلوم تؤخذ، لكن العادات والتقاليد لا تؤخذ فماذا نأخذ وماذا ندع من الغربيين ؟ قال: نأخذ ما في عقولهم، وندع ما في نفوسهم .

ولعلاج هذه الظاهرة فعلينا :

١ - عدم التقليد الأعمى لأهل الغرب :

لو أن لنا أعداء وعندهم إنجاز حضاري، أو علمي، فيمكننا أن ننقله إلينا، ولا يمنعنا من أخذه أنهم أعداء، خذ ما في عقولهم ودع ما في نفوسهم، فالعلم ليس له وطن، ومن التعصّب أن تنسب علماً ما إلى وطن .. لأن العلم عبارة عن كشف لقوانين قد قننها الله عزّ وجلّ، فمن يكشف القانون نأخذه منه مهما كان، فنحن نحارب التقليد الأعمى

^{٤٧٨} - سنن الترمذی - المکتب - (٢٩١١) حسن

^{٤٧٩} - سنن الترمذی - المکتب - (٢١٣٨) حسن

الإمعة: الذي لا رأى له ولا عزم -وطنوا: وطن نفسه إذا حملها على الشيء فتحملت وذلّت له

بالعادات والتقاليد، أمّا في شؤون العلم والتقدّم الحضاري فهذا نقتبسّه، فالإسلام مرن سمح لنا أن نأخذ ما لا يتعارض مع ديننا ولا سيّما أن الله سبحانه وتعالى يقول: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ { (٦٠) سورة الأنفال.

فإذا لم يكن عندنا قوّة تكافئ قوّتهم فكيف نتصر عليهم ؟ .. إذاً من أساليب مكافحة الميوعة والانحلال، عدم التقليد الأعمى لأهل الغرب .

ب — النهي عن الاستغراق في التّنعّم :

عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، قَالَ: جَاءَنَا كِتَابُ عُمَرَ رضي الله عنه وَنَحْنُ بِأَذْرَبِجَانَ: يَا عُبَيْدُ بْنُ فَرْقَدٍ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشَّرْكِ، وَلُبُوسَ الْحَرِيرِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَهَانَا عَنْ لُبُوسِ الْحَرِيرِ، وَقَالَ: إِلَّا هَكَذَا وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إصْبَعِيهِ ^{٤٨٠}.
وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ ؛ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيُسَوُّوا بِالْمَتَنَعِّمِينَ ^{٤٨١}.

ليس أبعد عن النفس من شاب غارق في النعيم، فهو يزعج كل إنسان ويترعج من كل شيء، فالذي يحبّه الإنسان عادةً أن يكون شاباً مخشوشناً، يتحمل شظف العيش، فعن أبي عثمان قال: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ رضي الله عنه: "اخْشَوْشُوا، وَاخْشَوْشُوا وَاخْلَوْلِقُوا وَتَمَعَّدُوا، كَأَنَّكُمْ مُعَدُّ، وَإِيَّايِ وَالتَّنَعُّمَ وَزِيَّ الْعَجَمِ" ^{٤٨٢}.
أمّا الاستغراق في النعيم فمشكلة كبيرة ^{٤٨٣}.



^{٤٨٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ١٠٤) (٩٢) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٥٣٢)

^{٤٨١} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٧٥) (٢٢١٠٥) ٢٢٤٥٦ - حسن

^{٤٨٢} - شرح مشكل الآثار - (٥ / ٣٣٩) صحيح

قال: فَتَهَاهُمْ عَنْ زِيِّ الْعَجَمِ وَمِنْهُ التَّنَعُّمُ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْتَمَعَّدِ وَهُوَ الْعَيْشُ الْخَشِينُ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ .

^{٤٨٣} - انظر تربية الأولاد في الإسلام للنايلسي - (٤ / ١)

خاتمة: مثال عملي من خلق الرسول ﷺ مع الأطفال :

في ختام هذا المطاف نضع بين يديك نموذج رسول الله ﷺ القائد القدوة للأمة كلها، وكيف كان يتعامل مع الأطفال، يأمرهم وينهاهم، يمازحهم ويلحق بهم، يقف خلف الطفل ويتسم له، لا يغضب في وجههم، ولا يعاتبهم، يرسخ عقدة القضاء والقدر عملياً في نفوسهم :

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَوَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: أَفٌّ قَطُّ وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لَمْ صَنَعْتَ كَذَا، وَهَلَّا صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا.^{٤٨٤}

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَا كُلُّ أَمْرِي كَمَا يُحِبُّ صَاحِبِي أَنْ يَكُونَ، مَا قَالَ لِي فِيهَا: أَفٌّ، وَلَا قَالَ لِي: لَمْ فَعَلْتَ هَذَا، وَأَلَّا فَعَلْتَ هَذَا.^{٤٨٥}

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ - عَشْرَ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ وَأَنَا غُلَامٌ لَيْسَ كُلُّ أَمْرِي كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أَنْ أَكُونَ عَلَيْهِ مَا قَالَ لِي فِيهَا أَفٌّ قَطُّ وَمَا قَالَ لِي لَمْ فَعَلْتَ هَذَا أَوْ أَلَّا فَعَلْتَ هَذَا.^{٤٨٦}

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، عَشْرَ سِنِينَ، لَا وَاللَّهِ مَا سَبَّي سَبَّةً قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي: أَفٌّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لَمْ فَعَلْتُهُ، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَّا فَعَلْتُهُ.^{٤٨٧}

وَقَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ - فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صَبِيَّانَ وَهُمَا يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي - قَالَ - فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ « يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ». قَالَ قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.^{٤٨٨}

^{٤٨٤} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٨٣) (١٣٣٧٣) ١٣٤٠٦ - صحيح

^{٤٨٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٠٣) (١٣٠٢١) ١٣٠٥٢ - صحيح

^{٤٨٦} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٧٧٦) صحيح

^{٤٨٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٠٨) (١٣٠٣٤) ١٣٠٦٥ - صحيح

^{٤٨٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٦١٥٥)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ عَنْهُ، أَوْ ضَيَّعْتُهُ، فَلَا مَنِي، فَإِنْ لَمْ يَأْمُرْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: دَعُوهُ، فَلَوْ قُدِّرَ، أَوْ قَالَ: لَوْ قُضِيَ، أَنْ يَكُونَ كَانَ. ٤٨٩

وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على اهتمامه ﷺ ببناء أخلاق الأطفال عملياً، وبالقدوة الحسنة لهم، فينشئون أرسخ خلقاً وأثبت عوداً، أمام التحديات المادية، التي تنتظرهم في واقع المجتمع، وفي حياة الناس، فلا يفرطون بأخلاقهم الإسلامية، أمام عواطف التيارات المنحرفة، التي يمارسها المجتمع الجاهلي على النفوس المؤمنة في عصرنا الحاضر .

وقد يقول قائل: ونحن لو فعلنا هكذا فإن الولد سيتجراً ولن نستطيع أن نسيطر عليه أو نرشده!

ولكني أقول: فلم لم يتجراً أنس، أو ابن عباس، أو زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد وأبناء جعفر، وأبناء العباس، وغيرهم ممن تربوا على يده ﷺ وصاروا أعلاماً في الناس وأئمة للهدى؟ لماذا لم يتجراً هؤلاء أو بعضهم؟!

إن الذي لا يعجبه الأسلوب النبوي، أو يرى أن غيره أفضل، أو يُدخل عليه تحسينات أو تعديلات ؛ لو كان مربيّاً لابن عباس أو لأسامة أو لأنس لفشل في تربيتهم، وغير توجهاً لهم، فإن قال: (لا . لا . معاذ الله، أسلوب النبي ﷺ هو الأحسن ؛ و . والخ... لكن الشباب تغير، والجيل كما ترى، ونحن لسنا مثل النبي ﷺ)، أقول: فقد تعامل النبي ﷺ مع غرائب الشباب ؛ فتعامل مع الشاب الذي جاء يستأذن في الزنى ؛ باللين والحكمة حتى أخذ بيده إلى النجاة والتوبة، وتعامل مع المشاغبين الذين كانوا يرمون نخل الناس ليأكلوا البلح، وكذلك مع الغلام اليهودي لآخر لحظة من عمره يدعو إلى الإسلام فأسلم بعد استشارة بالعين لأبيه اليهودي، وتعامل ﷺ مع كثير من أصحاب الأخطاء والمعاصي والخمارين (كما نسميهم) ويخرجون من عنده راشدين، وله شاهدين، بأنهم ما رأوا معلماً ألين ولا أحسن تعليماً منه، كلهم عاملهم ﷺ باللين والحكمة وكانت النتيجة

٤٨٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٩٣) (١٣٤١٨) ١٣٤٥١ - صحيح

إيجابية، ولكنَّ الفارق فعلاً أننا نتعجل النتائج ولا نصبر، والنبي ﷺ يقول: "فصبر عليهن"،
"فأحسن صحبتهن".

وشرط تحقيق التربية الصحيحة أن نلتزم مع الطفل من البداية بدون ترك ثغرات أو فعل مخالفات أو السكوت على محظورات، فإذا أردنا أن نعالج وجدنا الوقت قد فات.
فينبغي ألا نكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ؛ فإنه يُهَوِّن على الطفل سماع الملامة،
وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه ؛ فلا
يؤبِّخه إلا أحياناً، والأم تخوفه بالأب، وتزجره عن القبائح.^{٤٩٠}



^{٤٩٠} - أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم - (١ / ٢)

الفصل الخامس

البناء العاطفي والنفسي

تمهيد :

أسس البناء العاطفي :

الأساس الأول - القبلية والرافة والرحمة بالأطفال :

الأساس الثاني - المداعبة والممازحة مع الأطفال :

الأساس الثالث - الهدايا والعطايا للأطفال:

الأساس الرابع - مسح رأس الطفل :

الأساس الخامس -حسن استقبال الطفل:

الأساس السادس-تفقد حال الطفل والسؤال عنه :

الأساس السابع - الرعاية الخاصة بالبنت واليتيم :

١- تربية البنت :

القاعدة الأولى - النهي عن كراهية البنات :

القاعدة الثانية - المساواة بين الذكر والأنثى وعدم المفاضلة بينهما:

القاعدة الثالثة-أجر التربية والإحسان والصبر تربية البنات وتزويجهن :

٢- تربية اليتيم واليتيمة :

القاعدة الأولى - أجر رعاية اليتيم وتربيته:

القاعدة الثانية - حفظ مال اليتيم والتجارة له :

القاعدة الثالثة -أجر الأم التي تربي أيتامها ولا تتزوج:

القاعدة الرابعة- معاملة اليتيم مثل الابن في التربية والتعليم والتأديب :

الأساس الثامن - التوازن في حب الطفل بلا إفراط ولا تفريط :

القاعدة الأولى - أن تلزم نفسك وولدك بشرع الله تعالى :

القاعدة الثانية - أن تكون مضيافاً كريماً :

القاعدة الثالثة - الصبر على مرض ووفاة الطفل، واحتساب الأجر عند الله :

تمهيد :

تشكل العاطفة مساحة واسعة في نفس الطفل الناشئ، وهي تكون نفسه وتبني شخصيته، فإن أشبعها بشكل متوازن كان إنساناً سوياً في حياته كلها وإذا اختل هذا التوازن بالزيادة أو النقصان تشكلت لديه عقد لا تحمد عقباه.. فالزيادة تجعله مدلاً لا يقوم بتكاليف الحياة بجدّ ونشاط؛ ونقصانها يجعله إنساناً قاسياً عنيفاً على كل من حوله، لذلك فإن البناء العاطفي له أهمية خاصة في بناء نفس الطفل وتكوينه. وهذا البناء يلعب فيه الوالدان الدور الأكبر، إذ هما المصدر الأساسي لأشعة العاطفة التي تبني نفسه، وهما الركن الرشيد، الذي يأوي إليه الطفل، لينعم بحرارة العاطفة، ونعمة الأبوة والأمومة، لذلك نجد في نهاية هذا الفصل اهتماماً كبيراً لصنفين من الأطفال، يقلل الوالدان أو أحدهما العطف عليه، وهما البنت واليتيم، ونظراً لاهتمام الرسول ﷺ بالأطفال، فإنه عني بهما عناية خاصة، ومتزلة خاصة، فحبذا المجتمع المسلم يقوم بدور الأب لهذا اليتيم، وحبذا الوالدان يهتمان بتربية البنت، ورعايتها، ومساواتها مع أخيها الذكر.

بقي السؤال: كيف نبني عاطفة الطفل ونؤدي له حقه ليكون إنساناً سوياً في حياته؟
للجواب على هذا السؤال ستكون لنا جولة مع المربي الأول الرسول ﷺ لاستنباط الأسس الهامة التي بها نكون قد سرنا على خطى ثابتة مصدرها السنّة النبوية.

أسس البناء العاطفي :

الأساس الأول- القبلية والرأفة والرحمة بالأطفال :

إن للبشاشة والقبلية دوراً فعّالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لهما دوراً كبيراً في تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهما دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ وهما برهان على تواضع الكبير للصغير.. وهما النور الساطع الذي يبهّر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد من تفاعله مع من حوله.. ثم هما أولاً وأخيراً السنّة الثابتة عن المصطفى ﷺ مع الأطفال..

عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالُوا أَتَقْبَلُونَ صَبِيَّانَكُمْ فَقَالُوا نَعَمْ. فَقَالُوا لَكُنَّا وَاللَّهِ مَا نُقْبَلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ ». وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ « مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةُ ».^{٤٩١}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَبْصَرَ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ النَّبِيَّ ﷺ يُقْبَلُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَالَ: إِنْ لِي عَشْرَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبِلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ.^{٤٩٢}

والرحمة بالأطفال والشفقة عليهم صفة من صفات النبوة المحمدية وهي الطريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله. فعَنِ الْحَسَنِ عَنْ صَعْصَعَةَ عَمِّ الْأَخْنَفِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ امْرَأَةً مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا فَأَعْطَتْهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً ثُمَّ صَدَعَتْ الْبَاقِيَةَ بَيْنَهُمَا. قَالَتْ فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثَتْهُ فَقَالَ « مَا عَجَبُكَ لَقَدْ دَخَلْتَ بِهِ الْجَنَّةَ ».^{٤٩٣}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَعْطَتْهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ لَهَا تَمْرَةً، وَأَمْسَكَتْ لِنَفْسِهَا تَمْرَةً، فَأَكَلَ الصَّبِيَّانُ التَّمَرَتَيْنِ وَنَظَرَا إِلَى أُمِّهِمَا، فَعَمِدَتْ إِلَى التَّمْرَةِ فَشَقَّتْهَا، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ نِصْفَ تَمْرَةٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ فَقَالَ: "وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَحِمَهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهَا صَبِيَّيْهَا"^{٤٩٤}

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَاسْمَعْ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَنْجُوهُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ ».^{٤٩٥}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا فَاسْمَعْ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفَ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ.^{٤٩٦}

^{٤٩١} - صحيح مسلم- المكثر - (٦١٦٩)

^{٤٩٢} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٠٢) (٤٥٧) صحيح

^{٤٩٣} - سنن ابن ماجه- المكثر - (٣٧٩٩) صحيح - صدع: شق

^{٤٩٤} - الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (٨٩) صحيح

^{٤٩٥} - صحيح البخارى- المكثر - (٧٠٧)

^{٤٩٦} - صحيح البخارى- المكثر - (٧٠٧) وصحيح مسلم- المكثر - (١٠٨٤) وصحيح ابن حبان - (٥ /

(٥١٠)(٢١٣٩) -الوجد : الحزن

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الرَّفْقِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَسَائِرِ الْأَتْبَاعِ وَمُرَاعَاةِ مَصْلَحَتِهِمْ، وَأَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ. وَفِيهِ جَوَازُ صَلَاةِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الصَّبِيَّ يَجُوزُ إِدْخَالُهُ الْمَسْجِدَ وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَى تَنْزِيهِ الْمَسْجِدِ عَمَّنْ لَا يُؤْمِنُ مِنْهُ حَدَّثَ. ٤٩٧

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتِ زَيْنَبَ ابْنَتِهِ، فَكَانَ إِذَا قَامَ حَمَلَهَا، وَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا. ٤٩٨

وقال الفخر الرازي رحمه الله: "ذكر أن صياداً كان يصيد السمك فصاد سمكة وكان له ابنة فأخذتها ابنته فطرحتها الماء وقالت: إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها، إنها تلك الصبية رحمت غفلة هاتيك السمكة وكانت تلقىها مرة أخرى في البحر ونحن قد اصطادتنا وسوسة إبليس وأخرجتنا من بحر رحمتك فارحمنا بفضلك وخلصنا منها وألقنا في بحر رحمتك مرة أخرى." ٤٩٩

ومن صور شدة رحمة الأمهات بأطفالهن، ما أخبرنا رسول الله ﷺ، هذه الصورة العجيبة، التي لها دلالات، على تفجر الرحمة من قلب الأم على طفلها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَانِ لَهُمَا، جَاءَ الذَّبُّ فَأَخَذَ أَحَدَ الْابْنَيْنِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا فَدَعَاهُمَا سُلَيْمَانُ، فَقَالَ: هَاتُوا السَّكِّينَ أَشَقُّهُ بَيْنَهُمَا. فَقَالَتِ الصُّغْرَى: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا، لَا تَشُقُّهُ، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنْ عَلِمْنَا مَا السَّكِّينُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدِيَّةَ. ٥٠٠

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذَّبُّ فَذَهَبَ بِأَبْنٍ إِحْدَاهُمَا.

٤٩٧ - شرح النووي على مسلم - (٢ / ٢١٨)

٤٩٨ - صحيح البخاري - المكثر - (٥١٦) وصحيح مسلم - المكثر - (١٢٤٠) وصحيح ابن حبان - (٣ / ٣٩٣) (١١٠٩)

٤٩٩ - تفسير الفخر الرازي - موافق للمطبوع - (١ / ٣٠٢١)

٥٠٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٤٨) (٨٢٨٠) ٨٢٦٣ - صحيح

فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتِهَا إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ أَنْتِ. وَقَالَتِ الْآخَرَىٰ إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ.
فَتَحَاكَمَتَا إِلَىٰ دَاوُدَ فَقَضَىٰ بِهِ لِلْكُبْرَىٰ فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
فَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَ اتُّوْنِي بِالسَّكِينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا.

فَقَالَتِ الصُّغْرَىٰ لَا يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا. فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغْرَىٰ «. قَالَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ
إِنْ سَمِعْتُ بِالسَّكِينِ قَطُّ إِلَّا يَوْمِئِذٍ مَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْيَةَ.^{٥٠١}

ونلاحظ قسوة قلب الأم الكبرى في هذه القصة، فلقد سرق الذئب ابنها، ولم تظهر حزنها
عليه، بل أظهرت قسوة لا يتصورها عقل رجل، فضلاً عن قلب امرأة، فلجأت إلى سرقة
ابن زميلتها، لأنه لا يعقل أن يكونا متشابهين تشابهاً تاماً، كما لا يعقل إلا تميز الأم ابنها
من بين طفلين، فالحديث دلٌّ على قسوة قلب الأم الكبرى ورحمة قلب الصغرى .



^{٥٠١} - صحيح مسلم- المكثر - (٤٥٩٢) - المدية: السكين

الأساس الثاني - المداعبة والممازحة مع الأطفال :

سنعيش مع طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، نأخذ منها الدروس العملية، من رسول الله ﷺ ، في مداعبة الأطفال، تارة بالركض، وأخرى بالحمل، وثالثة بتصغير الاسم، ورابعة بالمضاحكة وإلى غير ذلك .

وهذه الأعمال إن لم يقم بها الوالدان لأنها واجب تربوي، فهم مطالبون بها للاقتداء برسول الله ﷺ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدُعِينَا إِلَى طَعَامٍ، فَإِذَا الْحُسَيْنُ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ حُسَيْنٌ يَمُرُّ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقْنِهِ وَالْأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ. ٥٠٢

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَذْنَايَ هَاتَانِ وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ هَاتَانِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ أَخَذُ بِكَفَيْهِ جَمِيعًا حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا وَقَدَمَاهُ عَلَى قَدَمَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: "حُزْقَةُ حُزْقَةِ أَرْقَ عَيْنِ بَقَّةٍ"، فَيَرْقَى الْعُلَامُ حَتَّى يَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: "افْتَحْ"، قَالَ: ثُمَّ قَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَحِبَّهُ فَإِنِّي أَحِبُّهُ". ٥٠٣

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ فَسَلَّمَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَرْقَ بِأَبْيِكَ أَنْتَ عَيْنُ بَقَّةٍ"، وَأَخَذَ بِأَصْبُعَيْهِ، فَرَقَى عَلَى عَاتِقِهِ، ثُمَّ خَرَجَ الْآخَرُ الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ مُرْتَفِعَةً إِحْدَى عَيْنَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَرَحَبًا بِكَ، أَرْقَ بِأَبْيِكَ أَنْتَ عَيْنُ الْبَقَّةِ"، وَأَخَذَ بِأَصْبُعَيْهِ فَاسْتَوَى عَلَى عَاتِقِهِ الْآخَرَ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَفْفِيَّتَيْهِمَا حَتَّى وَضَعَ أَفْوَاهَهُمَا عَلَى فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا". ٥٠٤

٥٠٢ - المعجم الكبير للطبراني - (١٦ / ١٣٩) (١٨١٥٥) حسن

٥٠٣ - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٨٢) (٢٥٨٧) حسن

٥٠٤ - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٨١) (٢٥٨٦) فيه جهالة

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُ بِيَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فَيَرْفَعُهُ عَلَى بَاطِنِ قَدَمَيْهِ، فَيَقُولُ: "حَرْقَةُ حَرْقَةُ تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ" قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: سَأَلْتُ الْأَدَبَاءَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالُوا لِي: إِنَّ الْحَرْقَةَ: الْمُقَارِبُ الْخُطَى وَالْقَصِيرُ الَّذِي يُقَرَّبُ خُطَاهُ، وَعَيْنُ بَقَّةٍ أَشَارَ إِلَى الْبَقَّةِ الَّتِي تَطِيرُ وَلَا شَيْءَ أَصْغَرَ مِنْ عَيْنِهَا لِصِغَرِهَا، وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْأَدَبَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ بِالْبَقَّةِ فَاطِمَةَ، فَقَالَ لِلْحُسَيْنِ: يَا قُرَّةَ عَيْنٍ بَقَّةٌ تَرَقَّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^{٥٠٥}

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ أَحْسَبُهُ فَطِيمٌ - وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ». نُعْرُ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكُنْسُ وَيُنْضِجُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا^{٥٠٦}.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ وَلَهَا ابْنٌ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ، وَكَانَ يُمَارِحُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَهُ حَزِينًا، فَقَالَ: مَالِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا؟ فَقَالُوا: مَاتَ نُعْرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ^{٥٠٧}.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: "وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير زيارة الممزوح معه. وفيه ترك التكرير والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر أو في البيت فيمزح"^{٥٠٨}.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ لَهُ «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ». قَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ أَبُو أُسَامَةَ يَعْنِي مَازَحَهُ^{٥٠٩}.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا نِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَقْلَةٍ كُنْتُ أَجْنَبِيهَا^{٥١٠}.

^{٥٠٥} - مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ لِلْحَاكِمِ (١٨١) حسن

^{٥٠٦} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٢٠٣) - النغير: تصغير نغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار

^{٥٠٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٤٨٧) (١٢٩٥٧) (١٢٩٨٨) - صحيح

^{٥٠٨} - فتح الباري ١٠ / ٥٨٤ - ط. مكتبة الرياض الحديثة. والموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٦ / ٢٧٤)

^{٥٠٩} - سنن الترمذي - المكثر - (٢١٢٣) وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

^{٥١٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٣٢٨) (١٢٢٨٦) (١٢٣١١) - ضعيف

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - قَالَ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - مَكَّةَ اسْتَقْبَلَهُ أُغَيْلَمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَحَمَلَتْ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْآخَرَ خَلْفَهُ ^{٥١١}.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - أَنَّ أُسَامَةَ - رضي الله عنه - كَانَ رَذَفَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الْفَضْلَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى. قَالَ فَكِلَاهُمَا قَالَ لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يُلَبِّي، حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ ^{٥١٢}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يُصَلِّي بِالنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ قَالَ الْمَهْدِيُّ: أَكْبَرُ الظَّنِّ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ فَرَكِبَ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَطَالَ السُّجُودَ بِالنَّاسِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَطَلْتَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ قَالَ: "إِنَّ ابْنِي هَذَا ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلُهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ" ^{٥١٣}.

وَعَنْ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَجَاءَ الْحَسَنُ فَأَقْبَلَ يَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، فَرَفَعَ عَنْ قَمِيصِهِ وَقَبَّلَ زَيْبَتَهُ. ^{٥١٤}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَرَجَ مَا بَيْنَ فَحِذَيِ الْحُسَيْنِ، وَقَبَّلَ زَيْبَتَهُ. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ^{٥١٥}.

وَعَنْ قَابُوسَ بْنِ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يُفَرِّجُ بَيْنَ رِجْلَيْ الْحُسَيْنِ وَيُقَبِّلُ زَيْبَتَهُ" ^{٥١٦}.

إن تقبيل الولد الصغير وحمله والتحفى به مما يستحق به رحمة الله، ألا ترى حمل النبي - صلى الله عليه وسلم - أمامه ابنه أبي العاص على عنقه في الصلاة، والصلاة أفضل الأعمال عند الله، وقد أمر عليه السلام بلزوم الخشوع فيها والإقبال عليها، ولم يكن حمله لها مما يضاد الخشوع المأمور به

^{٥١١} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٩٦٥)

^{٥١٢} - صحيح البخارى - المكثر - (١٥٤٣ و ١٥٤٤)

^{٥١٣} - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢١٦) صحيح مرسل

^{٥١٤} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (١ / ١٣٧) (٦٦٧) حسن لغيره - التمرغ: التقلب

^{٥١٥} - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٨٥) (٢٥٩٢) حسن

^{٥١٦} - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٠٨) حسن لغيره

فيها، وكره أن يشق عليها لو تركها ولم يحملها في الصلاة وفي فعله ﷺ ذلك أعظم الأسوة لنا فينبغي الاقتداء به في رحمته صغار الولد وكبارهم والرفق بهم، ويجوز تقبيل الولد الصغير في سائر جسده. ٥١٧

وعن عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: أَرِنِي الْمَكَانَ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "فَكَشَفَ لَهُ عَنْ سُرَّتِهِ" قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: قَالَ شَرِيكَ: لَوْ كَانَتْ السُّرَّةُ مِنَ الْعَوْرَةِ لَمْ يَكْشِفْهَا لَهُ ٥١٨

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتَى بَيْتَ عَائِشَةَ ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ لَكُمْ - يَعْنِي حُسَيْنًا - وَظَنَنْتُ أَنَّ أُمَّهُ حَبَسَتْهُ تَغْسِلُهُ أَوْ تُلْبِسُهُ سَخَابًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَشْتَدُّ فَعَانَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ" ٥١٩

وعن الْبَهِيِّ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَنَحْنُ تَتَذَكَّرُ شَبَهَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ: أَنَا أَخْبِرُكُمْ بِأَشْبَهِ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ "الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ وَيَرْكَبُ ظَهْرَهُ فَمَا يُنْزِلُهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ أَوْ يَأْتِيهِ وَهُوَ رَاكِعٌ فَيُفْرِجُ لَهُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ" ٥٢٠

وعن أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: "جَاءَ صَبِيٌّ قَدْ سَمَّاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ فَارْكَبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَامَ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ فَذَهَبَ" ٥٢١
وعن ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَثْبَانِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْخُذُهُمَا النَّاسُ فَقَالَ: "دَعُوهُمَا بِأَبِي هُمَا وَأُمِّي، مَنْ أَحْبَبَنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ" ٥٢٢

٥١٧ - شرح ابن بطلال - (١٧ / ٢٥٢)

٥١٨ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٠٩) حسن

٥١٩ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢١٠) صحيح

٥٢٠ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢١١) ضعيف

٥٢١ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢١٢) حسن لغيره

٥٢٢ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢١٤) صحيح

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ الْحَسَنَ، أَوْ الْحُسَيْنَ كَانَ يَجِيءُ وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ فَيَرْكَبُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيُطِيلُ السُّجُودَ فَيَقِيلُ لَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَقَدْ أَطْلَتِ السُّجُودَ فَقَالَ: "إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ" ٥٢٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ فَأَخَذَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَرْكَبَانِ عَلَى ظَهْرِهِ فَلَمَّا جَلَسَ وَضَعَ وَاحِدًا عَلَى فَخِذِهِ وَالْآخَرَ عَلَى فَخِذِهِ الْآخَرَى قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: أَلَا أَبْلُغُهُمَا أَهْلَهُمَا فَبَرَقَتْ بَرَقَةً فَلَمْ يَزَالَا فِي ضَوْئِهَا حَتَّى دَخَلَا " ٥٢٤

وَعَنْ يَعْلَى الْعَامِرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَعَرَ فَاهُ الْحُسَيْنَ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ قَالَ: "أَحَبُّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا وَحَسَنًا سَيِّطَانٍ مِنَ الْأَسْبَاطِ" ٥٢٥

وَعَنْ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبُعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبُعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "ابْنَايَ هَذَانِ هُمَا رِيحَاتِي مِنَ الدُّنْيَا" ٥٢٦

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا فَإِذَا قَامَ رَفَعَهَا، وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ ذَلِكَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ " ٥٢٧

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: عَثَرْتُ أَسَامَةَ بَعْتَبَةَ الْبَابِ فَشَجَّ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمِيطِي عَنْهُ الْأَذَى" فَتَقَدَّرَتْهُ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْصُهُ وَيَمْحُوهُ ثُمَّ قَالَ: "لَوْ كَانَ أَسَامَةُ جَارِيَةً لَحَلَّيْنَاهُ وَكَسَوْنَاهُ حَتَّى تُنْفَقَهُ" ٥٢٨

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اغْسِلِي وَجْهَ أَسَامَةَ" فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَأَنَا أَنْقِيهِ فَضَرَبَ يَدِي ثُمَّ أَخَذَهُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ ثُمَّ قَبَّلَهُ ثُمَّ قَالَ: "أَحْسَنَ اللَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَسَامَةُ جَارِيَةً" ٥٢٩

٥٢٣ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢١٥) حسن لغيره

٥٢٤ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢١٧) صحيح

٥٢٥ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢١٨) حسن

٥٢٦ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢١٩) صحيح

٥٢٧ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٢٣) صحيح

٥٢٨ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٢٤) صحيح

وَعَنِ الْبَهِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: "قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ أُسَامَةُ جَارِيَةً، وَلَوْ كُنْتَ جَارِيَةً لَحَلَيْنَاكَ حَتَّى يُرْغَبَ فِيكَ" ٥٣٠

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ" ٥٣١
وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، كَانَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَهَبَ يَمْسَحُ مُخَاطَهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَنَا إِلَيْهِ قَالَ: "يَا عَائِشَةُ أَحَبِّهِ فَإِنِّي أَحِبُّهُ" ٥٣٢
وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: إِنْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لَيَأْخُذُنِي وَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخْذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى الْآخَرَى ثُمَّ يَضُمُّنَا ثُمَّ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ ارْحَمَهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا" ٥٣٣

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ بِالْحَسَنِ أَوْ الْحُسَيْنِ فَبَالَ عَلَيْهِ فَأَرَادَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ فَقَالَ: "ابْنِي ابْنِي" فَلَمَّا قَضَى بَوْلَهُ صَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ ٥٣٤

وَعَنْ عَائِشَةَ، ﷺ، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتِي بِالصَّبِيَّانِ فَيَدْعُو لَهُمْ وَيَبْرِكُ عَلَيْهِمْ، فَأُتِيَ بِصَبِيٍّ فَبَالَ عَلَيْهِ فَدَعَى بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ" ٥٣٥

واقْتَدَى الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَارَعُوا إِلَى مِمَازِحَةٍ وَمِدَاعِبَةٍ أَطْفَالِهِمْ، وَكَانُوا يَتَرَلُّونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَيَتَصَابُونَ لَهُمْ، وَيَلَاعِبُونَهُمْ.

قَالَ أَبُو كَامِلٍ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَإِذَا مُعَاوِيَةُ قَدْ جَثَى عَلَى أَرْبَعٍ وَفِي عُنُقِهِ حَبْلٌ وَهُوَ يَبْدُ ابْنَهُ يَلْعَبُ مَعَهُ صَغِيرًا فَلَمَّا دَخَلْنَا سَلَّمْنَا عَلَيْهِ اسْتَحْيَا مِنِّي ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ كَانَ لَهُ صَبِيٌّ فَلْيَتَصَابَا لَهُ" ٥٣٦

٥٢٩ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٢٥) حسن

٥٣٠ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٢٦) حسن

٥٣١ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٢٧) وطبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني - (٧٠٢) وشعب

الإيمان - (١٣ / ٤٠٩) (١٠٥٥٠) حسن لغيره

٥٣٢ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٢٨) حسن

٥٣٣ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٢٩) صحيح

٥٣٤ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٣٢) حسن لغيره

٥٣٥ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٣٣) صحيح

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ؛ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فِي أَهْلِهِ مِثْلُ الصَّبِيِّ، فَإِذَا التَّمَسَ مَا عِنْدَهُ وَجَدَ رَجُلًا. قَالَ الثَّوْرِيُّ: وَبَلَعْنَا عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَفْكِهِ النَّاسُ فِي أَهْلِهِ وَأَزْمَتِهِمْ إِذَا جَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ .^{٥٣٧}

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ الْجُمَحِيِّ ؛ قَالَ: اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه رَجُلًا عَلَى عَمَلٍ، فَرَأَى عُمَرَ رضي الله عنه يُقْبَلُ صَبِيًّا لَهُ، فَقَالَ: تُقْبَلُهُ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ! لَوْ كُنْتُ أَنَا مَا فَعَلْتُهُ. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَمَا ذَنْبِي إِنْ كَانَ قَدْ نُزِعَ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةُ ؟ ! إِنْ اللَّهَ لَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الرَّحْمَاءُ. قَالَ: وَنَزَعَهُ عَنْ عَمَلِهِ، وَقَالَ: أَنْتَ لَا تَرْحَمُ وَلَدَكَ ؛ فَكَيْفَ تَرْحَمُ النَّاسَ ؟ !^{٥٣٨}

بهذه المداعبة والملاعبة والتصابي ومحاكاة الطفل، كان يتعامل رسول الله ﷺ مع الأطفال، وهو يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيداً عن الجفاء والقسوة، وعدم إعطاء الطفل حقه .



^{٥٣٦} - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٣٠) فِيهِ جِهَالَةٌ

^{٥٣٧} - مَجَالِسَةُ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ - (٣ / ٤٣٠) (١٠٣٨) فِيهِ انْقِطَاعٌ

^{٥٣٨} - مَجَالِسَةُ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ - (٦ / ٣٢٦) (٢٧٠٩) ضَعِيفٌ مَعْضَلٌ

الأساس الثالث - الهدايا والعطايا للأطفال:

للهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيراً، أكبر وقعاً، وسناً رسول الله ﷺ قاعدة للحب بين الناس، فنصح الأمة بقوله: "تَهَادُّوا تَحَابُّوا" ^{٥٣٩}، وهذا قانون عام.

والرسول ﷺ بين لنا عملياً هذا الركن القوي، في بناء عاطفة الطفل، وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ - كَانَ يُؤْتِي بِأَوَّلِ الثَّمَرِ فيقول «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَفِي ثَمَارِنَا وَفِي مُدُنِنَا وَفِي صَاعِنَا بَرَكَهً مَعَ بَرَكَهٍ». ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ. ^{٥٤٠}

وعن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: كُنْتُ مَعَ عَمِّي عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ فَبَعَثَنِي إِلَيْهِ فَقَالَ لِي: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْخِ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ عَمِّي مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ: هَلْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ؟ فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ؟ فَقَالَ: نَعَمْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ أَنَا وَغُلَمَةٌ مَعِيَ، فَوَجَدْنَاهُ يَأْكُلُ تَمْرًا فِي قِنَاعٍ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَبَضَ لَنَا مِنْ ذَلِكَ قَبْضَةً وَمَسَحَ عَلَى رُءُوسِنَا. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ ^{٥٤١}

وعن جابر بن عبد الله قال: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ أَوْ الْعَصْرَ، فَلَمَّا سَلَّمْنَا قَالَ: "عَلَى أَمَا كُنْكُمْ مَكَانَكُمْ" قَالَ: وَأُهِدَيْتَ لَهُ جَرَّةٌ فِيهَا حَلَوَاءٌ، فَجَعَلَ يَأْتِي عَلَى رَجُلٍ رَجُلٍ فَيُلْعِقُهُ، حَتَّى أَتَى عَلِيَّ، وَأَنَا غُلَامٌ، فَأَلْعَقَنِي لَعْقَةً، ثُمَّ قَالَ: "أَزِيدُكَ ؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَلْعَقَنِي أُخْرَى لِصِغَرِي، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، حَتَّى أَتَى عَلِيَّ آخِرَ الْقَوْمِ ^{٥٤٢}

وعن سعيد بن عمرو قال: أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَمَرُو بْنُ سَعِيدٍ حَتَّى دَخَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْصَرَفَهُمْ مِنَ الْحَبَشَةِ فَقَالَ خَالِدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا بَالُنَا بَدُرٌ لَمْ نَشْهَدْهَا ؟

^{٥٣٩} - شعب الإيمان - (١١ / ٣٠١) (٨٥٦٨) صحيح

^{٥٤٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٣٤٠١)

^{٥٤١} - المعجم الأوسط للطبراني - (١١١٦٣) والمعجم الكبير للطبراني - (٦ / ٢٩١) (٦٥٥٦) ضعيف

^{٥٤٢} - شعب الإيمان - (٨ / ٨٩) (٥٥٣٥) فيه انقطاع

فَقَالَ: "يَا خَالِدُ أَمَا تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ هِجْرَةٌ وَلَكُمْ هِجْرَتَانِ؟" قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَذَلِكَ لَكُمْ" قَالَ: وَمَعَ خَالِدِ ابْنَةِ عَلِيٍّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ فَقَالَ لَهَا: اذْهَبِي فَسَلِّمِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَأَنكَبْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلْتُ تُرِيهِ قَمِيصَهَا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: "سَنَةُ سَنَةٍ" قَالَ: حَسَنٌ بُلْعَةُ الْحَبَشَةِ "أَبْلِي وَأَخْلَقِي ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلَقِي" ٥٤٣

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَلِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ، أَهْدَاهَا لَهُ، فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعُودٍ بَعْضُ أَصَابِعِهِ مُعْرِضًا عَنْهُ، ثُمَّ دَعَا أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ ابْنَةَ ابْنَتِهِ، فَقَالَ: تَحَلِّي بِهَذَا يَا بَنِيَّةُ. ٥٤٤

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: أَهْدَى النَّجَاشِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَلِيَّةً فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعُودٍ وَإِنَّهُ لَمُعْرِضٌ عَنْهُ، أَوْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ، وَإِنَّهُ لَمُعْرِضٌ عَنْهُ، ثُمَّ دَعَا ابْنَةَ ابْنَتِهِ أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ، فَقَالَ: تَحَلِّي بِهَذَا يَا بَنِيَّةُ. ٥٤٥



٥٤٣ - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٣٥) صحيح لغيره

٥٤٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٢٠٨) (٢٤٨٨٠) (٢٥٣٩٢) - حسن

٥٤٥ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٢٧٧) (٢٥٦٤٩) - حسن

الأساس الرابع - مسح رأس الطفل :

لاحظت الحديث قبل الأخير، كيف أن النبي ﷺ كان يداعب عواطف الأطفال، بمسح رؤوسهم، فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده، وحب الكبار له، واهتمامهم به، فعن أنس: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ الْأَنْصَارَ، وَيُسَلِّمُ عَلَى صَبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ رُؤُوسَهُمْ.^{٥٤٦}

قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنُ صُعَيْرِ بْنِ أَبِي صُعَيْرٍ الْعَدَوِيُّ وَلِدَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ، وَحُمِلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهِ عَامَ الْفَتْحِ، وَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ، وَتُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً.^{٥٤٧}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا، اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ، فَإِنْ قُتِلَ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَقُوا الْعَدُوَّ، فَأَخَذَ الرَّأْيَةَ زَيْدٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْيَةَ جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْيَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَتَى خَبَرُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعَدُوَّ، وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّأْيَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْيَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْيَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْيَةَ سَيُوفُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْهَلَ، ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ، ثَلَاثًا، أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: لَا تَبْكُوا عَلَى أَحِي بَعْدَ الْيَوْمِ ادْعُوا إِلَى ابْنِي أَحِي قَالَ: فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلَاقَ، فَجِيءَ بِالْحَلَاقِ فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمَّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ

^{٥٤٦} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٠٥) (٤٥٩) صحيح

^{٥٤٧} - المستدرک للحاکم (٥٢١٥) بلاغاً

لَعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ: فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتَمَنَّا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.^{٥٤٨}

ويضيف رسول الله ﷺ إلى مسح الرأس للطفل: القيام بمسح خدي الطفل بيديه الشريفتين، وما ذلك إلا اهتماماً به، وإدخال السرور إلى قلب الطفل، فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - صَلَاةَ الْأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانُ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا - قَالَ - وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي - قَالَ - فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُوثَةِ عَطَّارٍ.^{٥٤٩}

ومن هذا نستدلُّ على مسح حدود الأطفال، إذا كانوا أكثر من واحد، وعدله في معاملتهم جميعاً وعدم التفرقة بينهم، وهذا من بدائع ملاحظته ﷺ في تعامله مع الأطفال بالتسوية بينهم في كل شيء .



^{٥٤٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٤٥) (١٧٥٠) صحيح

^{٥٤٩} - صحيح مسلم- المكثر - (٦١٩٧) -الجؤنة: ما يعد فيه الطيب ويجرز

الأساس الخامس - حسن استقبال الطفل:

إن اللقاء مع الطفل لا بد منه، وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيباً، استطاع الطفل متابعة الحديث، وفتح الحوار، والتجارب مع المتكلم، فيفتح قلبه له، وما يدور في خاطره، ويعرض مشاكله عليه، ويتحدث عن أمانيه له، كل هذا يحصل إذا أحسن استقبال الطفل، بفرح وحب ومداعبة ن وهذا ما وجه إليه ﷺ بفعله إلى الأمة، فعن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله - ﷺ - إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته - قال - وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جىء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه - قال - فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة.^{٥٥٠}

وعن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله - ﷺ - إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته - قال - وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جىء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه - قال - فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة.^{٥٥١}

وعن ابن أبي مليكة قال ابن الزبير لابن جعفر - ﷺ - أتذكر إذ تلقينا رسول الله - ﷺ - أنا وأنت وابن عباس قال نعم، فحملنا وتركك.^{٥٥٢}

وعن الزهري قال قال السائب بن يزيد - ﷺ - ذهبنا نتلقى رسول الله - ﷺ - مع الصبيان إلى ثنية الوداع.^{٥٥٣}

دلت هذه الأحاديث على أهمية تلقي المسافرين من العلماء ومن قدم من سفر الحج أو العمرة، أو الجهاد، أو الدعوة، أو غيرها من سفر الطاعة؛ قال الإمام النووي رحمه الله: "هذه سنة مستحبة أن يتلقى الصبيان المسافر، وأن يركبهم، وأن يردفهم، ويلاطفهم، والله أعلم"^{٥٥٤}

^{٥٥٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٤٢١)

^{٥٥١} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٤٢١)

^{٥٥٢} - صحيح البخاري - المكثر - (٣٠٨٢) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٤١٩)

^{٥٥٣} - صحيح البخاري - المكثر - (٣٠٨٣)

^{٥٥٤} - فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري - (٣ / ٣٠٣)

ودلت هذه الأحاديث على أن الصبيان من أصناف المدعوين؛ ولهذا اعتنى النبي ﷺ بإكرامهم، والإحسان إليهم، وملاطفتهم، وإدخال السرور عليهم، وتعليمهم مكارم الأخلاق؛ قال الإمام الخطابي رحمه الله في ذكره لفوائد حديث عبد الله بن السائب: "فيه تمرين الصبيان على مكارم الأخلاق، واستجلاب الدعاء لهم". فينبغي العناية بالأطفال والإحسان إليهم ومراعاة أحوالهم في دعوتهم إلى الله بالقُدوة الحسنة والعطف عليهم وإدخال السرور في قلوبهم.^{٥٥٥}



^{٥٥٥} - فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري - (٣ / ٣٠٤)

الأساس السادس-تفقد حال الطفل والسؤال عنه :

كثيراً ما يمشي الطفل وحده، فيضلُّ الطريق، ويثيبه في الشارع، فإذا كان الوالدان مهتمين بحال الطفل تنبهاً سريعاً لشروده، وتمَّ تتبع أثر الطفل، والعتور عليه بأسرع ما يمكن، والعكس بالعكس، وهذه السرعة تغلب دوراً كبيراً في نفس الطفل، فالتأخير عليه يزيد من خاوفه وآلامه وبكائه، ويشتدُّ عذابه النفسي كلما زادت فترة تأخر وصول أحد والديه إليه، لهذا سارع رسول الله ﷺ وأمر أصحابه بمساعدته والانتشار في الطرقات حتى يتمَّ العثور على الحسن والحسين، فعن سلمان قال: كُنَّا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ ضَلَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ قَالَ: وَذَلِكَ رَأْدُ النَّهَارِ - يَقُولُ: ارْتِفَاعُ النَّهَارِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَوْمُوا فَاطِلْبُوا ابْنِي". وَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ ثُجَاهَهُ وَجْهَهُ، وَأَخَذَتْ نَحْوَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَتَى سَفْحَ جَبَلٍ، وَإِذَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ - ﷺ - مُلتَزِقٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ، وَإِذَا شَجَاعٌ قَائِمٌ عَلَى ذَنْبِهِ، يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَرُّ النَّارِ، فَاسْرَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَالْتَفَتَ مُخَاطِباً لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ثُمَّ انْسَابَ فَدَخَلَ بَعْضَ الْأَحْجَارِ، ثُمَّ أَتَاهُمَا فَأَفْرَقَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ مَسَحَ وَجُوهَهُمَا، وَقَالَ: "بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتُمَا، مَا أَكْرَمَكُمَا عَلَى اللَّهِ !". ثُمَّ حَمَلَ أَحَدَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ الْأَيْمَنِ، وَالْآخَرَ عَلَى عَاتِقِهِ الْأَيْسَرِ، فَقُلْتُ: طُوبَاكُمَا ! نَعَمْ الْمَطِيَّةُ مَطِيَّتُكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "وَنِعَمَ الرَّكِبَانِ هُمَا، وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا". رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ^{٥٥٦}

فأنت تلاحظ الخوف الذي حصل للحسن والحسين، حيث التزق كل واحد بالآخر خائفاً من الشجاع، ومسارة الرسول ﷺ لفك هذا الخوف، ثم التفريق بينهما، ثم مسح وجههما، ثم دعا لهما، ثم أكرمهما بحملهما على عاتقه، ثم مدحهما بقوله "ونعم الركبان هما" وما ذلك إلا من شدة حرصه واهتمامه بعاطفة الطفل أن تبقى سوية سليمة متوازنة .

بل تعدت رحمته ﷺ وحنانه وعطفه إلى الحيوانات والطيور، فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي سَفَرٍ فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَاءَ مَعَهَا فَرُخَانَ

^{٥٥٦} - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ١٠٩) (٢٦١١) ضعيف

فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ - فَقَالَ « مَنْ فَجَعَ هَذِهِ
بَوْلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا » .
حمرة: طائر صغير كالعصفور^{٥٥٧}



^{٥٥٧} - سنن أبي داود - المكثر - (٢٦٧٧) صحيح

الأساس السابع - الرعاية الخاصة بالبنت واليتيم :

هذان النموذجان من الأطفال أشد حاجة من غيرهما إلى البناء العاطفي من رحمة ورأفة ورعاية، وذلك لما يتمتعان به من شعور بالضعف، وفقدان عناصر القوة، ولأنهما عند الناس أقل شأنًا من غيرهما، وقد هضمت المجتمعات الجاهلية حقوقهما قديما وحديثاً وحيثما ابتعدت أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات، أو أسرة من الأسر عن منهج الله وشريعته، تطبيقاً وعملاً، كان الظلم والحيف لذين الضعيفين البنت واليتيم... والجاهلية هي الجاهلية تتكرر بمحاورها، وتتبدل بأثوابها، أما القديمة فقد رفعت لواء الظلم لهما جهاراً نهاراً، وأشهرته على الملأ جميعاً بلا حياء، ولا خجل، ولا مروءة ولا شهامة .
وأما الحديثة فقد زينت ظلمها ببعض المواد الدستورية المهترئة، وفتحت لهما باب الحرية في التمتع بالزيلة أيا كان نوعها، ودرجتها في الفجور .

وهكذا ضاع هذان الصنفان الضعيفان في مثل هذه المجتمعات والأسر، وبقي الإسلام وحده في الميدان المنقذ الوحيد لهما، يدافع عنهما، ويهاجم كل من يشير إليهما بأي ظلم أو حيف حتى إذا ما وقع نوع من الظلم هدد وتوعد واستنهض النفوس المؤمنة واستحاشها، فأبكاها حتى يرتفع الظلم، ويحق العدل، ويكبو الحيف، وترتفع المساواة، ويزهق الباطل، ويثبت الحق.

وما هذا الحشد الهائل من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية بشأن هذين الطفلين الضعيفين، إلا دليل على ما ذكرناه، وبيان شافٍ على ما قدمناه، لأن الله تعالى خلق البشرية عالم بظلمها عندما لا تتقيد بشرعه، وأن القوي فيها يأكل الضعيف .
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : "إِنِّي أُحَرِّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ" .^{٥٥٨}

وبقي أن نسال: ما هي القواعد والضوابط التي نحن مخاطبون بتطبيقها لإنصاف هذين الضعيفين ؟

^{٥٥٨} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (١٠ / ١٣٤) (٢٠٩٥٦) صحيح

١- رعاية تربية البنت :

أهم الوسائل في إصلاح المنزل:

أولاً: ترقية تعليم المرأة عندنا، وتزويدها في المدارس بالقدر الوافر من الدين والخلق، وإفساح المجال في مناهج دراسة البنات للبحوث البيئية، وتراجم فضليات النساء، اللاتي كنَّ مضرب المثل في الخلق الفاضل في زمنهم؛ كـ "نسبية بنت كعب"، و"أسماء بنت أبي بكر"، و"صفية بنت عبد المطلب" و"سكينة بنت الحسين"، وغيرهن كثير..

فالأم مدرسة إذا هذبتها أخرجت شعباً طيب الأعراق

أما أن تستمر مناهج تعليم البنات عندنا كما هي عليه الآن، فتعني بالكمالي والضار، وتترك الضروري والنافع، فهذا مما لا يبشر بحياة طيبة للنشء الإسلامي..

تدرس البنت في مدارسنا الموسيقى واللغة الأجنبية والهندسة الفراغية والقانون الآن، ثم هي لا تعلم شيئاً عن تربية الطفل، ولا تدبير الصحة، ولا عالم النفس، ولا الدين والخلق، ولا تدبير المنزل.. فأبي منهج هذا؟! وإلى أي غاية يُوصِّل؟!!

من لي بتربية البنات فإنها في الشرق علة ذلك الإخفاق

والأمُّ إذا صلحت فانتظر من ابنها أن يكون رجلاً بكل معنى كلمة الرجولة، وأنت إذا استقرأت تاريخ العظماء وجدت أن السر في عظمة الكثيرين منهم ما بثته فيهم الأم من المبادئ الصالحة القويمة بحكم البيان والتلقين.. وما كان "علي بن أبي طالب" - كرم الله وجهه - في حبه للحق، وغيرته عليه، ومناصرتة للرسول - ﷺ - ولا "معاوية" في حلمه ودهائه، ولا "عبد الله بن الزبير" في شجاعة نفسه، ولا "الزبير" نفسه في ذلك إلا سرّاً من أسرار "فاطمة بنت أسد"، و"صفية بنت عبد المطلب"، و"أسماء بنت أبي بكر"، و"هند بنت عتبة".

ولئن كان الولد سرّاً أبيه، فكل إناء ينضح بما فيه..

وحريٌّ بمن يسمع في مهده - لأول عهده بالحياة - ترنيمة أمه:

ثكلت نفسي وثكلت بكري إن لم يسد فهراً وغير فهر
بالحسب العدّ وبذل الوفر حتى يوارى في ضريح القبر

أن يكون سيداً تنفجر الحكمة من جنبه، وتنطوي السيادة في برديه، كما كان "عبد الله بن عباس" بتأثير أمه "أم الفضل بنت الحارث الهلالية"، وحرى بمن يطرق سمعه لأول مرة تلك الأغاني الخليعة والترنيمات الغثة- التي يداعب بها أمهات هذا العصر أبناءهن- أن ينشأ ماجناً خليعاً، فاتر الهمّة، ضعيف النفس..

الأم أستاذ العالم، والمرأة التي تهز المهدي يمينها تهز العالم بشمالها، فلأجل أن نصلح المنزل يجب أن نصلح الأم التي هي روحه وقوامه.^{٥٥٩}

القاعدة الأولى - النهي عن كراهية البنات :

صحح القرآن الكريم أولاً النظرة، والتصور عن البنات، والتي كانت ذائعة في المجتمعات الجاهلية، فوجّه العقول إلى تصحيح النظرة لها، وتعديل التصور عنها، وأنها مخلوقة، خلقها الله تعالى مكّملة للرجل في حياته، فلها حقوقها، وعليها واجباتها.

وبتصحيح التصور هيا النفس البشرية من بداية الطريق إلى معاملتها بالحسنى، والقيام بالواجب نحوها، ولهذا جاءت الآية تصور الرؤوس العفنة، والنفوس المريضة لتعالجها، الأمر الذي أدى إلى انقلاب جديد في الحياة البشرية النسائية، وبداية عصر النور لها .

قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (٥٩) سورة النحل.

وإذا جاء من يخبر أحدهم بولادة أنثى اسودّ وجهه؛ كراهية لما سمع، وامتلأ غمّاً وحزناً. يستخفي من قومه كراهة أن يلقاهم متلبساً بما ساءه من الحزن والعار؛ بسبب البنت التي وُلدت له، ومتحيراً في أمر هذه المولودة: أيقبها حية على ذلّ وهوان، أم يدفنها حية في التراب؟ ألا بئس الحكم الذي حكموه من جعل البنات لله والذكور لهم^{٥٦٠}. إن الانحراف في العقيدة لا تقف آثاره عند حدود العقيدة، بل يتمشى في أوضاع الحياة الاجتماعية وتقاليدها.

^{٥٥٩} - &SecID=٤٨٠٧http://www.ikhwanonline.net/print.asp?ArtID=

^{٥٦٠} - التفسير الميسر - (٤ / ٤٢٨)

فالعقيدة هي الحرك الأول للحياة، سواء ظهرت أو كمنت. وهؤلاء عرب الجاهلية كانوا يزعمون أن لله بنات - هن الملائكة - على حين أنهم كانوا يكرهون لأنفسهم ولادة البنات! فالبنات لله أما هم فيجعلون لأنفسهم ما يشتهون من الذكور!.

وانحرافهم عن العقيدة الصحيحة سول لهم وأد البنات أو الإبقاء عليهن في الذل والهوان من المعاملة السيئة والنظرة الوضيعة. ذلك أنهم كانوا يخشون العار والفقر مع ولادة البنات. إذ البنات لا يقاتلن ولا يكسبن، وقد يقعن في السبي عند الغارات فيجلبن العار، أو يعشن كلاً على أهليهن فيجلبن الفقر.

والعقيدة الصحيحة عصمة من هذا كله. إذ الرزق بيد الله يرزق الجميع ولا يصيب أحداً إلا ما كتب له ثم إن الإنسان بجنسيه كريم على الله، والأنثى - من حيث إنسانيتها - صنو الرجل وشر نفسه كما يقرر الإسلام.

ويرسم السياق صورة منكرة لعادات الجاهلية: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ» مسوداً من الهم والحزن والضيق، وهو كظيم، يكظم غيظه وغمه، كأنها بلية، والأنثى هبة الله له كالذكر، وما يملك أن يصور في الرحم أنثى ولا ذكراً، وما يملك أن ينفخ فيه حياة، وما يملك أن يجعل من النطفة الساذجة إنساناً سوياً. وإن مجرد تصور الحياة نامية متطورة من نطفة إلى بشر - بإذن الله - ليكفي لاستقبال المولود - أياً كان جنسه - بالفرح والترحيب وحسن الاستقبال، لمعجزة الله التي تتكرر، فلا يبلى جدتها التكرار! فكيف يغتم من يبشر بالأنثى ويتوارى من القوم من سوء ما بشر به وهو لم يخلق ولم يصور. إنما كان أداة القدرة في حدوث المعجزة الباهرة؟.

وحكمة الله، وقاعدة الحياة، اقتضت أن تنشأ الحياة من زوجين ذكر وأنثى. فالأنثى أصيلة في نظام الحياة أصالة الذكر بل ربما كانت أشد أصالة لأنها المستقر. فكيف يغتم من يبشر بالأنثى، وكيف يتوارى من القوم من سوء ما يشربه ونظام الحياة لا يقوم إلا على وجود الزوجين دائماً؟.

إنه انحراف العقيدة ينشئ آثاره في انحراف المجتمع وتصوراته وتقاليده .. «ألا ساء ما يحكمون» وما أسوأه من حكم وتقدير.

وهكذا تبدو قيمة العقيدة الإسلامية في تصحيح التصورات والأوضاع الاجتماعية. وتتجلى النظرة الكريمة القويمة التي بثها في النفوس والمجتمعات تجاه المرأة، بل تجاه الإنسان. فما كانت المرأة هي المغبونة وحدها في المجتمع الجاهلي الوثني إنما كانت «الإنسانية» في أحص معانيها. فالأنثى نفس إنسانية، إهانتها إهانة للعنصر الإنساني الكريم، ووأدها قتل للنفس البشرية، وإهدار لشطر الحياة ومصادمة لحكمة الخلق الأصلية، التي اقتضت أن يكون الأحياء جميعاً - لا الإنسان وحده - من ذكر وأنثى.

وكلما انحرفت المجتمعات عن العقيدة الصحيحة عادت تصورات الجاهلية تطل بقرونها.. وفي كثير من المجتمعات اليوم تعود تلك التصورات إلى الظهور. فالأنثى لا يرحب بمولدها كثير من الأوساط وكثير من الناس، ولا تعامل معاملة الذكر من العناية والاحترام. وهذه وثنية جاهلية في إحدى صورها، نشأت من الانحراف الذي أصاب العقيدة الإسلامية. ومن عجب أن ينعت الناعقون بلمز العقيدة الإسلامية والشرعية الإسلامية - في مسألة المرأة -، نتيجة لما يرونه في هذه المجتمعات المنحرفة ولا يكلف هؤلاء الناعقون اللامزون أنفسهم أن يراجعوا نظرة الإسلام، وما أحدثته من ثورة في التطورات والأوضاع. وفي المشاعر والضمائر. وهي بعد نظرة علوية لم تنشئها ضرورة واقعية ولا دعوة أرضية ولا مقتضيات اجتماعية أو اقتصادية. إنما أنشأها العقيدة الإلهية الصادرة عن الله الذي كرم الإنسان، فاستتبع تكريمه للجنس البشري تكريمه للأنثى، ووصفها بأنها شطر النفس البشرية، فلا تفاضل بين الشطرين الكريمين على الله^{٥٦١}.

ثم هزَّ النفس البشرية وسأل ضميرها، لتستيقظ من جهلها: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} (٩) سورة التكوين. وَإِذَا سُئِلَتِ الْمَوْءُودَةُ أَمَامَ وَائِدِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي ارْتَكَبَتْهُ فَأَوْجَبَ قَتْلَهَا. (وَسْتَجِيبُ بِأَنَّهُ قُتِلَتْ بِلَا ذَنْبٍ جَنَّتُهُ) ^{٥٦٢}.

^{٥٦١} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢١٧٧)

^{٥٦٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٦٨٥)

كان من هوان النفس الإنسانية في الجاهلية أن انتشرت عادة وأد البنات خوف العار أو خوف الفقر.

وحكى القرآن عن هذه العادة ما يسجل هذه الشناعة على الجاهلية، التي جاء الإسلام ليرفع العرب من وهدتها، ويرفع البشرية كلها. فقال في موضع: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ. أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ؟ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ!..» وقال في موضع: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا (أي البنات) ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. أَوْ مَنْ يُنشِؤُا فِي الْحَلِيبَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ؟..» وقال في موضع ثالث: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ» ..

وكان الوأد يتم في صورة قاسية. إذ كانت البنت تدفن حية! وكانوا يفتنون في هذا بشق الطرق. فمنهم من كان إذا ولدت له بنت تركها حتى تكون في السادسة من عمرها، ثم يقول لأُمها: طيبها وزينها حتى أذهب بها إلى أحمائها! وقد حفر لها بئرا في الصحراء، فيبلغ بها البئر، فيقول لها: انظري فيها. ثم يدفعها دفعا ويهيل التراب عليها! وعند بعضهم كانت الوالدة إذا جاءها المخاض جلست فوق حفرة محفورة. فإذا كان المولود بنتا رمت بها فيها وردمتها. وإن كان ابنا قامت به معها! وبعضهم كان إذا نوى ألا يئد الوليدة أمسكها مهينة إلى أن تقدر على الرعي، فيلبسها جبة من صوف أو شعر ويرسلها في البادية ترعى له إبله! فأما الذين لا يئدون البنات ولا يرسلوهن للرعي، فكانت لهم وسائل أخرى لإذاقتها الخسف والبخس ..

كانت إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبه. ومعنى هذا أن يمنعها من الناس فلا يتزوجها أحد فإن أعجبتة تزوجها، لا عبرة برغبتها هي ولا إرادتها! وإن لم تعجبه حبسها حتى تموت فيرثها. أو أن تفتدي نفسها منه بمال في هذه الحالة أو تلك .. وكان بعضهم يطلق المرأة ويشترط عليها ألا تنكح إلا من أراد. إلا أن تفتدي نفسها منه بما كان أعطاها .. وكان بعضهم إذا مات الرجل حبسوا زوجته على الصبي فيهم حتى

يكبر فيأخذها .. وكان الرجل تكون اليتيمة في حجرة يلي أمرها، فيحسبها عن الزواج، رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها! أو يزوجه من ابنه الصغير طمعا في مالها أو جمالها .. فهذه كانت نظرة الجاهلية إلى المرأة على كل حال. حتى جاء الإسلام. يشنع بهذه العادات ويقبحها.

وينهى عن الوأد ويغلظ فعلته. ويجعلها موضوعا من موضوعات الحساب يوم القيامة. يذكره في سياق هذا الهول المائج المائج، كأنه حدث كوني من هذه الأحداث العظام. ويقول: إن الموءودة ستسأل عن وأدها ..

فكيف بوائدها؟! وما كان يمكن أن تنبت كرامة المرأة من البيئة الجاهلية أبدا لولا أن تتزل بها شريعة الله ونهجه في كرامة البشرية كلها، وفي تكريم الإنسان: الذكر والأنثى وفي رفعه إلى المكان اللائق بكائن يحمل نفخة من روح الله العلي الأعلى. فمن هذا المصدر انبثقت كرامة المرأة التي جاء بها الإسلام، لا من أي عامل من عوامل البيئة.

وحين تحقق ميلاد الإنسان الجديد باستمداد القيم التي يتعامل بها من السماء لا من الأرض، تحققت للمرأة الكرامة، فلم يعد لضعفها وتكاليف حياتها المادية على أهلها وزن في تقويمها وتقديرها. لأن هذه ليست من قيم السماء ولا وزن لها في ميزانها. إنما الوزن للروح الإنساني الكريم المتصل بالله. وفي هذا يتساوى الذكر والأنثى.

وحين تعد الدلائل على أن هذا الدين من عند الله، وأن الذي جاء به رسول أوحى إليه .. تعد هذه النقلة في مكانة المرأة إحدى هذه الدلائل التي لا تخطئ. حيث لم تكن توجد في البيئة أماراة واحدة ينتظر أن تنتهي بالمرأة إلى هذه الكرامة ولا دافع واحد من دوافع البيئة وأحوالها الاقتصادية بصفة خاصة لولا أن نزل النهج الإلهي ليصنع هذا ابتداء بدافع غير دوافع الأرض كلها، وغير دوافع البيئة الجاهلية بصفة خاصة. فأنشأ وضع المرأة الجديد إنشاء، يتعلق بقيمة سماوية محضة وبميزان سماوي محض كذلك! «وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» صحف الأعمال. ونشرها يفيد كشفها ومعرفتها، فلا تعود خافية ولا غامضة.

وهذه العلنية أشد على النفوس وأنكى. فكم من سواة مستورة يخجل صاحبها ذاته من ذكرها، ويرجف ويدوب من كشفها! ثم إذا هي جميعها في ذلك اليوم منشورة مشهودة!

إن هذا النسر والكشف لون من ألوان الهول في ذلك اليوم كما أنه سمة من سمات الانقلاب حيث يكشف المخبوء، ويظهر المستور، ويفتضح المكنون في الصدور^{٥٦٣}.

وعَنْ خَلِيفَةِ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَدِمَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَأَدْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ابْنَةً لِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، قَالَ: "اعْتَقْ عَدَدَهُمْ نَسَمًا"، قَالَ: فَأَعْتَقَ عَدَدَهُنَّ نَسَمًا، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ جَاءَ بِمِائَةِ نَاقَةٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ صَدَقَةُ قَوْمِي عَلَى أَثَرِ مَا صَنَعْتُ بِالْمُسْلِمِينَ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: فَكُنَّا نُرِيحُهَا وَنُسَمِّيُهَا الْقَيْسِيَّةَ^{٥٦٤}.

وأما في السنة فقد جاءت أحاديث كثيرة تنهى عن ذلك :

عَنِ الْمُعِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ^{٥٦٥}.

وعن ابن عمر: أن رجلا كان عنده، وله بنات فتمنى موتهن، فغضب ابن عمر فقال: أنت ترزقهن؟^{٥٦٦}.

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تُكْرِهُوا الْبَنَاتِ، فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْعَالِيَاتُ^{٥٦٧}.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تُكْرِهُوا الْبَنَاتِ، فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْمُجَمَّلَاتُ"^{٥٦٨}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُكْرِهُوا الْبَنَاتِ، فَإِنَّهُنَّ الْمُجَهَّزَاتُ الْمُؤْنِسَاتُ"، قَالَ: وَيَعْلَمُ أَهْلُهُ مَا عَسَى لَا تَعْلَمُهُ مِنْ أَحْكَامِ الْعِشْرَةِ، وَإِنْ رَأَاهَا مُقَصَّرَةً فِي

^{٥٦٣} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٨٣٩)

^{٥٦٤} - تفسير ابن أبي حاتم - (١٢ / ٣٧٧) صحيح

^{٥٦٥} - صحيح البخاري - المكثر - (٢٤٠٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٥٨٠) وصحيح ابن حبان - (١٢ /

(٣٦٦)(٥٥٥٥)

^{٥٦٦} - الأدب المفرد للبخاري - (٨٣) صحيح

^{٥٦٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٩٠٥)(١٧٣٧٣) ١٧٥٠٨ - حسن

^{٥٦٨} - شعب الإيمان - (١١ / ١٥٤)(٨٣٢٨) صحيح مرسل

الْعِبَادَةِ حَمَلَهَا مِنْهَا عَلَى مَا تَخْرُجُ بِهِ مِنْ حَدِّ التَّقْصِيرِ، وَبَصَرَهَا مِنْهَا مَا تَجْهَلُهُ أَوْ أَدْنَى لَهَا فِي إِيْتَانِ مَنْ يُبَصِّرُهَا ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } [التحریم: ٦] ٥٦٩.

وفي ختام هذه القاعدة نعيش مع تحليلات ابن القيم رحمه الله ليقدم لنا التفسير والشرح والبيان عن قوله تعالى: { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) } [الشورى: ٤٩ - ٥١]

فقسم سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود وأخبر أن ما قدره بينهما من الولد فقد وهبهما إياه وكفى بالعبد تعرضاً لمقتته أن يتسخط ما وهبه وبدأ سبحانه بذكر الإناث فقليل جبراً لمن لأجل استئصال الوالدين لمكانهن وقيل وهو أحسن إنما قدمهن لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الأبوان فان الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء فبدأ بذكر الصنف الذي يشاء ولا يريده الأبوان

وعندي وجه آخر وهو أنه سبحانه قدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يندوهن أي هذا النوع المؤخر عنكم مقدم عندي في الذكر وتأمل كيف نكر سبحانه الإناث وعرف الذكور فجبر نقص الأنوثة بالتقديم وجبر نقص التأخير بالتعريف فإن التعريف تنويه كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم لما ذكر الصنفين معا قدم الذكور إعطاء لكل من الجنسين حقه من التقديم والتأخير والله أعلم بما أراد من ذلك، والمقصود أن التسخط بالإناث من أخلاق الجاهلية الذين ذمهم الله تعالى في قوله { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ يُؤْمِسُكَ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } النحل ٥٨ - ٥٩ .

٥٦٩ - شعب الإيمان - (١١ / ١٥٥) (٨٣٢٩) والبر والصلة - (١٤٦) فيه انقطاع

وقد قال تعالى في حق النساء ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء ١٩ وهكذا البنات أيضا قد يكون للعبد فيهن خير في الدنيا والآخرة ويكفي في قبح كراهتهن أن يكره ما رضىه الله وأعطاه عبده وقال صالح بن أحمد كان أبي إذا ولد له ابنة يقول الأنبياء كانوا آباء بنات ويقول قد جاء في البنات ما قد علمت وقال يعقوب بن بختان ولد لي سبع بنات فكنت كلما ولد لي ابنة دخلت على أحمد بن حنبل فيقول لي يا أبا يوسف الأنبياء آباء بنات فكان يذهب قوله هـ^{٥٧٠}.

والذرية مظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء والحرمان وهي قريبة من نفس الإنسان والنفس شديدة الحساسية بها. فلمسها من هذا الجانب أقوى وأعمق. وقد سبق في السورة حديث عن الرزق بسطه وقبضه.

فهذه تكملة في الرزق بالذرية. وهي رزق من عند الله كالمال. والتقديم بأن لله ملك السماوات والأرض هو التقديم المناسب لكل جزئية بعد ذلك من توابع هذا الملك العام. وكذلك ذكر: «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ».. فهي تأكيد للإحياء النفسي المطلوب في هذا الموضع. ورد الإنسان، المحب للخير، إلى الله الذي يخلق ما يشاء مما يسر وما يسوء ومن عطاء أو حرمان.

ثم يفصل حالات العطاء والحرمان: فهو يهب لمن يشاء إناثا (وهم كانوا يكرهون الإناث) ويهب لمن يشاء الذكور. ويهب لمن يشاء أزواجا من هؤلاء وهؤلاء. ويجرم من يشاء فيجعله عقيما (والعقم يكرهه كل الناس) ..

وكل هذه الأحوال خاضعة لمشيئة الله. لا يتدخل فيها أحد سواه. وهو يقدرها وفق علمه وينفذها بقدرته: «إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ»^{٥٧١} ..

فالقاعدة الأولى تتلخص: في إزالة التصور الفاسد عن البنات، وعدم الكراهية لهن، وإحلال الحب لما أحبه الله تعالى، ووهبه للوالدين، وأن الخير ما يختاره الله للعبد، لا فيما يختاره العبد لنفسه.

^{٥٧٠} - موسوعة كتب ابن القيم - (٢٢١ / ٢) تحفة المودود - ص - ١٥ - الباب الثاني: في كراهة تسخط البنات

^{٥٧١} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٣١٦٩ / ٥)

القاعدة الثانية - المساواة بين الذكر والأنثى وعدم المفاضلة بينهما:

إذا رزق الله الوالدين أبناء من الذكور والإناث، جاء التصور الإسلامي يعلمهما طريقة التعامل معهما، وذلك بالمساواة بينهما، حتى جعله الرسول ﷺ أحد أسباب الدخول إلى الجنة، وذلك في عدم إثارة الصبي على البنت ... وإنما هم في الحب سواء، وفي العطاء سواء، وفي تقديم الهدايا والمال سواء، وفي التشريف وطلب العلم سواء، وفي المعاملة سواء، حتى في القبلة سواء بسواء.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ كَانَتْ لَهُ أُثْنَى فَلَمْ يَدَّهَا وَلَمْ يُهْنِهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا - قَالَ يَعْنِي الذُّكُورَ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ». وَلَمْ يَذْكُرْ عُثْمَانُ يَعْنِي الذُّكُورَ ٥٧٢ .

وقال الطحاوي: "باب: الرَّجُلُ يُنْجِلُ بَعْضَ بَنِيهِ دُونَ بَعْضٍ.

فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُمَا سَمِعَا النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: نَحَلَنِي أَبِي غُلَامًا فَأَمَرَنِي أُمِّي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَشْهَدَهُ عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَكُلْ وَلَدَكَ أُعْطِيَتْهُ"، فَقَالَ: لَا، قَالَ: "فَارْدُدْهُ" (صحيح)

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَكُلْ وَلَدَكَ نَحَلْتُهُ مِثْلَ هَذَا"، فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَارْجِعْهُ" (صحيح)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَحَلَ بَعْضَ بَنِيهِ دُونَ بَعْضٍ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ. وَاحْتَجُّوا فِي ذَلِكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَقَالُوا: قَدْ كَانَ النُّعْمَانُ فِي وَقْتٍ مَا نَحَلَهُ أَبُوهُ صَغِيرًا فَكَانَ أَبُوهُ قَابِضًا لَهُ لَصِغَرِهِ عَنِ الْقَبْضِ لِنَفْسِهِ. فَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ارْدُدْهُ بَعْدَمَا كَانَ فِي حُكْمٍ مَا قَبِضَ ذَلِكَ هَذَا أَنَّ النَّحْلَ مِنَ الْوَالِدِ لِبَعْضٍ وَلَدِهِ دُونَ بَعْضٍ لَا يَمْلِكُهُ الْمَنْحُولُ وَلَا يَنْعَقِدُ لَهُ عَلَيْهِ هَبَةٌ .

٥٧٢ - سنن أبي داود - المكثر - (٥١٤٨) فيه لين

يُدها: من الوأد، وهو دفن الرجل ابنته حية، كما كانوا يفعلون في الجاهلية، وهي المؤودة التي ذكرها الله - عز وجل - فقال: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨، ٩] .

وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ آخَرُونَ فَقَالُوا: يَنْبَغِي لِلرَّحُلِ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ وَلَدِهِ فِي الْعَطِيَّةِ لِيَسْتَوُوا فِي الْبِرِّ وَلَا يُفْضَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيُوقِعَ ذَلِكَ لَهُ الْوَحْشَةَ فِي قُلُوبِ الْمَفْضُولِينَ مِنْهُمْ. فَإِنْ نَحَلَ بَعْضُهُمْ شَيْئًا دُونَ بَعْضٍ وَقَبَضَهُ الْمُنْحُولُ لِنَفْسِهِ إِنْ كَانَ كَبِيرًا أَوْ قَبَضَهُ لَهُ أَبُوهُ مِنْ نَفْسِهِ إِنْ كَانَ صَغِيرًا بِإِعْلَامِهِ إِيَّاهُ وَالْإِشْهَادِ بِهِ فَهُوَ حَائِزٌ. وَكَانَ مِنَ الْحُجَّةِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّ حَدِيثَ الثُّعْمَانَ الَّذِي ذَكَرْنَا قَدْ رُوِيَ عَنْهُ عَلَى مَا ذَكَرُوا وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ كَانَ حِينَئِذٍ صَغِيرًا وَلَعَلَّهُ وَقَدْ كَانَ كَبِيرًا وَلَمْ يَكُنْ قَبَضَهُ. وَقَدْ رُوِيَ أَيْضًا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، فَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: انْطَلَقَ بِي أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحَلَنِي نُحْلَى لِيُشْهِدَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: "أَكُلْ وَلَدَكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا" فَقَالَ: لَا. قَالَ: "أَيَسْرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ كُلُّهُمْ سَوَاءً" قَالَ: بَلَى قَالَ: "فَأَشْهَدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي" (حسن)

فَكَانَ وَالَّذِي فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِبَشِيرٍ فِيمَا كَانَ نَحَلَهُ الثُّعْمَانَ أَشْهَدَ عَلَى هَذَا غَيْرِي. فَهَذَا دَلِيلٌ أَنَّ الْمَلِكَ ثَابِتٌ لَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَثْبُتْ لَا يَصِحُّ قَوْلُهُ. فَهَذَا بِخِلَافِ مَا فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يَدُلُّ عَلَى فُسَادِ الْعَقْدِ الَّذِي كَانَ عَقْدُهُ الثُّعْمَانَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ يَتَوَقَّى الشَّهَادَةَ عَلَى مَالِهِ أَنْ يُشْهِدَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ كَانَتْ. وَكَذَلِكَ لِمَنْ بَعْدَهُ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ إِنَّمَا هِيَ أَمْرٌ يَتَضَمَّنُهُ الشَّاهِدُ لِلْمَشْهُودِ لَهُ فَلَهُ أَنْ لَا يَتَضَمَّنَ ذَلِكَ. وَقَدْ يُحْتَمَلُ غَيْرُ هَذَا أَيْضًا فَيَكُونُ قَوْلُهُ أَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي أَيُّ: إِنِّي أَنَا الْإِمَامُ وَالْإِمَامُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُشْهِدَ وَإِنَّمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحْكُمَ. وَفِي قَوْلِهِ أَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْعَقْدِ.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ عَلَى مِنْبَرٍ هَذَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "سَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يُسَوُّوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ" (صحيح)
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كَانَ الْمَقْصُودُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْأَمْرُ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمْ فِي الْعَطِيَّةِ لِيَسْتَوُوا جَمِيعًا فِي الْبِرِّ. وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ فُسَادِ الْعَقْدِ الْمُعْقُودِ عَلَى التَّفْضِيلِ
 وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ مِنَ الْأَشْهَادِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ عَطِيَّةً وَإِنِّي أَشْهَدُكَ. قَالَ: "أَكُلْ وَلَدَكَ أَعْطَيْتَ مِثْلَ هَذَا؟"

"قَالَ لَأَ، قَالَ: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ" (صحيح)

فَلَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِرَدِّ الشَّيْءِ وَإِنَّمَا فِيهِ الْأَمْرُ بِالتَّسْوِيَةِ.
وَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ الثُّعْمَانَ مِنْ مَالِي كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَكُلْ وَلَدِكَ
نَحْلَتَهُ"، قَالَ: لَأَ، قَالَ: "أَمَّا يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبَرِّ سَوَاءً". قَالَ: بَلَى، قَالَ: "فَلَا إِذَا
(صحيح)"

وَقَالَ: ثَنَا أَبُو الصُّحَيْ، قَالَ سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: ذَهَبَ بِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ لِيُشْهَدَهُ عَلَى شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ. فَقَالَ: "أَلَيْكَ وَلَدٌ غَيْرُهُ؟" قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ بِيَدِهِ أَلَا سَوَّيْتُ
بَيْنَهُمْ" (صحيح)

فَلَمْ يُخْبِرْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ أَمَرَ بِرَدِّهِ. وَإِنَّمَا قَالَ أَلَا سَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْمَشْوَرَةِ
وَأَنَّ ذَلِكَ لَوْ فَعَلَهُ كَانَ أَفْضَلَ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ الثُّعْمَانَ هَذَا خِلَافُ كُلِّ مَا
رَوَيْنَا عَنْ الثُّعْمَانَ، فَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَتْ امْرَأَةٌ بَشِيرٍ لِبَشِيرٍ انْحَلْ ابْنِي غُلَامَكَ وَأَشْهَدْ لِي
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ. قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بِنْتَ فُلَانٍ سَأَلَتْنِي أَنْ أَنْحَلَ
ابْنَهَا غُلَامِي وَقَالَتْ أَشْهَدْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: "أَلَهُ إِخْوَةٌ"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "أَفَكُلُّهُمْ
أَعْطَيْتَهُ"، قَالَ: لَأَ، قَالَ: "فَإِنَّ هَذَا لَا يَصْلُحُ وَإِنِّي لَا أَشْهَدُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ"

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا كَانَ أَمَرَهُ لِبَشِيرٍ بِالرَّدِّ قَبْلَ إِنْفَازِ بَشِيرٍ الصَّدَقَةَ فَأَشَارَ
النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ بِمَا ذَكَرْنَا. وَهَذَا خِلَافُ جَمِيعِ مَا رُوِيَ عَنِ الثُّعْمَانَ لِأَنَّ فِي تِلْكَ الْأَحَادِيثِ
أَنَّهُ نَحَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا كَذَا فَأَخْبَرَ
أَنَّهُ قَدْ كَانَ فَعَلَ. وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ هَذَا إِخْبَارُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِسُؤَالِ امْرَأَتِهِ إِيَّاهُ فَكَانَ كَلَامُ
النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُ بِمَا كَلَّمَهُ بِهِ عَلَى طَرِيقِ الْمَشْوَرَةِ وَعَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يُفَعَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ إِنْ آثَرَ
أَنْ يَفْعَلَهُ. وَقَدْ رَوَى شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الزُّهْرِيِّ مُوَافِقًا لِهَذَا
الْمَعْنَى، فَعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الثُّعْمَانَ، أَنَّهُمَا
سَمِعَا الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: نَحَلَنِي أَبِي غُلَامًا ثُمَّ مَشَى بِي حَتَّى أَدْخَلَنِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي غُلَامًا فَإِنْ أَذِنْتَ أَنْ أُحِيرَهُ لَهُ أَجْرُتُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ فَدَلَّ مَا ذَكَرْنَا عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ النُّحْلَى كَمَلَتْ فِيهِ مِنْ حِينَ نَحَلَهُ إِيَّاهُ إِلَى أَنْ أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِرَدِّهِ. وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَسَمَ شَيْئًا بَيْنَ أَهْلِهِ سَوَى بَيْنَهُمْ جَمِيعًا فَأَعْطَى الْمَمْلُوكَ مِنْهُمْ كَمَا يُعْطَى الْحُرُّ، فَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَبِيبَةٍ خَرَزٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ. قَالَتْ: عَائِشَةُ وَكَذَلِكَ كَانَ أَبِي يَقْسِمُ لِلْحُرِّ وَالْعَبْدِ (صحيح)

فَكَانَ هَذَا مِمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ يَعْطِيهِمْ بَعْطَايَاهُ جَمِيعَ أَهْلِهِ حُرَّهُمْ وَعَبْدَهُمْ لَيْسَ عَلَى أَنْ ذَلِكَ وَاجِبٌ وَلَكِنَّهُ أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهِ. فَكَذَلِكَ كَانَتْ مَشُورَتُهُ فِي الْوَلَدِ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَهُمْ فِي الْعَطِيَّةِ لَيْسَ عَلَى أَنَّهُ وَاجِبٌ وَلَا عَلَى أَنْ غَيْرُهُ إِنْ فَعَلَ لَمْ يَثْبُتْ. وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَقَدْ فَضَّلَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ بَعْضُ أَوْلَادِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْعَطَايَا، فَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ نَحَلَهَا جِدَادَ عِشْرِينَ وَسَقَا مِنْ مَالِهِ بِالْعَابَةِ. فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّةُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَحَبَّ إِلَيَّ غَنَى مِنْكَ وَلَا أَعَزَّ النَّاسِ عَلَيَّ فَقْرًا مِنْ بَعْدِي مِنْكَ وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكَ جِدَادَ عِشْرِينَ وَسَقَا فَلَوْ كُنْتُ جَدِّتِي وَأَحْرَزْتِيهِ كَانَ لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ الْيَوْمَ مَالٌ وَارِثٌ وَإِنَّمَا هُمَا أَخُوكَ وَأَخْتَاكَ فَاقْسِمُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ يَا أَبَتِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَتَرَكْتُهُ إِيَّاهُ هِيَ أَسْمَاءُ فَمِنْ الْآخَرَى قَالَ: ذُو بَطْنٍ بَنَتْ خَارِجَةً أَرَاهَا جَارِيَةً. (صحيح)

وَعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَدْ أَعْطَى عَائِشَةَ نُحْلَى فَلَمَّا مَرَضَ قَالَ لَهَا اجْعَلِيهِ فِي الْمِيرَاثِ وَذَكَرُوا الْقَبْضَ وَالْهَبَةَ وَالصَّدَقَةَ. (صحيح)

وَعَنْ عَمْرٍو، قَالَ أَخْبَرَنِي صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَضَّلَ بَنِي أُمِّ كُلْثُومٍ بِنَحْلٍ قَسَمَهُ بَيْنَ وَلَدِهِ (صحيح)

فَهَذَا أَبُو بَكْرٍ ﷺ قَدْ أَعْطَى عَائِشَةَ ﷺ دُونَ سَائِرِ وَلَدِهِ وَرَأَى ذَلِكَ جَائِزًا وَرَأَاهُ هِيَ كَذَلِكَ وَلَمْ يُنْكِرْهُ عَلَيْهِمَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ. وَهَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ قَدْ فَضَّلَ بَعْضَ أَوْلَادِهِ أَيْضًا فِيمَا أَعْطَاهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيْهِ مُنْكَرٌ.

فَكَيْفَ يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ فِعْلَ هَؤُلَاءِ عَلَى خِلَافِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَكِنْ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ
عِنْدَنَا فِيمَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ عَلَى الْإِسْتِحْبَابِ كَاسْتِحْبَابِهِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ أَهْلِهِ فِي
الْعَطِيَّةِ. وَتَرَكْنَا التَّفْضِيلَ لِحُرِّهِمْ عَلَى مَمْلُوكِهِمْ لَيْسَ عَلَى أَنْ ذَلِكَ مَا لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ وَلَكِنْ
عَلَى اسْتِحْبَابِهِ لِدَلِيلِ وَغَيْرِهِ فِي الْحُكْمِ جَائِزٌ كَجَوَازِهِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي عَطِيَّةِ
الْوَلَدِ الَّتِي يُتَّبَعُ فِيهَا أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ لِبَشِيرٍ كَيْفَ هِيَ ؟ فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ:
يُسَوِّي بَيْنَ الْأُنْثَى فِيهَا وَالذَّكَرِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: بَلْ يَجْعَلُهَا بَيْنَهُمْ
عَلَى قَدْرِ الْمَوَارِيثِ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حِظِّ الْأُنْثَى. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "سَوُّوا
بَيْنَهُمْ فِي الْعَطِيَّةِ كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يُسَوُّوا لَكُمْ فِي الْبِرِّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْإِنَاثِ
وَالذُّكُورِ لِأَنَّهُ لَا يُرَادُ مِنَ الْبِنْتِ شَيْءٌ مِنَ الْبِرِّ إِلَّا الَّذِي يُرَادُ مِنَ الْإِنَاثِ مِثْلُهُ. فَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ
ﷺ أَرَادَ مِنَ الْأَبِ لَوَلَدِهِ مَا يُرِيدُ مِنْ وَلَدِهِ لَهُ وَكَانَ مَا يُرِيدُ مِنَ الْأُنْثَى مِنَ الْبِرِّ مِثْلَ مَا يُرِيدُ
مِنَ الذَّكَرِ كَانَ مَا أَرَادَ مِنْهُ لَهُمْ مِنَ الْعَطِيَّةِ لِلأُنْثَى مِثْلَ مَا أَرَادَ لِلذَّكَرِ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي
الضُّحَى فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَلَا وَلَدٌ غَيْرُهُ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: أَلَا سَوَّيْتَ بَيْنَهُمْ ؟ وَلَمْ يَقُلْ أَلَا
وَلَدٌ غَيْرُهُ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ وَإِلَّا وَحُكْمُ الْأُنْثَى فِيهِ كَحُكْمِ الذَّكَرِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ
لَمَا ذَكَرَ التَّسْوِيَةَ إِلَّا بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ ذُكُورٌ كُلُّهُمْ. فَلَمَّا أَمْسَكَ عَنِ الْبَحْثِ عَنْ ذَلِكَ ثَبَتَ
اسْتِوَاءُ حُكْمِهِمْ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُ فَهَذَا أَحْسَنُ عِنْدَنَا مِمَّا قَالَ مُحَمَّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ
رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا، فَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
رَجُلٌ فَجَاءَ ابْنُ لَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ جَاءَتْ بِنْتُ لَهُ فَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ قَالَ:
"فَهَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا" (حسن)

أَفَلَا يَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَرَادَ مِنْهُ التَّعْدِيلَ بَيْنَ الْإِنَاثَةِ وَالْإِنَاثِ وَأَنَّ لَا يُفْضَلُ أَحَدُهُمَا
عَلَى الْآخَرِ فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي الْعَطِيَّةِ أَيْضًا ٥٧٣.

بهذه الدقة النبوية في التعامل مع الصبي، مما لا تعرفه جميع المجتمعات البشرية، ولا تعلمه الكتب الغربية في تربية الأطفال، ولا يخطر على عقول من يسمون أنفسهم: علماء النفس التربويين .

القاعدة الثالثة-أجر التربية والإحسان والصبر تربية البنات وتزويجهن :

لم تقف الشريعة في مواجهة النفس البشرية لتعاكسها، وإنما لتهذبها، ففي مقابل تربية البنات كان الأجر الكبير، وفي مقابل الصبر عليهن الثواب العظيم، وذلك ليسكن من ألم الوالدين، ويطيّب من خواطرهما، ويشعرهما بأهمية عملهما، ودورهما في هذه الرعاية، والعناية بهنّ.

فَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ عَالَ حَارِثَتَيْنِ حَتَّى يَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ هَكَذَا، وَضَمَّ أَصْبَعَيْهِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ^{٥٧٤} .

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ حَزْمٍ، أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا، فَشَقَّتْهَا بِأَثْنَيْنِ بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ هِيَ وَابْنَتَاهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ^{٥٧٥} .

وَعَنِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتْ

^{٥٧٤} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٨٦٤) وشعب الإيمان - (١١ / ١٤١) (٨٣٠٧)

عَالَ الرَّجُلُ عِيَالَهُ يَعْوَلُهُمْ: إِذَا قَامَ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ وَكِسْفَةٍ وَغَيْرِهِمَا-الجارية: الأمة المملوكة أو الشابة من النساء

^{٥٧٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ١٣٧) (٢٤٥٧٢) - ٢٥٠٧٩ - وصحيح البخارى- المكثر - (٥٩٩٥)

وصحيح مسلم- المكثر - (٦٨٦٢)

الْتَمَرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي حَنَائِهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا الْجَنَّةَ، وَأَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ. ٥٧٦.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ. ٥٧٧.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهِنَّ، وَضَرَائِهِنَّ، وَسَرَائِهِنَّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَوْ ثِنْتَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَوْ اثْنَتَانِ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَوْ وَاحِدَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَوْ وَاحِدَةً. ٥٧٨.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، اتَّقَى اللَّهَ وَأَقَامَ عَلَيْهِنَّ، كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ. ٥٧٩.

وَقَالَ أَبُو عُسَيْبَةَ الْمَعَاوِيُّ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ كَانَتْ، وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ كَانَ، لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، فَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ. ٥٨٠.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ فَأَدَّبَهُنَّ، وَرَحِمَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ. ٥٨١.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ يَكْفِيهِنَّ وَيَرْحَمُهُنَّ وَيَرْفُقَ بِهِنَّ، فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ قَالَ: مَعِي فِي الْجَنَّةِ. ٥٨٢.

٥٧٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٨٦٣) (صحيح ابن حبان - (٢ / ١٩٢) (٤٤٨)

٥٧٧ - صحيح ابن حبان - (٢ / ١٨٩) (٤٤٦) صحيح

٥٧٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٨٢) (٨٤٢٥) ٨٤٠٦ - حسن لغيره

٥٧٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٤٠٣) (١٢٥٩٣) ١٢٦٢١ - صحيح

٥٨٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٩١٢) (١٧٤٠٣) ١٧٥٣٨ - صحيح

٥٨١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٢٤٢) (١٩٢٤) ١١٩٤٦ - صحيح

عَالَ: أَهْلَهُ يَعْوَلُهُمْ: إِذَا أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ، وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ .

٥٨٢ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٣٦٢) (٢٥٩٤٣) صحيح

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى يَمُوتَ عَنْهُنَّ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِأَصْبَعِهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِيهَا^{٥٨٣}.

٢- تربية اليتيم واليتيمة :

اليتيم يكون قبل الاحتلام، وما بعده لا يسمى یتیمًا، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؓ حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - : "لَا يُتَمَّ بَعْدَ احْتِلَامٍ وَلَا صُمَاتٍ يَوْمٌ إِلَى اللَّيْلِ" ^{٥٨٤}.
وعن ذِيَالِ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَدِّي حَنْظَلَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يُتَمَّ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلَا يُتَمَّ عَلَى جَارِيَةٍ إِذَا هِيَ حَاضَتْ" ^{٥٨٥}.
وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَا يُتَمَّ بَعْدَ حُلْمٍ^{٥٨٦}.

وتتلخص تربية اليتيم في ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى - أجر رعاية اليتيم وتربيته:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى^{٥٨٧}.
وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَحَبُّ يُبَوِّتْكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ مُكْرَمٌ"^{٥٨٨}.

^{٥٨٣} - صحيح ابن حبان - (٢ / ١٩١) (٤٤٧) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَوْلُهُ ﷺ: كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ أَرَادَ بِهِ فِي الدُّخُولِ وَالسَّبْقِ، لَا أَنَّ مَرْتَبَةَ مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ أُخْتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ كَمَرْتَبَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ، سَوَاءٌ.

^{٥٨٤} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٦ / ٥٧) (١١٦٤٢) صحيح

^{٥٨٥} - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٥٠٠) (٣٤٢٢) حسن

^{٥٨٦} - كشف الأستار - (٢ / ١٠١) (١٣٠٢) والمطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - (٤ / ٤٦٢) (١٥٤٦)

صحيح لغيره

الحلم: رؤية الجماع ونحوه في النوم مع نزول المني غالباً

^{٥٨٧} صحيح البخاري - المكثر - (٤ / ٥٣٠) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٢٠٧) (٤٦٠)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَوْلُهُ ﷺ هَكَذَا أَرَادَ بِهِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، لَا أَنَّ كَافِلَ الْيَتِيمِ تَكُونُ مَرَّتَبَتُهُ مَعَ مَرَّتَبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي الْجَنَّةِ وَاحِدَةً.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ بَيْتٍ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ مُكْرَمٌ» ٥٨٩ .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ
وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ » ٥٩٠ .

ويضع ﷺ قاعدة إلى قساة القلوب، التي لم تعد تشعر بنعمة الله تعالى عليها، دواء وعلاجاً
نافعاً يهزها هزاً .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا شَكَاَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ: امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ
الْمَسْكِينَ ٥٩١ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، قَالَ: كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى سَلْمَانَ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَحْيَا اغْتَنِمِ
صِحَّتَكَ وَفَرَاغَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رُدَّهُ، يَا أَحْيَا
اغْتَنِمِ دَعْوَةَ الْمُؤْمِنِ الْمُبْتَلَى، وَيَا أَحْيَا لِيَكُنِ الْمَسْجِدُ بَيْتَكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: "الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ". وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ لِمَنْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ يُبَوِّئُهُمُ بِالرُّوحِ
وَالرَّاحَةِ وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ الرَّبِّ. وَيَا أَحْيَا أَذِنِ الْيَتِيمَ مِنْكَ، وَامْسَحْ
بِرَأْسِهِ، وَالْطُفْ بِهِ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلِينُ قَلْبَكَ، وَتُذَرِّكُ حَاجَتَكَ، وَيَا أَحْيَا
إِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ مِنَ الدُّنْيَا مَا لَا يُؤَدِّي شُكْرَهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "يُؤْتَى
بِصَاحِبِ الْمَالِ الَّذِي أَطَاعَ اللَّهَ فِيهِ وَمَالُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كُلَّمَا تَكَفَّأَ بِهِ الصِّرَاطُ، فَقَالَ لَهُ مَالُهُ:
امْضِ، فَقَدْ أَدَّيْتَ حَقَّ اللَّهِ فِيَّ، ثُمَّ يَجَاءُ بِصَاحِبِ الْمَالِ الَّذِي لَمْ يُطِيعِ اللَّهَ فِيهِ وَمَالُهُ بَيْنَ
كَتْفَيْهِ، كُلَّمَا تَكَفَّأَ بِهِ الصِّرَاطُ قَالَ لَهُ مَالُهُ: وَيْلَكَ، أَلَا أَدَّيْتَ حَقَّ اللَّهِ فِيَّ، فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ
حَتَّى يَدْعُوَ بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ. وَيَا أَحْيَا، إِنِّي أُنَبِّئُ أَنَّكَ ابْتِغَتْ خَادِمًا، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مِنْهُ مَا لَمْ يُخْدَمْ فَإِذَا خُدِمَ وَقَعَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ، وَإِنَّ أُمَّ
الدَّرْدَاءِ سَأَلَتْنِي أَنْ أَشْتَرِيَ لَهَا خَادِمًا وَكُنْتُ بِذَلِكَ مُوسِرًا وَإِنِّي خِفْتُ الْحِسَابَ"، وَيَا

٥٨٨ - شعب الإيمان - (١٣ / ٣٩٢) (١٠٥٢٦) ضعيف

٥٨٩ - شعب الإيمان - (١٣ / ٣٩٢) (١٠٥٢٧) ضعيف

٥٩٠ - سنن ابن ماجه - المكثر - (٣٨١٠) ضعيف

٥٩١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٤١٦) (٩٠١٨) ٩٠٠٦ - صحيح

أَحْيَ إِنِّي لِي وَلَكَ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ غَدًا وَلَا حِسَابَ عَلَيْنَا، وَإِنَّا عِشْنَا بَعْدَ نَبِيِّنَا ﷺ دَهْرًا طَوِيلًا،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَحَدُنَا وَالسَّلَامُ ٥٩٢ .

وإن رسول الله ﷺ ليواسي الأطفال الذين استشهد آبائهم فأصبحوا أيتاماً، فعن جدتها
أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله ﷺ وقد
دبعت أربعين منيئةً، وعجنت عجيني، وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم، فقال رسول الله
ﷺ: اتيني بني جعفر، قالت: فأتيتهم بهم فشمهم ودرفت عيناه، فقلت يا رسول الله،
بأبي أنت وأمي، ما يُنكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أضيوا هذا
اليوم، قالت: فقمْتُ أصبح واجتمع إلي النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: لا
تُغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمرٍ صاحبهم ٥٩٣ .

وعن عبد الله بن جعفر، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، استعمل عليهم زيد بن حارثة
فإن قتل زيد، أو استشهد، فأمركم جعفر، فإن قتل، أو استشهد، فأمركم عبد الله بن
رواحة فلقوا العدو، فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى
قتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح
الله عليه، وأتى خبرهم النبي ﷺ، فخرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن
إخوانكم لقوا العدو، وإن زيدا أخذ الراية، فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ الراية
بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة،
فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ففتح
الله عليه فأمهّل، ثم أمهّل آل جعفر، ثلاثاً، أن يأتهم، ثم أتاهم فقال: لا تَبْكُوا على أخي
بعد اليوم ادعوا إلي ابني أخي قال: فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال: ادعوا إلي الحلاق،
فجيء بالحلاق فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله
فشبيه خلقي وخلقي ثم أخذ بيدي فأشالها، فقال: اللهم اخلف جعفرًا في أهله، وبارك

٥٩٢ - شعب الإيمان - (١٣ / ١٩٥) (١٠١٧٤) فيه انقطاع

٥٩٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٧٤٥) (٢٧٠٨٦) (٢٧٦٢٦) فيه جهالة

الدباغ: معالجة الجلد بمادة ليلين ويزول ما به من رطوبة وتن-الإهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ

لَعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفَقَةِ يَمِينِهِ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتَمَنَّا، وَجَعَلَتْ تُفَرِّحُ لَهُ، فَقَالَ: الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيَّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^{٥٩٤}.

القاعدة الثانية - حفظ مال اليتيم والتجارة له :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ^{٥٩٥}.

أُحَرِّجُ: أَضِيقُ وَأَحْرَمُ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَوْ خَالَفَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَأَوْقَعَهُ فِي الْإِثْمِ وَالْحَرَجِ.
وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ يَتِيمَةٌ فَنَكَحَهَا، وَكَانَ لَهَا عَدَقٌ، وَكَانَ يُمَسِّكُهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ فَتَزَلَّتْ فِيهِ {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} (٣) سورة النساء، أَحْسِبُهُ قَالَ كَانَتْ شَرِيكَتُهُ فِي ذَلِكَ الْعَدَقِ وَفِي مَالِهِ^{٥٩٦}.

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} [النساء] قَالَتْ: يَا ابْنَ أَخْتِي هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجَرٍ وَلِيَّهَا تُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ، فَيُعْجِبُهُ مَالُهَا، وَجَمَالُهَا فَيُرِيدُ وَلِيَّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَتُهْوَأُ أَنْ يَنْكِحُوهَنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ مَهْرًا أَعْلَى سِتْنِهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ^{٥٩٧}.

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ أَنَّهَا سَأَلَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - (وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى) قَالَتْ يَا ابْنَ أَخْتِي هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجَرٍ وَلِيَّهَا فَيُرْغَبُ فِي جَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِصَ صَدَاقُهَا، فَتُهْوَأُ عَنْ نِكَاحِهَا إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا فِي إِكْمَالِ الصَّدَاقِ، وَأُمِرُوا بِنِكَاحِ مَنْ سِوَاهُنَّ، قَالَتْ وَاسْتَفْتَى النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ

^{٥٩٤} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٤٥) (١٧٥٠) صحيح

^{٥٩٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٥٥٤) (٩٦٦٦) ٩٦٦٤ - حسن

^{٥٩٦} - صحيح البخاري - المكتز - (٤٥٧٣)

^{٥٩٧} - صحيح البخاري - المكتز - (٤٥٧٤) وصحيح ابن حبان - (٩ / ٣٨٢) (٤٠٧٣)

(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ) إِلَى (وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَهُمْ أَنْ الْيَتِيمَةَ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَمَالٍ رَغِبُوا فِي نِكَاحِهَا وَنَسَبِهَا فِي إِكْمَالِ الصَّدَاقِ، وَإِذَا كَانَتْ مَرْغُوبَةً عَنْهَا فِي قِلَّةِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ تَرَكَوْهَا وَأَخَذُوا غَيْرَهَا مِنَ النِّسَاءِ، قَالَتْ فَكَمَا يَتْرَكُونَهَا حِينَ يَرْغَبُونَ عَنْهَا فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَنْكِحُوهَا إِذَا رَغِبُوا فِيهَا إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهَا وَيُعْطُوا حَقَّهَا الْأَوْفَى فِي الصَّدَاقِ ^{٥٩٨} .

وَعَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا } وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } (٦) سُورَةُ النِّسَاءِ، قَالَتْ أَنْزِلَتْ فِي وَلِيِّ الْيَتِيمِ أَنْ يُصِيبَ مِنْ مَالِهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا بِقَدْرِ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ ^{٥٩٩} .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وَ (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا) انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَّابَهُ مِنْ شَرَّابِهِ فَجَعَلَ يَفْضُلُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَّابِهِ فَيَحْبِسُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ وَشَرَّابَهُمْ بِشَرَّابِهِمْ ^{٦٠٠} .

وَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى الْإِتِّجَارِ بِأَمْوَالِ الْيَتَامَى، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اتَّجِرُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تَأْكُلْهَا الزَّكَاةُ ". رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ^{٦٠١}

^{٥٩٨} -صحيح البخارى- المكثر - (٥٠٩٢)

^{٥٩٩} -صحيح مسلم- المكثر - (٧٧١٩)

^{٦٠٠} -السنن الكبرى للبيهقي- المكثر - (٦ / ٢٨٤) (١٣٠٤٦) حسن

^{٦٠١} -موطأ مالك- المكثر - (٥٩٢) والمعجم الأوسط للطبراني - (٤٣٠٢) قال الهيثمي :، وأخبرني سيدي وشيخي أن إسناده صحيح .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ « أَلَا مَنْ وَلِيَ يَتِيمًا لَهُ مَالٌ فَلْيَتَجَرَّ فِيهِ وَلَا يَتْرُكْهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الصَّدَقَةُ ».

وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْبَابِ فَرَأَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - فِي مَالِ الْيَتِيمِ زَكَاةً. مِنْهُمْ عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَعَائِشَةُ وَابْنُ عُمَرَ وَبِهِ يَقُولُ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لَيْسَ فِي مَالِ الْيَتِيمِ زَكَاةٌ. وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ^{٦٠٢}.

قَوْلُهُ اتَّجَرُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِذَنْ مِنْهُ فِي إِدَارَتِهَا وَتَنْمِيتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ النَّاضِرَ لِلْيَتِيمِ إِنَّمَا يَقُومُ مَقَامَ الْآبِ لَهُ فَمِنْ حُكْمِهِ أَنْ يُنَمِّيَ مَالَهُ وَيُثْمِرَهُ لَهُ وَلَا يُثْمِرَهُ لِنَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَنْظُرُ لِلْيَتِيمِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ لِنَفْسِهِ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ لِلْيَتِيمِ وَإِلَّا فَلْيُدْفَعْهُ إِلَى ثِقَةٍ يَعْمَلُ فِيهِ لِلْيَتِيمِ عَلَى وَجْهِ الْقَرَضِ بِجُزْءٍ يَكُونُ لَهُ فِيهِ مِنَ الرَّيْحِ وَسَائِرُهُ لِلْيَتِيمِ .

(فَصْلٌ) وَقَوْلُهُ لَا تَأْكُلْهَا الزَّكَاةُ دَلِيلٌ عَلَى ثُبُوتِ حُكْمِ الزَّكَاةِ فِيهَا وَلَوْ لَمْ تَجِبْ فِيهَا الزَّكَاةُ لَمَا قَالَ ذَلِكَ كَمَا لَا يَقُولُ لَا تَأْكُلْهَا الْخُمْسُ لَمَا لَمْ يَكُنْ لِلْخُمْسِ مَدْخَلٌ فِيهَا، ..وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ أَنَّ الزَّكَاةَ وَاجِبَةٌ فِي أَمْوَالِ الصَّبْيَانِ وَالْمَحَانِينِ، دَلِيلُنَا مِنْ جِهَةِ السُّنَّةِ مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِهِمْ وَدَلِيلُنَا مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ أَنَّ كُلَّ زَكَاةٍ تَلْزَمُ الْكَبِيرَ فَإِنَّهَا تَلْزَمُ الصَّغِيرَ كَزَكَاةِ الْحَرْثِ وَالْفِطْرِ .

(مَسْأَلَةٌ) إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَإِنَّ الَّذِي تَجِبُ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ الَّذِي يَعِصِي بِتَرْكِ إِخْرَاجِهَا وَأَمَّا الطِّفْلُ فَلَيْسَ بِعَاصٍ، وَكَذَلِكَ إِذَا تَرَكَهُ يُثْلَفُ أَمْوَالُ النَّاسِ وَلَا يَأْمُرُهُ بِالصَّلَاةِ إِذَا وَجِبَ أَمْرُهُ بِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِمَّا يَلْزَمُ الْوَلِيَّ وَيُحَاسَبُ بِهِ دُونَ الصَّغِيرِ^{٦٠٣} .

وَلِذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقْرَبَ مَالِ الْيَتِيمِ إِلَّا بِمَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ {الإسراء: ٣٤} .

^{٦٠٢} - سنن الترمذی - المکتز - (٦٤٢) حسن

^{٦٠٣} - المنتقى - شرح الموطأ - (٩١ / ٢)

والتي هي أحسن هي الأكثر نفعاً لليتيم، كما قال أهل التفسير وذلك بكل وجه تكون فيه المنفعة لليتيم لا للتصرف في المال، ولا يجوز لو وصي اليتيم أن يتصرف في أمواله أو يقرض منها أو يقترض لمصلحته الخاصة دون أن يكون في ذلك نفع لليتيم، وأما الاقتراض أو الانتفاع والاستفادة منها مقابل فوائد تدفع له على ذلك فهذا لا يجوز لأنه عين الربا. أما إذا كان ذلك على وجه المتاجرة بها والمضاربة فيها على أن يكون الربح بينهما بنسبة معروفة، فهذا لا مانع منه شرعاً، قال عمر رضي الله عنه: اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلوها الزكاة. رواه مالك في الموطأ.

وجاء في أحكام القرآن للجصاص عند قوله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ هذا يدل على أن من له ولاية على اليتيم يجوز له دفع مال اليتيم مضاربة، وأن يعمل به هو مضاربة، فيستحق ربحه إذا رأى ذلك أحسن، وأن يضع ويستأجر من يتصرف ويتجر في ماله، وأن يشتري ماله من نفسه إذا كان ذلك خيراً لليتيم، وهو أن يكون ما يعطي اليتيم أكثر قيمة مما يأخذه منه.

لهذا، فإذا كانت الاستفادة على هذا الوجه فلا مانع من ذلك شرعاً لمن يرى أنه أهل لهذه المسؤولية^{٦٠٤}.

القاعدة الثالثة - أجر الأم التي تربي أيتامها ولا تتزوج:

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا، حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى أَيْتَامِهَا حَتَّى بَاثُوا، أَوْ مَاتُوا^{٦٠٥}.

سفعاء الخدين: بهما سواد مشرب باحمرار - آمت المرأة: أقامت لا تتزوج، والأيم التي لا زوج لها .

^{٦٠٤} - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٥٧٣٢) رقم الفتوى ٦٦٨٣٦ المتاجرة بمال اليتيم وفتاوى الشبكة

الإسلامية معدلة - (١٠ / ٣٧٥٨) رقم الفتوى ٧٤٣١٥ لا يجوز التصرف بأموال اليتامى إلا بما فيه مصلحتهم

^{٦٠٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٩٥١) (٢٤٠٠٦) ٢٤٥٠٧ - حسن لغيره

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مَا أَنَا، وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ، إِذَا أَحْنَتْ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَطَاعَتْ رَبَّهَا، وَأَحْصَنْتْ فَرْجَهَا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا كَهَاتَيْنِ" وَقَرَنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ^{٦٠٦}.
وهكذا وجدنا اهتمام رسول الله ﷺ بكل من الضعيفين البنت واليتيم، فوجه الأمة إلى زيادة الاهتمام بهما، والحرص عليهما والإحسان لهما، وأنها مكرمة أي مكرمة.

القاعدة الرابعة- معاملة اليتيم مثل الابن في التربية والتعليم والتأديب :

عَنِ الْحَسَنِ الْعُرْنِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ: إِنَّ فِي حَجْرِي يَتِيمًا فَأَضْرِبُهُ قَالَ: "مَا كُنْتَ ضَارِبًا فِيهِ وَلَدَكَ". قَالَ: أَفَأَكُلُ؟ قَالَ: "بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ مُتَأْتِلٍ مَالًا وَلَا وَاقٍ مَالِكَ بِمَالِهِ"^{٦٠٧}.

وَعَنْ أَبِي رَجَاءٍ قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا اتَّجَرَ عَلَى يَتِيمٍ بِلَطْمَةٍ^{٦٠٨}.
وَعَنْ شُمَيْسَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ﷺ عَنْ أَدَبِ الْيَتِيمِ قَالَتْ: إِنِّي لَأَضْرِبُ أَحَدَهُمْ حَتَّى يَنْبَسِطَ^{٦٠٩}.

قال أهل العلم: (ويؤدب الغلام على الطهارة والصلاة إذا تمت له عشر سنين).
ومعنى التأديب: الضرب والوعيد والتعنيف، ويجب على ولي الصبي أن يعلمه الطهارة والصلاة إذا بلغ سبع سنين ويأمره بها، ويلزمه أن يؤدبه عليها إذا بلغ عشر سنين.
والأصل في ذلك: قول النبي ﷺ «علموا الصبي الصلاة ابن سبع واضربوه عليها ابن عشر» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفي رواية: «مروا الصبي بالصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» وهذا التأديب المشروع في حق الصبي لتمينه على الصلاة كي يألفها ويعتادها ولا يتركها عند البلوغ .. ولا فرق بين الذكر والأنثى في مسألة التأديب هذه^{٦١٠}.

^{٦٠٦} - المعجم الكبير للطبراني - (٧ / ٢٣١) (٧٧٤٢) حسن لغيره

^{٦٠٧} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٦ / ٢٨٥) (١٣٠٤٧) صحيح مرسل

^{٦٠٨} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٦ / ٢٨٥) (١٣٠٤٨) صحيح موقوف

^{٦٠٩} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٦ / ٢٨٥) (١٣٠٤٩) حسن

^{٦١٠} - يُراجع المغني لابن قدامة: باب صفة الصلاة .

وقد يتحرّج بعض الناس في تأديب اليتيم ولكنّ الصحيح أن يقوم عليه وليّه. مما يُفيده وينفعه ولو قسا عليه أحياناً لمصلحته فلا بأس بذلك كما قال الشّاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك ذا حزم فليقس أحياناً على من يرحم .

قال أهل العلم: وله ضرب اليتيم فيما يضرب ولده^{٦١١}.

ومن أنواع التعذيب المشروع: ضرب الأب أو الأم ولدهما تأديباً، وكذلك الوصي، أو المعلم بإذن الأب تأديباً .

وذكر في القنية :

لَهُ إِكْرَاهُ طِفْلِهِ عَلَى تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ، وَالْأَدَبِ، وَالْعِلْمِ، لِفَرْضِيَّتِهِ عَلَى الْوَالِدَيْنِ، وَلَهُ ضَرْبُ الْيَتِيمِ فِيمَا يَضْرِبُ وَلَدَهُ، وَالْأُمُّ كَالْأَبِ فِي التَّعْلِيمِ، بِخِلَافِ التَّأْدِيبِ، فَإِنَّهُ لَوْ مَاتَ الصَّبِيُّ بِضَرْبِ الْأُمِّ تَأْدِيباً فَعَلَيْهَا الضَّمَانُ .

ومما يذكر: أَنَّ ضَرْبَ التَّأْدِيبِ مُقَيَّدٌ بِوَصْفِ السَّلَامَةِ، وَمَحَلُّهُ فِي الضَّرْبِ الْمُعْتَادِ، كَمَا وَكَيْفًا وَمَحَلًّا، فَلَوْ ضَرَبَهُ عَلَى الْوَجْهِ أَوْ عَلَى الْمَذَاكِرِ يَجِبُ الضَّمَانُ بِلَا خِلَافٍ، وَلَوْ سَوَّطًا وَاحِدًا، لِأَنَّهُ إِثْلَافٌ^{٦١٢} .



^{٦١١} - فتاوى الإسلام سؤال وجواب - (١ / ١٥٨٨) - سؤال رقم ١٩٩٤ - تأديب اليتيم

^{٦١٢} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٢ / ٢٤٤) وابن عابدين ٥ / ٣٦٣ .

الأساس الثامن - التوازن في حب الطفل بلا إفراط ولا تفريط :

أفاض الشيخ الجليل محمد خضر الحسين رحمه الله، وهو ينبه إلى ضرورة التوازن في حب الطفل فقال: "من الناس من يدرك أن التقام الأطفال لثدي التربية مما يؤثر في نفوسهم إصلاً حاكاً عظيماً، ولكن فرط الرأفة الذي ينشأ عن التغالي في حبهم يكسر من صلابة الآباء شيئاً كثيراً، فيدفعهم عن مكافحة طباع أبنائهم الرديئة، ومقاومتها بالتأديب، وينفض بهم ذلك الإهمال إلى التنقل في مراتع الشهوات تتولد عنه نتائج وخيمة، تثير من الآباء والأبناء الفرقة والتباعد بمقدار ما كان بينهم من الحنان والمقاربة، وتصير بهم إلى أن تضرسهم أنياب الاضطهاد، وتدوسهم أقدام الامتهان.

لا نريد بكراهة هذه الرأفة المفرطة أن يفتك الصبي من إقدام سائر إرادته، ويُسلَب منه جميع عزائمه، كما يفعله الجاهلون بأساليب الإصلاح والتهذيب، إن ذلك مما يحول بينه وبين عزة النفس، وما يتبعها من قوة الجأش، وأصالة الرأي، والإقدام على إرسال كلمة الحق عندما يقتضيها المقام، فيكون ألعوبة بين معاشريه كالكرة المطروحة بينهم يتلقفونه رجالاً رجالاً، أو آلة يستعملونها فيما يشتهون، فالتربية النافعة ما كانت أثراً لحبة يطفئ البأس شيئاً من حرارتها، وصرامة تلطف الشفقة من شدتها، وهي التي يستوجب الوالدان دعاء الولد بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤) سورة الإسراء

ويتابع قوله: ولم يفقه بعض أرباب البيوت، ومن يحاول اللحاق بهم أهمية التربية حتى الآن، فيفرضون في مجارة الولد على جميع أهوائه، ويفوضون له أن يقضي ما هو قاضٍ، وربما تغنوا بمدحهم في الجامع الحاشدة، وأطروه بما لا تنطبق شهادة ثماره عليه، ولبئس ما كادوه به لو كانوا يعلمون، إنما نصبوا لهذا المسكين مكيدة تسد في وجهه أبواب الآداب الجميلة، وتجعل بينه وبين السعادة حجاباً مستوراً^{٦١٣}.

وهكذا نجد أن الرأفة والحنان والبناء العاطفي كلما كان متوازناً اقترب نحو البناء الذي يؤتي أكله كل حين بإذن ربه، وبإمكاننا تشبيه الرأفة والحنان والعطف مثل وجبة الطعام،

^{٦١٣} - السعادة العظمى ص(١٠)

فكما أن الإكثار من الطعام يؤدي إلى التخمّة والأمراض، فزيادة الحنان تؤدي لمرض الدلال، الذي يؤدي إلى الميوعة وعدم الجدية .

ولكن ما هي الضوابط التي تجعل هذا الحب والعطف متوازناً؟

القاعدة الأولى - أن تلزم نفسك وولدك بشرع الله تعالى :

إن حب الولد له حدود، وإن حب الوالدين له حدود كذلك، وجب الله ورسوله ﷺ مقدم على كل حب، ويضبط هذا الحب عندما يتعارض أمر الله ورسوله ﷺ مع رغبات الولد أو الوالدين، فهنا يسارع المؤمن إلى حب الله ورسوله ﷺ ، ويسارع لامتنال الأمر، والابتعاد عن النهي .

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^{٦١٤} .

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَخْوَصِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، لَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ^{٦١٥} .

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالُوا: يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، قَالَ: فَإِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، لَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ، أَلَا يَا أُمَّتَاهُ هَلْ بَلَغْتَ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^{٦١٦} .

^{٦١٤} - صحيح البخارى - المكثر - (١٥) وصحيح مسلم - المكثر - (١٧٨) وصحيح ابن حبان - (١ / ٤٠٥)

(١٧٩)

^{٦١٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٥١٤) (١٦٠٦٤) ١٦١٦١ - صحيح لغيره

^{٦١٦} - مصنف ابن أبي شيبة - (١٥ / ٢٦) (٣٨٣١٧) حسن

فيه سليمان بن عمرو الأحوص روى عنه اثنان ووثقه ابن حبان ... التهذيب ٢١٢/٤ ووثقه الذهبي في الكاشف

(٢١٤١)

وعن عبد الله بن بريدة، قال: سمعتُ أبي بريدة، يقول: كان رسولُ الله ﷺ يخطُبنا، إذ جاءَ الحسنُ والحسينُ، عليهما قميصانِ أحمرانِ يمشيانِ ويعثرانِ، فنزلَ رسولُ الله ﷺ من المنبرِ فحملَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } [التغابن] نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ، حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي فَرَفَعْتُهُمَا^{٦١٧}.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ إِذْ أَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ إِلَيْهِمَا وَأَخَذَهُمَا، ثُمَّ صَعَدَ الْمَنْبَرَ وَاحِدٌ مِنْ ذَا الشَّقِّ وَوَاحِدٌ مِنْ ذَا الشَّقِّ ثُمَّ صَعَدَا الْمَنْبَرَ، فَقَالَ: "صَدَقَ اللَّهُ قَالَ: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } [التغابن: ١٥] إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ هَذَيْنِ الْعُلَامَيْنِ يَمْشِيَانِ لَمْ أَصْبِرْ أَنْ قَطَعْتُ كَلَامِي وَنَزَلْتُ إِلَيْهِمَا"^{٦١٨}.

وفي تقديم سيدنا إبراهيم عليه السلام لأمر الله بذبح ولده وفي تنفيذ الابن قدوة وأسوة لمن يعتبر .

قال تعالى: { فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) } [الصافات: ١٠١ - ١١٠]

فأجبنا له دعوته، وبشّرناه بغلامٍ حلِيم، أي: يكون حلِيمًا في كبره، وهو إسماعيل. فلما كبرَ إسماعيل ومشى مع أبيه قال له أبوه: إني أرى في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ (ورؤيا الأنبياء حق) فقال إسماعيل مُرضياً ربه، باراً بوالده، معيّنًا له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به من ذبحي، ستجدني - إن شاء الله - صابراً طائعاً محتسباً.

^{٦١٧} - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٠٣) (٦٠٣٩) صحيح

^{٦١٨} - شعب الإيمان - (١٣ / ٣٧٩) (١٠٥٠٤) صحيح

فلما استسلما لأمر الله وانقادا له، وألقى إبراهيم ابنه على جبينه -وهو جانب الجبهة- على الأرض؛ ليدبحه.

وناديننا إبراهيم في تلك الحالة العصيبة: أن يا إبراهيم، قد فعلت ما أمرت به وصَدَقْتَ رؤياك، إنا كما جزيناك على تصديقك بنجزي الذين أحسنوا مثلك، فنخلصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة.

إن الأمر بذبح ابنك هو الابتلاء الشاق الذي أبان عن صدق إيمانك. واستنقذنا إسماعيل، فجعلنا بديلاً عنه كبشاً عظيماً^{٦١٩}.

يا لله! وبالروعة الإيمان والطاعة والتسليم ..

هذا إبراهيم الشيخ. المقطوع من الأهل والقربة. المهاجر من الأرض والوطن. ها هو ذا يرزق في كبرته وهرمه بغلام. طالما تطلع إليه. فلما جاءه جاء غلاماً ممتازاً يشهد له ربه بأنه حليم. وها هو ذا ما يكاد يأنس به، وصباه يتفتح، ويبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة .. ها هو ذا ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد، حتى يرى في منامه أنه يدبحه. ويدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية. فماذا؟ إنه لا يتردد، ولا يخالجه إلا شعور الطاعة، ولا يخطر له إلا خاطر التسليم .. نعم إنها إشارة. مجرد إشارة. وليست وحياً صريحاً، ولا أمراً مباشراً. ولكنها إشارة من ربه .. وهذا يكفي .. هذا يكفي ليلي ويستجيب. ودون أن يعترض. ودون أن يسأل ربه .. لماذا يا ربي أذبح ابني الوحيد؟! ولكنه لا يلي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب .. كلا إنما هو القبول والرضى والطمأنينة والهدوء. يبدو ذلك في كلماته لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب: «قال: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك. فانظر ماذا ترى» ..

فهي كلمات المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه، الواثق بأنه يؤدي واجبه. وهي في الوقت ذاته كلمات المؤمن، الذي لا يهوله الأمر فيؤديه، في اندفاع وعجلة ليخلص منه

^{٦١٩} - التفسير الميسر - (٨ / ١١٣)

وينتهي، ويستريح من ثقله على أعصابه! والأمر شاق - ما في ذلك شك - فهو لا يطلب إليه أن يرسل بابنه الوحيد إلى معركة. ولا يطلب إليه أن يكلفه أمرا تنتهي به حياته .. إنما يطلب إليه أن يتولى هو بيده. يتولى ماذا؟ يتولى ذبحه .. وهو - مع هذا - يتلقى الأمر هذا التلقي، ويعرض على ابنه هذا العرض ويطلب إليه أن يتروى في أمره، وأن يرى فيه رأيه! إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ إشارة ربه. وينتهي. إنما يعرض الأمر عليه كالذي يعرض المألوف من الأمر.

فالأمر في حسه هكذا. ربه يريد. فليكن ما يريد. على العين والرأس. وابنه ينبغي أن يعرف. وأن يأخذ الأمر طاعة وإسلاما، لا قهرا واضطرارا. لينال هو الآخر أجر الطاعة، وليسلم هو الآخر ويتذوق حلاوة التسليم! إنه يحب لابنه أن يتذوق لذة التطوع التي ذاقها وأن ينال الخير الذي يراه هو أبقى من الحياة وأقنى ..

فماذا يكون من أمر الغلام، الذي يعرض عليه الذبح، تصديقا لرؤيا رآها أبوه؟ إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه: «قال: يا أبت افعل ما تؤمر. ستجديني - إن شاء الله - من الصابرين» ..

إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب. ولكن في رضى كذلك وفي يقين .. «يا أبت» .. في مودة وقربى. فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده. بل لا يفقده أدبه ومودته. «افعل ما تؤمر» .. فهو يحس ما أحسه من قبل قلب أبيه. يحس أن الرؤيا إشارة. وأن الإشارة أمر.

وأما تكفي لكي يلي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياب. ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال والاستعانة بربه على ضعفه ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة: «ستجديني إن شاء الله من الصابرين» ..

ولم يأخذها بطولة. ولم يأخذها شجاعة. ولم يأخذها اندفاعا إلى الخطر دون مبالاة. ولم يظهر لشخصه ظلا ولا حجما ولا وزنا .. إنما أرجع الفضل كله لله إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على ما يراد به: «ستجدني - إن شاء الله - من الصابرين» ..
يا للأدب مع الله! ويا لروعة الإيمان. ويا لنبل الطاعة. ويا لعظمة التسليم! ويخطو المشهد خطوة أخرى وراء الحوار والكلام .. يخطو إلى التنفيذ: «فلما أسلما وتله للجين» ..
ومرة أخرى يرتفع نبل الطاعة. وعظمة الإيمان. وطمأنينة الرضى وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان ..

إن الرجل يمضي فيكب ابنه على جبينه استعدادا. وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك امتناعا. وقد وصل الأمر إلى أن يكون عيانا.
لقد أسلما .. فهذا هو الإسلام. هذا هو الإسلام في حقيقته. ثقة وطاعة وطمأنينة ورضى وتسليم .. وتنفيذ ..

وكلاهما لا يجد في نفسه إلا هذه المشاعر التي لا يصنعها غير الإيمان العظيم.
إنما ليست الشجاعة والجرأة. وليس الاندفاع والحماسة. لقد يندفع المجاهد في الميدان، يقتل ويقتل.

ولقد يندفع الفدائي وهو يعلم أنه قد لا يعود. ولكن هذا كله شيء والذي يصنعه إبراهيم وإسماعيل هنا شيء آخر .. ليس هنا دم فائر، ولا حماسة دافعة ولا اندفاع في عجلة تخفي وراءها الخوف من الضعف والنكوص! إنما هو الاستسلام الواعي المتعقل القاصد المريد، العارف بما يفعل، المطمئن لما يكون. لا بل هنا الرضى الهادئ المستبشر المتذوق للطاعة وطعمها الجميل! وهنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أديا. كانا قد أسلما. كانا قد حققا الأمر والتكليف. ولم يكن باقيا إلا أن يذبح إسماعيل، ويسيل دمه، وتزهق روحه .. وهذا أمر لا يعني شيئا في ميزان الله، بعد ما وضع إبراهيم وإسماعيل في هذا الميزان من روحهما وعزمهما ومشاعرهما كل ما أراده منهما ربهما ..

كان الابتلاء قد تم. والامتحان قد وقع. ونتائجه قد ظهرت. وغاياته قد تحققت. ولم يعد إلا الألم البدني.

وإلا الدم المسفوح. والجسد الذبيح. والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء. ولا يريد دماءهم وأجسادهم في شيء. ومتى خلصوا له واستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا، وقد حققوا التكليف، وقد جازوا الامتحان بنجاح.

وعرف الله من إبراهيم وإسماعيل صدقتهما. فاعتبرهما قد أديا وحققا وصدقًا: «ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا. إنا كذلك نجزي المحسنين. إن هذا هو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم».. قد صدقت الرؤيا وحققتها فعلا. فالله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله أو تعزه عن أمره أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد. ولو كانت هي النفس والحياة.

وأنت - يا إبراهيم - قد فعلت. جدت بكل شيء. وبأعز شيء. وجدت به في رضى وفي هدوء وفي طمأنينة وفي يقين. فلم يبق إلا اللحم والدم. وهذا ينوب عنه ذبح. أي ذبح من دم ولحم! ويفدي الله هذه النفس التي أسلمت وأدت. يفديها بذبح عظيم. قيل: إنه كبش وجدته إبراهيم مهياً بفعل ربه وإرادته ليدبحه بدلا من إسماعيل! وقيل له: «إنا كذلك نجزي المحسنين».. نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء. ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء. ونجزيهم بإقذارهم وإصبارهم على الأداء. ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء! ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان.

وجمال الطاعة. وعظمة التسليم. والذي ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم، الذي تتبع ملته، والذي ترث نسبه وعقيدته. ولتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها أو تقوم عليها، ولتعرف أنها الاستسلام لقدر الله في طاعة راضية واثقة ملبية لا تسأل ربها لماذا؟ ولا تتلجلج في تحقيق إرادته عند أول إشارة منه وأول توجيه. ولا تستبقي لنفسها في نفسها شيئا، ولا تختار فيما تقدمه لربها هيئة ولا طريقة لتقديمه إلا كما يطلب هو إليها أن تقدم!.

ثم لتعرف أن ربها لا يريد أن يعذبها بالابتلاء ولا أن يؤذيها بالبلاء، إنما يريد أن تأتيه طاعة ملبية وافية مؤدية. مستسلمة لا تقدم بين يديه، ولا تتألى عليه، فإذا عرف منها الصدق في

هذا أعفاهها من التضحيات والآلام. واحتسبها لها وفاء وأداء. وقبل منها وفداها. وأكرمها كما أكرم أباه ..

«وتركنا عليه في الآخرين»..فهو مذكور على توالي الأجيال والقرون. وهو أمة. وهو أبو الأنبياء. وهو أبو هذه الأمة المسلمة. وهي وارثة ملته. وقد كتب الله لها وعليها قيادة البشرية على ملة إبراهيم. فجعلها الله له عقبا ونسبا إلى يوم الدين.

« سلام على إبراهيم ..سلام عليه من ربه. سلام يسجل في كتابه الباقي. ويرقم في طوايا الوجود الكبير.

«كذلك نجزي المحسنين»..كذلك نجزيهم بالبلاء .. والوفاء والذكر. والسلام. والتكريم.

«إنه من عبادنا المؤمنين»..وهذا جزاء الإيمان. وتلك حقيقته فيما كشف عنه البلاء المبين^{٦٢٠}.

القاعدة الثانية – أن تكون مضيافاً كريماً :

عَنْ يَعْلَى الْعَامِرِيِّ ؛ أَنَّهُ جَاءَ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ يَسْعَيَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ^{٦٢١}.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ خَلْفٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ حُسَيْنًا فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ، مَجْبَنَةٌ، مَحْزَنَةٌ^{٦٢٢}.

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ، أَنَّ حَسَنًا وَحُسَيْنًا أَقْبَلَا يَمْشِيَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ أَحَدُهُمَا جَعَلَ يَدُهُ فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ جَاءَ الْآخَرُ فَجَعَلَ يَدُهُ الْآخَرَى فِي عُنُقِهِ، فَقَبَّلَ هَذَا، ثُمَّ قَبَّلَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ^{٦٢٣}.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْوَلَدُ ثَمَرَةُ الْقَلْبِ، وَإِنَّهُمْ مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَحْزَنَةٌ^{٦٢٤}.

٦٢٠ - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٩٩٤)

٦٢١ -مصنف ابن أبي شيبة - (١٢ / ٩٧)(٣٢٨٤٤) حسن وقال الإمام الحافظ العراقي: إسناده صحيح

٦٢٢ -المستدرک للحاکم - (٤ / ٢٣٠)(٥٢٨٤) حسن

٦٢٣ -المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٥٦)(٢٥٢٣) حسن

مبخله: يحمل أبويه على البخل بالصدقة للمحافظة على المال من أجله
 مجبنة: أي يجبن أباه عن الجهاد خشية ضيعته
 ومعنى قوله "مجبنة" أي أن الولد سبب لجبن الأب فإنه يتقاعد من الغزوات بسبب حب
 الأولاد والخوف من الموت عنهم.
 ومعنى قوله "مبخله" أي أن الولد سبب للبخل بالمال، ومعنى قوله "مجهلة" لكونه يحمل على
 ترك الرحلة في طلب العلم والجد في تحصيله لاهتمامه بتحصيل المال له.
 ومعنى "محزنة" لأنه يحمل أبويه على كثرة الحزن لكونه إن مرض حزنا، وإن طلب شيئا لا
 قدرة لهما عليه حزنا، ذكر ذلك الإمام المناوي في فيض القدير. والله أعلم^{٦٢٥}.
 وإنما ذكرهما هنا لأنهما يدلان على كمال المحبة الطبيعية والمودة العادية المورثة للبخل
 والجبن لمن لم يكن كاملا في المرتبة العبودية وما يقتضيها من تقدم محبة مرضاة الرب على
 ما سواه لأنه هو المحبوب الحقيقي وما سواه مطلوب إضافي^{٦٢٦}.
 وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ،
 فَقَالَ لِي: هَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ؟ قُلْتُ: غُلَامٌ وَلِدَ لِي فِي مَخْرَجِي إِلَيْكَ مِنْ ابْنَةِ جَمْدٍ،
 وَلَوَدِدْتُ أَنَّ مَكَانَهُ شَبَعَ الْقَوْمِ، قَالَ: لَا تَقُولَنَّ ذَلِكَ، فَإِنَّ فِيهِمْ قُرَّةَ عَيْنٍ وَأَجْرًا إِذَا قُبِضُوا،
 ثُمَّ لَقِنَ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ، إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ^{٦٢٧}.
 وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: زَعَمَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ خَوْلَةَ بِنْتُ حَكِيمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 ﷺ خَرَجَ مُحْتَضِنًا أَحَدَ ابْنَيْ ابْنَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَجَبِّنُونَ وَتُبْخَلُونَ، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ
 رِيحَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ آخِرَ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا اللَّهُ بِوَجٍّ، وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: إِنَّكُمْ لَتُبْخَلُونَ
 وَإِنَّكُمْ لَتَجَبِّنُونَ^{٦٢٨}.

^{٦٢٤} - كشف الأستار - (٢ / ٣٧٨) (١٨٩٢) حسن لغيره

^{٦٢٥} - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٥ / ٣٥٦٩) رقم الفتوى ٣٣٤٦٥ شرح حديث "إن الولد مبخله مجبنة"

وفيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (٥ / ١٨٧)

^{٦٢٦} - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (١٣ / ٤٧٩)

^{٦٢٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٠٣) (٢١٨٤٠) (٢٢١٨٤) - صحيح لغيره

^{٦٢٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٨٢١) (٢٧٣١٤) (٢٧٨٥٧) - حسن لغيره

لتبخلون: تُبَخِّلُونَ: أي تحملون الإنسان على البخل، وتُجَبِّنُونَ: تحملونه على الجبن، وتُجَهِّلُونَ: تحملونه على الجهل، فإن من ولد له ولد بخل بماله، ليخلفه لولده، وجبن عن القتال ليعيش له يرثيه، وجهل حفظاً لقلبه، ورعاية له.

ريحان الله: الريحان: الرزق، وسمي الولد ريحاناً؛ لأنه من رزق الله تعالى ٦٢٩ .

فما دام الولد مبخلة يورث في نفس الوالدين الشح والبخل، وذلك من شدة حبهما لأولادهما في تخزين المال لهم، فعلاج الأمر بإكرام الضيف، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، وفرح به رسول الله ﷺ، وتعجب الله تعالى من ذلك الإكرام .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ: مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاذْطَلِقْ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتٌ صَبِيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَضِئِي السَّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ قَوْمِي إِلَى السَّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلِ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ ٦٣٠ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي جَهْدٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا رَجُلٌ يُضِيفُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ"، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: ضَيِّفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصَّبِيَّةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَتَوَمِّمِيهِمْ وَتَعَالِي، فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ، وَتَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ - أَوْ ضَحِكَ اللَّهُ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ،

٦٢٩ - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (١ / ٤١٥)

٦٣٠ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٤٨٠) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ٩٥) (٥٢٨٦)

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر: ٩]
"رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٦٣١".

مجهود: رجل مجهود: مهزول جائع.

فعليلهم: تعليل الطفل: وعده وتسويفه وتمنيته، وشغله عما يراد صرفه عنه.

طاويين: طوى الصائم: إذا نام ولم يفطر فهو طاو.

خصاصة: الخصاصة: الحاجة والفاقة ٦٣٢.

قال النووي: "هَذَا الْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى فَوَائِدَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ وَضِيقِ حَالِ الدُّنْيَا، وَمِنْهَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكَبِيرِ الْقَوْمِ أَنْ يَبْدَأَ فِي مُوَاسَاةِ الضَّيْفِ وَمَنْ يَطْرُقُهُمْ بِنَفْسِهِ فَيُوَاسِيهِ مِنْ مَالِهِ أَوَّلًا بِمَا يَتَيَسَّرُ إِنْ أَمَكَّنَهُ، ثُمَّ يَطْلُبُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمِنْهَا الْمُوَاسَاةُ فِي حَالِ الشَّدَائِدِ. وَمِنْهَا فَضِيلَةُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَإِثَارِهِ. وَمِنْهَا مَقْبَلَةُ لِهَذَا الْأَنْصَارِيِّ وَأَمْرَاتِهِ ﷺ. وَمِنْهَا الْإِحْتِيَالُ فِي إِكْرَامِ الضَّيْفِ إِذَا كَانَ يَمْتَنِعُ مِنْهُ رِفقًا بِأَهْلِ الْمَنْزِلِ لِقَوْلِهِ: أَطْفَيْي السَّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِنَّهُ لَوْ رَأَى قَلَّةَ الطَّعَامِ، وَأَنَّهُمَا لَا يَأْكُلَانِ مَعَهُ لَامْتَنَعَ مِنَ الْأَكْلِ. وَقَوْلُهُ: فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ أَيْ مَنْزِلِهِ، وَرَحْلُ الْإِنْسَانِ هُوَ مَنْزِلُهُ مِنْ حَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ أَوْ شَعْرٍ أَوْ وَبَرٍ.

قَوْلُهُ: (فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتٌ صَبْيَانِي، قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ) هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ الصَّبْيَانَ لَمْ يَكُونُوا مُحْتَاجِينَ إِلَى الْأَكْلِ، وَإِنَّمَا تَطْلُبُهُ أَنْفُسُهُمْ عَلَى عَادَةِ الصَّبْيَانِ مِنْ غَيْرِ جُوعٍ يَضُرُّهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عَلَى حَاجَةٍ بِحَيْثُ يَضُرُّهُمْ تَرَكَ الْأَكْلَ لَكَانَ إِطْعَامُهُمْ وَاجِبًا، وَيَجِبُ تَقْدِيمُهُ عَلَى الضَّيَافَةِ. وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَأَمْرَاتِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمَا لَمْ يَتْرُكَا وَاجِبًا، بَلْ أَحْسَنَا وَأَجْمَلَا ﷺ. وَأَمَّا هُوَ وَأَمْرَاتُهُ فَاتَّزَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِرِضَاهُمَا مَعَ حَاجَتَهُمَا وَخَصَاصَتَهُمَا، فَمَدَحَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى،

٦٣١ - صحيح البخاري - المكثر - (٣٧٩٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٤٨١) وشعب الإيمان - (٥) /

(١٤٠) (٣٢٠٣) وصحيح ابن حبان - (١٦ / ٢٥٤) (٧٢٦٤)

٦٣٢ - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٩ / ٧٤)

وَأَنْزَلَ فِيهِمَا (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) فِيهِ فَضِيلَةُ الْإِيثَارِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى فَضِيلَةِ الْإِيثَارِ بِالطَّعَامِ وَنَحْوِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَحُظُوظِ الثُّمُوسِ. وَأَمَّا الْقُرْبَاتُ فَالْأَفْضَلُ أَنْ لَا يُؤْثِرَ بِهَا ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا لِلَّهِ تَعَالَى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
قَوْلُهُ ﷺ : (عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ) قَالَ الْقَاضِي: الْمُرَادُ بِالْعَجَبِ مِنَ اللَّهِ رِضَاهُ ذَلِكَ. قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ عَجَبَتْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ، وَأَضَافَهُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَشْرِيفاً^{٦٣٣} .

والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا. وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيرا. وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديما وحديثا.

«وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» .. فهذا الشح. شح النفس. هو المعوق عن كل خير. لأن الخير بذل في صورة من الصور. بذل في المال. وبذل في العاطفة. وبذل في الجهد. وبذل في الحياة عند الاقتضاء. وما يمكن أن يصنع الخير شحيح يهيم دائما أن يأخذ ولا يهيم مرة أن يعطي. ومن يوق شح نفسه، فقد وقى هذا المعوق عن الخير، فانطلق إليه معطيا باذلا كريما. وهذا هو الفلاح في حقيقة معناه^{٦٣٤} .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالصَّدَقَةِ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالٌ عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبَقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلُهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: مَا أَبَقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَقُلْتُ: لَا أَسَاقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا^{٦٣٥} .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَنْ تَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لِي عِنْدِي فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا - قَالَ - فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : "مَا أَبَقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟" .

^{٦٣٣} - شرح النووي على مسلم - (٧ / ١٢٠)

^{٦٣٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٥٢٦)

^{٦٣٥} - مسند البزار كاملا - (١ / ٦٦) (٢٧٠) صحيح

قُلْتُ: مِثْلُهُ. قَالَ: فَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟".
فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقُلْتُ: لَا أَسْأَلُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا^{٦٣٦}.

وفي الموسوعة الفقهية: "يُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ الصَّدَقَةُ بِفَاضِلٍ عَنْ كِفَايَتِهِ، وَكَفَايَةُ مَنْ يَمُونُهُ،
وَإِنْ تَصَدَّقَ بِمَا يُنْقِصُ مُؤْنَةَ مَنْ يَمُونُهُ أَثِمَ. وَمَنْ أَرَادَ التَّصَرُّفَ بِمَالِهِ كُلِّهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ
نَفْسِهِ حُسْنَ التَّوَكُّلِ وَالصَّبْرِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَلَهُ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَلَا يَجُوزُ.

وَيُكْرَهُ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى الضَّيْقِ أَنْ يُنْقِصَ نَفَقَةَ نَفْسِهِ عَنِ الْكِفَايَةِ التَّامَّةِ.
وَهَذَا مَا صَرَّحَ بِهِ فُقَهَاءُ الْحَنْفِيَّةِ، وَقَالَ الْمَالِكِيُّ: إِنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ صَاحِبًا رَشِيدًا لَهُ
التَّبَرُّعُ بِجَمِيعِ مَالِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ أَحَبَّ. قَالَ فِي الرِّسَالَةِ: وَلَا بَأْسَ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ
بِمَالِهِ كُلِّهِ لِلَّهِ. لَكِنْ قَالَ النَّفَرَاوِيُّ: مَحَلُّ نَذْبِ التَّصَدُّقِ بِجَمِيعِ الْمَالِ أَنْ يَكُونَ الْمُتَصَدِّقُ
طَيِّبَ النَّفْسِ بَعْدَ الصَّدَقَةِ بِجَمِيعِ مَالِهِ، لَا يَنْدُمُ عَلَى الْبَقَاءِ بِمَا مَالٍ. وَأَنْ مَا يَرْجُوهُ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ مُمَاتِلٌ لِمَا تَصَدَّقَ بِهِ فِي الْحَالِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لِنَفْسِهِ،
أَوْ لِمَنْ تَلَزَمَتْ نَفَقَتُهُ، أَوْ يُنْدَبُ الْإِنْفَاقُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا لَمْ يُنْدَبْ لَهُ ذَلِكَ، بَلْ يَحْرُمُ عَلَيْهِ إِنْ
تَحَقَّقَ الْحَاجَةُ لِمَنْ تَلَزَمَتْ نَفَقَتُهُ، أَوْ يُكْرَهُ إِنْ تَيَسَّنَّ الْحَاجَةُ لِمَنْ يُنْدَبُ الْإِنْفَاقُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ
الْأَفْضَلَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَا يَفْضُلُ عَنْ حَاجَتِهِ وَمُؤْنَتِهِ، وَمُؤْنَةُ مَنْ يُنْفِقُ عَلَيْهِ.

وَيَقُولُ ابْنُ قُدَّامَةَ: الْأَوَّلَى أَنْ يَتَصَدَّقَ مِنَ الْفَاضِلِ عَنْ كِفَايَتِهِ وَكَفَايَةُ مَنْ يَمُونُهُ عَلَى الدَّوَامِ
لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَلَئِنْ
نَفَقَ مَنْ يَمُونُهُ وَاجِبَةً وَالتَّطَوُّعُ نَافِلَةٌ، وَتَقْدِيمُ الْفَقْرِ عَلَى الْفَرَضِ غَيْرُ جَائِزٍ.

فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَا عِيَالَ لَهُ، فَأَرَادَ الصَّدَقَةَ بِجَمِيعِ مَالِهِ وَكَانَ ذَا مَكْسَبٍ، أَوْ كَانَ وَاتِقًا
مِنْ نَفْسِهِ يُحْسِنُ التَّوَكُّلَ وَالصَّبْرَ عَلَى الْفَقْرِ وَالتَّعَفُّفِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَحَسَنٌ، وَذَكَرَ حَدِيثَ
أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، ثُمَّ قَالَ ابْنُ قُدَّامَةَ: فَهَذَا كَانَ فَضِيلَةً فِي حَقِّ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رضي الله عنه - لِقُوَّةِ
يَقِينِهِ، وَكَمَالِ إِيمَانِهِ، وَكَانَ أَيْضًا تَاجِرًا ذَا مَكْسَبٍ، فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ فِي الْمُتَصَدِّقِ أَحَدٌ
هَذَيْنِ كُرِهَ لَهُ التَّصَدُّقُ بِجَمِيعِ مَالِهِ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ

اللَّهُ - ﷺ - إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِمِثْلِ بَيْضَةٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ هَذِهِ مِنْ مَعْدِنٍ فَخَذَهَا فَهِيَ صَدَقَةٌ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قَبْلِ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْسَرِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَحَذَفَهُ بِهَا فَلَوْ أَصَابَتْهُ لَأَوْجَعَتْهُ أَوْ لَعَقَرَتْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : "يَأْتِي أَحَدُكُمْ بِمَا يَمْلِكُ فَيَقُولُ: هَذِهِ صَدَقَةٌ، ثُمَّ يَقْعُدُ يَسْتَكِفُّ النَّاسَ. خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غَنَى" ٦٣٧ .

وَلَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَخْرَجَ جَمِيعَ مَالِهِ لَا يَأْمَنُ فِتْنَةَ الْفَقْرِ، وَشِدَّةَ نِزَاعِ النَّفْسِ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ فَيَنْدُمُ، فَيَذْهَبُ مَالُهُ، وَيَبْطُلُ أَجْرُهُ، وَيَصِيرُ كَلًّا عَلَى النَّاسِ .

وَاتَّفَقَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ مَعَ سَائِرِ الْفُقَهَاءِ فِي: أَنَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِعِيَالِهِ وَدِينِهِ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ، وَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَهَلْ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ الْفَاضِلِ؟ فِيهِ عَنْهُمْ أَوْجُهُ، أَصَحُّهَا: إِنْ صَبَرَ عَلَى الضَّيْقِ فَتَعَمَّ، وَإِلَّا فَلَا بَلَّ يُكْرَهُ ذَلِكَ، قَالُوا: وَعَلَيْهِ تَحْمِلُ الْأَخْبَارُ الْمُخْتَلِفَةُ الظَّاهِرُ ٦٣٨ .

القاعدة الثالثة - الصبر على مرض ووفاة الطفل، واحتساب الأجر عند الله :

١ - الصبر على مرض الولد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنَةُ فِي نَفْسِهِ، وَوَلَدَهُ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ" ٦٣٩ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « مَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصَابُ فِي وَلَدِهِ وَحَامَتِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَتْ لَهُ خَطِيئَةٌ » ٦٤٠ .

وحامته :حامة الإنسان: خاصته وقرابته.

٦٣٧ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٤ / ١٥٤) (٧٨٩٣) حسن

٦٣٨ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٦ / ٣٣٧) وفتح الباري لابن حجر - (٣ / ٢٩٥)

٦٣٩ - شعب الإيمان - (١٢ / ٢٦٥) (٩٣٧٧) وسنن الترمذی - المكثر - (٢٥٧٩) صحيح

٦٤٠ - موطأ مالك - المكثر - (٥٦٢) والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - (٢٤ / ١٨٠) صحيح لغيره

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنَزَلَةٌ لَمْ يُبْلَغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ فِي حَسَنِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَرَهُ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى يُبْلَغَهُ الْمَنَزَلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى » ٦٤١.

٢- أجر الصبر على وفاة الطفل :

قال تعالى : {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا } (٨١) سورة الكهف أي: يحملهما حبه على متابعتة على الكفر. قال قتادة: قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب ٦٤٢.

فهذا الغلام الذي لا يبدو في حاضره ومظهره أنه يستحق القتل، قد كشف ستر الغيب عن حقيقته للعبد الصالح، فإذا هو في طبيعته كافر طاغ، تكمن في نفسه بذور الكفر والطغيان، وتزيد على الزمن بروزا وتحققا .. فلو عاش لأرهب والديه المؤمنين بكفره وطغيانه، وقادهما بدافع جبهما له أن يتبعاه في طريقه. فأراد الله ووجه إرادة عبده الصالح إلى قتل هذا الغلام الذي يحمل طبيعة كافرة طاغية، وأن يبدلها الله خلفا خيرا منه، وأرحم بوالديه.

ولو كان الأمر موكولا إلى العلم البشري الظاهر، لما كان له إلا الظاهر من أمر الغلام، ولما كان له عليه من سلطان، وهو لم يرتكب بعد ما يستحق عليه القتل شرعا. وليس لغير الله ولمن يطلعه من عباده على شيء من غيبه أن يحكم على الطبيعة المغيبة لفرد من الناس. ولا أن يرتب على هذا العلم حكما غير حكم الظاهر الذي تأخذ به الشريعة. ولكنه أمر الله القائم على علمه بالغيب البعيد ٦٤٣.

٦٤١ - سنن أبي داود - المكثر - (٣٠٩٢) صحيح

٦٤٢ - تفسير ابن كثير - دار طيبة - (١٨٥ / ٥)

٦٤٣ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٢٢٨١ / ٤)

وَعَنْ أَبِي سِنَانٍ، قَالَ: دَفَنْتُ ابْنِي وَمَعِيَ أَبُو طَلْحَةَ الْخَوْلَانِيُّ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ الْخُرُوجَ أَخَذَ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي، وَقَالَ: أَلَا أُبَشِّرُكَ؟ حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَرْزَبٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ قَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ: قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: قَبِضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا قَالَ؟ قَالُوا: اسْتَرْجَعَ وَحَمِدَكَ. قَالَ: أَبْنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ^{٦٤٤}.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَابْنَانِ؟ قَالَ: وَابْنَانِ. قَالَ مَحْمُودٌ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، إِنِّي لَأَرَاكُمْ لَوْ قُلْتُمْ وَاحِدًا، لَقَالَ وَاحِدًا قَالَ: وَاللَّهِ أَظُنُّ ذَلِكَ^{٦٤٥}.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَخْتَلِفُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَعَ بَنِي لَهُ فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيهِ: أَمَا يَسُرُّكَ أَلَّا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ^{٦٤٦}.

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّخْلِ وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَاتَّهَى إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَوَضَعَ الصَّبِيَّ فِي حِجْرِهِ، فَبَكَى، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنْهَانَا عَنِ الْبُكَاءِ؟ قَالَ: لَمْ أَنَّهُ عَنِ الْبُكَاءِ، إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ فَاجْرَيْنِ، صَوْتِ مِزْمَارٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ، مِزْمَارِ شَيْطَانٍ وَلَعِبٍ، وَصَوْتِ عِنْدِ مُصِيبَةٍ، شِقِّ الْجُيُوبِ، وَرَنَةِ شَيْطَانٍ، وَإِنَّمَا هَذِهِ رَحْمَةٌ^{٦٤٧}.

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامًا، فَسَمَّيْتُهُ بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى امْرَأَةٍ قَيْنٍ بِالْمَدِينَةِ، فَاتَّبَعَهُ، فَاتَّهَى إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ فِي كِيرِهِ، وَالْبَيْتُ مَمْتَلِئٌ دُخَانًا، فَاسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ جَاءَ

^{٦٤٤} - صحيح ابن حبان - (٧ / ٢١٠) (٢٩٤٨) صحيح

^{٦٤٥} - صحيح ابن حبان - (٧ / ٢٠٨) (٢٩٤٦) صحيح

^{٦٤٦} - صحيح ابن حبان - (٧ / ٢٠٩) (٢٩٤٧) صحيح

^{٦٤٧} - مسند الطيالسي - (٣ / ٢٦٢) (١٧٨٨) حسن

رَسُولُ اللَّهِ، فَأَمْسَكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ بِالصَّبِيِّ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ
قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَيْنَاهُ تَدْمَعُ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبَّنَا وَإِنَّا بِكَ
يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ^{٦٤٨}.

قال ابن بطال وغيره: هذا الحديث يفسر البكاء المباح والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع
العين ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وهو أيّن شيء وقع في هذا المعنى. وفيه
مشروعية تقبيل الولد وشمه، ومشروعية الرضاع، وعيادة الصغير، والحضور عند
المختضر، ورحمة العيال، وجواز الإخبار عن الحزن وإن كان الكتمان أولى، وفيه وقوع
الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده مع أنه
في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب لوجهين: أحدهما صغره، والثاني نزاعه. وإنما
أراد بالخطاب غيره من الحاضرين إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهي السابق. وفيه
جواز الاعتراض على من خالف فعله ظاهر قوله ليظهر الفرق، وحكى ابن التين قول
من قال: إن فيه دليلاً على تقبيل الميت وشمه، ورده بأن القصة إنما وقعت قبل الموت
وهو كما قال^{٦٤٩}.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا مِنْ تَأْسٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ
لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَنْلُغُوا الْحَنْتَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ »^{٦٥٠}.
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ
فَتَمَسَّهُ النَّارُ، إِلَّا تَحَلَّهَ الْقَسَمُ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^{٦٥١}.

^{٦٤٨} - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٠٣) وصحيح ابن حبان - (١٦٢ / ٧) (٢٩٠٢)

^{٦٤٩} - فتح الباري لابن حجر - (١٧٤ / ٣)

^{٦٥٠} - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٨١)

^{٦٥١} - صحيح البخارى - المكثر - (٦٦٥٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٨٦٥) وشعب الإيمان - (١٢ / ٢٠٨)

قال الراغب: عبر بالحنث عن البلوغ لما كان الإنسان يؤاخذ بما يرتكبه فيه بخلاف ما قبله، وخص الإثم بالذكر لأنه الذي يحصل بالبلوغ لأن الصبي قد يثاب، وخص الصغير بذلك لأن الشفقة عليه أعظم والحب له أشد والرحمة له أوفر، وعلى هذا فمن بلع الحنث لا يحصل لمن فقده ما ذكر من هذا الثواب وإن كان في فقد الولد أجر في الجملة، وبهذا صرح كثير من العلماء، وفرقوا بين البالغ وغيره بأنه يتصور منه العقوق المقتضى لعدم الرحمة بخلاف الصغير فإنه لا يتصور منه ذلك إذ ليس بمخاطب. وقال الزين بن المنير: بل يدخل الكبير في ذلك من طريق الفحوي لأنه إذا ثبت ذلك في الطفل الذي هو كل على أبويه فكيف لا يثبت في الكبير الذي بلغ معه السعي ووصل له منه النفع وتوجه إليه الخطاب بالحقوق؟ قال: ولعل هذا هو السر في إلغاء البخاري التقييد بذلك في الترجمة. انتهى. ويقوي الأول قوله في بقية الحديث: "بفضل رحمته إياهم" لأن الرحمة للصغار أكثر لعدم حصول الإثم منهم، وهل يلتحق بالصغار من بلغ مجنوناً مثلاً واستمر على ذلك فمات؟ فيه نظر لأن كونهم لا إثم عليهم يقتضي الإلحاق، وكون الامتحان بهم يخف بموتهم يقتضي عدمه، ولم يقع التقييد في طرق الحديث بشده الحب ولا عدمه، وكان القياس يقتضي ذلك لما يوجد من كراهة بعض الناس لولده وتبرمه منه ولا سيما من كان ضيق الحال، لكن لما كان الولد مظنة المحبة والشفقة نيط به الحكم وإن تخلف في بعض الأفراد.

وقال الكرماني: الظاهر أن المراد بقوله: "إياهم" جنس المسلم الذي مات أولاده لا الأولاد، أي بفضل رحمة الله لمن مات لهم، قال وساغ الجمع لكونه نكرة في سياق النفي فتعمم انتهى. وهذا الذي زعم أنه ظاهر ليس بظاهر، بل في غير هذا الطريق ما يدل على أن الضمير للأولاد، ففي حديث عمرو بن عبسة عند الطبراني "إلا أدخله الله برحمته هو وإياهم الجنة" وفي حديث أبي ثعلبة الأشجعي المقدم ذكره "أدخله الله الجنة

بفضل رحمته إياهم" قاله بعد قوله: "من مات له ولدان" فوضح بذلك أن الضمير في قوله: "إياهم" للأولاد لا للآباء والله أعلم^{٦٥٢}.

وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم أن أولاد المسلمين في الجنة لأنه يبعد أن الله يغفر للآباء بفضل رحمته للآبناء ولا يرحم الآبناء قاله المهلب. وكون أولاد المسلمين في الجنة قاله الجمهور ووقفت طائفة قليلة^{٦٥٣}.

وقال البيهقي: "أكرم الله تعالى أمته بإلحاق ذرية المؤمن به وإن لم يعملوا عمله، فجاءت أخبار بدخولهم الجنة فعلمنا بها جريان القلم بسعادتهم، فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه «صِغَارُهُمْ دَعَامِصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ - فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ يَبْدَهُ - كَمَا أَخَذُ أَنَا بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهَى - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»^{٦٥٤}.

وفي حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أطفال المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم أبوهم إبراهيم وسارة حتى يدفعوهم إلى آبائهم يوم القيامة»^{٦٥٥}.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ تَحَلَّقَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ بَنِي صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَفَقَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ ظَعَنَ فِي حَنَازَةِ ذَلِكَ الصَّبِيِّ قَالَ: فَاْمْتَنَعَ الرَّجُلُ مِنَ الْحَلَقَةِ لَمْ يَحْضُرْهَا يَذْكُرُ بَنِيهِ حُزْنًا عَلَيْهِ قَالَ: وَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "مَا بَالِي لَا أَرَى فُلَانًا؟" قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَلَكَ الَّذِي رَأَيْتَهُ فَامْتَنَعَهُ الْحُزْنَ عَلَيْهِ، وَالدَّكْرُ لَهُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلَقَةَ. فَلَقِيَهُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنْ بَنِيهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: فَعَزَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "يَا فُلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ تُمْتَعَ بِهِ عُمُرُكَ، أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ؟"

^{٦٥٢} - فتح الباري لابن حجر - (٣ / ١٢٠)

^{٦٥٣} - فتح الباري لابن حجر - (٣ / ١٢٤)

^{٦٥٤} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٨٧٠)

الدمعوص: جمع الدمعوص وهو دويبة تكون في الماء أى أنهم صغار الجنة لا يفارقونها

الصنفه: طرف الثوب

^{٦٥٥} - النفقة على العيال - (٢٠٠) صحيح

"قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَأَبْلُ يَسْبِقُنِي إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: "فَذَاكَ لَكَ" فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَهَذَا لِهَذَا خَاصَّةً، أَمْ مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَاكَ لَهُ؟ قَالَ: "بَلْ مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ" ٦٥٦.

وكلُّ ذلك فيمن وافى أبويه يوم القيامة مؤمنين أو أحدهما فيلحق بالمؤمن ذريته كما جاء به الكتاب، ويستفتح له كما جاءت به السنة، ويحكم لها بأنها كانت ممن جرى له القلم بالسعادة، وقد ذكر الشافعي رحمه الله في كتاب المناسك ما دل على صحة هذه الطريقة في أولاد المسلمين فقال: إن الله عز وجل بفضل نعمته أثاب الناس على الأعمال أضعافها، ومنَّ على المؤمنين بأن ألحق بهم ذرياتهم ووفر عليهم أعمالهم فقال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ} (٢١) سورة الطور، فلما منَّ على الذراري بإدخالهم جنته بلا عمل كان أن منَّ عليهم بأن يكتب لهم عمل البر في الحج وإن لم يجب عليهم من ذلك المعنى قال: وقد جاءت الأحاديث في أطفال المسلمين أنهم يدخلون الجنة. قال الشيخ الإمام رحمه الله: وهذه طريقة حسنة في جملة المؤمنين الذين يوافقون القيامة مؤمنين وإلحاق ذريتهم بهم كما ورد به الكتاب وجاءت به الأحاديث إلا أن القطع به في واحد من المؤمنين بعينه غير ممكن لما يخشى من تغير حاله في العاقبة، ورجوعه إلى ما كتب له من الشقاوة فكذلك قطع القول به في واحد من المولودين غير ممكن لعدم علمنا بما يقول إليه حال متبوعه وبما جرى له به القلم في الأزل من السعادة أو الشقاوة، وكان إنكار النبي ﷺ القطع به في حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها لهذا المعنى، فنقول بما ورد به الكتاب والسنة في جملة المؤمنين وذرياتهم ولا نقطع القول به في آحادهم لما ذكرنا، وفي هذا جمع بين جميع ما ورد في هذا الباب والله أعلم. ومن قال بالطريقة الأولى في التوقف في أمرهم جعل امتحانهم وامتحان أولاد المشركين في الآخرة ٦٥٧.

٦٥٦ - شعب الإيمان - (١٢ / ٢١٦) (٩٢٩٨) وصحيح الجامع (٧٩٦٣) صحيح

٦٥٧ - الاعتقاد للبيهقي - (١ / ١٣٧)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحَنْتَ، إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الْجَنَّةَ. قَالَ: يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَجِيءَ أَبَاؤُنَا قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ^{٦٥٨}.

وَعَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: إِنَّهُ يُقَالُ لِلْوَلَدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحِبِّنَ بَنِيهِ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ آبَاؤُنَا، قَالَ: فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ^{٦٥٩}.

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَبِيبَةُ، أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحَنْتَ إِلَّا جِيءَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَيَقُولُونَ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا، فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْجَنَّةَ^{٦٦٠}.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَتَكَلَّ ثَلَاثَةً مِنْ صُلْبِهِ، فَاحْتَسَبَهُمْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو عُسَيْبَةَ مَرَّةً: فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَقْلُهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ^{٦٦١}.

أَتَكَلَّ: تَوَفَّى لَهُ، احْتَسَبَهُمْ: جَعَلَهُمْ حَسْبَةَ لِلَّهِ وَلَمْ يَجْزَعْ وَلَمْ يَقْنَطْ.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُرْسَلَتْ إِلَيْكَ ابْنَتُكَ أَنْ تَأْتِيَهَا، فَإِنْ صَبَّأَ لَهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: ائْتِهَا فَقُلْ لَهَا: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ، قَالَ: فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا تُقْسِمُ عَلَيْكَ إِلَّا جِئْتُهَا، فَقَامَ رَسُولُ

^{٦٥٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٧٤٠) (١٠٦٢٢) - ١٠٦٣٠ - صحيح

^{٦٥٩} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٧٨٨) (١٦٩٧١) - ١٧٠٩٦ - صحيح

^{٦٦٠} - المعجم الكبير للطبراني - (١٧ / ٤٦٣) (٢٠٠٣٩) - صحيح لغيره

^{٦٦١} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٨٨٧) (١٧٢٩٨) - ١٧٤٣١ - حسن

اللَّهُ ﷻ ، وَقُمْنَا مَعَهُ رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَدَخَلْنَا، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الصَّبِيَّ، وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ فِي صَدْرِهِ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ^{٦٦٢}.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: أُرْسِلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضُ بَنَاتِهِ: أَنَّ صَبِيًّا لَهَا ابْنًا أَوْ ابْنَةً قَدْ احْتَضَرَتْ، فَاشْهَدْنَا. قَالَ: فَأَرْسَلُ إِلَيْهَا يَقْرَأُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ تُقْسِمُ عَلَيْهِ، فَقَامَ وَقُمْنَا، فَرَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى حِجْرِ، أَوْ فِي حِجْرِ، رَسُولِ اللَّهِ ﷻ، وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ، وَفِي الْقَوْمِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَأَبِي، أَحْسِبُ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷻ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ يَضَعُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ^{٦٦٣}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ بِصَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَقَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً، فَقَالَ: لَقَدْ احْتَضَرَتْ بِحِطَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ^{٦٦٤}.

احتظر: احتفى - الحظار: ما يجعل حول البستان وغيره من قضبان وغيرها كالحائط والمعنى: يمانع وثيق.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: جَاءَ نِسْوَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷻ، فَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا نَقْدِرُ عَلَيْكَ فِي مَجْلِسِكَ مِنَ الرِّجَالِ، فَوَاعَدْنَا مِنْكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ. قَالَ: مَوْعِدُكُمْ بَيْتُ فُلَانٍ، وَأَتَاهُنَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلِذَلِكَ الْمَوْعِدِ، قَالَ: فَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُنَّ، يَعْنِي: مَا مِنْ

^{٦٦٢} - صحيح البخارى - المكثر - (١٢٨٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٢١٧٤) وصحيح ابن حبان - (٢٠٨ / ٢) (٤٦١)

الشنّة: القربة البالية أى روحه وهى تضطرب لها حشرة الماء إذا ألقى فى شنة - تقعقع: تضطرب وتتحرك

^{٦٦٣} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٢٨٥) (٢١٧٧٦) ٢٢١١٩ - وصحيح البخارى - المكثر - (٥٦٥٥)

شن، تقعقع: الشن: القربة البالية، وتقعقعها: حركتها وضوئها.

^{٦٦٤} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٥٠٣) (٩٤٣٧) ٩٤٢٧ - صحيح

امْرَأَةً تُقَدِّمُ ثَلَاثًا مِنَ الْوَلَدِ تَحْتَسِبُهُنَّ، إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أَوْ اثْنَانِ؟
قَالَ: أَوْ اثْنَانِ^{٦٦٥}.

وَعَنْ أُمِّ قَيْسٍ، أَنَّهَا قَالَتْ: تُؤْفِي ابْنِي، فَجَزَعْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لِلَّذِي يَغْسِلُهُ: لَا تَغْسِلْ ابْنِي
بِالْمَاءِ الْبَارِدِ، فَتَقْتُلَهُ، فَاَنْطَلَقَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهَا،
فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مَا قَالَتْ؟ طَالَ عُمُرُهَا قَالَ: فَلَا أَعْلَمُ امْرَأَةً عُمِّرَتْ مَا عُمِّرَتْ^{٦٦٦}.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ
عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^{٦٦٧}.

قال ابن حجر: "(خَطِيئَةً قَطُّ)" صفة كاشفة إذ لا يتصور في غير بالغ عمل ذنب اه
ويمكن أن يحمل على المبالغة في نفي الخطيئة عنه ولو صورة فسمعتة أي أبا هريرة يقول
أي في صلاته اللهم أعذه أي أجره من عذاب القبر قال القاضي يحتمل أن يكون أبو
هريرة اعتقد شيئاً سمعه من رسول الله من أن عذاب القبر أمر عام للصغير والكبير وإن
الفتنة تسقط عن الصغير لعدم التكليف في الدنيا وقال ابن عبد البر عذاب القبر غير فتنة
القبر ولو عذب الله عباده أجمعين كان غير ظالم لهم يعني لا يطلب له دليل من العمل
لأنه لا يسأل عما يفعل قال وقال بعضهم ليس المراد بعذاب القبر هنا العقوبة ولا
السؤال بل مجرد الألم بالغم والحسرة والوحشة والضغط وذلك يعم الأطفال وغيرهم
٦٦٨

وَقَالَ الْحَسَنُ يَقْرَأُ عَلَى الطِّفْلِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرْطًا وَسَلَفًا
وَأَجْرًا^{٦٦٩}.

٦٦٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٥٤) (٧٣٥٧) - ٧٣٥١ - صحيح

٦٦٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٧١٧) (٢٦٩٩٩) - ٢٧٥٣٩ - حسن

٦٦٧ - موطأ مالك - المكثر - (٥٤٠) - صحيح

٦٦٨ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (٥ / ٤٣٢)

٦٦٩ - صحيح البخاري - المكثر - (٥ / ٢٤٠) ٦٥ - باب قِرَاءَةِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى الْجَنَازَةِ . (٦٥) تعليقاً ووصله

عبد الوهاب بن عطاء في "كتاب الجنائز وهو صحيح، فتح الباري لابن حجر - (٣ / ٢٠٣)

سلفا وفرطا: إذا مات للإنسان ولد صغير قيل: جعله الله لك سلفا وفرطا، فالسلف: من سلف المال في المبيعات، كأنه قد أسلفه وجعله ثمنا للأجر والثواب، والفرط، المتقدم على القوم لطلب الماء، أي جعله الله متقدما بين يديك، وذخرا عنده^{٦٧٠}.

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ: "إِذَا كَانَ الْمُصَلِّي عَلَيْهِ طِفْلاً أُسْتَحِبَّ أَنْ يَقُولَ الْمُصَلِّي: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا سَلَفًا وَفَرْطًا وَأَجْرًا. رَوَى ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَرَوَى مِثْلَهُ سُفْيَانُ فِي جَامِعِهِ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ: وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَدْعُو بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ سِوَاءَ كَانَ الْمَيِّتُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى وَلَا يُحَوَّلُ الضَّمَائِرُ الْمَذْكُورَةُ إِلَى صِغَةِ التَّأْنِيثِ إِذَا كَانَتْ الْمَيِّتُ أُنْثَى لِأَنَّ مَرْجِعَهَا الْمَيِّتُ وَهُوَ يُقَالُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى^{٦٧١}".

وَعَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتُنَكِّحُوا الْجَوَارِيَ الْأَبْكَارَ، فَلِإِنَّهُنَّ أَطْيَبُ أَفْوَاهًا، وَأَنْظَفُ أَرْحَامًا، وَأَغْرُ أَخْلَاقًا، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ، وَأَنَّ ذُرَارِيَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَجَرَةٍ مِنْ عُصَادِ الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ آبُؤُهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ"^{٦٧٢}.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُوا الْحَسَنَاءَ الْعَاقِرَ، وَتَزَوَّجُوا السَّوْدَاءَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي أَكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى السَّقَطُ يَظْلُ مُجْبَنُطِيًا، أَيْ مُنْعَضِبًا، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: حَتَّى يَدْخُلَ أَبَوَايَ، فَيُقَالُ: ادْخُلِ أَنْتَ وَأَبَوَاكَ"^{٦٧٣}.

وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَعَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: ابْنَةُ عَمِّ لِي ذَاتَ مِيسَمٍ وَمَالٍ، وَهِيَ عَاقِرٌ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ فَتَهَاؤُهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: لَا مَرْأَةً سَوْدَاءَ وَلَوْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا، أَمَّا عَلِمْتَ أَنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ، وَأَنَّ أَطْفَالَ الْأُمَمِ الْمُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَتَعَلَّقُونَ بِأَحْقَاءِ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ،

^{٦٧٠} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٦ / ٢٢٤)

^{٦٧١} - تحفة الأحوذى - (٣ / ٨٢)

^{٦٧٢} - مصنف عبد الرزاق - (٥ / ١٢٧) (١٠٣٤٣) فيه جهالة وإرسال

^{٦٧٣} - مصنف عبد الرزاق - (٥ / ١٢٧) (١٠٣٤٤) صحيح مرسل

قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ السَّقَطُ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَظِلُّ مُحْبِطًا، أَيْ مُتَقَعِّسًا: فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَبِي وَأُمِّي حَتَّى يَلْحَقَ بِهِ أَبُوهُ^{٦٧٤}.

السقط: الولد يسقط من بطن المرأة قبل تمامه-محبطًا: هو الغاضب المستبطى للشيء .
وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيَدْخُنُ وَكَانَ ظِفْرُهُ قَيْنًا فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ. قَالَ عَمْرُو: فَلَمَّا تُوفِّيَ إِبْرَاهِيمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثُّدِيِّ، وَإِنَّ لَهُ لَظْفَرَيْنِ يُكْمِلَانِ رِضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ"^{٦٧٥}.

هذا وإن الزوجة الصالحة تلعب دوراً كبيراً في الصبر على وفاة الطفل، وتصبّر زوجها، وتتنصر على عاطفة الأمومة في مقابل إدخال السرور على قلب زوجها، وأماننا حادثة فريدة تؤكد ذلك، وهي قدوة لكل زوجة صالحة بعدها، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَاتَ ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِمَوْتِ ابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءَهُ وَشَرَّابَهُ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصْنَعُ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا شَبِعَ، وَرَوَى وَأَصَابَ مِنْهَا حَاجَتَهُ قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، لَوْ أَنَّ أَهْلَ بَيْتٍ أَعَارَوْا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ آخَرِينَ وَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَتَرَى لَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ. قَالَ: تَرَكْنِي حَتَّى إِذَا وَقَعْتُ بِمَا وَقَعْتُ تُحَدِّثُنِي بِمَوْتِ ابْنِي؟ فَأَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا" فَعَلَقَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَحَمَلَتْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَأَبُو طَلْحَةَ وَأُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَطْرُقُ الْمَدِينَةَ طُرُقًا فِي سَفَرٍ، قَالَ: فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ، فَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ لَيُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ نَبِيِّكَ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخَلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ كَمَا تَرَى. قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا

^{٦٧٤} - مصنف عبد الرزاق - (٥ / ١٢٨) (١٠٣٤٥) صحيح مرسل

^{٦٧٥} - صحيح مسلم - المكثر - (٦١٦٨) (١٣ / ٣٧٦) (١٠٥٠٠) وشعب الإيمان -

طَلْحَةَ، مَا كُنْتُ أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ. فَانْطَلَقَ فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ فَوَلَدَتْ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ: لَا تُطْعِمُهُ شَيْئًا حَتَّى تَعُدُّوهُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَاتَ يُبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ، فَعَدَّوْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ؟" قُلْتُ: أَجَلٌ. فَقَعَدَ وَجِئْتُ بِهِ حَتَّى وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، فَدَعَا بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوِ الْمَدِينَةِ فَلَاكَهَا فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ، ثُمَّ لَفَظَهَا فِيهِ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمَرِ"، ثُمَّ مَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ."

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ ابْنٌ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ فَمَاتَ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ يَا بَنِيَّ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ ..

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ قَالَ: اشْتَكَى ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ فَرَأَى إِلَى الْمَسْجِدِ وَتُوفِّيَ الْعُلَامُ. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَاهُ، وَقَالَ فِي الْعَارِيَةِ: فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ قَالَتْ: أَلَمْ تَرَ أَبَا طَلْحَةَ إِلَى آلِ فُلَانٍ اسْتَعَارُوا عَارِيَةً تَمْتَعُوا بِهَا، فَلَمَّا طَلَبَتْ مِنْهُمْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: مَا أَنْصَفُوا. قَالَتْ: فَإِنَّ فُلَانًا، لِابْنِهَا، كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللَّهِ وَقَبَضَهُ اللَّهُ. فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَرَوَى هَذِهِ الْقِصَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِفَاعَةَ وَقَالَ فِي آخِرِهَا: "لَقَدْ رَأَيْتُ لَذَلِكَ الْعُلَامِ سَبْعَةَ بَنِينَ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ" ٦٧٦ .

أَعْرَسْتُمْ: الإعراس هاهنا، أراد به: الجماع.

الميسم: الحديدَةُ التي تَسِمُ بِهَا الدَوَابُّ، تَتْرُكُهَا فِي النَّارِ حَتَّى تَحْمَى ثُمَّ تُسَمَّى بِهَا .

الحائط: هاهنا: البستان من نخل.

خَمِيصَةُ غُجَوَانِيَّةٍ: الخَمِيصَةُ: ثَوْبٌ خَزٌّ، أَوْ صُوفٌ مُعَلَّمٌ، وَهُوَ أَسْوَدُ، وَالْجَوْنُ: الْأَسْوَدُ، نَسَبَهَا إِلَى السَّوَادِ، هَكَذَا جَاءَ فِي كِتَابِ الْحَمِيدِيِّ «خَمِيصَةُ جَوْنِيَّةٍ» وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي كِتَابِ مُسْلِمٍ «خَمِيصَةُ جَوْنِيَّةٍ» وَفِي نَسْخَةِ «جَوْتَكِيَّةٍ» وَمَا أَعْرَفَ لَهُ مَعْنَى، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ

٦٧٦ - شعب الإيمان - (١٢ / ٢٠٦) (٩٢٨٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٤٧٦) ومسنند أحمد (عالم الكتب) -

(٤ / ٥٠٦) (١٣٠٢٦) ١٣٠٥٧-و (١٣٢٧٠) ١٣٣٠٣-و (١٤٠٨٨) ١٤١٣٤-

نسبها إلى القَصِر، فإن الجَوْتُكِيَّ: الرجلُ القصيرُ الخَطْوِ، المتقارب في المشي، أراد: أنها خميصَةٌ قصيرةٌ، كأنها لرجل جَوْتُكِيٍّ، والله أعلم.

فاحتسبَ ابنك: إذا مات للإنسان ولد، قيل له: احتسبُه عند الله، أي: اجعله لك عنده ذخراً.

لا يَطْرُقها: الطُّرُوق: إتيان المتزل ليلاً .

المخاض: الطَّلُقُ عند الإحساس بالولادة.

بِعَجْوَةٍ: العجوة: نوع من جيد التمر، من تمر المدينة .

يتلمَّظُها: التلمظ: تطعم ما يبقى في الفم من آثار الطعام.

يَهْنَأُ: هنأتُ البعير: لطخته بالهناء، وهو القَطْران.

بعيراً: البعير من الإبل: الذكر والأنثى، كالإنسان من بني آدم .

فلاكها: لأك اللقمة في فيه: إذا مضغها .

فغَرَ: فاهُ: إذا فتحه.

فمَجَّه: مَجَ ريقه من فمه: إذا رماه^{٦٧٧} .

وعن أنس، أن أبا طلحة مات له ابن، فقالت أم سليم: لا تُخبروا أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أخبره، فسجَّت عليه، فلما جاء أبو طلحة وضعت بين يديه طعاماً، فأكل، ثم تطيبت له، فأصاب منها، فعلقت بغيلاً، فقالت: يا أبا طلحة، إن آل فلان استعاروا من آل فلان عارية، فبعثوا إليهم ابعتوا إلينا بعاريتنا فأبوا أن يرُدُّوها، فقال أبو طلحة: ليس لهم ذلك، إن العارية مؤداة إلى أهلها، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله عز وجل، وإن الله عز وجل قد قبضه فاسترجع، قال أنس: فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: بَارَكَ اللَّهُ لَهُمَا فِي لَيْلَتِهِمَا، قال: فعلقت بغيلاً، فولدت، فأرسلت به معي أم سليم إلى النبي ﷺ، وحملت تمرًا، فأثَّيت به رسول الله ﷺ وعليه عباءة، وهو يهْنَأُ بعيراً له، فقال رسول الله ﷺ: هَلْ مَعَكَ تَمْرٌ؟ قال: قلت: نَعَمْ، فأخذ التمرات فآلقاهن في فيه

^{٦٧٧} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (١ / ٣٦٩)

فَلَا كَهْنٌ، ثُمَّ جَمَعَ لُعَابَهُ، ثُمَّ فَعَرَ فَاهُ فَأَوْجَرَهُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُبُّ الْأَنْصَارِ الثَّمَرُ، فَحَنَكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ، فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ شَابٌّ أَفْضَلَ مِنْهُ^{٦٧٨}.

وقوله: فَعَلَقْتُ بَغْلَامَ قَالَ السَّنْدِيُّ: مِنْ "عَلَقَ" كَفَرَحَ، أَي: حَبَلَتْ. بَمَا جَرَى بَيْنَهُمَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه أما بعد فإن الولد على والده ما عاش حزن وفنّة وإذا قدمه فصلاة ورحمة فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفنّته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته^{٦٧٩}.

وهكذا وجدت يا أحي ! أن الولد الصالح خير كله، سواء عاش بعد أبيه فيرفع درجات والديه باستغفاره لهما، أو مات قبلهما كان سبباً في دخولهما الجنة، قال ابن القيم عن الولد: "إن عاش بعد أبيه نفعهما، وإن مات قبلهما نفعهما"^{٦٨٠}.

ما سبق مما يحصل للوالدين بسبب الولد فإنما مصدره الحنان على الطفل والرأفة به، لكن؛ فكما أمر الإسلام بالحنان مع الطفل والرأفة في معاملته؛ فقد نهى عن الإفراط والغلو في هذا الحنان، فلا مفر في بعض الأوقات من الحزم والتخويف لترتدع نفس الطفل عن التماذي في الغي أو الانحراف، وكثير من الأطفال يردعهم مجرد رؤية العصا أو السوط، ويلزمهم ظهور أداة العقوبة، فيسارعون إلى تجنب التعرض لها، فتستوي تصرفاتهم ويصح مسارهم. لذلك أوصى النبي ﷺ بتعليق العصا في البيت، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ لَهُمْ أَدَبٌ^{٦٨١}.
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِتَعْلِيقِ السَّوْطِ فِي الْبَيْتِ^{٦٨٢}.

^{٦٧٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٧٣٢) (١٤٠٦٥) ١٤١١ - صحيح

^{٦٧٩} - بستان العارفين - (١ / ١٩)

^{٦٨٠} - أحكام المولود ص (١٤)

^{٦٨١} - المعجم الكبير للطبراني - (٩ / ١٥٣) (١٠٥٢٣) حسن

^{٦٨٢} - الأدب المفرد للبخاري - دار البشائر - (١ / ٤٢١) (١٢٢٩) صحيح

فالنبي ﷺ لا يريد أن يكون من وراء حب الطفل والحنان عليه تدليلٌ وتفريطٌ، ومجاراته للطفل في جميع أهوائه، فيفعل الطفل ما يشاء، ويقضي ما هو قاض؛ فإن ذلك جناية كبرى على الولد.

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَخْوَصِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، لَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ^{٦٨٣}.

لا يجني جانٍ الجناية: الذنبُ، وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه الجزاء، إما في الدنيا وإما في الآخرة، فقلوه - ﷺ -: «لا يجني جانٍ إلا على نفسه» يريد: أنه لا يُطالَبُ بجنايته غيرُهُ، من أقاربه وأباعد، وقد فسره في الحديث بقوله: «لا يجني ولدٌ على والده، ولا يجني والدٌ على ولده» أي إذا جنى أحدهما، لا يطالَبُ الآخر بجنايته، وقد كان ذلك معتاداً بين العرب^{٦٨٤}.

فإذا فعل الإنسان ما يوجب العذاب على غيره؛ فهذه الجناية على الغير، كما يتسبب بعض الآباء في عذاب الله لأبنائهم بسبب تدليلهم وحبهم المفرط؛ مما ينتج عنه عدم الأخذ على أيديهم لتعويدهم طاعة الله والوقوف عند حدوده، والله تعالى أمر هؤلاء الآباء وأمهاتهم، بل وسائر الذين آمنوا بقوله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم .

ضرر مخالطة الطفل لأهل الميوعة والدلال:

قال العلماء: ينبغي أن يُحفظ الصبي عن الصبيان الذين عُودوا التنعم والرفاهية، ولبس الثياب الفاخرة، وألاً يُسمح له بمخالطتهم، فإن الصبي إذا أُهمل في بدء حياته خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذاباً، حسوداً، سروقاً، ذا فضول وكيد ومجانة. وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، وكمال التربية. فينبغي ألا يسمح للطفل بمخالطة المدللين من

^{٦٨٣} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٥١٤) (١٦٠٦٤) - ١٦١٦١ - صحيح لغيره

^{٦٨٤} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (١ / ٢٦٠)

الأطفال؛ لأنهم لا يصلحون للحياة التي تنتظرهم؛ فقد وجدوا الحياة سهلة ميسرة لهم، كلها نعيم ورخاء، واعتمدوا على ثروة آبائهم وأمهاتهم، فناموا واستعذبوا النوم، وصارت حياتهم كلها حياة خمول وكسل، وجعلوا ليلهم نهاراً، ونهارهم ليلاً، فنهارهم ليل وليلهم ويل، وأصبحوا جرثومة من الفساد، وإن المربين يرون أن أهم مرحلة في الحياة هي مرحلة الطفولة المبكرة، في الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل. فإذا أهمل في بدء حياته صار غالباً فاسد الخلق، كثير الكذب، كثير الحقد والحسد، كثير السرقة والنميمة والإلحاح، فضولياً يتدخل فيما لا يعنيه، ويكيد لغيره من زملائه، ذا مجون، لا يبالي بما يصنع، ولا يكثرث لما يفعل.

ومن الممكن أن يحفظ من فساد الخلق. ومن هذه الرذائل كلها إذا عينا بتربيته كل العناية في طفولته وأطوار حياته، ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر البيئة في تربية الطفل^{٦٨٥}.



^{٦٨٥} - أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم - (١ / ٥)

الفصل السادس

البناء الجسمي

تمهيد :

أسس البناء الجسمي :

الأساس الأول - حق الطفل في تعلم السباحة، والرماية، وركوب الخيل:

الأساس - الأساس الثاني- إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال:

الأساس الثالث- لعب الكبار مع الأطفال:

الأساس الرابع- لعب الأطفال مع الأطفال :

خاتمة- فوائد الرياضة للأطفال:

تمهيد :

إن الجسد هو الدابة التي تحمل الروح في السفر إلى الله، فإن أكرمتها، وأحسنست إليها واصلت بك وإن أهملت أمرها انقطعت بك في الطريق، فعن أبي موسى، قال: دَخَلَتْ امرأةُ عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فَرَأَيْنَهَا سَيِّئَةَ الْهَيْئَةِ، فَقُلْنَ: مَا لَكَ، مَا فِي قُرَيْشٍ رَجُلٌ أَغْنَى مِنْ بَعْلِكَ، قَالَتْ: مَا لَنَا مِنْهُ شَيْءٌ؟ أَمَّا نَهَارُهُ فَصَائِمٌ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَقَائِمٌ، قَالَ: فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرْنَ ذَلِكَ لَهُ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، أَمَا لَكَ فِي أُسْوَةٍ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قَالَ: أَمَّا أَنْتَ فَتَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَإِنَّ لَأَهْلَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، صَلِّ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، قَالَ: فَأَتَتْهُمُ الْمَرْأَةُ بَعْدَ ذَلِكَ عَطْرَةً كَأَنَّهَا عَرُوسٌ، فَقُلْنَ لَهَا: مَهْ، قَالَتْ: أَصَابَنَا مَا أَصَابَ النَّاسَ. ٦٨٦

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَمْ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، نَمْ وَقُمْ وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزُورِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجَتِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنِّي مُخَيِّرُكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، فَإِذَا ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: صُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: فَشَدَدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: صُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ، قُلْتُ: فَمَا صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ؟ قَالَ: نَصْفُ الدَّهْرِ. ٦٨٧

وقال سعيد بن مينا: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ، فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، صُمْ وَأَفْطِرْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، صَوْمُ الدَّهْرِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا

٦٨٦ - صحيح ابن حبان - (٢ / ١٩) (٣١٦) صحيح

٦٨٧ - صحيح ابن حبان - (٨ / ٣٣٧) (٣٥٧١) وصحيح البخارى - المكثر - (٥١٩٩ و ٦١٣٤)

قال أبو حاتم رحمه الله: قوله ﷺ: وَإِنَّ لَزُورِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، لَيْسَ فِي خَبَرٍ إِلَّا فِي هَذَا الْخَبَرِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى إِبَاحَةِ إِفْطَارِ الْمَرْءِ لَضَيْفٍ يَنْزِلُ بِهِ، وَزَائِرٍ يَزُورُهُ.

رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: صُمْ صَوْمَ دَاوُدَ، صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ أَخَذْتُ الرُّخْصَةَ.^{٦٨٨}

فاللعب طبيعة فطرية في الطفل، جعلها الله غريزة في نفسه، وذلك لينمو جسمه نمواً طبيعياً بشكل قوي، حيث إن الطفولة البشرية هي أطول الطفولات بين الكائنات الحية، وحيث إن نمو العضلات، ونمو الجسم كله يكون في هذه الفترة، إذ بعدها يصعب على الجسم أن ينمو أكثر، أو يقوى بشكل أجود، أو غير ذلك من أشكال النمو في العضلات، والعظام، والصدر، والرئة، وغيرها.

وإذا لاحظنا أنه لا يمكن للإنسان أن يصبح رياضياً بعد هذه الفترة بشكل فعال، ويقول: أريد أن أبني جسمي بعد مضي مرحلة الطفولة له بدون رياضة، فإن نسبة نجاح مقولته هذه ضعيفة، وبالتالي فإن البناء الجسمي للطفل لا بد أن يستوفي حقه في الطفولة، على خلاف الأبواب السابقة، التي إذا فقد فيها الوالدان أو المربون، فإنه يمكنهم تداركها فيما بعد.

"وَيَنْبَغِي أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْمَكْتَبِ أَنْ يَلْعَبَ لَعِبًا جَمِيلًا يَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ مِنْ تَعَبِ الْأَدَبِ، بِحَيْثُ لَا يَتَعَبُ فِي اللَّعِبِ، فَإِنَّ مَنَعَ الصَّبِيَّ مِنَ اللَّعِبِ وَإِرْهَاقَهُ إِلَى التَّعْلِيمِ دَائِمًا يُمِيتُ قَلْبَهُ وَيُطِلُّ فِكْرَهُ وَذَكَاءَهُ، وَيُنْعِضُ إِلَيْهِ ذَلِكَ، وَيُنْعِضُ عَيْشَهُ حَتَّى يَطْلُبَ الْحِيلَةَ فِي الْخُلَاصِ مِنْهُ رَأْسًا"^{٦٨٩}.

فلا مانع من تعليم الولد بعض التمرينات الرياضية التي تقوي جسده وتنشط جسده وتنشط روحه، وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى أُمَرَائِ الشَّامِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا الْعَرَضَ وَيَمْشُوا بَيْنَ الْعَرَضَيْنِ حُفَاةً وَعَلَّمُوا صُبْيَانَكُمْ الْكِتَابَةَ وَالسَّبَّاحَةَ ..^{٦٩٠}

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِلْوَلَدِ عَلَيْنَا حَقٌّ كَحَقِّنَا عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: "نَعَمْ، حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْكِتَابَةَ وَالسَّبَّاحَةَ وَالرَّمْيَ، وَأَنْ يُؤَدِّبَهُ طَبِيبًا"^{٦٩١}

^{٦٨٨} - صحيح ابن حبان - (٨ / ٤٠٠) (٣٦٣٨) وصحيح البخارى - المكثر - (١٩٧٥)

^{٦٨٩} - المدخل لابن الحاج - (٥ / ٣٣)

^{٦٩٠} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (١٥٦٦٨) ضعيف

^{٦٩١} - شعب الإيمان - (١١ / ١٣٦) (٨٢٩٨) ضعيف

فلو أحضرت لولدك بندقية وعلمته أصول الرماية الصحيحة لكان خيراً، وكذلك تعليمه قيادة السيارات والدراجات وغيرها من الآلات العصرية.

إن عدم قيام الطفل بالرياضة يؤدي أحياناً إلى مخاطر جمة، لا تلبث أن تنمو وتكبر، حتى تظهر في الحال، أو المستقبل في أي شكل من أشكال الهزال الجسمي، أو الانهيار الداخلي والنفسي .

وإذا علمنا أن التكاليف الشرعية التي تنتظر الطفل عندما يدخل في سن الاحتلام، ويودّع مرحلة الطفولة، ويستقبل مرحلة جديدة في حياته، يحاسب فيها على الكبيرة والصغيرة، ويبدأ القلم بالتسجيل عليه برصد أعماله وأقواله، إذا علمنا أن هذه التكاليف تحتاج إلى البنية القوية، والجسم المتدرب الرياضي، وما الصلاة والصيام والحج والجهاد إلا الدعائم الأساسية لهذا الدين، تحتاج إلى المؤمن القوي الفعال، عند ذلك وجب علينا أن نفكر ونسأل أنفسنا: ما هي السبل والقواعد التي نستطيع بها تكوين جسم الطفل، وما هي أركان هذا البناء؟ .

إن النظرة المتأنية إلى الأحاديث النبوية والسيرة الشريفة والتي تبين كيفية تعامل النبي ﷺ مع الأطفال، فما هي هذه واتباعها نحصل على بنية جسمية قوية للطفل، فما هي هذه الأسس؟ .

أسس البناء الجسمي :

الأساس الأول - حق الطفل في تعلم السباحة، والرماية، وركوب الخيل:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ: أَنْ عَلِّمُوا غِلْمَانَكُمْ الْعَوْمَ، وَمُقَاتِلَتَكُمْ الرَّمْيَ، فَكَانُوا يَخْتَلِفُونَ إِلَى الْأَغْرَاضِ، فَجَاءَ سَهْمٌ غَرَبَ إِلَى غُلَامٍ فَقَتَلَهُ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَصْلٌ، وَكَانَ فِي حَجَرٍ خَالَ لَهُ، فَكَتَبَ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى عُمَرَ إِلَى مَنْ أَدْفَعَ عَقْلَهُ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ، وَالْخَالُ وَارِثُ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ ٦٩٢ .

٦٩٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ١٧٤) (٣٢٣) حسن
٢٧٧

فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، حَدَّثَنِي مَكْحُولُ الدَّمَشَقِيُّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ: "أَنْ عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ السَّبَاحَةَ وَالرَّمِيَّ وَالْفُرُوسِيَّةَ" ٦٩٣ .

وَعَنْ أَبِي عُمَانَ التَّهْدِيَّ قَالَ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ وَنَحْنُ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ بِأَذْرَبِيجَانَ أَمَّا بَعْدُ فَاتَّزَرُّوا وَانْتَعَلُوا وَارْتَدُّوا وَأَلْقُوا الْخِفَافَ وَالسَّرَاوِيلَ وَعَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ أَيْكُمْ إِسْمَاعِيلَ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنْعَمَ وَزَيَّ الْعَجَمِ وَعَلَيْكُمْ بِالشَّمْسِ فَإِنَّهَا حَمَامُ الْعَرَبِ وَتَمْعِدُّوا وَاخْشَوْشُنُوا وَاخْلَوْلِقُوا وَأَقْطَعُوا الرُّكْبَ وَانْزُوا عَلَى الْخَيْلِ نَزْوًا وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ وَامْشُوا مَا بَيْنَهَا. ٦٩٤ .

من هذا يتبين حق الطفل في تعليم رياضيات معينة خصَّها النبي ﷺ بالذكر دون غيرها، وهذا يدلُّ على أن لها دوراً خاصاً في حياة الطفل الحالية والمستقبلية، وأن لها دوراً كبيراً في إكساب الثقة في نفسه بتعلم هذه الرياضات، لما تحمل في طياتها من مخاوف نفسية عندما يكبر الطفل وهو لا يتقن هذه الرياضات، على خلاف باقي الرياضات التي يستطيع في كبره أن يتعلمها ويتقنها نوعاً ما، إذا مرت طفولته بدون تعلمها.

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على حرص رسول الله ﷺ في رياضة الطفل. ومن ذلك تشجيعه ﷺ للأطفال على الرمي، قَالَ عَلِيُّ مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَبَاهُ وَأُمُّهُ لِأَحَدٍ إِلَّا لَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ « ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ». وَقَالَ لَهُ « ارْمِ أَيُّهَا الْعَلَامُ الْحَزُورُ » ٦٩٥ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، مَرَّ بِنَفَرٍ يَرْمُونَ، فَقَالَ: رَمِيَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ٦٩٦ ، وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِفَتِيَةٍ يَرْمُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ارْمُوا يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ ؛ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا " ٦٩٧ .



٦٩٣ - فضائل الرمي لإسحاق القراب - (١٥) فيه انقطاع

٦٩٤ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (١٠ / ١٤) (٢٠٢٣٠) صحيح

٦٩٥ - سنن الترمذي - المكثر - (٣٠٦٣) صحيح - الحزور: الغلام إذا اشتد وقوى

٦٩٦ - المعجم الكبير للطبراني - (١٠ / ٣٠١) (١٢٥٧٨) صحيح

٦٩٧ - سنن سعيد بن منصور - (٢٢٨١) صحيح مرسل

الأساس - الأساس الثاني - إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال:

وهو أساسٌ فعالٌ في تكوين جسم الطفل، ويساعده على الاهتمام بالرياضة واللعب وزيادة اعتناؤه بجسمه، فقد أجرى الرسول ﷺ مسابقة الجري بين الأطفال من بني عمه العباس، وكان يستقبل الفائز بصدرة، ثم الآخر وهكذا .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِفُّ عَبْدَ اللَّهِ، وَعَبِيدَ اللَّهِ، وَكُثَيْرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ، فَيَقْبَلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ^{٦٩٨} .

وأنت تلاحظ أنه كان يوزع حبه عليهم جميعاً، فيقبلهم جميعاً، ولا يقتصر على الفائز منهم فقط، وإنما يرعاهم جميعاً، خشية دخول الغيرة، والحسد بينهم، وأن يكون البناء لهم جميعاً دون استثناء.



^{٦٩٨} -مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٦٩) (١٨٣٦) حسن

الأساس الثالث - لعب الكبار مع الأطفال:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَزْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا يَلْعَبَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفِي حِجْرِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّهُمَا؟ قَالَ: وَكَيْفَ لَا أُحِبُّهُمَا وَهُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا أَشْمُهُمَا^{٦٩٩}.

وَعَنْ سَعْدٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَلْعَبَانِ عَلَى بَطْنِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّهُمَا؟ فَقَالَ: وَمَالِي لَا أُحِبُّهُمَا؟ هُمَا رِيحَانَتَايَ^{٧٠٠}.

وَعَنْ عُمَرَ، قَالَ: رَأَيْتُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا - عَلَى عَاتِقِي النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: نَعَمْ الْفَرَسُ تَحْتَكُمَا، قَالَ: وَنَعَمْ الْفَارِسَانِ هُمَا^{٧٠١}.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ الْحَسَنُ فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَوَضَعَهُ وَضْعًا رَفِيقًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَبَّلَهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَنَعْتَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ سَيُصْلِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ^{٧٠٢}.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعَلَى ظَهْرِهِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، وَهُوَ يَقُولُ: "نَعَمْ الْجَمَلُ جَمَلُكُمَا، وَنَعَمْ الْعَدْلَانِ أَنْتُمَا"^{٧٠٣}.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا مِنْ مَزَاحِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ مَتَقَبَّهٌ تَفَرَّدَ بِهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا. وَيَتَضَمَّنُ مِنَ الْفَقْهِ إِطْلَاقَ تَشْبِيهِ الْإِنْسَانِ بِالْبَهِيمَةِ إِذَا شَارَكَهَا فِي بَعْضِ فِعْلِهَا^{٧٠٤}.

^{٦٩٩} - المعجم الكبير للطبراني - (٤ / ٢١٢) (٣٨٩٢) صحيح لغيره

^{٧٠٠} - كشف الأستار عن زوائد البزار - (٣ / ٢٢٥) (٢٦٢٢) صحيح

^{٧٠١} - كشف الأستار عن زوائد البزار - (٣ / ٢٢٥) (٢٦٢١) والمطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - (١١ /

٢٥٦) (٤٠٦٧) صحيح

^{٧٠٢} - مسند الطيالسي - (٢ / ٢٠٣) (٩١٥) حسن

^{٧٠٣} - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٨٧) (٢٥٩٥) فيه ضعف

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيتَانِ فِي أَيَّامٍ مَنَى تَغْنِيَانِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسَجًى بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ وَقَالَ: دَعُوهَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبْشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ وَأَنَا جَارِيَةٌ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرَبَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ ٧٠٥.

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيتَانِ تَغْنِيَانِ بِدُفَيْنٍ، وَتَغْنِيَانِ فِي أَيَّامِهِمَا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَرٌ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَهُ وَقَالَ: دَعُوهَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَمَّا قَدِمَ وَفَدُ الْحَبْشَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَامُوا يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَارَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسَاءُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: دَخَلَ عُمَرُ، وَالْحَبْشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُوهُمْ يَا عُمَرُ، فَإِنَّهُمْ هُمْ بَنُو أَرْفَدَةَ ٧٠٦.

فاقدروا قدر الجارية: أي قيسوا قياس أمرها، وأنها مع حداثتها وشهوتها النظر وحرصها عليه، كيف مسها التعب والإعياء، ورسول الله ﷺ - لم يمسه شيء من ذلك حفظاً لقلبها ٧٠٧.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَ السُّودَانُ يَلْعَبُونَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ - فِي يَوْمٍ عِيدٍ فَدَعَانِي فَكُنْتُ أَطْلُعُ إِلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ عَاتِقِهِ فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ حَتَّى كُنْتُ أَنَا الَّتِي انْصَرَفَتْ ٧٠٨.

٧٠٤ - أَمْثَالُ الْحَدِيثِ لِلرَّامِهُرْمَزِيِّ (١٠٠)

٧٠٥ - صحيح البخاري - المكثر - (٥١٩٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٢١٠٠) وصحيح ابن حبان - ط الرسالة -

(١٣ / ١٧٧) (٥٨٦٨)

٧٠٦ - صحيح ابن حبان - ط الرسالة - (١٣ / ١٨٦) (٥٨٧٦) صحيح

٧٠٧ - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (١٠ / ٧٥٦)

٧٠٨ - سنن النسائي - المكثر - (١٦٠٥) صحيح

فنحن قد شاهدنا أنواعاً مختلفة من لعبه ﷺ مع الحسن والحسين، وما ذلك إلا ليدلك النبي ﷺ إلى فكرة التنوع في اللعب مع الأطفال، وأنت لاحظت أيضاً ثناءه ومدحه لهما في اللعب، وذلك ليزيد من نشاطهما النفسي في اللعب، فيستمران بلا كلل ولا تعب، ويتابعان اللعب بحب وشغف، وذلك ليكون جسمياً ونفسياً في آن واحد. وقد كانت عائشة رضي الله عنها، حديثه السنن وكان رسول الله ﷺ يراعي هذا الجانب، وكان يسابقها أحياناً، فعن عائشة، قالت: سَابَقَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا حَتَّى إِذَا أَرَهَقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَذِهِ بَيْتُكَ^{٧٠٩}.

وعن عائشة، قالت: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْذُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: تَعَالِي حَتَّى أُسَابِقَكَ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَأْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: تَعَالِي حَتَّى أُسَابِقَكَ فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: هَذِهِ بَيْتُكَ^{٧١٠}.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْآخِرَةِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْأَثِيلِ عِنْدَ الصَّفَرَاءِ انْصَرَفْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي وَنَكَبْتُ عَنِ الطَّرِيقِ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا رَاكِبٌ يَضْرِبُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَفَرَعْتُ مِنْ حَاجَتِي ثُمَّ جِئْتُ، فَقَالَ: "تَعَالِي أُسَابِقَكَ" قَالَتْ: فَأَرْمِي بَدْرِي خَلْفَ ظَهْرِي ثُمَّ أَجْعَلْ طَرَفَهُ فِي حُجْرَتِي، ثُمَّ خَطَطْتُ خَطًّا بِرِجْلِي، ثُمَّ قُلْتُ: تَعَالِ نَقُومْ عَلَى هَذَا الْخَطِّ، فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ فَكَأَنَّهُ عَجِبَ، فَقُمْنَا عَلَى ذَلِكَ الْخَطِّ، قَالَ: قُلْتُ: أَذْهَبُ؟ قَالَ: "أَذْهَبِي" فَخَرَجْنَا فَسَبَقَنِي، وَخَرَجَ بَيْنَ يَدَيَّ، فَقَالَ: "هَذِهِ بِيَوْمِ ذِي الْمَجَازِ" فَتَذَكَّرْتُ مَا يَوْمُ ذِي الْمَجَازِ فَذَكَّرْتُ أَنَّهُ جَاءَ وَأَنَا جَارِيَةٌ يَتَّبِعُنِي أَبِي، وَكَانَ فِي يَدِي شَيْءٌ فَسَأَلَنِيهِ فَمَنَعْتُهُ، فَذَهَبَ يَتَعَاطَاهُ فَفَرَرْتُ، فَخَرَجَ فِي أَثَرِي فَسَبَقْتُهُ وَدَخَلْتُ الْبَيْتَ^{٧١١}.

^{٧٠٩} - صحيح ابن حبان - ط الرسالة - (١٠ / ٥٤٥) (٤٦٩١) صحيح

^{٧١٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٥٢٤) (٢٦٢٧٧) (٢٦٨٠٧) - صحيح

^{٧١١} - شرح مشكل الآثار - (٥ / ١٤٤) (١٨٨١) حسن

قال الطحاوي: "ففي هذا الحديث إباحة السبق على الأقدام، وقد روي عن سلمة بن الأكوع، عن رسول الله ﷺ في هذا المعنى، فعن إياس بن سلمة، عن أبيه قال: قدمنا مع النبي ﷺ من الحديبية فأرْدَفَنِي رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى نَاقَتِهِ الْعُضْبَاءِ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ وَكَزَّةً وَفِينَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسَبِّقُ عَدُوًّا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ قَالَهَا مَرَارًا وَأَنَا سَاكِتٌ، فَقُلْتُ: مَا تُكْرِمُ كَرِيمًا، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا، قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فَلَأَسَابِقُهُ، قَالَ: "إِنْ شِئْتَ فَعَلْتَ" فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَيْكَ، فَخَرَجَ يَشْتَدُّ وَأَطْفَرُ عَنِ النَّاقَةِ عَدُوًّا، فَرَبَطْتُ عَلَيَّ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ فَسَأَلْتُهُ: مَا رَبَطْتَ؟ قَالَ: اسْتَبَقَيْتُ نَفْسِي، ثُمَّ إِنِّي غَدَوْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ فَأَصُكُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَقُلْتُ: سَبَقْتُكَ وَاللَّهِ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ فَضَحِكَ^{٧١٢}.

الراحلة: البعير القوي على الأسفار والأحمال، ويقع على الذكر والأنثى-الشرف: المكان المرتفع - صك: ضرب ولطم.



البعير: ما صلح للركوب والحمل من الإبل، وذلك إذا استكمل أربع سنوات، ويقال للحمل والناقة- في أثر الشيء وعلى أثره: بعده ووراءه

^{٧١٢} - شرح مشكل الآثار - (٥ / ١٤٥) (١٨٨٢) صحيح وهو في مسلم مطولاً

الأساس الرابع - لعب الأطفال مع الأطفال :

كثيرا ما يكون الوالدان مشغولين بالأعمال المختلفة، عند ذلك يتيحان للطفل أن يلعب مع إخوته أو أبناء جيرانه، أو أولاد حيّه، أو أبناء أقاربه، ويختار الوالدان أن يلعب طفلهما مع أولاد مهذين مؤدبين، خشية أن يتعلم طفلهم بداءة اللسان، أو منكر الأخلاق من غضب، وانفعالات في أثناء اللعب .

وقد شاهر رسول الله ﷺ في أماكن عدة لعب الأطفال ولم ينكر عليهم، فعن يعلى بن مرة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى طعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه، فجعل حسين يمر مرة ههنا ومرة ههنا يضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال رسول الله ﷺ: حسين مني، وأنا منه أحب الله من أحبه الحسن والحسين سبطان من الأسباط^{٧١٣}.

وعن أنس قال: كنت ألعب مع الغلمان، فأتانا رسول الله ﷺ فسلم، قال يزيد في حديثه علينا، وأخذ بيدي فبعثني في حاجة، وقعد في ظل حائط، أو جدار، حتى رجعت إليه، فبلغت الرسالة التي بعثني فيها، فلما أتيت أم سليم قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني النبي ﷺ في حاجة له، قالت: وما هي؟ قلت سر، قالت: احفظ على رسول الله ﷺ سره، قال: فما حدثت به أحدا بعد^{٧١٤}.

وعن أبي حمزة، قال: سمعت ابن عباس، يقول: مر بي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فاحتبأت منه خلف باب، فدعاني، فحطاني خطأ، ثم بعثني إلى معاوية، فرجعت إليه، فقلت: هو يأكل^{٧١٥}.

وقد لعب ﷺ مع الصبيان في صغره، فعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق قلبه، فاستخرج منه علة، فقال: هذا حظ

^{٧١٣} - المعجم الكبير للطبراني - (١٦ / ١٣٩) (١٨١٥٥) حسن

^{٧١٤} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٢٧٧) (١٢٠٦٠) ١٢٠٨٣ - صحيح

^{٧١٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٨٥٠) (٣١٣١) صحيح

الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغُلَمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظَهْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ مُنْتَقِعَ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: قَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ^{٧١٦}.

وقد شاهد ﷺ مصارعة الغلامين قبيل غزوة أحد، عندما اعترض أحدهما على الآخر لرسول الله ﷺ لقبوله بالاشتراك في المعركة، وعدم قبول المعارض، فعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يُعَرِّضُ غُلَمَانَ الْأَنْصَارِ فِي كُلِّ عَامٍ فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ قَالَ وَعَرِضْتُ عَامًا فَأَلْحَقَ غُلَامًا وَرَدَّنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِي وَلَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ قَالَ: "فَصَارِعُهُ". فَصَارَعْتُهُ فَصَرَعْتُهُ فَأَلْحَقَنِي^{٧١٧}.

أما لعب البنات فقد يختلف عن لعب الصبيان.

فإنَّ الْإِسْلَامَ يَعْنِي بِالْأُنْثَى فِي كُلِّ أَطْوَارِ حَيَاتِهَا فِيرْعَاهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ، وَيَجْعَلُ رِعَايَتَهَا سِتْرًا مِنَ النَّارِ وَسَبِيلًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُفْضَلَ الذَّكَرُ عَلَيْهَا فِي التَّرْبِيَةِ وَالْعِنَايَةِ، وَتَشْمَلُ الْعِنَايَةُ بِهَا فِي طُفُولَتِهَا تَأْهِيلَهَا لِحَيَاتِهَا الْمُسْتَقْبَلَةِ، فَيُسْتَنْتَى مِمَّا يَحْرُمُ مِنَ الصُّورِ صُورُ لَعِبِ الْبَنَاتِ فَإِنَّهَا لَا تَحْرُمُ، وَيَجُوزُ اسْتِصْنَاعُهَا وَصُنْعُهَا وَبَيْعُهَا وَشِرَاؤها لِهِنَّ؛ لِأَنَّهِنَّ يَتَدَرَّبْنَ بِذَلِكَ عَلَى رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ^{٧١٨}.

وفي الموسوعة الفقهية: "اسْتَنْتَى أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ مِنْ تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ وَصِنَاعَةِ التَّمَاثِيلِ صِنَاعَةَ لَعِبِ الْبَنَاتِ. وَهُوَ مَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ. وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي عِيَّاضُ جَوَازَهُ عَنْ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، وَتَابَعَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ، فَقَالَ: يُسْتَنْتَى مِنْ مَنَعَ تَصْوِيرَ مَا لَهُ ظِلٌّ، وَمِنْ اتَّخَذَهُ لَعِبَ الْبَنَاتِ، لِمَا وَرَدَ مِنَ الرُّخْصَةِ فِي ذَلِكَ.

^{٧١٦} - صحيح مسلم - المكثر - (٤٣١) وصحيح ابن حبان - ط الرسالة - (١٤ / ٢٤٣) (٦٣٣٤)

المخيط: الإبرة - الظفر: المربعة غير ولدها ويقع على الرجل والمرأة- العلقه: الدم الغليظ المنعقد- لأمه: ضم بعضه إلى بعض- المنتقع: المتغير اللون

^{٧١٧} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (١٠ / ١٨) (٢٠٢٥٤) صحيح

^{٧١٨} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٧ / ٧٥)

وَهَذَا يَعْنِي جَوَازَهَا، سَوَاءُ أَكَانَتْ اللَّعْبُ عَلَى هَيْئَةٍ تَمَثَّلُ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ، مُجَسِّمَةً أَوْ غَيْرَ مُجَسِّمَةً، وَسَوَاءُ أَكَانَ لَهُ نَظِيرٌ فِي الْحَيَوَانَاتِ أَمْ لَا، كَفَرَسٍ لَهُ جَنَاحَانِ .
وَقَدْ اشْتَرَطَ الْحَنَابِلَةُ لِلْجَوَازِ أَنْ تَكُونَ مَقْطُوعَةَ الرُّؤُوسِ، أَوْ نَاقِصَةً عُضْوٍ لَا تَبْقَى الْحَيَاةُ بِدُونِهِ. وَسَائِرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى عَدَمِ اشْتِرَاطِ ذَلِكَ^{٧١٩}.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْ غَزْوَةِ ثُبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبْتُ رِيحٌ فَكَشَفْتُ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعِبَ فَقَالَ « مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ». قَالَتْ بَنَاتِي. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ فَقَالَ « مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ ». قَالَتْ فَرَسٌ. قَالَ « وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ ». قَالَتْ جَنَاحَانِ. قَالَ « فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ ». قَالَتْ أَمَّا سَمِعْتُ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنَحَةٌ قَالَتْ فَضَحَكْتُ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ^{٧٢٠}.

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: فَكُنَّ يَأْتِينِي صَوَاحِبِي، فَكُنَّ إِذَا رَأَيْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْقَمِعْنَ مِنْهُ، فَكَانَ ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ يَلْعَبْنَ مَعِيَ^{٧٢١}.

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنَةُ سَبْعِ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، وَجَاءَ إِلَيَّ نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَخَذَنِي وَأَنَا أَلْعَبُ عَلَى الْأَرْجُوحةِ، قَالَتْ: وَكَانَتْ الْحُمَى أَصَابَتْنِي، فَسَقَطَ شَعْرِي وَكَانَتْ لِي وَفْرَةٌ، فَطَيَّبَنِي وَغَسَلَنِي، وَأَهْدَيْتْ إِلَيْهِ، وَلِي وَفْرَةٌ، وَكُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ، وَمَعِيَ الْجَوَادُ، فِإِذَا دَخَلَ خَرَجَنَ، وَإِذَا خَرَجَ سَرَبَهُنَّ إِلَيَّ^{٧٢٢}.

^{٧١٩} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٢ / ١١٢) وفتح الباري ١٠ / ٣٩٥، ٥٢٧، وحاشية الدسوقي ٢ / ٣٣٨، وأسنن المطالب وحاشية الرملي ٣ / ٢٢٦، ونهاية المحتاج ٦ / ٢٩٧، وكشاف القناع ١ / ٢٨٠.

^{٧٢٠} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٣٤) صحيح

السهوة: تشبه الرف أو الخزانة الصغيرة يوضع فيها الشيء

^{٧٢١} - صحيح البخاري - المكثر - (٦١٣٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٤٤٠) وصحيح ابن حبان - ط الرسالة - (١٣ / ١٧٣) (٥٨٦٣)

ينقمعن، الانقماص: الاستتار والتغيب، وقوله: يسربهن أي: يردهن ويدفعهن إلي، ومن السرب، وهو جماعة النساء.

^{٧٢٢} - مسند أبي عوانة - (٣ / ٤٩) (٣٤٥٨) صحيح

واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن^{٧٢٣}.

وقد نهي عن اتخاذ الحيوان غرضاً، فعَنِ الْمَنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا فِتْيَةٌ قَدْ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، لَهُمْ كُلُّ خَاطِئَةٍ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ قَالَ: فَتَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ يُمَثِّلُ بِالْحَيَوَانِ^{٧٢٤}.

ولا بد من دخول الأطفال إلى البيت وإنهاء اللعب، قبل المغرب، بسبب انتشار الشياطين، فعَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: احْبِسُوا صَبْيَانَكُمْ حَتَّى تَذْهَبَ فَوْعَةُ الْعِشَاءِ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تَخْتَرِقُ فِيهَا الشَّيَاطِينُ^{٧٢٥}.

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِذَا اسْتَجَنَحَ { اللَّيْلُ } - أَوْ كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَحَلُّوهُمْ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَأَطْفِئْ مَصْبَاحَكَ، وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ، وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ، وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعَرَّضُ عَلَيْهِ شَيْئًا »^{٧٢٦}.

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحَلُّوهُمْ، فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا

^{٧٢٣} - فتح الباري لابن حجر - (١٠ / ٥٢٧)

^{٧٢٤} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٨٥٠) (٣١٣٣) صحيح

^{٧٢٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ١٨٢) (١٤٨٩٨) ١٤٩٥٩ - صحيح

"فوعة العشاء": أول الظلمة، ومعناه: امنعوا صبيانكم من الخروج من البيت أول ظلمة الليل لأن مردة الشياطين تنتشر فيها .

^{٧٢٦} - صحيح البخاري - المكثر - (٣٢٨٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٣٦٨)

أوك: شد رأس السقاء بالوكاء وهو الخيط لئلا يسقط فيه شيء

قَرَّبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَحَمِّرُوا بَنِيكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنَّ تَعَرَّضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا
وَأَطْفَتْوْا، مَصَابِيحَكُمْ» ٧٢٧ .



٧٢٧ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٦٢٣)

أو كوا: شندوا رأس السقاء بالوكاء وهو الخيط لئلا يسقط فيه شيء - جنح الليل: إقبال ظلامه، وكذلك جنوحه، وجنح واستجنح: إذا أقبل، وقيل: إذا اشتدت ظلمته. - فحمة العشاء: اسوداد ظلامه.

خاتمة- فوائد الرياضة للأطفال:

على الرغم من أن اللعب هو بالنسبة للراشد ملء وقت الفراغ، إذ أنه بالنسبة للطفل عبارة عن عمل هام جداً، ومن خلال انغماسه في اللعب يطور الطفل كلاً من عقله وجسده، ويحقق التكامل ما بين وظائفه الاجتماعية والانفعالية والعقلية، التي تتضمن التفكير والمحاكمات العقلية، وحلّ المشكلات، وسرعة التخيّل، كما تلعب البيئة الطبيعية، وتوجيه الآباء أدواراً حاسمة في تطوير الطفل من خلال اللعب.

إن فترة ما قبل المدرسة فترة مهمة جداً للنمو العقلي للطفل من خلال اللعب، حيث يحمل الطفل إلى أقصى طاقات النضوج باللعب .

ومن خلال اللعب أيضاً يُكرّر الطفل خبراته السابقة حتى يستطيع أن يستوعبها، وتصبح جزءاً من شخصيته، كما أن اللعب يهيئُ الطفل للتكيف في المستقبل من خلال الاستجابات الجديدة التي يقوم بها أثناء لعبه، ولذا لا ينظر إلى اللعب الآن على أساس أنه مضيعة للوقت، ولكن على أساس أنه ضروريّ لنمو الطفل، والآباء الذين يحرّمون أطفالهم من اللعب في البيت، أو مع أولاد الجيران، إنما يحرّمون الطفل من حاجاته الأساسية للنمو!!

أنواع اللعب:

- اللعب التعاوني: يتم اللعب كجماعة ويكون لهم قائد يوجههم وعادة يكون في بداية المرحلة الابتدائية
- اللعب التناظري: يلعب الطفل وحده فيتحدث للعبة وكأنها شخص حقيقي وهو تعويضي للأطفال الذين لا يلعبون مع المجموعات.
- اللعب بالمشاركة: يتشارك مجموعة من الأطفال في لعبة معينة لكن دون قائد .. كالسير في طابور أو ترتيب الألعاب..
- اللعب الإيهامي: يظهر في الشهر الثامن عشر من عمر الرضيع ويصل للذروة في العام السادس بحيث يلعب "بيت بيوت" أو "عروس وعريس" "شرطة و حرامي" وللعب الإيهامي فوائد كثيرة منها: ينمي الطفل معرفياً واجتماعياً وانفعالياً

- يستفيد منه علماء النفس في الإطلاع على الحياة النفسية للطفل - يكشف عن إبداعات لدى الطفل .. فمثلاً عندما يلبس على رأسه الطنجرة ويعتبرها خوذة .. فهذا دليل على الإبداع ..

- اللعب الاستطلاعي: ينمي الطفل معرفياً .. فعندما يحصل على لعبة جديدة كالسيارة مثلاً يكسرها ليعرف ما تحتويه في الداخل .. فاللعبة المعقدة تثير اهتمامه أكثر من اللعبة البسيطة . فاللعب له فوائد كثير فدعي طفلك يعيش طفولته ويتمتع بها .. لأنه سيأتي يوم ويكبر ... لينشغل في الحياة.

وللعب عدد من الفوائد والقيم :

من الناحية الجسمية :

اللعب نشاط حركي ضروري في حياة الطفل لأنه ينمي العضلات ويقوي الجسم ويصرف الطاقة الزائدة عند الطفل، ويرى بعض العلماء أن هبوط مستوى اللياقة البدنية وهزال الجسم وتشوهات هي بعض نتائج تقييد الحركة عند الطفل؛ لأن البيوت الحالية المؤلفة من عدة طوابق قد حدت من نشاط الطفل وحركته فهو يحتاج إلى الركض والقفز والتسلق وهذا غير متوافر في الطوابق الضيقة المساحة فمن خلال اللعب يحقق الطفل التكامل بين وظائف الجسم الحركية والانفعالية والعقلية التي تتضمن التفكير والمحاكمات ويتدرب على تذوق الأشياء ويتعرف على لونها وحجمها وكيفية استخدامها .

من الناحية العقلية :

اللعب يساعد الطفل على أن يدرك عالمه الخارجي، وكلما تقدم الطفل في العمر استطاع أن ينمي كثيراً من المهارات في أثناء ممارسته للألعاب وأنشطة معينة، ويلاحظ أن الألعاب التي يقوم فيها الطفل بالاستكشاف والتجميع وغيرها من أشكال اللعب الذي يميز مرحلة الطفولة المتأخرة تثري حياته العقلية بمعارف كثيرة عن العالم الذي يحيط به. وخلاصة الأمر يجب تنظيم نشاط اللعب على أساس مبادئ التعلم القائم على حل المشكلات وتنمية روح الابتكار والإبداع عند الأطفال .

من الناحية الاجتماعية :

إن اللعب يساعد على نمو الطفل من الناحية الاجتماعية، ففي الألعاب الجماعية يتعلم الطفل النظام ويؤمن بروح الجماعة واحترامها ويدرك قيمة العمل الجماعي والمصلحة العامة .

وتتركز أيضاً في بناء علاقات اجتماعية مع الآخرين وتكوين صداقات ناجحة بالتعامل الذكي والمثمر مع الآخرين ويكرس القيم الاجتماعية والايجابية كالتعاون والإخاء والتفاني. وإذا لم يمارس الطفل اللعب مع الأطفال الآخرين فإنه يصبح أنانياً ويميل إلى العدوان ويكره الآخرين، لكنه بوساطة اللعب يستطيع أن يقيم علاقات جيدة ومتوازنة معهم وأن يحل ما يعترضه من مشكلات (ضمن الإطار الجماعي) وأن يتحرر من نزعة التمرکز حول الذات .

من الناحية النفسية:

اللعب يجعل الطفل هادئاً نتيجة لامتناع الطاقة الجسدية أثناء اللعب فينام بهدوء ويبعد عنه التوتر والخلج والاندطواء ويدخل في نفسه المرح والفرح ويتخلص من القيود والكبت والتوتر.

ولنجاح فترات اللعب والحصول على الفوائد العديدة لك هذه النصائح :

١ - اسمح للطفل باللعب مع زملائه وأقاربه في المدرسة أو النادي على أن يكون تحت ملاحظتك.

٢ - يسمح له بالألعاب البسيطة التي لا تؤذيهِ والتي تناسب قدراته ويجد متعة بها، إلى جانب ممارسة نوع من الرياضة التي تعمل على تقوية الذاكرة والعضلات.

٣ - لا بد من قضاء اللعب في أماكن آمنة وبإشراف الأهل ويسمح لهم باللعب بحرية وهدوء ليعتادوا على أجواء هادئة.

٤ - السماح للأطفال باللعب في أوقات مخصصة.

إن اللعب حياة الأطفال وأمانهم ومتعتهم الجميلة، ولا بد من اللعب والمرح والانطلاق في عالم مليء بالفوائد ليعيش الطفل حياة سعيدة وهانئة، فلا بد من ترك الطفل يلعب ويمرح

ولا داعي لحرمائه من ممارسة حقه في اللعب المفيد حتى لا يبدأ حياته مكبوتاً أو محروماً معقداً يعاني من اضطراب نفسي.

فوائد اللعب كعلاج لنفسية الطفل:

بما أن اللعب يعتبر كوظيفة للطفل فلا بد أن تكون له أهمية كبيرة في حياة الطفل حيث أنه وسيلة لفهم ودراسة الطفل وسلوكه ودراسة مشكلاته وعلاجها. حتى أن الرسول ﷺ كان يسمح بلعب الأطفال. وينمي اللعب جوانب عديدة من حياة الطفل من الناحية النفسية والاجتماعية والانفعالية.

وقد استخدمت طريقة العلاج باللعب أو اللعب العلاجي طريقة فعالة للعلاج النفسي بالنسبة للأطفال الذين يعانون من بعض المخاوف والتوترات النفسية، فقد يتعرض الطفل في حياته إلى مخاوف كثيرة ويندفع إلى مواقف باعثة على التوتر والصراع؛ بسبب الأساليب المختلفة في التنشئة من قبل الوالدين والمربين، فقد يفرط الآباء في القسوة والتدليل والتذبذب في تعاملهم مع الأبناء وغيرها من العوامل التي تؤدي إلى الشعور بالتوتر والإحباط.

ومن الطرق الفعالة في العلاج النفسي في هذا المجال ما يعرف باللعب العلاجي، فاللعب يساعد الطفل في التعبير عن انفعالاته كما يستخدم اللعب الخيالي كمخرج للقلق والتوتر والكثير من الحاجات والرغبات التي لا يتحقق لها الإشباع في الحياة اليومية للطفل يمكن أن تلقى إشباعاً في اللعب، وبالتالي تقل الإحباطات التي يحذرها الطفل في المواقف المختلفة. إن الطفل أثناء قيامه بنشاط اللعب وتوحيده مع أدواره يقوم (بتفريغ) رغباته المكبوتة ونزعاته العدوانية، ومخاوفه واتجاهاته السلبية وإخراجها من داخله إلى اللعبة. ومن فوائد اللعب العلاجية ما يلي:

- ١- التواصل.
- ٢- إعادة المعيشة.
- ٣- التنفيس.
- ٤- نبذ المخاوف.

- ٥ - التعلم.
- ٦ - التفاعل الاجتماعي.
- ٧ - حل المشكلات.
- ٨ . تنمية الثقة بالنفس والنجاح.
- أهمية العلاج باللعب:
- مساعدة الطفل.
- إعلاء مشاعر الذنب.
- تمثيل فرصة جديّة للتعبير بحرية.
- استخدام اللعب في علاج المخاوف المرضية.
- السماح للطفل بالتعبير عن وعيه الشعور والاشعور.
- إمكانية وصول الطفل بالمهارات إلى مستوى النضج.
- العلاج باللعب يشمل:
- ١ . ألعاب العرائس والدمى المتحركة.
- ٢ . ألعاب الرمل.
- ٣ . الشعر.
- ٤ . الكتابة.
- ٥ . فن الحاسب الآلي.
- ٦ . الفن المسرحي.
- ٧ . الرسم أو الكتابة
- من الناحية الذاتية :
- تقوم بجعل الطفل يتعرف على قدراته وذاته ومواهبه ومهاراته من خلال التعامل مع زملائه وأقرانه ويجعل الطفل يحدد ذاته وهويته ويتعلم كيف يواجه الآخرين.
- من الناحية الخلقية:

يسهم اللعب في تكوين النظام الأخلاقي المعنوي لشخصية الطفل، فمن خلال اللعب يتعلم الطفل من الكبار معايير السلوك الخلقية كالعدل والصدق والأمانة وضبط النفس والصبر، كما أن القدرة على الإحساس بشعور الآخرين تنمو وتتطور من خلال العلاقات الاجتماعية التي يتعرض لها الطفل في السنوات الأولى من حياته .

وإذا كان الطفل يتعلم في اللعب أن يميز بين الواقع والخيال، فإن الطفل من خلال اللعب وفي سنوات الطفولة الأولى يظهر الإحساس بذاته كفرد مميز فيبدأ في تكوين صورة عن هذه الذات وإدراكها على نحو متميز عن ذوات الآخرين رغم اشتراكه معهم بعدة صفات.

من الناحية الإبداعية :

فهو يعلم الطفل من خلال الأدوات المتنوعة التي تؤدي لمعرفة الطفل الأشكال المختلفة والألوان والأحجام والملابس والحصول على المعلومات العامة، كما أن اللعب يفتح في الطفل طاقات الابتكار والإبداع وتجريب الأفكار والاختراعات.

من الناحية التربوية :

- ١- نمو مهارة جمع المواد بحرص ودأب (عند الطفل) لكي يجعل منها شيئاً تعبيرياً يثير اهتمامه وشغفه .
- ٢- الرسم الحر بالأقلام والتعبير الحر عما يراود (الطفل) من أفكار في رسومه .
- ٣- نمو مهارة الإجابة عن الأسئلة الموجهة إلى الأطفال وتكوين الجمل المفيدة والتعبير الحر المباشر عن أفكارهم .
- ٤- نمو مهارة عقد علاقات قائمة على الصداقة والود مع الأطفال والكبار ممن لا يعرفونهم.
- ٥- سلوك اجتماعي ناضج في علاقاتهم مع الأطفال الآخرين .
- ٦- التمكن من مهارات الكتابة بسرعة ونظافة وإتقان .

فوائد اللعب الجماعي:

يقلل من مخاطر سرطان الدم دراسة واشنطن خلصت إلى أن اختلاط الأطفال بباقي أقرانهم يقلل من مخاطر تعرضهم للإصابة بأكثر أنواع داء السرطان، وأوضحت دراسة أخرى أن اختلاط الأطفال في دور الحضانة مثلاً يعرضهم إلى الإصابة بأنواع من الالتهابات تقوي جهاز المناعة ضد مرض سرطان الدم، وأن المناعة مفيدة؛ لأنها تمنحه قدرة على الدفاع المناسب عندما يتعرض جسمهم بخطر الإصابة بسرطان الدم.

فوائد اللعب بالتراب:

إنك حينما ترى ابنك يلعب في التراب فإنك لابد ستنتهز عن ذلك وتأمره بعدم العودة إلى اللعب في التراب مره أخرى، وأنت إنما تصنع ذلك بدافع من الحرص على صحة طفلك، والحفاظ على نظافته الشخصية، ظناً منك أن اللعب في التراب يضر الطفل أكثر مما ينفعه، وهذا بالضبط ما كان يتصوره الصحابة رضوان الله عليهم،

إلى أن جاء النبي ﷺ فصصح أفكارهم وعلمهم أن لعب الأطفال في التراب له من الفوائد ما يجهلونه، فعن سهل بن سعد، قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ على صبيانٍ وهم يلعبون بالترابِ، فنهاهم بعضُ أصحابِ النبي ﷺ، فقال: "دعهم، فإنَّ الترابَ ربيعُ الصَّبيانِ" ٧٢٨.

أن لعب طفلك في التراب بحرية مقننة ينمي عقله، ويصقل فكره، ويعطيه الثقة في نفسه ٧٢٩.



٧٢٨ - المعجم الكبير للطبراني - (٥ / ٤١٦) (٥٦٤٣) والمقاصد الحسنة للسخاوي - (١ / ٢٢٩) (٣٢٦) ومُسْنَدُ

الشَّهَابِ الْقُضَاعِيِّ (٢٦٣) عن ابن عمر وسنده واه لا يصح.

٧٢٩ - هذا البحث موجود على كثير من مواقع النت

الفصل السابع

البناء العلمي والفكري

تمهيد :

أسس البناء العلمي والفكري :

- الأساس الأول - حق الطفل في التعلم، وغرس حب العلم وآدابه في الطفل .
- الأساس الثاني - حفظ الطفل لقسم من القرآن والسنة، وإخلاص النية بحفظهما .
- الأساس الثالث - اختيار المدرّس الصالح، والمدرسة الصالحة للطفل .
- الأساس الرابع - إتقان الطفل للغة العربية .
- الأساس الخامس - إتقان الطفل اللغة الأجنبية .
- الأساس السادس - توجيه الطفل وفق ميوله العلمية .
- الأساس السابع - المكتبة المنزلية الصالحة، وأثرها في بناء الطفل.
- الأساس الثامن - رواية طفولة علماء السلف الصالح أمام الأطفال.

تمهيد :

لا يوجد في التاريخ دينٌ مثلُ دين الإسلام، حرص على تعليم أبنائه، ولا توجد فكرة في العالم تحرص على تعليم تلامذتها مثل فكرة الإسلام، وهذا معترف به من قبل أعداء الإسلام قبل غيرهم، فهذا الدكتور "أرثر رآبري" أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة كمبردج يقول في تقديمه لكتاب «تاريخ التربية الإسلامية» تأليف د. أحمد شلبي ما نصه «للإسلام على الجنس البشري مآثر تدعو للإعجاب، وتستدعي الشكران، ولدينا مؤلفات عدة تصف ما أسهم به المسلمون من ترقية الفنون والآداب والعلوم والسياسة.

ومن الواضح أن المسلمين ما كانوا يصلون إلى تحقيق هذه الأهداف العلمية الرفيعة لولا حرصهم البالغ على التعلم والتعليم، ذلك الحرص الذي تميز به الشعب الإسلامي خلال تاريخه الطويل، فهبَّ رجاله ونساؤه مستجيبين لدعوة الرسول ﷺ^{٧٣٠}، فعن أنس بن مالك، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ، فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"^{٧٣١}.

وفي عملية البناء العلمي والفكري لا بد من وضوح الأركان والأسس التي يسير عليها الوالدان، لكي يضعوا لطفلهما البناء السليم، والعلم الغزير، والأفكار الصحيحة؛ لأن هذا البناء يعدُّ من أهم ما يكونُ الطفل، لأنه بناء العقل، فإذا كان سليماً كان الخير والبشر للوالدين، وإذا كان غير ذلك فقد أنجبا عدوا لهما يحاربهما من داخلهما، ويؤدي بهما إلى هاوية جهنم والعياذ بالله تعالى.

ونلاحظ من هذه الأسس في البناء العلمي التي سنأتي على ذكرها بعون الله تعالى، أنها تعالج الطفل من داخله ليتجه نحو: العلم، والتعلم، وحب العلماء، كما تبين أهمية دور الوالدين في اختيار الأستاذ الصالح، الذي هو مرآة لقب وعقل الطفل، فما يستحسنه

^{٧٣٠} - <http://www.omandaily.com/> .o dini/eshraqat.htm

^{٧٣١} - شعب الإيمان - (٣ / ١٩٤) (١٥٤٣) وقال " هَذَا حَدِيثٌ مَتْنُهُ مَشْهُورٌ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ " وَقَدْ رُوِيَ مِنْ أَوْجُهُ، كُلُّهَا ضَعِيفٌ

الأستاذ يستحسنه الطفل، لذلك لا بد من معرفة هذه الأسس التي يحتاج إليها الوالدان،
فما هي ؟

أسس البناء العلمي والفكري :

الأساس الأول - حق الطفل في التعلم، وغرس حب العلم وآدابه في الطفل .

وضع النبي ﷺ قاعدة جلييلة أصيلة بكسب مرحلة الطفولة في التعلم، وطلب العلم، تناقلتها
الأجيال كلها جيلاً بعد جيلٍ، فعدت تستنهض همم الآباء لحث أبنائهم على طلب العلم
وحبه، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم، فعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال:
"طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ" ٧٣٢ .

سواء كان صغيراً أم كبيراً، رجلاً كان أو امرأة، صبيّاً أم بنتاً، وهو أفضل العبادات التي
يتقرب فيها العبد من ربه، لهذا كانت فترة الطفولة أخصب فترة في البناء العلمي،
والفكري للطفل.

عن ابن عباس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "حَفِظُ الْعُلَامِ الصَّغِيرِ كَالْتَّقَشِ فِي الْحَجَرِ،
وَحَفِظُ الرَّجُلِ بَعْدَ مَا يَكْبُرُ كَالْكِتَابِ عَلَى الْمَاءِ" ٧٣٣ .

وعن ابن عباس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "حَفِظُ الْعُلَامِ كَالْوَشْمِ فِي الْحَجَرِ" ٧٣٤ .
وعن يزيد بن معمر، قال: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: "الْحَفِظُ فِي الصَّغَرِ كَالْتَّقَشِ فِي الْحَجَرِ"
٧٣٥ .

وعن الحسن البصري، قال: "التَّعَلُّمُ فِي الصَّغَرِ كَالْتَّقَشِ فِي الْحَجَرِ" ٧٣٦ .

وعن القاسم بن نافع، قال: "الْعِلْمُ فِي الصَّغَرِ كَالْتَّقَشِ فِي الْحَجَرِ" ٧٣٧ .
قال بعض الشعراء :

٧٣٢ - شعب الإيمان - (٣ / ١٩٥) (١٥٤٥) وصحيح الجامع (٣٩١٣) من طرق كثيرة وهو صحيح لغيره

٧٣٣ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٦٨٠) من طرق ضعيف

٧٣٤ - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٨١٥) ضعيف

٧٣٥ - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٨١٦) صحيح لغيره

٧٣٦ - نفسه (٨١٧) صحيح لغيره

٧٣٧ - نفسه (٨١٨) صحيح لغيره

مَا الْحِلْمُ إِلَّا بِالتَّحَلُّمِ فِي الْكِبَرِ وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا بِالتَّعَلُّمِ فِي الصَّغَرِ
وَلَوْ ثَقَبَ الْقَلْبُ الْمُعَلِّمُ فِي الصَّبَا لَأَلْفَيْتَ فِيهِ الْعِلْمَ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قَالَ عَلْقَمَةُ: "مَا حَفِظْتُ وَأَنَا شَابٌّ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي قِرْطَاسٍ أَوْ
وَرَقَةٍ" ٧٣٨.

وَعَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: "جَالَسْتُ قَتَادَةَ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ شَيْئًا، وَأَنَا
فِي، ذَلِكَ السَّنِ إِلَّا وَكَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي صَدْرِي" ٧٣٩.
وقال الشاعر:

أراني نسيت ما تعلمت في الكبر ولست بناء ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كل عزم المرء والسمع والبصر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا لأبصر فيه العلم كالنقش في الحجر
وقد جاءت احاديث عديدة أيضاً تحت على التعلم في الصغر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي شَبَابِهِ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَمَنْ تَعَلَّمَهُ فِي كِبَرِهِ فَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ وَلَا يَتْرُكُهُ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ" ٧٤٠.
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَفَعَهُ قَالَ: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَحْتَلِمَ فَقَدْ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا" ٧٤١.
ولقد وعى الصحابة والتابعون وأصحاب الحديث أن تعلم الصغار له كبير الأثر في نشوء
الطفل العلمي، ويجعله أقوى ثباتاً وأرسخ في الذاكرة مما يتعلمه الإنسان وهو كبير .
فعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: "قَدِّمُوا إِلَيْنَا أَحْدَاثَكُمْ، فَإِنَّهُمْ أَفْرَغُ قُلُوبًا
وَأَحْفَظُ لِمَا سَمِعُوا، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُتِمَّ ذَلِكَ لَهُ أَتَمَّهُ" ٧٤٢.

٧٣٨ - نفسه (٨١٩) صحيح

٧٣٩ - نفسه (٨٢٠) صحيح

٧٤٠ - شعب الإيمان - (٣ / ٣٤٤) (١٨٠٠) من طرق حسن لغيره

٧٤١ - شعب الإيمان - (٣ / ٣٤٣) (١٧٩٨) مرفوعاً وموقوفاً والموقوف أصح

٧٤٢ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوي وَالرَّامِهُرْمَزِيِّ (٦٢) والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب

البغدادى - (٢٦٨٣) حسن

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ: "كَانَ ابْنُ أَبِي حُسَيْنٍ الْمَكِّيُّ يُدْنِينِي، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ: تَرَاكَ تُقَدِّمُ هَذَا الْعُلَامَ الشَّامِيَّ وَتُؤَنِّرُهُ عَلَيْنَا، فَقَالَ: "إِنِّي أَوْمَلُهُ، فَسَأَلُوهُ يَوْمًا عَنْ حَدِيثٍ حَدَّثَ بِهِ عَنْ شَهْرٍ، إِذَا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا فَقَدْ كَمُلَ، فَذَكَرَ ثَلَاثًا وَنِسِي الرَّابِعَةَ، فَسَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِي: كَيْفَ حَدَّثْتُكُمْ؟ فَقُلْتُ: حَدَّثْتَنَا عَنْ شَهْرٍ أَنَّهُ إِذَا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا فَقَدْ كَمُلَ: إِذَا كَانَ أَوَّلُهُ حَلَالًا، وَسُمِّيَ عَلَيْهِ اللَّهُ حِينَ يُوضَعُ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي، وَحَمِدَ اللَّهُ حِينَ يُرْفَعُ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: "كَيْفَ تَرَوْنَ" ٧٤٣.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ رَحْمَةَ الْأَصْبَحِيِّ: "كُنْتُ أَسْبِقُ إِلَى مَجْلِسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بَلِيلَ مَعِيَ أَفْرَانِي، لَا يَسْبِقُنِي أَحَدٌ وَيَجِيءُ هُوَ مَعَ الْأَشْيَاخِ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ غَلَبْنَا عَلَيْكَ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ، فَقَالَ: "هَؤُلَاءِ أَرْجَى عِنْدِي مِنْكُمْ؛ أَنْتُمْ كَمْ تَعِيشُونَ، وَهَؤُلَاءِ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ بِهِمْ، قَالَ سَعِيدٌ: فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ غَيْرِي" ٧٤٤.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ: أَتَيْنَا يَوْمًا حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ صَبِيَّانِ يُحَدِّثُهُمْ، فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ حَتَّى فَرَغَ فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَلَمَةَ، نَحْنُ مَشَايِخُ أَهْلِكَ قَدْ جُنَّاكَ، تَرَكْنَا وَأَقْبَلْتَ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ، قَالَ: "رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي عَلَى شَطِّ نَهْرٍ وَمَعِيَ ذَلِيَّةٌ أَسْقِي فَسِيلًا، فَتَأَوَّلْتُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ" ٧٤٥.

وَقَالَ فَهْدُ بْنُ عَوْفٍ: "جِئْنَا إِلَى حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ فِي يَوْمٍ حَارٍّ شَدِيدِ الْحَرِّ، وَصَلَيْنَا مَعَهُ الظُّهْرَ، وَكَانَ حَمَّادٌ صَاحِبَ لَيْلٍ، وَظَنْنَا أَنَّهُ صَائِمٌ قَالَ: فَرَحِمَنَاهُ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجَهْدِ، وَأَجْمَعْنَا عَلَى أَنْ نَنْصَرِفَ عَنْهُ لَا نَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَتَفَرَّقْنَا وَبَقِيَ مَنْ بَقِيَ، قَالَ: "فَرَكِعْ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ وَخَرَجْ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَسَارَ فِي الطَّرِيقِ فِي الشَّمْسِ، فَأَتْبَرَى لَهُ غُلَامٌ حَدَّثَ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مَعَهُ فَوَقَفَ فِي الشَّمْسِ مَعَهُ يُسْأَلُهُ وَيُحَدِّثُهُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَشِيخَةِ الْمَسْجِدِ: يَا أَبَا سَلَمَةَ، انْصَرَفَ أَصْحَابُنَا عَنْكَ لِمَا رَأَوْا بِكَ مِنَ الضَّعْفِ، وَوَقَفْتَ مَعَ هَذَا

حَدَاثَةُ السَّنَنِ: كَنَايَةُ عَنِ الشَّبَابِ وَأَوَّلِ الْعُمَرِ

٧٤٣ - الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّأْيِ وَأَذَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٦٨٤)

٧٤٤ - الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّأْيِ وَأَذَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٦٨٥)

٧٤٥ - نَفْسُهُ (٦٨٦)

الْعُلَامِ فِي الشَّمْسِ تُحَدِّثُهُ، قَالَ: "رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ كَأَنِّي أُسْقَى فَسِيلَةً أَصْبُ الْمَاءَ فِي أَصْلِهَا، فَتَأَوَّلْتُ رُؤْيَايَ هَذَا الْعُلَامَ حِينَ سَأَلَنِي" ٧٤٦.

وَقَالَ ابْنُ خَلَدٍ: أَتَشَدَّنَا أَصْحَابُنَا الْبُعْدَادِيُّونَ: "

إِنَّ الْحَدَاثَةَ لَا تُقْصَرُ بِالْفَتَى الْمَرْزُوقِ ذَهْنًا

لَكِنْ تُذَكِّي قَلْبَهُ فَيَفُوقُ أَكْبَرَ مِنْهُ سَنًا" ٧٤٧

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: "إِذَا كَتَبَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً سُمِّيَ تِيرًا، وَإِذَا كَتَبَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً سُمِّيَ تِيرِمَاهُ "

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: تِير وَتِيرِمَاهُ بِالْفَارِسِيَّةِ مِنْ أَشَدِّ شُهُورِ الْقَيْظِ حَرًّا، وَأَثْقَلَهَا عَلَى الْقُلُوبِ كَرَبًا، وَأَرَادَ سُفْيَانُ بِذَلِكَ أَنَّ طَلَبَ الْحَدِيثِ فِي الْحَدَاثَةِ أَسْهَلُ مِنْ أَنْ يَتْرُكَهُ الْإِنْسَانُ حَتَّى يَتَكَمَّلَ شَبَابُهُ، وَيَدْخُلَ فِي الْكُهُولَةِ، ثُمَّ يَبْتَدِئُ بِطَلَبِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ، فَيَكُونُ بِمِثَابَةِ تِيرِمَاهُ فِي الثَّقَلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" ٧٤٨.

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ، أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي صَبِيَانَ الْكُتَّابِ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُ كَيْ لَا يَنْسِيَ ٧٤٩.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْفَظَ الْحَدِيثَ فَلْيَحْدِثْ بِهِ حِينَ يَسْمَعُهُ، وَلَوْ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ بَعْضُ مَنْ لَا يَسْمَعُهُ فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ كَالْكِتَابِ فِي صَدْرِهِ" ٧٥٠.

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ يَمَانَ إِذَا جَاءَهُ غُلَامٌ أَمَرَدَ اسْتَقْرَأَهُ، رَأْسَ سَبْعِينَ مِنْ "السَّاعِرَاتِ"، وَرَأْسَ سَبْعِينَ مِنْ "يُوسُفَ"، وَأَوَّلَ الْحَدِيثِ، فَإِنْ قَرَأَهُ حَدَّثَهُ، وَإِلَّا لَمْ يُحَدِّثْهُ "فَإِذَا رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى حِفْظَ كِتَابِهِ، فَلْيَحْذَرْ أَنْ يَشْتَغَلَ عَنْهُ بِالْحَدِيثِ، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ اشْتَغَالًا يُؤَدِّي إِلَى نَسْيَانِهِ" ٧٥١.

٧٤٦ - نفسه (٦٨٧)

٧٤٧ - نفسه (٦٨٨)

٧٤٨ - نفسه (٦٨٩)

٧٤٩ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٥٤٥) (٢٦٦٦٠) صحيح

٧٥٠ - المَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٣٣٥) صحيح

٧٥١ - الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوي وَآدَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٨٢)

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِبَنِيهِ وَبَنِي أَخِيهِ "تَعَلَّمُوا تَعَلَّمُوا فَإِنَّكُمْ صِغَارُ قَوْمِ الْيَوْمِ، وَتَكُونُونَ كِبَارَهُمْ غَدًا فَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ مِنْكُمْ فَلْيَكْتُبْ" ٧٥٢ .

وعن هشام بن عروة، قال: كَانَ أَبِي يَقُولُ: "أَيُّ شَيْءٍ تَعَلَّمُوا فَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ صِغَارٌ، وَتُوشِكُونَ أَنْ تَكُونُوا كِبَارًا، وَإِنَّمَا تَعَلَّمْنَا صِغَارًا وَأَصْبَحْنَا كِبَارًا، وَصِرْنَا الْيَوْمَ نُسَاءَلُ" ٧٥٣ .
وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ الْهَمْدَانِيُّ: كُنْتُ عِنْدَ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَنَحْنُ غِلْمَانُ فَقَالَ: "يَا غِلْمَانُ، تَعَالَوْا اكْتُبُوا، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَا يُحْسِنُ كِتَابَنَا لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ قِرْطَاسٌ أَعْطَيْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا" ٧٥٤ .

"وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني المتوفي سنة ٣٩٨هـ إلى ابن أخته "أنت ولدي ما دمت والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والمحبرة حليفك والدفتر أليفك، فإن قصرت ولا أحالك، فغيري خالك، والسلام" ٧٥٥ .

وَعَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ قَالَ: "قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: "يَا بُنَيَّ، مَا بَلَغْتَ مِنْ حِكْمَتِكَ؟ قَالَ: لَأَنْتَكَلِفُ مَا لَا يَنْبَغِي قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ آخَرُ، جَالَسِ الْعُلَمَاءَ وَزَارِحِمُهُمْ بِرُكْبَتِكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِالْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ" ٧٥٦ .
وَقَالَ الْعَبَّاسُ لِابْنِهِ عَبْدَ اللَّهِ: "يَا بُنَيَّ، لَا تَعْلَمْ الْعِلْمَ لثَلَاثِ خِصَالٍ: لَا تُرَائِي بِهِ وَلَا تُمَارِ بِهِ وَلَا تُبَاهِ بِهِ، وَلَا تَدْعُهُ لثَلَاثِ خِصَالٍ: رَغْبَةً فِي الْجَهْلِ وَزَهَادَةً فِي الْعِلْمِ وَاسْتِحْيَاءً مِنَ التَّعَلُّمِ"
وَقَدْ رَوَى هَذَا الْمَعْنَى، أَوْ نَحْوَهُ، عَنْ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ أَنَّهُ خَاطَبَ بِهِ ابْنَهُ، أُثْنِدَتْ لِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :

كُنْ مُوسِرًا إِنْ شِئْتَ أَوْ مُعْسِرًا لَا بُدَّ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْهَمِّ

٧٥٢ - الْكُفَايَةُ فِي عِلْمِ الرِّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٧٠٣) فِيهِ جِهَالَةٌ

٧٥٣ - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ (٢٥٠٤) صَحِيحٌ

٧٥٤ - الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاويِ وَالْوَاعِي لِلرَّامِهُرْمُزِيِّ (٢٨٨)

٧٥٥ - جَوَاهِرُ الْأَدَبِ - (١ / ١١٥)

٧٥٦ - جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٤٩٠)

وَكَلَّمَا ارْزَدَدَتْ بِهَا ثَرْوَةٌ زَادَ الَّذِي زَادَكَ فِي الْعِلْمِ
 إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ فِي دَهْرِهِمْ لَا يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ لِفَهْمٍ
 إِلَّا مُبَاهَاةً لَأَصْحَابِهِمْ وَعِدَّةً لِلْخَصْمِ وَالظُّلْمِ
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: "تَعْلَمُوا الْعِلْمَ فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَاكْظُمُوا عَلَيْهِ وَلَا تَخْلُطُوهُ
 بِضَحِكٍ وَلَا بِلَعِبٍ فَتَمُجَّهَ الْقُلُوبُ ؛ فَإِنَّ الْعَالِمَ إِذَا ضَحِكَ ضَحَكَ مَجٍّ مِنَ الْعِلْمِ مَجَّةً".
 وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: "تَعْلَمُوا الْعِلْمَ وَتَزَيَّنُوا مَعَهُ بِالْوَقَارِ وَالْحِلْمِ
 وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلِمَنْ تُعَلِّمُونَهُ، وَلَا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ فَيَذْهَبَ بَاطِلُكُمْ
 حَقَّكُمْ".

وَرَوَيْنَا عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عليه السلام، أَنَّهُ يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِ عَلِيٍّ هَذَا سَوَاءً إِلَّا أَنْ فِي آخِرِ لَفْظِهِ:
 "وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ ؛ فَلَا يُقَوِّمَ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ".
 قَالَ أَبُو عُمَرَ: "قَدْ رَوَى هَذَا الْمَعْنَى بِنَحْوِ هَذَا اللَّفْظِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ
 الْخَطَّابِ عليه السلام أَيْضًا" ٧٥٧.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ لُقْمَانَ، قَالَ لِابْنِهِ: "يَا بُنَيَّ لَا تَتَعَلَّمِ الْعِلْمَ إِلَّا لثَلَاثَ، وَلَا تَدْعُهُ
 لثَلَاثَ: لَا تَتَعَلَّمْهُ لثِمَارِي بِهِ وَلَا لِنُبَاهِي بِهِ وَلَا لِثِرَائِي بِهِ، وَلَا تَدْعُهُ زَهَادَةً، وَلَا حِيَاءً مِنَ
 النَّاسِ وَلَا رِضًا بِالْجَهَالَةِ".

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: كَانَ لُقْمَانُ مِنَ التَّوْبَةِ، وَمِنْ مَوَاعِظِهِ لِابْنِهِ أَيْضًا: لَا تُجَادِلِ الْعُلَمَاءَ
 فَتَهُونَ عَلَيْهِمْ وَيَرْفُضُوكَ وَلَا تُجَادِلِ السُّفَهَاءَ فَيَجْهَلُوا عَلَيْكَ وَيَشْتُمُوكَ، وَلَكِنْ اصْبِرْ
 نَفْسَكَ لِمَنْ هُوَ فَوْقَكَ فِي الْعِلْمِ وَلِمَنْ هُوَ دُونَكَ فَإِنَّمَا يَلْحَقُ بِالْعُلَمَاءِ مَنْ صَبَرَ لَهُمْ
 وَلَزِمَهُمْ وَاقْتَبَسَ مِنْ عِلْمِهِمْ فِي رِفْقٍ" ٧٥٨.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِابْنِهِ: "عَلَيْكَ بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ فَخُذْ مِنْهُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ عَدُوٌّ مَا جَهِلَ،
 وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ عَدُوًّا شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ".
 وَأَنْشَدَ:

٧٥٧ - جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٦٥٠)

٧٥٨ - جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٤٩٤)

تَفَنَّنَ وَخَذَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّمَا يَفُوقُ امْرُؤٌ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ بِهِ وَلِعِلْمٍ أَنْتَ تُتَفَنَّنُهُ سَلَمٌ^{٧٥٩}
وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِبَنِيهِ: "يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ كُنْتُمْ سَادَةً فَقُتُّمُ، وَإِنْ كُنْتُمْ
وَسَطًا سُدُّتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ سُوقَةً عَشْتُمْ"^{٧٦٠}.

فمن لم يذق مر التعلم ساعة..... تجرع ذل الجهل طول حياته

ومن فاتته التعليم حال شبابه..... فكبر عليه أربعاً لو فاته^{٧٦١}

وقال شوقي رحمه الله :

فرب صغير قوم علموه سما وحمى المسومة العربا
وكان لقومه نفعا وفخرا ولو تركوه كان أذى وعابا
فعلم ما استطعت، لعل جيلا سيأتي يحدث العجب العجبا
ولا ترهق شباب الحي يأسا فإن اليأس يخترم الشبابا
فإذا ترسّخ حب العلم وطلبه في نفس الطفل وعقله، انطلق هو ذاتيًّا لطلبه، يتحمل
الصعاب والمشقات في سبيله، وسهر الليالي في تحصيله، بدون إلحاح الوالدين .



^{٧٥٩} - أدب الدنيا والدين - (١ / ٣٣)

^{٧٦٠} - أدب الدنيا والدين - (١ / ٢٦)

^{٧٦١} - موسوعة خطب المنبر - (١ / ٣٠٧٣)

الأساس الثاني - حفظ الطفل لقسم من القرآن والسنة، وإخلاص النية بحفظهما .

تقدم معنا في البناء العقدي للطفل أهمية القرآن والسنة في تكوين عقلية الطفل، وهما مصدران إشعاع العلوم، ينيران العقل، ويقويه، فعلى أقل تقدير يحفظ الطفل من القرآن الكريم الجزء الثلاثين - جزء عم - وشيء من تفسيره، ويكون لمعاني الكلمات فقط وتكرارها باستمرار حتى يحفظها الطفل، مع شرح القصص القرآني الذي سيقابلهم في السور، أي يكون التفسير موافقا للحفظ، فيقوم المربي بشرح معاني الكلمات التي يحفظها الطفل أول بأول.

يمكن الاستعانة بتفسير معاني القرآن الكريم من كتاب "كلمات القرآن تفسير وبيان" للمخلوف أو كلمات القرآن للشيخ غازي الدروبي، وكذلك يستعان بأيسر التفاسير لأسعد حومد، والتفسير الميسر إصدار مجمع الملك فهد ونحوها .

وعلى أقل تقدير يحفظ من الأحاديث مائة وعشرين وحديثاً، وسأذكرها بنهاية هذه الفقرة إن شاء الله .

وكان فعل الصحابة والسلف أن أول ما يلقنونه للطفل القرآن والسنة؛ لأنهما الركنان الأساسيان في بناء الطفل المسلم عملياً .

قال ابن سينا في كتاب السياسة باب سياسة الرجل ولده: "إذا تهيأ الصبي للتلقين؛ ووعى سمعه أخذ في تعليم القرآن، وصورت له حروفه المهجاء ولقن معالم الدين ."

وهذه بعض النماذج من حفظ الأطفال للحديث النبوي واعتنائهم به كأساس علمي ينطلقون منه، فعن مُحَمَّد بن أَبِي حَاتِمٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ؟ قَالَ: أُلْهِمْتُ حِفْظَ الْحَدِيثِ وَأَنَا فِي الْكِتَابِ. فَقُلْتُ: كَمْ كَانَ سُنُّكَ؟

فَقَالَ: عَشْرُ سِنِينَ، أَوْ أَقَلَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنَ الْكِتَابِ بَعْدَ الْعَشْرِ، فَجَعَلْتُ أُحْتَلِفُ إِلَى الدَّاحِلِيِّ وَغَيْرِهِ، فَقَالَ يَوْمًا فِيمَا كَانَ يَقْرَأُ لِلنَّاسِ: سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ لَمْ يَرَوْا عَنْ إِبْرَاهِيمَ.

فَأَنْتَهَرَنِي، فَقُلْتُ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى الْأَصْلِ فَدَخَلْ فَنظَرَ فِيهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِي: كَيْفَ هُوَ يَا غُلَامٌ؟

قُلْتُ: هُوَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، فَأَخَذَ الْقَلَمَ مِنِّي، وَأَحْكَمَ كِتَابَهُ، وَقَالَ: صَدَقْتَ. فَقِيلَ لِلْبُخَارِيِّ: ابْنُ كَمْ كُنْتَ حِينَ رَدَدْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمَّا طَعَنْتُ فِي سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً، كُنْتُ قَدْ حَفِظْتُ كِتَابَ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَوَكَيْعٍ، وَعَرَفْتُ كَلَامَ هَؤُلَاءِ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَ أُمِّي وَأَخِي أَحْمَدَ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا حَجَّجْتُ رَجَعْتُ أَخِي بِهَا! وَتَخَلَّفْتُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ٧٦٢ .

وقال حاشد بن إسماعيل: كان البخاريُّ يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فلمناه بعد ستة عشر يوماً، فقال: قد أكثرتم عليَّ فأعرضوا عليَّ ما كتبتم، فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه "٧٦٣".

الأحاديث التي ينبغي حفظها في المرحلة الابتدائية :

ينبغي أن يتربَّى الأطفال على حبِّ النبي - ﷺ - وحبِّ السُّنَّةِ، والحرص على التزامها، لذا قمت باختيار مجموعة من الأحاديث الجامعة الهامة - من كتاب رياض الصالحين والأربعين النووية - وهي أكثر من مئة حديث ليحفظها الأطفال في المرحلة الأولى ثم يستكمل بعد ذلك حفظ رياض الصالحين في المراحل الأعلى، ويقوم المربي بشرح مبسط للحديث واستخراج الآداب أو الأحكام المستفادة من الحديث من كتاب "نزهة المتقين"، أو دليل القالحين أو تطوير رياض الصالحين، أو شرح المنتقى من رياض الصالحين لنصار، أو شرح رياض الصالحين للشيخ العثيمين رحمه الله، وينبغي عليه أن يراعي التبسيط لأبعد مدى.

وهذه الأحاديث هي:

٧٦٢ - سير أعلام النبلاء - (١٢ / ٣٩٣) و" تاريخ بغداد " ٧ / ٢، و" تهذيب الكمال " : ١١٦٩، و" طبقات

الشافعية " للسبكي ٢ / ٢١٦، و" مقدمة الفتح " : ٤٧٨، ٤٧٩.

٧٦٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر - (١ / ٤٧٨)

١- عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَلَى الْمَبْرِ يُخْبِرُ بِذَلِكَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ. "متفق على صحته^{٧٦٤}.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». رواه مسلم^{٧٦٥}.

٣- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ سَمِعْتُ الْأَعْرَبَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ». رواه مسلم^{٧٦٦}.

٤- عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». رواه مسلم^{٧٦٧}.

٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» رواه البخاري^{٧٦٨}.

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». متفق عليه^{٧٦٩}.

^{٧٦٤} - انظر تخرجه في المسند الجامع - (١٤ / ٥١) (١٠٦٢٦).

^{٧٦٥} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٠٨).

^{٧٦٦} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٠٣٤).

^{٧٦٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٦٩٢).

^{٧٦٨} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٦٤١) - (التَّصَبُّ: التعب - الوصب: الألم والسقم الدائم).

^{٧٦٩} - صحيح البخاري - المكثر - (٦١١٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٨٠٩).

٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا. متفق عليه^{٧٧٠}.

٨- عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ. رواه مُسْلِمٌ^{٧٧١}.

٩- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمُحِبَهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ». رواه التِّرْمِذِيُّ^{٧٧٢}

١٠- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَوْمًا فَقَالَ « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ». رواه التِّرْمِذِيُّ^{٧٧٣}

١١- عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْكَيْسُ: مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ: مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ " رواه التِّرْمِذِيُّ^{٧٧٤}.

^{٧٧٠} - صحيح البخارى- المكثر - (٦٠٩٤) وصحيح مسلم- المكثر - (٦٨٠٣)

^{٧٧١} - صحيح مسلم- المكثر - (٥٠٣٩)

^{٧٧٢} - سنن الترمذى- المكثر - (٢١١٥) صحيح لغيره

^{٧٧٣} - سنن الترمذى- المكثر - (٢٧٠٦) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

^{٧٧٤} - شعب الإيمان - (١٣ / ١٢٩) (١٠٠٦٢) وسنن ابن ماجه- المكثر - (٤٤٠١) وسنن الترمذى- المكثر -

(٢٦٤٧) حسن لغيره

ملاحظة: أخطأ الذهبي في رده لتصحيح الحاكم وتابعه المناوي في الفيض ٥/ ٦٨ والألباني في ضعيف الجامع (٤٣٠٥) لظنهم أنه مما تفرد به أبو بكر بن أبي مريم الغساني وفاتهم أنه قد تابعه ثور بن يزيد وغالب عن مكحول عن ابن غنم عن شداد بن أوس الاتحاف ٨/ ٤٢٨ فتأمل يا رعاك الله واحذر التسرع في تضعيف الأحاديث قَوْلُهُ « مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ». يَقُولُ حَاسِبَ نَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

١٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».
ابن حبان في صحيحه^{٧٧٥}.

١٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى». رواه مُسْلِمٌ^{٧٧٦}.

١٤ - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا حِجَّةَ رَبِّكُمْ». رواه التِّرْمِذِيُّ^{٧٧٧}.

١٥ - عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا». رواه مُسْلِمٌ^{٧٧٨}.

١٦ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا يَسْتَعْمِلُهُ قِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يُؤَقِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ. صحيح ابن حبان^{٧٧٩}.

١٧ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا. رواه أحمد في مسنده^{٧٨٠}.

^{٧٧٥} - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٦٦) (٢٢٩) صحيح

^{٧٧٦} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٠٧٩)

^{٧٧٧} - سنن الترمذي - المكثر - (٦١٩) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

^{٧٧٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٥٦) - الموبق: المُهْلِك

^{٧٧٩} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٥٣) (٣٤١) صحيح

^{٧٨٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ١٣٩) (٢٠٥) صحيح

أي: لو تعلمون يقينا أنه لا فاعل إلا الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع من الله ثم تسعون في الطلب

على الوجه الجميل (المشروع) لرزقكم (الاتخاف) ٣٨٨/٩

١٨- عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ - قَالَ « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ ». رواه مُسْلِمٌ ٧٨١.

١٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » رواه البُخَارِيُّ ٧٨٢.

٢٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ الْخَيْرِ، فَاحْرِصْ عَلَى مَا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ " رواه مُسْلِمٌ ٧٨٣.

٢١- عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلَنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

٧٨١ - صحيح مسلم - المكثر - (١٦٨)

٧٨٢ - صحيح البخاري - المكثر - (٦٥٠٢) وانظر شرحه مفصلاً في كتابي ((الخلاصة في شرح حديث الولي))

٧٨٣ - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٢٩) (٥٧٢٢) وصحيح مسلم - المكثر - (١٧ / ٢٠٨) (٦٩٤٥)

القُوَّةُ مِنَ الْخِصَالِ الْفِطْرِيَّةِ يُودِعُهَا اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُفَاضِلُ فِيهَا بَيْنَ النَّاسِ كَمَا يُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ فِي الرِّزْقِ وَغَيْرِهِ مِنْ عَطَائِهِ، وَهِيَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَفَضْلٌ كَبِيرٌ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ عَرَفَ قَدْرَهَا وَأَحْسَنَ اسْتِعْمَالَهَا شُكْرًا لِلَّهِ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا الْأَدَاةُ اللَّازِمَةُ لِجَلْبِ الْخَيْرِ لِلْأُمَّةِ وَدَفْعِ الشَّرِّ عَنْهَا، وَإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا فِي نَفْسِهِ وَلِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا أَقْوِيَاءَ كَذَلِكَ. الموسوعة الفقهية الكويتية - (٨٣ / ٣٤)

فَقَالَ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً. "رواه مُسْلِمٌ" ٧٨٤.

٢٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَنْ خَيْرُ الرَّجَالِ يَا مُحَمَّدٌ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابُ تَتَمَسَّكَ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. "مسند أحمد" ٧٨٥.

٢٣- عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَحْفَرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ تَلَقَّى أَحَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ، فَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثَرَ مَاءَهَا، وَأَعْرِفَ لِحِيرَانِكَ مِنْهَا. "رواه مُسْلِمٌ" ٧٨٦.

٢٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - « مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزْلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ ». رواه مسلم ٧٨٧.

٢٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَرْفَعُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ. متفق عليه ٧٨٨.

٢٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - « كَانَ يَقُولُ « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ ». رواه مُسْلِمٌ ٧٨٩.

٢٧- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيُكَفِّرُ بِهِ الذُّنُوبَ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى

٧٨٤ - صحيح مسلم - المكثر - (١١٢١) ومسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤٥٢) و(٢٢٣٧٧) (٢٢٧٣٥ -

٧٨٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٧٣) (١٧٦٨٠) ١٧٨٣٢ - صحيح

٧٨٦ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٨٢) (٥٢٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٨٥٧) واللفظ لابن حبان

٧٨٧ - صحيح مسلم - المكثر - (١٥٥٦)

٧٨٨ - صحيح ابن حبان - (١ / ٣٨٤) (١٦٦) وصحيح البخاري - المكثر - (٩) وصحيح مسلم - المكثر - (١٦٢)

٧٨٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٧٤)

الْمَكْرُوهَاتِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ. رواه مُسْلِمٌ^{٧٩٠}.

٢٨- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ». رواه البخاري. ورواه مُسْلِمٌ من رواية حذيفة رضي الله عنه^{٧٩١}.

٢٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ». رواه مُسْلِمٌ^{٧٩٢}.

٣٠- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ». فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ « يَعْمَلْ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ ». قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ « يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ ». قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ « فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ ». متفق عليه^{٧٩٣}.

٣١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ أَبِي ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى ». رواه البخاري^{٧٩٤}.

٣٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا. رواه مُسْلِمٌ^{٧٩٥}.

٣٣- عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا لِمَنْ قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ». رواه مُسْلِمٌ^{٧٩٦}.

^{٧٩٠} - صحيح ابن حبان - (٣ / ٣١٤) (١٠٣٩) وصحيح مسلم - المكثر - (٦١٠)

^{٧٩١} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٠٢١) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٣٧٥)

^{٧٩٢} - صحيح مسلم - المكثر - (٧١٠٨)

^{٧٩٣} - صحيح البخاري - المكثر - (١٤٤٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٣٨٠)

^{٧٩٤} - صحيح البخاري - المكثر - (٧٢٨٠)

^{٧٩٥} - صحيح ابن حبان - (١ / ٣١٨) (١١٢) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٩٨٠)

^{٧٩٦} - صحيح مسلم - المكثر - (٢٠٥)

٣٤- عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » أخرجه البخاري ٧٩٧ .

٣٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَلِسَانَهُ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ. "رواه مسلم ٧٩٨".

٣٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجْلِسِنَا بُدُّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: مَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكُفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. "رواه مسلم ٧٩٩".

٣٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ». متفق عليه ٨٠٠.

٣٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَاجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ. متفق عليه ٨٠١.

النصيحة: كلمة يعبر بها عن جملة: وهي إرادة الخير للمنصور له، وليس يمكن أن يعبر عن هذه اللفظة بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها، وأصل النصيحة في اللغة: الخلوص، ومعنى النصية لله عز وجل: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتاب الله تعالى: هو التصديق به، والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته، وبذل الطاعة فيما أمر به ونهى عنه، والنصيحة لأئمة المؤمنين: أن يطيعهم في الحق، ولا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا، والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم. جامع الأصول في أحاديث الرسول - (١١) /

(٥٥٨)

٧٩٧ - صحيح البخاري- المكثر - (١٣) ومسنند أبي عوانة (٧٤)

٧٩٨ - صحيح مسلم- المكثر - (١٨٦)

الْمُنْكَرُ لُغَةً: بَضْمٌ الْمِيمِ وَسُكُونُ الثَّوْنِ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ أَنْكَرَ وَهُوَ: جِلَافُ الْمَعْرُوفِ. وَالْمُنْكَرُ: الْأَمْرُ الْقَبِيحُ. وَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ فَعَلُهُ إِنْكَارًا: إِذَا عَبَّهُ وَنَهَيْتُهُ، وَأَنْكَرْتُ حَقَّهُ: جَحَدْتُهُ. وَالْمُنْكَرُ فِي الْإِصْطِلَاحِ: مَا لَيْسَ فِيهِ رِضَا لِلَّهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٩ / ١٢٣)

٧٩٩ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٥٦) (٥٩٥) وصحيح مسلم- المكثر - (٥٦٨٥)

٨٠٠ - صحيح البخاري- المكثر - (٣٣) وصحيح مسلم- المكثر - (١٢٢٠)

٣٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ أَمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ». رواه مسلم^{٨٠٢}.

٤٠- عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ». وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^{٨٠٣}.

٤١- عَنْ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى. رواه مسلم^{٨٠٤}.

٤٢- عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ». رواه مسلم^{٨٠٥}.

٤٣- عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رضي الله عنه - أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^{٨٠٦}.

^{٨٠١} - صحيح البخارى- المكثر - (١٠) وصحيح مسلم- المكثر - (١٧١) عن جابر الجملة الأولى وصحيح ابن حبان - (١ / ٤٦٧) (٢٣٠)

^{٨٠٢} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٧٤٤)

^{٨٠٣} - صحيح البخارى- المكثر - (٤٨١) وصحيح مسلم- المكثر - (٦٧٥٠)

^{٨٠٤} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٧٥١)

^{٨٠٥} - صحيح مسلم- المكثر - (٦١٧٢)

^{٨٠٦} - صحيح البخارى- المكثر - (٢٤٤٢) وصحيح مسلم- المكثر - (٦٧٤٣)

- ٤٤ - عَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرْهُ قَالَ « تَحْجُزْهُ أَوْ تَمْنَعْهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ ». رواه البخاري^{٨٠٧}.
- ٤٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ». قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « إِذَا لَقِيَتهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ ». رواه مسلم^{٨٠٨}.
- ٤٦ - عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ. فَمَا زِلْتُ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. رواه البخاري^{٨٠٩}.
- ٤٧ - عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ». رواه أبو داود^{٨١٠}.
- ٤٨ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ». متفق عليه^{٨١١}.
- ٤٩ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلَهَا"، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "بِرُّ الْوَالِدَيْنِ"، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". رواه البخاري^{٨١٢}.

^{٨٠٧} - صحيح البخارى - المكثر - (٦٩٥٢)

^{٨٠٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٧٧٨) - سمت: ادع له والتسميت الدعاء بالخير والبركة

^{٨٠٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٣٧٦)

^{٨١٠} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٥) صحيح

^{٨١١} - صحيح البخارى - المكثر - (٦٤٧٥) وصحيح مسلم - المكثر - (١٨٣)

^{٨١٢} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٢٧)

- ٥٠- عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ». متفق عليه^{٨١٣}.
- ٥١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « الْكِبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْعَمُوسُ ». رواه البخاري^{٨١٤}.
- ٥٢- عَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرَنَا ». رواه الترمذي^{٨١٥}.
- ٥٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٌ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا ». رواه الترمذي^{٨١٦}.
- ٥٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ ». رواه أبو داود^{٨١٧}.
- ٥٥- عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يُوَدَّ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ ». رواه مسلم^{٨١٨}.
- ٥٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ

^{٨١٣} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٩٨٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٦٨٨) - الأثر: الأجل - ينسأ: يؤخر

^{٨١٤} - صحيح البخارى - المكثر - (٦٦٧٥)

^{٨١٥} - سنن الترمذى - المكثر - (٢٠٤٤) صحيح

^{٨١٦} - سنن الترمذى - المكثر - (٢١٣٩) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

^{٨١٧} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٨٣٥) صحيح لغيره

^{٨١٨} - صحيح مسلم - المكثر - (١٧٤)

وَتَفَرَّقَا، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَحَمَالٌ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ. "متفق عليه" ٨١٩.

٥٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ. "صحيح ابن حبان" ٨٢٠.

٥٨- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَخَذَ بِيَدِ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ مُعَاذٌ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، أَوْصِيكَ أَنْ لَا تَدْعَنَّ فِي ذُبُرٍ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ. "صحيح ابن حبان" ٨٢١.

٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ. فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ » رواه البخاري ٨٢٢..

٦٠- عَنْ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ مَالَهُ وَدَمَهُ وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ». رواه مسلم ٨٢٣.

٦١- عَنْ عُבَادَةَ - ﷺ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » رواه البخاري ٨٢٤.

٨١٩ - صحيح البخاري - المكثر - (٦٦٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٤٢٧) وصحيح ابن حبان - (١٠ / ٣٣٨) (٤٤٨٦)

٨٢٠ - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٧٢) (٢٣٦) صحيح

٨٢١ - صحيح ابن حبان - (٥ / ٣٦٤) (٢٠٢٠) صحيح

٨٢٢ - صحيح البخاري - المكثر - (٣٢٠٩)

٨٢٣ - صحيح مسلم - المكثر - (١٣٩)

٨٢٤ - صحيح البخاري - المكثر - (٣٤٣٥)

٦٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوْلَةً وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً ». رواه مُسْلِمٌ^{٨٢٥}.

٦٣- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ بَيْنَا أَنَا وَرَدِيفُ النَّبِيِّ - ﷺ - لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخْرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ « يَا مُعَاذُ ». قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ « يَا مُعَاذُ ». قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ « يَا مُعَاذُ ». قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ». قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ». ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ « يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ». قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. فَقَالَ « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ ». قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ » رواه البخاري^{٨٢٦}.

٦٤- عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ». رواه مُسْلِمٌ^{٨٢٧}.

٦٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ ». رواه مُسْلِمٌ^{٨٢٨}.

٦٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعَمُ الطَّعَامُ، وَتَقْرَأُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ. متفق عليه^{٨٢٩}.

^{٨٢٥} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٠٠٩) - القُرَاب: قراب الأرض أى بما يقارب مألها

^{٨٢٦} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٩٦٧)

^{٨٢٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٧١٦٥)

^{٨٢٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٦٠٦)

^{٨٢٩} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٥٨) (٥٠٥) وصحيح البخارى - المكثر - (١٢) وصحيح مسلم - المكثر - (١٦٩)

٦٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: مَا تَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ، وَلَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَلَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ. رواه مُسْلِمٌ^{٨٣٠}.

٦٨- عَنْ ثَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ شَيْءٍ - قَالَ - فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ». رواه مُسْلِمٌ^{٨٣١}.

٦٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ ». رواه مُسْلِمٌ^{٨٣٢}.

٧٠- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: "مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظُّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظُّهُ مِنَ الْخَيْرِ". الحميدي^{٨٣٣}

٧١- عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ. رواه البخاري^{٨٣٤} ..

٧٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي. "متفق عليه"^{٨٣٥}.

٧٣- عَنْ أَبِي السَّوَّارِ الْعَدَوِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ ». متفق عليه^{٨٣٦}

^{٨٣٠} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٧٥٧) وصحيح ابن حبان - (٨ / ٤٠) (٣٢٤٨)

^{٨٣١} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٦٨١)

^{٨٣٢} - صحيح مسلم- المكثر - (٢٧٥) -البطر: التكبر على الحق فلا يقبله -الغمط: الاحتقار والاستهانة

^{٨٣٣} - مسند الحميدي - المكثر - (٤١٨)- صحيح لغيره

^{٨٣٤} - صحيح البخاري- المكثر - (٦٩٢٧) وسنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (٤ / ٦٤٧) (٣٦٨٩)

^{٨٣٥} - صحيح البخاري- المكثر - (٧١٣٧) وصحيح مسلم- المكثر - (٤٨٥٢) وصحيح ابن حبان - (١٠ /

(٤٥٥٦) (٤٢٠)

٧٤- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَجِّبُهُ التَّيْمُنُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ: فِي تَرْجُلِهِ، وَفِي طُهُورِهِ، وَفِي نَعْلِهِ قَالَ شُعْبَةُ: ثُمَّ سَأَلْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ، أَوْ يُعَجِّبُهُ، التَّيْمُنُ مَا اسْتَطَاعَ" مسند أحمد^{٨٣٧}

٧٥- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشْرَبِ الْبَعِيرِ وَلَكِنْ اشْرَبُوا مِثْنَى وَثَلَاثَ وَ سَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ » رواه الترمذي^{٨٣٨}.

٧٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ؓ - - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِأَلْسِنَتِكُمْ ». رواه البخاري^{٨٣٩}.

٧٧- عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا ». رواه أبو داود^{٨٤٠}.

٧٨- عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَامٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَاتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فَرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبُطْلَةُ " رواه مسلم^{٨٤١}.

^{٨٣٦} - صحيح البخارى- المكثر - (٦١١٧) - صحيح مسلم- المكثر - (١٦٥)

^{٨٣٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٣٥٨) (٢٥٥٤٥) ٢٦٠٦١ - صحيح

^{٨٣٨} - سنن الترمذى - المكثر - (٢٠٠٦) فيه ضعف

^{٨٣٩} - صحيح البخارى- المكثر - (٦٢٢٤)

^{٨٤٠} - سنن أبي داود - المكثر - (٥٢١٤)

^{٨٤١} - صحيح مسلم- المكثر - (١٩١٠) وشعب الإيمان - (٤ / ٤٤) (٢١٥٦)

البطلة: السحرة - الصواف: جمع صافه وهى الباسطة أجنحتها فى الهواء - الغياتان: مثني غياية وهى السحابة - الفرقان: الجماعتان

٧٩- عَنْ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . رواه البخاري^{٨٤٢}

٨٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » . رواه مسلم^{٨٤٣} .

٨١- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ » . رواه مسلم^{٨٤٤} .

٨٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا » . متفق عليه^{٨٤٥} .

٨٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . رواه البخاري^{٨٤٦} .

^{٨٤٢} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٠٢٧)

^{٨٤٣} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٠٢٨)

^{٨٤٤} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٠١)

^{٨٤٥} - صحيح البخارى - المكثر - (٦١٥) وصحيح مسلم - المكثر - (١٠٠٩)

^{٨٤٦} - صحيح البخارى - المكثر - (٦١٤)

٨٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ مَا تَقُولُونَ؟ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: ذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا. "متفق عليه" ٨٤٧.

٨٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} (١٨) سورة التوبة. رواه ابن ماجة ٨٤٨.

٨٦- عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً. رواه مسلم ٨٤٩.

٨٧- عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ». متفق عليه ٨٥٠.

٨٨- عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ أَوْ إِلَّا بَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ». قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ فَمَا بَرَحْتُ أَصَلِّيَهُنَّ بَعْدُ. رواه مسلم ٨٥١.

٨٩- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ الْوِثْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلَاتِكُمْ الْمَكْتُوبَةِ وَلَكِنْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ وَثِرٌ يُحِبُّ الْوِثْرَ فَأَوْثَرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ ». رواه والترمذي ٨٥٢.

٨٤٧ - صحيح البخارى- المكثر - (٥٢٨) وصحيح مسلم- المكثر - (١٥٥٤) وصحيح ابن حبان - (١٤ / ٥) (١٧٢٦)

٨٤٨ - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ٥١٣) (٨٠٢) حسن

٨٤٩ - صحيح مسلم- المكثر - (١٥٠٩) وصحيح ابن حبان - (٥ / ٤٠٣) (٢٠٥٤)

٨٥٠ - صحيح البخارى- المكثر - (٨) وصحيح مسلم- المكثر - (١٢١)

٨٥١ - صحيح مسلم- المكثر - (١٧٢٩)

٨٥٢ - سنن الترمذى- المكثر - (٤٥٥) صحيح لغيره

٩٠- عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى ». رواه مسلم^{٨٥٣}.

٩١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ». متفق عليه^{٨٥٤}.

٩٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ ». رواه البخاري^{٨٥٥}.

٩٣- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ، قَالَ: تُعِينُ ضَعِيفًا أَوْ تَصْنَعُ لَأَخْرَقَ، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ، قَالَ: تَكْفُ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ" رواه مسلم^{٨٥٦}.

٩٤- عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ - متفق عليه^{٨٥٧}.

٩٥- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً" صحيح ابن حبان^{٨٥٨}.

^{٨٥٣} - صحيح مسلم- المكثر - (١٧٠٤)

^{٨٥٤} - صحيح البخارى- المكثر - (٣٨) وصحيح مسلم- المكثر - (١٨١٧)

^{٨٥٥} - صحيح البخارى- المكثر - (٨٨٧)

^{٨٥٦} - صحيح مسلم- المكثر - (٢٦٠) وصحيح ابن حبان - (١٠ / ١٤٨) (٤٣١٠) - الأخرق: الجاهل بما يجب أن

يعمله ولم يكن فى يديه صنعة يكتسب بها

^{٨٥٧} - صحيح البخارى- المكثر - (٧١) وصحيح مسلم- المكثر - (٢٤٣٦)

^{٨٥٨} - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٩٢) (٩١١) صحيح

٩٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً. متفق عليه^{٨٥٩}.

٩٧- عَنْ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } (٦٠) سورة غافر صحيح ابن حبان^{٨٦٠}.

٩٨- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ الْحَمَّامَ إِلَّا بِمِزْرٍ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ نِسَائِكُمْ فَلَا تَدْخُلِ الْحَمَّامَ "صحيح ابن حبان^{٨٦١}.

٩٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْبَذِيِّ، وَلَا الْفَاحِشِ. "صحيح ابن حبان^{٨٦٢}.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رحمه الله: فِي هَذَا الْخَبَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِيَامَةِ يَكُونُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، إِذْ لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ أَكْثَرُ صَلَاةٍ عَلَيْهِ ﷺ مِنْهُمْ.

^{٨٥٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٧٤٠٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٩٨١) وصحيح ابن حبان - (٣) / (٩٣) (٨١١)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رحمه الله: اللَّهُ أَجَلٌ وَأَعْلَى مِنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهَذِهِ أَلْفَاظُ خَرَجَتْ مِنَ أَلْفَاظِ التَّعَارُفِ عَلَى حَسَبِ مَا يَتَعَارَفُ النَّاسُ مِمَّا بَيْنَهُمْ. وَمَنْ ذَكَرَ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي نَفْسِهِ بِنُطْقٍ أَوْ عَمَلٍ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ، ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِهِ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُ تَفَضُّلاً وَجُوداً، وَمَنْ ذَكَرَ رَبَّهُ فِي مَلَأٍ مِنْ عِبَادِهِ، ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُ، وَقَبُولِ مَا آتَى عَبْدُهُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا بِقَدَرٍ شَبِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، كَانَ وَجُودُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ مِنَ الرَّبِّ مِنْهُ لَهُ أَقْرَبَ بِذِرَاعٍ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى مَوْلَاهُ جَلَّ وَعَلَا بِقَدَرٍ ذِرَاعٍ مِنَ الطَّاعَاتِ كَانَتْ الْمَغْفِرَةُ مِنْهُ لَهُ أَقْرَبَ بِيَاعٍ، وَمَنْ آتَى فِي أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ بِالسُّرْعَةِ كَالْمَشْيِ، أَتَتْهُ أَنْوَاعُ الْوَسَائِلِ وَوُجُودُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِالسُّرْعَةِ كَالْهَرَوَلَةِ، وَاللَّهُ أَجَلٌ وَأَعْلَى وَأَجَلٌ. صحيح ابن حبان - (٣) / (٩٤)

^{٨٦٠} - صحيح ابن حبان - (٣) / (١٧٢) (٨٩٠) صحيح

^{٨٦١} - صحيح ابن حبان - (١٢) / (٤١٠) (٥٥٩٧) صحيح

^{٨٦٢} - صحيح ابن حبان - (١) / (٤٢١) (١٩٢) صحيح

١٠٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ. "متفق عليه" ^{٨٦٣}.

١٠١ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادًا لِلَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ. "متفق عليه" ^{٨٦٤}.

١٠٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ ». رواه البخاري ^{٨٦٥}.

١٠٣ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، أَوْ لِيَسْكُتَ. أخرجه البخاري ^{٨٦٦}.

١٠٤ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتِّعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ». رواه الترمذي ^{٨٦٧}.

١٠٥ - عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ، وَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ. "رواه مسلم" ^{٨٦٨}.

^{٨٦٣} - صحيح البخاري - المكثر - (٤٨) (صحيح مسلم - المكثر - (٢٣٠) وصحيح ابن حبان - (١٣ / ٢٦٦) (٥٩٣٩)

سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر: قيل: هذا محمول على من سب مسلماً أو قتله من غير تأويل، وقيل: إنما قال ذلك على جهة التغليظ، لا أن قتاله كفر يخرج عن الملة. جامع الأصول في أحاديث الرسول - (١٠ / ٦٨)

^{٨٦٤} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٠٦٥) (صحيح مسلم - المكثر - (٦٦٩٠) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ٤٧٦) (٥٦٦٠)

تدابير: يعطى كل واحد منكم أخاه ظهره

^{٨٦٥} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٢٨٨)

^{٨٦٦} - صحيح البخاري - المكثر - (٦١٠٨) (صحيح ابن حبان - (١٠ / ٢٠١) (٤٣٥٩)

^{٨٦٧} - سنن الترمذي - المكثر - (٢١١٥) صحيح لغيره

^{٨٦٨} - صحيح ابن حبان - (٧ / ١٥٥) (٢٨٩٦) (صحيح مسلم - المكثر - (٧٦٩٢)

١٠٦ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - عليه السلام - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » متفق عليه ^{٨٦٩}.

١٠٧ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمًا فَقَالَ « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ». رواه الترمذي ^{٨٧٠}.

١٠٨ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَفِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ » رواه مسلم ^{٨٧١}.

١٠٩ - عَنْ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعِظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ. "صحيح ابن حبان" ^{٨٧٢}.

^{٨٦٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٦٠٩٤) - وصحيح مسلم - المكثر - (٦٨٠٣)

^{٨٧٠} - سنن الترمذى - المكثر - (٢٧٠٦) - صحيح

^{٨٧١} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٠٠)

^{٨٧٢} - صحيح ابن حبان - (١ / ١٧٨) (٥) - صحيح

١١٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ أَبَى ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى » رواه البخاري ٨٧٣ .

١١١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) سورة السجدة. أخرجه الشيخان ٨٧٤

١١٢ - عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ إِنِّي أَبْدَعُ بِي فَاحْمِلْنِي فَقَالَ « مَا عِنْدِي ». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَذْلُهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » .. رواه مسلم ٨٧٥

١١٣ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجْلِسِنَا بُدُّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: مَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكُفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. " رواه مسلم ٨٧٦

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِي قَوْلِهِ ﷺ: فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي عِنْدَ ذِكْرِهِ الْإِخْتِلَافَ الَّذِي يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ مَنْ وَاظَبَ عَلَى السُّنَنِ، قَالَ بِهَا، وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَرَءِ مِنَ الْفِرَقِ النَّاجِيَةِ فِي الْقِيَامَةِ، جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهُمْ مِمَّنْهُ.

٨٧٣ - صحيح البخاري - المكثر - (٧٢٨٠)

٨٧٤ - صحيح البخاري - المكثر - (٣٢٤٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٣١٠) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٩١) (٣٦٩)

٨٧٥ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٠٠٧) - أبَدَعُ: كل وتعب

٨٧٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٦٨٥) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٣٥٦) (٥٩٥)

إِيَّاكُمْ: احذروا وابتعدوا - مالنا من مجالسنا بُدُّ: لانستطيع الاستغناء عنها - غَضُّ البصر: كف البصر عن المحرمات - كُفُّ الْأَذَى: رد الأذى ومنعه

١١٤ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحْلُوا مَحَارِمَهُمْ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ^{٨٧٧}

١١٥ - عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرَقَا" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ..^{٨٧٨}

١١٦ - عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « الْحَلَالُ بَيْنَ وَبَيْنَ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ وَبَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ. أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنْ حَمَى اللَّهُ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمَهُ، أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه^{٨٧٩}.

١١٧ - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. "رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ"^{٨٨٠}

١١٨ - عَنْ الْمِقْدَامِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنْ نَبَى اللَّهُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^{٨٨١}

^{٨٧٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٤١)

^{٨٧٨} - سنن أبي داود - المكثر - (٥٢١٤) والسنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٧ / ٩٩) (١٣٩٥٥) صحيح

^{٨٧٩} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٢) وصحيح مسلم - المكثر - (٤١٧٨)

استبرأ لدينه: أي طلب التبري من التهمة والخلاص منها. - مضغعة: المضغعة: القطعة من اللحم بقدر اللقمة. - الريبة: التهمة ومظان الشبه. - يرتع، يرتع حول الحمى: إذا طاف به ودار حوله. - الاجترأ: الاقدام على الشيء، وقلة المبالاة به.

^{٨٨٠} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٣٠٤) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٢٠٧) (٤٦٠)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَكَذَا أَرَادَ بِهِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، لَا أَنْ كَافِلُ الْيَتِيمِ تَكُونُ مَرْتَبَتُهُ مَعَ مَرْتَبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي الْجَنَّةِ وَاحِدَةً.

^{٨٨١} - صحيح البخاري - المكثر - (٢٠٧٢) - قط: ظرف لاستغراق ماضى من الزمان

١١٩- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ، فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ" ^{٨٨٢} الأدب المفرد للبخاري

١٢٠- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أَحَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا" ^{٨٨٣} متفق عليه.



^{٨٨٢} - الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (٤٧٩) - صحيح - البذيء: هو الذي يتكلم بالفحش وردىء الكلام

^{٨٨٣} - صحيح البخاري- المكثر - (٦٥٤٩) وصحيح مسلم- المكثر - (٧٣١٨)

لبيك ربنا وسعديك: إجابة بعد إجابة - أحل: أنزل - أسخط: أغضب

الأساس الثالث - اختيار المدرّس الصالح، والمدرسة الصالحة للطفل .

كان الصحابة والسلف الصالح حريصين كل الحرص على اختيار المدرس الصالح لأطفالهم، وكانوا يعنون به عناية فائقة، ولهم ولع شديد به، لأنه هو المرآة التي يراها الطفل، فتتطبع في نفسه وعقله، وهو مصدر التلقي للطفل .

ومن شدة اهتمامهم به أنهم كانوا ينصحون أبناءهم في أخذ الأدب قبل العلم، وقد تقدم معنا في البناء الخلقي للطفل في ركن أساس الأدب مع العلماء، وإذا ما تطلب الأمر الرحلة والسفر للوصول إلى المدرس الصالح، فهذا حبيب إلى قلوبهم، سهل على نفوسهم، يتلقونه بصدر رحب بلا مشقة، أو أي صعوبة، ومعلوم أن الرحلة والسفر لها أعباؤها المالية على الأبوين، ولكن في سبيل بناء الطفل العلمي بشكل سليم، يهون عليهم كل مال، وكل غال ونفيس، ولهذا قال ابن سينا في كتاب السياسة باب سياسة الرجل ولده: "ينبغي أن يكون للصبي مؤدب عاقل، ذو دين، بصير بريضة الأخلاق، حاذق بتخريج الصبيان، وقور، رزين بعيد عن الخفة والسخط، قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، غير كزّ (منقبض) ولا جامد، وأن يكون حلوّاً لبيباً، ذا مروءة ونظافة ونزاهة " .

وإلى هذا ذهب أمراء المسلمين أيضاً في الحصول على المدرس الصالح لتعليم أولادهم . قال أبو بكر بن جابر خادم أبي داود: كنت معه ببغداد فصلينا المغرب إذ قرع الباب ففتحته فإذا خادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن فدخلت إلى أبي داود فأخبرته بمكانه، فأذن له فدخل وقعد، ثم أقبل عليه أبو داود وقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ فقال: خلال ثلاث فقال وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بك، فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس لما جرى عليها من محنة الزنج، فقال: هذه واحدة هات الثانية، قال: وتروي لأولادي كتاب السنن، فقال: نعم هات الثالثة، قال: وتفرد لهم مجلساً للرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة، فقال: أما هذه فلا سبيل إليها؛ لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون في كم حيري ويضرب بينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة^{٨٨٤}.

وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدّب ولده: ليكن أوّل ما تبدأ به من إصلاحك بني إصلاحك نفسك؛ فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، علّمهم كتاب الله، ولا تُكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روّهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تُخرجهم من علم إلى غيره حتّى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلّة لفهمهم، وعلّمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء، وجنبهم محادثة النساء، وتهذّبهم بي وأدّبهم ذوي، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتّى يعرف الداء، ولا تتكل على عذري، فإني قد أتكلت على كفايتك، وزد في تأديبهم أزدك في برّي إن شاء الله^{٨٨٥}.

وأدخل الشافعيّ يوماً إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين، ومعه سراج الخادم فأقعدّه عند أبي عبد الصمد مؤدّب أولاد الرشيد. فقال سراج للشافعيّ: يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين، وهو مؤدّبهم، فلو أوصيته بهم. فأقبل الشافعيّ على أبي عبد الصمد فقال له: "ليكن أوّل ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك؛ فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تركته. علّمهم كتاب الله، ولا تُكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روّهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تُخرجهم من علم إلى غيره حتّى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلّة لفهمهم^{٨٨٦}.

وقال الماوردي: "يجب أن يُجتهد في اختيار المعلم والمؤدّب؛ الاجتهاد في اختيار الوالدة والظئر - المرضعة - بل أشد منه؛ فإن الولد يأخذ من مؤدبه من الأخلاق والشمائل والآداب والعادات، أكثر مما يأخذ من والده، لأن مجالسته له أكثر، ومدارسته معه أطول،

^{٨٨٤} - معالم السنن للخطابي ٢٨٨ - (١ / ٧)

^{٨٨٥} - البيان والتبيين - (١ / ١٤٢)

^{٨٨٦} - حلية الأولياء (١٣٨٤١)

والولد قد أمر حيث سُلّم إلى المدرس بالاعتناء به جملة، والالتزام له دُفعة، وإذا كان هكذا فيجب ألا يُقْتَصَر من المعلم والمؤدّب على أن يكون قارئاً للقرآن حافظاً للغة، أو راوياً للشعر حتى يكون تقيّاً، ورعاً عفيفاً، دينياً، فاضلاً الأخلاق، أديب النفس، نقي الجيب، عالماً بأخلاق الملوك وآدابهم، عارفاً بمجوامع أصول الدين والفقه، وافيّاً بما ذكرنا أنه يحتاج أن يعلمه على الترتيب، فإن فاته شيء مما ذكرنا، فلا يفوته التُّقى والدين والفقه^{٨٨٧}.

وقال الترمذي الحكيم: "صلاح الصبيان في المكتب، وصلاح قطاع الطريق في السجن، وصلاح النساء في البيوت"^{٨٨٨}.

وأما بالنسبة للنساء، فالقدوة الصالحة من سير الصحابيات المؤمنات معين لا ينضب وقصص لا تمل، ما أن تقرأ إحداها إلا تجد في حياتهن دروساً وعبراً، ومواقف القدوة الصالحة من سير الصحابيات المؤمنات معين لا ينضب وقصص لا تمل، ما أن تقرأ إحداها إلا تجد في حياتهن دروساً وعبراً، ومواقف وفوائد لا يكمل المرء من كثرة تردادها بل وكلما قرأها أو سمعها خرج بفائدة جديدة.

كيف لا وهن في رياض النبوة رتعن من توجيهات الرسول ﷺ تعلمن وتربين. مع صحابية رائدة منهن سنقف في محطات من أمومتها لنرى كيف ربى ذلك الجيل ناشئته وكيف علم أبناءه. ونتعرف على الأمهات لنعرف كيف يغدو في تربيتهن الأبناء. هذه أم مباركة وهي ليست أمّاً فحسب بل لقد جمعت صفات أمهات شتى فهي الأم المربية والأم المعلمة والأم القدوة والأم الحنون الموجهة الصابرة فأَي هؤلاء الأمهات أنت؟

صحابيتنا هي أم سليم بنت ملحان الأنصارية وقد اشتهرت بكنتيتها وقيل اسمها الرميضاء أو الغميضاء. شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، فعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذِهِ الْغُمَيْضَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ». رواه مسلم^{٨٨٩}.

^{٨٨٧} - نصيحة الملوك، للماوردي ص ١٧٠ .

^{٨٨٨} - الطبقات الكبرى للشعراني (ص ٩١)

^{٨٨٩} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٤٧٤) - الخشفة: حركة المشى وصوته

لقد نجحت ﷺ كزوجة وكأخت وكامراً أثبتت لها مكانة في التاريخ بين سير الخالدات سنقف في محطات من أمومتها يرويها لنا ابنها خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك ﷺ.

الأم المربية تولت أم سليم ﷺ تربية ابنها أنس وجعلت تلقنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فعلقها وهو صغير واسم الله رب العالمين. وهذه هي نقطة البداية للتنشئة والتربية: البدء بالعقيدة وغرس الإيمان بلا إله إلا الله في قلب الصغير ويكون أول ما يقرع سمعه معرفة الله سبحانه وتوحيده.

حتى إذا قدم رسول الله ﷺ سارعت في إدخال ابنها مدرسة النبوة، فعَنْ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسٌ، قَالَ: جَاءَتْ بِي أُمِّي، أُمُّ أَنَسٍ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَرَزَّنِي بِنَصْفِ حِمَارِهَا، وَرَدَّنِي بِنَصْفِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أُنَيْسُ ابْنِي، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ، فَادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ. قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللَّهِ، إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ عَلَى نَحْوِ الْمِئَةِ الْيَوْمِ^{٨٩٠}.

فخدم النبي ﷺ منذ قدم المدينة حتى مات. فله درها من أم أحسنت تربية ابنها حين أحسنت اختيار من تجعله يلازم ويصاحب.

ففي حضور الطفل مجالس الكبار يتعلم الأدب والوقار فينمو عقله وتتهذب نفسه وينطلق لسانه ويتعرف على أحاديث فيتهياً لدخول المجتمع وأعلى منه مرتبة أن يتعود الطفل بمجالسة العلماء واحترامهم وخفض الجناح لهم والمسارة في خدمتهم، فهذا أقوى أسلوب لإكساب الطفل معاني الأدب وتعلم العلم وهذا كان حال سلفنا الصالح مع أبنائهم. وفي اصطحاب الصغار لمجالس الكبار ربط بين فئات المجتمع، وهذا لا يتم حين يصد الصغار عن مجالسة الكبار برغم حاجتهم للجلوس معهم حيث يحدثونهم ويوجهونهم وينقلون إليهم أخبار السابقين ومآثرهم.

^{٨٩٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٥٣١)

وفي فعلها ﷺ حسن اختيار المدرس الصالح للطفل، لولع الطفل الشديد بالمعلم لأنه هو المرأة التي يراها فتتطبع نفسه وعقله فيحفظ عمله وعلمه ويتأثر بهما.

فهذا أنس رضي الله عنه يروي لنا أدب رسول الله ﷺ وسنته وخلقه وعبادته أحاديث كثيرة وكان حريصاً على متابعة رسول الله ﷺ واقتفاء أثره والتمسك بسنته ﷺ. فعن سيار قال كنت أمشي مع ثابت البناني فمر على صبيان فسلم عليهم فقال ثابت كنت مع أنس فمر على صبيان فسلم عليهم وقال أنس كنت مع رسول الله ﷺ - فمر على صبيان فسلم عليهم.. رواه الترمذي^{٨٩١}.

وعن أنس قال أتى على رسول الله ﷺ - وأنا ألعب مع الغلمان - قال - فسلم علينا فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمي فلما جئت قالت ما حبسك قلت بعثني رسول الله ﷺ - لحاجة. قالت ما حاجته قلت إنها سر. قالت لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ - أحداً. قال أنس والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت^{٨٩٢}.

هكذا يكون التوجيه والتربية على مكارم الأخلاق، فالطفل منذ صغره يحتاج إلى أن يعود الخير ويعلم الخلق الحسن حتى يعتاد عليه، ففترة الطفولة تتميز بالفطرة السليمة وسرعة التلقي والاستجابة، وما حفر فيها يصعب بعد ذلك نسيانه أو تغييره، يقول ابن القيم في أحكام المولود: "ومما يحتاج إليه الطفل الاعتناء بأمر خلقه فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات راسخة له".

وهكذا تفعل الأم الصالحة، تستغل جميع المواقف والوسائل المتاحة لغرس الأخلاق الفاضلة في نفس طفلها فإن للنفس لحظات تكون مهيئة فيها للتلقي فلنحسن إختيار هذه اللحظات^{٨٩٣}.

أما اليوم فقد شن أعداء الإسلام حملة مسعورة حاقدة، ورفعوا لواء الحادياً لئيماً في تدمير الطفل المسلم، فاختاروا له المعلم الكافر والفاسق، وهيؤوا له مدرسة عصرية تبعده عن

^{٨٩١} - سنن الترمذي - المكثر - (٢٩١٢) قال أبو عيسى هذا حديث صحيح

^{٨٩٢} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٥٣٣)

^{٨٩٣} - <http://www.mousastar.com/vb/showthread.php?t=١٣٧٩١>

منهج الله وشرعه، وما هذا إلا لجهل المسلمين، وهو دليل أكيد على غفلتهم، وهذا الذي نقوله ليس كلاماً جزافاً، وإنما الواقع الذي نعيشه اليوم، وما صرح به أولئك الغزاة المعتدون الآثمون خير دليل، وإليك بعض خططهم، فهذا القس (صموئيل زويمر) ينشر في كتابه مهد الإسلام خداعه للأطفال المسلمين حيث يقول: "والتعليم المدرسي والتربية الأخلاقية الغربية، قد أسفرا عن نتائج حمة، وأثرا ثمرات نافعة في الأطفال والمراهقين، على السواء، لقد استطعت أن أجمع التلاميذ المسلمين مرة، وأضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الأرضية، ثم حولت عليها نوراً قوياً، وأقنعتهم بذلك أن الأمر بالصيام لشهر رمضان ليس آتياً من عند الله ؛ لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلاد"^{٨٩٤}.

وكان القسيس الدكتور "صموئيل زويمر" رئيس إرسالية التبشير في البحرين منذ مقدمه إلى الشرق في أوائل القرن العشرين، إلا أن نشاطه التبشيري الزائد، وسعيه لعقد مختلف المؤتمرات التبشيرية، جعله يرتقي في المراتب بين المبشرين حتى صار رئيس المبشرين في الشرق. وحتى صاروا يلقبونه بالرسول المختار إلى العالم الإسلامي، أي: حامل رسالة تحويل المسلمين عن دينهم .

فمن المؤتمرات التبشيرية التي دعا إليها هذا القس مؤتمر القدس الذي تم انعقاده برئاسته في نيسان سنة (١٩٣٥م) إبان الاحتلال البريطاني لفلسطين .

وبعد أن شرح أعضاء المؤتمر العقبات الكثيرة التي اعترضت سبيل المبشرين، والتي لم تسمح لهم بأن يخرجوا المسلمين عن دينهم، ويدخلوهم في المسيحية، وبعد أن خطب كثير منهم خطبهم اليبائسة، قام "زويمر" رئيس المؤتمر، وألقى على المؤتمرين الخطبة التالية :

"أيها الإخوان الأبطال، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية، واستعمارهم لبلاد الإسلام، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس، لقد أديتم الرسالة التي نيظت بكم أحسن أداء، ووفقتم لها أسمى توفيق. وإن كان ليخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفتن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه. إنني أقركم

^{٨٩٤} - الغارة على العالم الإسلامي

على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قُلتُم أحد ثلاثة:

* إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام .

* أو رجلٌ مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته، وقد اشتدَّ به الفقر، وعزت عليه لقمة العيش .

* وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإنَّ في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية. وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنتكم عليه، وتهنئكم الدول المسيحية والمسيحيون جميعاً عليه كل التهنئة .

لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية، والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء. إنكم أعددتُم له بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .

إنكم أعددتُم شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل. ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات فإذا تعلم للشهوات، وإذا جمع المال للشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز للشهوات، ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب"^{٨٩٥}.

ويقول المستشرق الحاقّد (جيب) الذي هو عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وهذا من عجائب البلاد الإسلامية الغافلة الجاهلة، فيقول في كتاب إلى أين يتجه الإسلام؟: "لقد استطاع النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة وتعليماتنا الخاصة، أن يترك المسلمين - ولو من غير وعي منهم - أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لادنيين إلى حد بعيد، ولا ريب أن ذلك هو اللب المثمر في كل ماتركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار. فالواقع أن الإسلام كعقيدة وإن لم يفقد إلا قليلاً من أهميته وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مهيمنة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانه!"^{٨٩٦}.

وفي المقابل يوجه الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله - شيخ الأزهر سابقاً - تحذيراً إلى المسلمين من القذف بأبنائهم بين براثن المدارس والمعلمين الذين يضلّونهم ويفسدون عقائدهم، يقول: (من الذي يستطيع أن يهنيئ لولده عيشاً راضياً، وينبته نباتاً حسناً فينشأ سليم القلب، طاهر اللسان، صديقاً لأسرته، عاملاً على إعلاء شأن أمته ؟ ! ولكنه يأتى أن يفعل هذا الذي ينصح به لولده، وجنى ثمار الحمد من عواقبه، فيعبد إليه وهو صافي الفطرة، فيلقيه في بيئة يتولاه فيها من لا يرقبون إلاّ ولا ذمة، فلا يزالون يُلقنونه زُيفاً، ويبدرون في نفسه شراً، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً ... ذلك مثل المسلم الذي يهبه الله ولداً ليسلك به هداية، ويعدّه لأن يكون عضواً يرتاح لسعادة قومه، ويتألم لشقائهم، فإذا هو يبعث به إلى مدارس أُسست لمحاربة الدين الحنيف، ولقتل العاطفة الإسلامية، وهي المدارس التي تنشئها في بلادنا الجمعيات التي يقال لها: جمعيات التبشير .

^{٨٩٥} - من كتاب. اجنحة المكر الثلاثة.

^{٨٩٦} - <http://www.balagh.com/mosoa/taqlg/ug.htm>

إن الذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس، لا تكون جريمته من جريمة أولئك الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ببعيد... ألم يقم الدليل إثر الدليل على أن القائمين فيها بأمر التعليم يُلقنون أبناء المسلمين معتقدات ديانة غير إسلامية، ويحملونهم على تقاليدها، ويتعرضون للطعن في شريعة الإسلام بطرق شأنها أن تؤثر على الأطفال، ومن هم بمزلة الأطفال في عدم معرفتهم بحقائق الدين معرفة تقيهم شر ذلك الإغواء .

ليس الذي يزجُّ بابنه في مدارس التبشير بالذي يقتل نفساً واحدة، ولكنه يقتل خلقاً كثيراً، ويجني بعد هذا على الأمة بأجمعها، ولا أقول هذه مبالغة، فقد يصير هذا الولد أستاذاً من بعد، ويفسد على طائفة عظيمة من أبناء المسلمين أمر دينهم، ووطنيتهم، وقد أرتنا الليالي أن من المتخرجين في هذه المدارس من يملك سلطة على قوم مسلمين، فيجدون فيه الغلظة والمكر وعدم احترام الشريعة؛ ما لا يجدونه في الناشئ على غير الإسلام .

قد ينال الطالب في هذه المدارس علماً، وليس هذا العلم في جانب ما يخسره من دينه وما يفوته من الإخلاص لأُمته بالشيء الذي يثقل وزنه، ولكنها الأهواء التي أخذت القلوب، فتبعث الرجل على أن يأخذ بيد ابنه، وهو كالملاك طهراً وطيبة، ويقوده إلى حيث يشهد ازدياد قومه والطعن في الحنيفية السمحة، فلا يلبث أن ينقلب ذلك الطهر رجساً، وذلك الطيب خُبثاً، وتكون العاقبة ما نسمعه عن كثير من المتخرجين في هذه المدارس، وما نرى^{٨٩٧} .



^{٨٩٧} - الهداية الإسلامية (ص ١٥١) نقلاً عن كتاب: منهج التربية النبوية للطفل، لمحمد نور سويد ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

الأساس الرابع - إتقان الطفل للغة العربية .

اللغة العربية مفتاح العلوم كلها، وكلما قوي الطفل باللغة كان سبباً في قوته فيما بعد لأي علم من العلوم رغب في تعلمه، وأحب أن يكسبه، واللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، رغب في تعليمها النبي ﷺ، واهتم بنشوء الأطفال وقد أتقنوها، ومن شدة اهتمامه بها يقبل فداء أسرى بدر بتعليم كتابتها، وقراءتها لأطفال المسلمين، فكان كل أسير يفدي نفسه بتعليم عشرة من صبيان الصحابة اللغة العربية وإتقانها .

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ لَيْسَ لَهُمْ فِدَاءٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ قَالَ فَجَاءَ غُلَامٌ مِنَ أَوْلَادِ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي قَالَ: الْخَبِيثُ يَطْلُبُ بِذَحْلِ بَدْرٍ وَاللَّهِ لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا^{٨٩٨}.

وقبول النبي ﷺ تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت الذي كانوا فيه بأشد الحاجة إلى المال يرينا سمو الإسلام في نظرته إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ - خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ - اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ - الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) [العلق: ١-٤] . واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنة في الترغيب في العلم وبيان منزلة العلماء، وبهذا العمل الجليل يعتبر النبي ﷺ أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية وإشاعة القراءة والكتابة، وأن السبق في هذا للإسلام^{٨٩٩}.

ولما كثر خطأ أطفال المسلمين في قواعد اللغة العربية، تنبه لذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وخطب العلماء بتقعيد القواعد وتعليمها للأطفال، خشية استفحال العجمة، قَالَ ابْنُ خَلَّكَانَ وَغَيْرُهُ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَ النَّحْوِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ الْكَلَامَ

^{٨٩٨} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٦ / ٣٢٢) (١٣٢٢٧) حسن

الأسارى: جمع أسير وهو المأخوذ في الحرب - الذحل: الوثر وطلب المكافأة بجناية جنيته عليه من قتل أو جرح ونحو ذلك. والذحل: العداوة أيضا

^{٨٩٩} - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (٣ / ٦٩) وانظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (١٦٤/٢، ١٦٥).

اسْمٌ وَفَعْلٌ وَحَرْفٌ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ نَحَا نَحْوَهُ وَقَرَعَ عَلَى قَوْلِهِ، وَسَلَكَ طَرِيقَهُ فَسُمِّيَ هَذَا الْعِلْمُ النَّحْوُ لِذَلِكَ. وَكَانَ الْبَاعِثُ لِأَبِي الْأَسْوَدِ لِلتَّأْلِيفِ فِي النَّحْوِ عَلَى بَسْطِ ذَلِكَ تَغْيِيرُ لُغَةِ النَّاسِ، وَدُخُولُ اللَّحْنِ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ أَيَّامَ وَلِيَّةِ زِيَادٍ عَلَى الْعِرَاقِ، وَكَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ مُؤَدِّبَ بَنِيهِ؛ فَإِنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ يَوْمًا إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ: تُؤَفِّي أَبَانَا وَتَرْكُ بَنُونَ، فَأَمْرُهُ زِيَادٌ أَنْ يَضَعَ لِلنَّاسِ شَيْئًا يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ. وَيُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا وَضَعَ مِنْهُ بَابُ التَّعَجُّبِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ ابْنَتَهُ قَالَتْ لَهُ لَيْلَةً: يَا أَبُهِ، مَا أَحْسَنَ السَّمَاءَ! فَقَالَ: نُجُومُهَا. فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أَسْأَلْ عَنْ أَحْسَنِهَا، إِنَّمَا تَعَجَّبْتُ مِنْ حُسْنِهَا. فَقَالَ قَوْلِي: مَا أَحْسَنَ السَّمَاءَ! ٩٠٠.

وانطلق السلف الصالح في نصح الأطفال - طلبة العلم - بالاهتمام باللغة العربية ؛ لنها مفتاح العلوم الأخرى كافة، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونُ قَالَ: أَتَيْتُ الْمُنْدَرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَزَامِيَّ، وَأَنَا حَدِيثُ السَّنِّ، فَلَمَّا تَحَدَّثْتُ اهْتَزَّ إِلَيَّ عَلَى غَيْرَةٍ لَمَّا رَأَى فِيَّ بَعْضَ الْفَصَاحَةِ فَقَالَ لِي: "مَنْ أَنْتَ؟" فَقُلْتُ لَهُ: عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونُ، فَقَالَ: "اطْلُبِ الْعِلْمَ، فَإِنَّ مَعَكَ حِذَاءَكَ وَسِقَاءَكَ" ٩٠١.

وقد كانت نشأة الإمام الشافعي - رحمه الله - وهو صغير يتعلم من القبائل العربية حيث رحل إليها، وعاش معها، ولهذا كان فصيح اللسان، وعمدة اللغة العربية بين العلماء .
ويوصي ابن سينا في كتابه السياسة باب سياسة الرجل ولده بما يلي: "ينبغي البدء بتعلم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسميا وعقليا، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء ويلقن معالم الدين، ثم يروي الصبي الشعر مبتدأ بالرجز ثم بالقصيدة، لأن رواية الرجز وحفظه أيسر إذ أن بيوته أصغر ووزنه أخف، على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وما حث على بر الوالدين واصطناع المعروف وإكرام

٩٠٠ - شرح الآجرومية - حسن حفظي - (١ / ١٥) والبداية والنهاية لابن كثير - موافقة للمطبوع - (٨ / ٣٤٣)

٩٠١ - جامع بيان العلم > باب فضل التعلم في الصغر والحض عليه (٣٩٥)

الضيف. فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن وألم بأصول اللغة ينظر عند ذلك في توجيهه إلى ما يلائم طبيعته واستعداده"^{٩٠٢}..

أما أبو الحسن الماوردي، فينبه إلى أهمية تعليم الطفل اللغة العربية وإجادتها فيقول: "فإذا بلغ التأديب والتعليم، فالوجه أن يبدأ بتعليم القرآن مع اللغة العربية لأنها اللغة التي أنزل الله بها كتابة، وخاطب بها في شرائع دينه وفرائض ملته، وبها بلغ رسول الله ﷺ سننه، وبها ألفت الكتب الدينية، والحكمية والجديدة والهزلية، وبها تكتب رسائلهم والصكوك التي جعلها وثائق بينهم، فلا بد للناشي في هذه الملة من تعلمها، وإلا كان جاهلاً بالدين، منقوصاً في الملل".

"إضافة إلى ما تمتاز به هذه اللغة من الفصاحة والبيان، والطلاوة على اللسان والطلاوة في الإسماع والأذان، وكثرة التصارييف، واحتمال المقاييس النحوية، وسعة الألفاظ، ووسط الحروف بين القلة والكثرة، وأشباه هذه الخصال ما لو تعلمت تجملاً، واستفدت تأديباً، لكانت لذلك موضعاً، ولهذا كان الملوك العجم يتعلمونها، فإن كثيراً منهم يستعملها في أوقات حفلاته ن ومجالس زينته".

ويؤكد الماوردي رأي ابن سينا في تعلم الأخف من اللغة بقوله: "والوجه في تعليم اللغة: أن يقتصد إلى الأخف فالأخف من كتبها، والأسهل فالأسهل من مؤلفاتها، ومصنفاتها، وألا يشغل الأولاد بالغريب الوحشي والنادر الأجنبي، ولا بدقائق النحو، ودواوين العروض، فإن ذلك مما يشغله عن المعاني، وإنما تتعلم الألفاظ قصداً إلى معرفتها، فإذا أفنى الإنسان عمره في تعلم الألفاظ فاتته المعاني، إلا أن يكون ذلك لمن يجعله صناعة، مثل الأدباء، والمؤدبين، والمعلمين من النحويين، ويحتاج في الاستعانة على تعلم اللغة إلى رواية أشعار العرب، وأيامها وأخبارها، والصواب في تدبير ذلك: أن تروى له، ويعلم، ويحفظ الأشعار الحكمية التي ضمت الحكمة، والتوحيد والدين، والبعث على العلم، والزهد، والشجاعة، والجلود، ومكارم الأخلاق، لينشأ على معرفة الفضائل، ومحبة نيل الممدوح

نشوء، ويعتادها عادة، فيجتمع له في ذلك فائدة الفصاحة والبيان، ومعرفة المتبذل من الكلام، وكثير من الغريب، والوقوف على المعاني الفاضلة "٩٠٣".

لقد أصبحت اللغة العربية لغة العبادة والطاعة في الصلاة وسائر الشعائر، ومن هنا ندرك مسؤوليتنا في توفير الفرصة الكاملة للطفل، ليأخذ دينه من كتاب الله باللغة العربية كما أنزل من عند الله.



الأساس الخامس - إتقان الطفل اللغة الأجنبية .

بعد أن يتقن الطفل اللغة العربية بشكل جيد، ويحفظ شيئاً من القرآن والحديث، فلا بأس بإتقانه لغة أجنبية سائدة، في الظروف الراهنة التي أصبحت فيه اللغة العربية مقصورة عن الحياة، وذلك لتكوين جيل مسلم يستطيع كشف مخططات أعداء الإسلام، ويؤمن مكرهم، وينقل العلوم المادية البحتة إلى المسلمين، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ أول ما وصل إلى المدينة المنورة مهاجراً من مكة، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا، أَخْبَرَهُ ؛ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ زَيْدٌ: ذَهَبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْجَبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بَضْعَ عَشْرَةِ سُورَةٍ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ: يَا زَيْدُ، تَعَلَّمَ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنَ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَدَفْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ^{٩٠٤}.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَتُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَتَعَلَّمَهَا فَإِنَّهُ تَأْتِينَا كُتُبٌ، قَالَ: فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا قَالَ الْأَعْمَشُ: كَانَتْ تَأْتِيهِ كُتُبٌ لَا يَشْتَهِي أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِهِ^{٩٠٥}.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (الطحاوي): فَتَأَمَّلْنَا هَذَا الْحَدِيثَ فَوَجَدْنَا مَا كَانَ يَرِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - مِنْ كُتُبِ يَهُودَ بِالسُّرْيَانِيَّةِ إِنَّمَا كَانَ يَقْرَأُ لَهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا يَحْضُرُونَهُ، وَهُمْ غَيْرُ مَأْمُونِينَ عَلَى كِتْمَانِهِ بَعْضَ مَا فِيهِ، وَغَيْرُ مَأْمُونِينَ عَلَى تَحْرِيفِ مَا فِيهِ إِلَى مَا يُرِيدُونَ، وَكَانَ مَا يَنْفَذُ مِنْ كُتُبِهِ إِلَى الْيَهُودِ جَوَابًا لِكُتُبِهِمْ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَتَحْتَاجُ الْيَهُودُ الْوَارِدَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى مَنْ يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ لِيَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ ؛ إِذْ كَانُوا لَا يُحْسِنُونَ الْعَرَبِيَّةَ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يُحَرِّفَ مَا فِي كُتُبِهِ إِلَيْهِمْ إِلَى مَا يُرِيدُ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ عَبْدَةِ الْأَوْتَانِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - مَا لَا خَفَاءَ بِهِ، وَفِي قُلُوبِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مَا فِيهَا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - زَيْدًا أَنْ يَتَعَلَّمَ لَهُ السُّرْيَانِيَّةَ لِيَقْرَأَ كُتُبَهُمْ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ قِرَاءَةً، فَيَأْمَنَ بِهَا كِتْمَانَ مَا فِيهَا،

^{٩٠٤} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٢٤٢) (٢١٦١٨) ٢١٩٥٤ - حسن

^{٩٠٥} - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٨٥) (٧١٣٦) صحيح

وَيَأْمَنَ بِهَا تَحْرِيفَ مَا فِيهَا، وَيَكُونُ كِتَابُهُ - ﷺ - إِذَا وَرَدَ عَلَى الْيَهُودِ وَرَدَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ يَقْرَؤُهُ عَامَّتُهُمْ، يَأْمَنُ فِيهِ مِنْ كِتْمَانِ بَعْضِ مَا فِيهِ، وَمِنْ تَحْرِيفِ مَا فِيهِ إِلَى غَيْرِ مَا كَتَبَ بِهِ، فَهَذَا وَجْهُ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَنَا، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ "٩٠٦".

وبهذا الخبر يتضح أن للترجمان مكانة رفيعة في الدولة، إذ هو الذي يطلع على أسرار الدولة وما يأتيها من مراسلات، أو ما ترسله من مخاطبات، إذ لا يصح أن يطلع كل إنسان على تلك الكتب الصادرة والواردة لئلا تختل الدولة وتكشف أسرارها؛ ولذلك أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود، وتعلم زيد بن ثابت لغة يهود في خمس عشرة يوماً يدل على ذكاء مفرط، وقوة حافظته، وقد كان - ﷺ - ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ، ومن أشهر كتاب الوحي بين يديه، وهو الذي تولى كتابة القرآن وحده في الصحف في عهد الصديق، وكان أحد كاتبي المصاحف في عهد عثمان - ﷺ -، وأمر رسول الله ﷺ زيداً بتعلم لغة اليهود وكتابتهم يدل على أن الإسلام يحبب إلى المسلم أن يتعلم لغة غيره وكتابتهم، ويتعرف على علومهم ومعارفهم ولا سيما إذا دعت لذلك ضرورة^{٩٠٧}.

فاستخدام اللغات الأجنبية في مجال التعليم والدعوة والتبليغ، عند الحاجة إليها مما ثبت من هدي النبي - ﷺ -، وهو أحد أساليب النبي - ﷺ - في التعليم . ثم اللغات اليوم مفتاح العلوم الكونية التي أصبحت ضرورية، لمجاراة العجم والفرنجية، والترقي بين الأمم، وصارت مفتاحاً للتعارف الذي أصبح ضرورياً للعيش وأمن الإنسان على حقوقه حين الاختلاط، وللشيخ صفي الدين الحلي وهو ممن كان يحفظ عدة لغات :

بَقَدَرِ لُغَاتِ الْمَرْءِ يَكْتُرُ نَفْعُهُ وَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ الْمَلِمَاتِ أَعْوَانُ

^{٩٠٦} - شرح مشكل الآثار - (٥ / ٢٨٠) (٢٠٣٨ و ٢٠٣٩) والأساليب النبوية في التعليم - ط ١ - (١ / ٥١٦)

^{٩٠٧} - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (٣ / ٢٤٦) وانظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (٢٤٩/٢).

فبادرُ إلى حفظِ اللغاتِ مُسارعاً فكلُّ لسانٍ في الحقيقةِ إنسانٌ^{٩٠٨}

"وهذا يدل على أن المسلمين إن احتاجوا إلى من يتعلم لغة غير لغة العرب، كالسفراء وغيرهم أن ذلك يجوز لطائفة منهم، بل قد يكون فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين هذا هو الحكم من حيث الأصل، لكننا للأسف وجدنا في هذه الأيام كثيراً من المسلمين يقصدون التعلم في هذه المدارس الأجنبية لذاتها فخراً ورياءً وطلباً للمدح والثناء، والحصول على الوظائف المرموقة، دون نظر إلى حاجة المسلمين أو عدم حاجتهم إليها، ولذلك فإننا نجد أن اللغة العربية قد اندرست بين المسلمين معالمها، وصار أكثرهم جاهلاً بها وبقواعدها، حتى غلب خطؤهم فيها صوابهم، وتفشى فيهم اللحن دون اكتراث أو اهتمام.

ونحن نرى -والله أعلم- أن حاجة المسلمين ماسة في هذه الأيام إلى تعلم العلوم الشرعية، لقلة المقبلين عليها، وحاجة الناس إليها، ولأنها هي المقصودة في قول النبي ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"

وإننا لنحذر المسلمين في كل مكان من الإقبال على الدراسة في المدارس المذكورة، لأنها تقضي على لغة القرآن، وتطغى عليها بما تدرسه من لغات أخرى، ولأن القائمين عليها في الغالب غير مسلمين أو تابعين لأماكنها الرئيسية في بلاد غير المسلمين، وعلى المسلم ألا يغتر بكثرة الهالكين، ويجب عليه أن يسلك طريق الناجين ولو لم يسلكه إلا القليل^{٩٠٩}. وفي فتاوى الشبكة الإسلامية أيضاً "فالأصل هو جواز تعلم اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأجنبية لتحصيل مصلحة شرعية، ولكن المأثور عن النبي ﷺ وعن أصحابه من بعده وعن التابعين رحمهم الله أنهم لم يكونوا يقبلون على تعلم لغة غير لغة العرب إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، كما حصل في عهد النبي ﷺ....

٩٠٨ - الرسول المعلم - صلى الله عليه وسلم - وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ١٧١) والأساليب النبوية في التعليم - ط ١ - (١ / ٥١٧)

٩٠٩ - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٣ / ٥٩٢٨) - رقم الفتوى ١٩٧٣٠ تعلم اللغات الأجنبية... نظرة شرعية

وقال الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله في هذا الموضوع: إن المسلم ينبغي له ألا يتكلم بغير العربية إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ككون الشيء معروفاً باسمه غير العربي، أو كون المخاطب لا يفهم من اللغة العربية إلا قليلاً فإن هذا لا بأس به، أما إذا كان الإنسان عربياً وهذا الشيء الذي تحدث عنه له اسم في اللغة العربية، فلا ينبغي له أن يأتي بشيء آخر من اللغات الأخرى، لأن أفضل اللغة وأتمها وأحسنها هي اللغة العربية، ولهذا نزل القرآن باللغة العربية وهو أفضل الكتب التي أنزلها الله على رسوله، وكان أيضاً لسان آخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ اللسان العربي، وهو دليل واضح على فضيلة اللغة العربية. انتهى.

وعليه فتعلم اللغة الإنجليزية مباح في الأصل، وقد يكون فرض كفاية إذا احتيج إليه في بعض أمور المسلمين ومصالحهم، ولكن تعلم اللغة العربية أفضل منه. والله أعلم^{٩١٠}.

قلت:

تعلم اللغات الأخرى لتبليغهم الدعوة أو تعليم المسلمين فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقي، أما أن تفرض اللغات الأجنبية على المسلم مقابل اللغة العربية وعلى حسابها، فهذه مؤامرة دينية على الإسلام، واللغة العربية هي أقدر اللغات على استيعاب كل العلوم، ولكن اللغات الأجنبية -ولاسيما اللغة الإنكليزية- قد فرضت بالقوة على المسلمين.

فاليهود كانوا يتكلمون العربية والسريانية، وهم يعيشون في المدينة، فلم يأمر النبي ﷺ - أصحابه ليعلموا اللغة السريانية، بل أمر واحداً من أصحابه، فتعلمها خلال وقت قصير، ولم يأمر بالباقيين.

فالانبهار بهذه اللغات ما هو إلا نوع من الهزيمة النفسية التي يعاني منها المسلمون بعد سقوط الخلافة، وعزوهم فكريا وثقافيا وعسكريا وسياسياً...

^{٩١٠} - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٨٢٩٩) - رقم الفتوى ٦٩٩١٩ حكم تعليم اللغة الإنجليزية

ولم تعد القضية نعلم اللغة الأجنبية فقط، بل ثقافتهم وفكرهم وقيمهم الساقطة الهابطة، والتعني بها لظن المغلوب أنه إذا قلد الغالب في كل شيء استرد فوته وعافيته، فهذا غير صحيح بتاتا .

ولكن سيبقى المسلمون عالة على الأمم ولو تعلموا كل لغاتهم، فنحن بغير الإسلام لا قيمة لنا ولا وزن ولا اعتبار، فإذا عاد الإسلام إلى الحياة عقيدة وعبادة وشرعية ومنهج حياة عندئذ تأتي خيرات العالم كله صاغرة لنا، لأننا عندئذ نمثل الروح بالنسبة للجسد^{٩١١} .

قلت: وقد احتجوا بخبر آخر على تعلم اللغات الأخرى، وهو عَنْ عُمَرَ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كَانَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ مِائَةُ غُلَامٍ يَتَكَلَّمُ كُلُّ غُلَامٍ مِنْهُمْ بِلُغَةٍ أُخْرَى، فَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُكَلِّمُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِلُغَتِهِ، فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ دُنْيَا، قُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ لَمْ يُرِدْ إِلَيْهَا طَرَفَةً عَيْنٍ، وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ قُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ لَمْ يُرِدْ إِلَيْهَا طَرَفَةً عَيْنٍ^{٩١٢} .

قلت: هو خبر منكر سندا ومتنا، فعمر بن قيس المكي متروك^{٩١٣} .

كما أن متنه يخالف طبيعة ابن الزبير رضي الله عنه، والواقع، فتباً للكذابين .

ومن ثم فلا يجوز الاحتجاج بمثل هذا الخبر على أن السلف الصالح كانوا يبحثون على تعلم اللغات الأخرى .



^{٩١١} - الأساليب النبوية في التعليم - ط ١ - (١ / ٥١٧)

^{٩١٢} - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٣ / ١٦٤٨) (٤١٤٣) والمستدرک للحاکم - (٥ / ١٠٠) (٦٣٣٥) وسیر أعلام النبلاء - (٣ / ٣٦٨) والبداية والنهاية لابن كثير محقق - موافق للمطبوع - (٨ / ٣٧٣)

^{٩١٣} - تقريب التهذيب (١ / ٤١٦) (٤٩٥٩) والكاشف (٢ / ٦٨) (٤١٠٢)

الأساس السادس - توجيه الطفل وفق ميوله العلمية .

لا بد من توجيه الطفل حسب ميوله العلمية، ورغباته النفسية، لأنه أدعى لتمكن العلم من نفسه، وبراعته به، وتفوقه على أقرانه، وقد قرر هذا أيضاً علماء السلف الصالح رضوان الله عليهم، فهذا ابن سينا يرى أنه: ليست كل صناعة - مهنة - يرومها الصبي ممكنة له، مواتية، ولكن ينبغي له أن يزاوِل ما شاكل طبعه وناسبه .

كَانَ الْخَلِيلُ (الفراهيديُّ) رَجُلًا صَالِحًا عَاقِلًا كَامِلًا حَلِيمًا وَقُورًا، وَكَانَ مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا، صَبُورًا عَلَى الْعَيْشِ الْخَشِنِ الضَّيِّقِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا يُجَاوِزُ هَمِّي مَا وَرَاءَ بَابِي. وَكَانَ ظَرِيفًا حَسَنَ الْخُلُقِ.

وَذَكَرَ أَنَّهُ اشْتَغَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فِي الْعُرُوضِ، قَالَ: وَكَانَ بَعِيدَ الْفَهْمِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: كَيْفَ تُقَطِّعُ هَذَا الْبَيْتَ؟

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
فَشَرَعَ مَعِيَ فِي تَقْطِيعِهِ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ مِنْ عِنْدِي فَلَمْ يَعُدْ إِلَيَّ، وَكَأَنَّهُ فَهِمَ مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ^{٩١٤}.

وكان الإمام البخاري في أول أمره يحاول تعلم الفقه، والتبحر فيه، فقال له محمد بن الحسن: اذهب واشتغل بعلم الحديث، عندما رآه مناسباً لقدراته وأليق به، وأقرب إليه، وقد أطاع البخاري، ومن صار على رأس أهل الحديث، بل وإمامهم^{٩١٥} .



^{٩١٤} - البداية والنهاية لابن كثير محقق - موافق للمطبوع - (١٠ / ١٧٢)

^{٩١٥} - مجلة الوعي العربي سنة أولى عدد (١) عام ١٩٧٧ م ص (٣٣) .

الأساس السابع - المكتبة المنزلية الصالحة، وأثرها في بناء الطفل.

حتى يتعلم الطفل القرآن والحديث واللغة، فلا بدَّ من احتواء البيت على مكتبة إسلامية علمية يشبُّ عليها، وينهل منها.

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ بُدَيْلٍ بْنِ وَرْقَاءَ: دَفَعَ إِلَيَّ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ هَذَا الْكِتَابَ، وَقَالَ: يَا بُنَيَّ هَذَا كِتَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَوْصُوا بِهِ، فَلَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ، قَالَ لَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشِيرٍ: أَمْلَيْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ نُسخَةِ كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بُدَيْلٍ وَبَشِيرٍ وَسَرَوَاتِ بَنِي عَمْرٍو، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَمْ أَتُمْ بِالْكُمْ وَلَمْ أَضَعْ فِي جَنْبِكُمْ، وَإِنِّ أَكْرَمَ أَهْلَ تِهَامَةَ عَلَيَّ أَنْتُمْ، وَأَقْرَبَهُمْ رَحِمًا وَمَنْ تَبِعَكُمْ مِنَ الْمُطِيبِينَ، وَإِنِّي قَدْ أَخَذْتُ لِمَنْ هَجَرَ يَعْنِي: هَاجَرَ مِنْكُمْ مِثْلَ مَا أَخَذْتُ لِنَفْسِي، وَلَوْ هَجَرَ هَكَذَا أَمْلَى عَلَيْنَا، وَإِنَّمَا هِيَ: هَاجَرَ بِأَرْضِهِ غَيْرَ سَكَنِ يُرِيدُ: سَاكِنَ مَكَّةَ إِلَّا مُعْتَمِرًا أَوْ حَاجًّا، وَإِنِّ لَمْ أَضَعْ فِيكُمْ إِذَا سَلَّمْتُ وَإِنَّكُمْ غَيْرُ خَائِفِينَ مِنْ قِبَلِي وَلَا مُحْصَرِينَ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ عَلَقَمَةُ بْنُ عُثَاثَةَ وَابْنَا هَوْذَةَ، وَتَبِعَا يَعْنِي: وَبَايَعَا وَهَجَرَا يَعْنِي: وَهَاجَرَا عَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عِكْرِمَةَ، وَأَخَذَ لِمَنْ تَبِعَهُ مِنْكُمْ مِثْلَ مَا أَخَذَ لِنَفْسِهِ، وَإِنِّ بَعْضَنَا مِنْ بَعْضٍ أَبَدًا فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلِيُحْيِيَكُمْ رَبُّكُمْ" ٩١٦.

وهذا سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ بن هلال الفزاري، من علماء الصحابة، نزيل البصرة، كان الحسن وابن سيرين وفضلاء أهل البصرة يشنون عليه ويجيبون عنه، قال ابن سيرين: في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير. وكان زياد يستخلفه على البصرة ستة أشهر وعلى الكوفة ستة أشهر وكان شديدا على الخوارج ويقول: شر قتلى تحت أديم السماء. وعن محمد بن سيرين قال: كان سمرة -فيما علمت- عظيم الأمانة صدوق الحديث يحب الإسلام وأهله. وكان من الحفاظ الكثيرين ٩١٧.

٩١٦ - أخبار مكة للفاكهي - (٣ / ٩٩) (١٨٥٦) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم - (١ / ٤٢٢) (١٢٤٢) فيه جهالة

٩١٧ - موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية - (١ / ٢٩٩)

وقالوا: ومتى كان الأديب جامعاً بارعاً، وكانت موارثه كتباً بارعة، وآداباً جامعة، كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم حظاً، وأجدر أن يسرع التعليم إليه، ويرى تركه خطأً، وأجدر أن يجري من الأدب على طريق قد أنهج له، ومنهاج قد وطئ له، وأجدر أن يسري إليه عرق من نَحله، وسقي من غرسه، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسب، النظر في الكتب، فلا يأتي عليه من الأيام مقدارُ الشغل بجمع الكتب، والاختلاف في سماع العلم، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة، وإنما تُفسد الكفاية من له تمت آلاته، وتوافت إليه أسبابه، فأما الحدّث الغرير، والمنقوص الفقير. فخير موارثه الكفاية إلى أن يبلغ التمام، ويكمل للطلب، فخير ميراث ورث كتب وعلم، وخير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرّق، ويصّر ولا يُعمي، ويُعطي ولا يأخذ، ويجود بالكلّ دون البعض، ويدع لك الكثر الذي ليس للسلطان فيه حقّ، والركّاز الذي ليس للفقراء فيه نصيب، والنّعمة التي ليس للحاسد فيها حيلة، ولا للصوص فيها رغبة، وليس للخصم عليك فيه حجّة، ولا على الجار فيه مؤونة^{٩١٨}.

وهنا أذكر شدة حاجتنا إلى كتب في القصص العام الإسلامي للأطفال، تجمع بين تشويقهم إلى المطالعة، وملاءمتها لمداركهم وقواهم العقلية، وتزويدهم بالشعور الإسلامي.. والقصص الإسلامي غني بذلك من سير الصحابة والتابعين وأمثالهم- رضوان الله عليهم.

وأذكر كذلك ضرورة احتواء المنزل على مكتبة مهما كانت يسيرة، إلا أن كتبها تُختار من كتب التاريخ الإسلامي، وتراجم السلف وكتب الأخلاق والحكم والرحلات الإسلامية والفتوح ونحوها.. ولئن كانت صيدلية المنزل ضرورية لدواء الأجسام، فالمكتبة الإسلامية في المنزل ضرورية لإصلاح العقول^{٩١٩}.

أساليب عملية تجعل الأولاد يحبون القراءة:

^{٩١٨} - الحيوان - (١ / ٣٢)

^{٩١٩} - انظر أثر التربية في حياة الأفراد والأمم، محاضرة ألقاها الإمام "حسن البنا" في جمعية الشبان المسلمين عام

يتفق أهل التربية على أهمية غرس حب القراءة في نفس الطفل، وتربيته على حبها، حتى تصبح عادة له يمارسها ويستمتع بها. وما هذا إلا لمعرفةهم بأهمية القراءة، فقد أثبتت البحوث العلمية (أن هناك ترابطاً مرتفعاً بين القدرة على القراءة والتقدم الدراسي). وهناك مقولات لعلماء عظام تبين أهمية القراءة أذكر منها:

١ - (الإنسان القارئ تصعب هزيمته).

٢ - (إن قراءتي الحرة علمتني أكثر من تعليمي في المدرسة بألف مرة).

٣ - (من أسباب نجاحي وعبقريتي أنني تعلمت كيف انتزع الكتاب من قلبه).

٤ - سئل أحد العلماء العباقرة: لماذا تقرأ كثيراً؟ فقال: (لأن حياة واحدة لا تكفيني !!).

كما أن القراءة تفيد الطفل في حياته، فهي توسع دائرة خبراته، وتفتح أمامه أبواب الثقافة، وتحقق التسلية والمتعة، وتكسب الطفل حساً لغوياً أفضل، ويتحدث ويكتب بشكل أفضل، كما أن القراءة تعطي الطفل قدرة على التخيل وبعد النظر، وتنمي لدى الطفل ملكة التفكير السليم، وترفع مستوى الفهم، وقراءة الطفل تساعد على بناء نفسه وتعطيه القدرة على حل المشكلات التي تواجهه.

وأشياء كثيرة وجميلة تصنعها القراءة وحب الكتاب في نفس الطفل.

إن غرس حب القراءة في نفس الطفل ينطلق من البيت الذي يجب عليه أن يغرس هذا الحب في نفس الطفل، فإن الأب إذا علم أولاده كيف يحبون القراءة، فإنه يكون قد وهبهم هدية سوف تثري حياتهم أكثر من أي شيء آخر!! ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ ولا سيما في عصر قد كثرت فيه عناصر الترفيه المشوقة والألعاب الساحرة التي جعلت الطفل يمارسها لساعات متواصلة!!

أساليب ترغيب القراءة للطفل:

١ - القدوة القارئة: إذا كان البيت عامراً بمكتبة ولو صغيرة، تضم الكتب والمجلات المشوقة النافعة، وكان أفراد الأسرة ولاسيما الأب من القارئ والمحبين للقراءة، فإن الطفل سوف يحب القراءة والكتاب. فالطفل عندما يرى أباه وأفراد أسرته يقرأون، ويتعاملون مع الكتاب، فإنه سوف يقلدهم، ويحاول أن يمسك بالكتاب وتبدأ علاقته معه.

٢- تشجيع الطفل على تكوين مكتبة صغيرة له: تضم الكتب الملونة، والقصص الجذابة، والمجلات المشوقة، ولا تنس اصطحابه للمكتبات التجارية، والشراء من كتبها ومجلاتها، وترك الاختيار له، وعدم إجباره على شراء مجلات أو كتب معينة، كل هذا يجعل الطفل يعيش في جو قرائي جميل، يشعره بأهمية القراءة والكتاب، وتنمو علاقته بالكتاب بشكل فعال.

٣- التدرج مع الطفل في قراءته: لكي نغرس حب القراءة في الطفل ينبغي التدرج معه، فمثلاً كتاب مصور فقط، ثم كتاب مصور يكون في الصفحة الواحدة صورة وكلمة فقط، ثم كتاب مصور يكون في الصفحة الواحدة كلمتين، ثم كتاب مصور يكون في الصفحة الواحدة سطر وهكذا.

٤- مراعاة رغبات الطفل القرائية: إن مراعاة رغبات الطفل واحتياجاته القرائية، من أهم الأساليب لترغيبه في القراءة، فالطفل مثلاً يحب قصص الحيوانات وأساطيرها، ثم بعد فترة، يحب قصص الخيال والمغامرات والبطولات وهكذا. فعليك أن تساهم في تلبية رغبات الطفل، وحاجاته القرائية، وعدم إجباره على قراءة موضوعات أو قصص لا يرغبها!!

٥- المكان الجيد للقراءة في البيت أو المسجد: خصص مكاناً جيداً ومشجعاً للقراءة تتوفر فيه الإنارة المناسبة والراحة الكاملة للطفل، كي يقرأ ويحب المكان الذي يقرأ فيه.

٦- خصص للطفل وقتاً تقرأ له فيه: عندما يخصص المربي وقتاً يقرأ فيه للطفل القصص المشوقة، والجذابة حتى ولو كان الطفل يعرف القراءة، فإنه بذلك يمارس أفضل الأساليب لغرس حب القراءة في نفس طفله.

وهذه بعض التوصيات للقراءة للأطفال:

أ- اقرأ للأطفال أي كتاب أو قصة يرغبون بها، حتى ولو كانت تافهة، أو مكررة، وقد تكون أنت مللت من قراءتها، ولكن عليك بالصبر حتى تشعرهم بالمتعة في القراءة.

ب- عليك بالقراءة المعبرة، وتمثيل المعنى، واجعلها نوعاً من المتعة، واستعمل أصواتاً مختلفة، واجعل وقت القراءة وقت مرح ومتعة!!

ج- ناقش الأطفال فيما قرأته لهم، واطرح عليهم بعض الأسئلة، وحاوّرهم بشكل مبسط.

وحاول أن تكون هذه القراءة بشكل مستمر، كل أسبوع مرتين على الأقل. إن جلسات القراءة المسموعة، تجعل الأطفال يعيشون المتعة الموجودة في الكتب، كما أنها تساعدهم على تعلم وفهم لغة الكتب.

٧- استغلال الفرص والمناسبات: إن استغلال الفرص والمناسبات، لجعل الطفل محباً للقراءة، من أهم الأمور التي ينبغي على المربي أن يدركها. فالمناسبات والفرص التي تمر بالأطفال كثيرة، ونذكر هنا بعض الأمثلة، لاستغلال الفرص والمناسبات لتنشئة الطفل على حب القراءة.

أ- استغلال الأعياد بتقديم القصص والكتب المناسبة هدية للطفل. وكذلك عندما ينجح أو يتفوق في دراسته.

ب- استغلال المناسبات الدينية، مثل الحج والصوم، وعيد الأضحى، ويوم عاشوراء، وغيرها من مناسبات لتقديم القصص والكتيبات الجذابة للطفل حول هذه المناسبات، والقراءة له، وحواره بشكل مبسط والاستماع لأسئلته.

ج- استغلال الفرص مثل: الرحلات والترهات والزيارات، كزيارة حديقة الحيوان، وإعطاء الطفل قصصاً عن الحيوانات. وحواره فيها، وما الحيوانات التي يحبها، وتخصيص قصص مشوقة لها، وهناك فرص أخرى مثل المرض وألم الأسنان، يمكن تقديم كتيبات وقصص جذابة ومفيدة حولها.

د- استغلال الإجازة والسفر: من المهم جداً ألا ينقطع الطفل عن القراءة، حتى في الإجازة والسفر، لأننا نسعى إلى جعله ألا يعيش بدونها، فيمكن في الإجازة ترغيبه في القراءة بشكل أكبر، أو القراءة له قراءة جهرية، فالقراءة الجهرية ممتعة للأطفال، وتفتح لهم الأبواب، وتدعم الروابط العاطفية بين أفراد الأسرة، وسوف تكون لهم القراءة الممتعة جزءاً من ذكريات طفولتهم.

٨- استغلال هوايات الطفل لدعم حب القراءة: جميع الأطفال لهم هوايات يحبونها، منها مثلاً: الألعاب الإلكترونية، تركيب وفك بعض الألعاب، قيادة الدراجة، الرسم، الحاسب الآلي، كرة القدم، وغيرها من ألعاب. لذا عليك توفير الكتب المناسبة، والمجلات المشوقة، التي تتحدث عن هواياتهم، وثق أنهم سوف يندفعون إلى قراءتها، ويمكن لك أن تحاورهم فيها، وهل يرغبون في المزيد منها؟ ولا تقلق إذا كانت هذه الكتب تافهة، أو لا قيمة لها في نظرك. فالمهم هنا هو تعويد الطفل على القراءة، وغرس حبها في نفسه.

٩- طفلك والشخصيات التي يحبها والتي يمكن أن تجعله يحبها: من المهم أن تزود طفلك ببعض الكتب عن الشخصيات التي يحبها، أو التي يمكن أن يحبها، وأن يتعلم المزيد عن الرسول ﷺ، وحياته ومعجزاته، وصحابته، والشخصيات البطولية في التاريخ الإسلامي وهذا كله موجود في قصص مشوقة وجذابة، ولا سيما إذا كان طفلك لا يحب قصص الخيال لكنه يحب قصص الخير ضد الشر والمغامرات الواقعية..

١٠- قطار القراءة يتجاوز الأطفال: لا تيأس أبداً فمهما بلغت سن الأطفال ومهما كبروا يمكنهم أن يتعلموا حب القراءة لكن من المهم أن توفر لهم المجلات، والكتب التي تلي حاجاتهم القرائية، ومن الممكن أن تشترك لهم في بعض المجلات المناسبة، ولا سيما إذا كانوا مراهقين عليك أن تشبع حاجاتهم القرائية بشكل أكبر

١١- قراءة الطفل والتلفزيون: إن كثرة أجهزة التلفزيون في المنزل. تشجع الطفل على أن يقضي معظم وقته في مشاهدة برامجها، وعدم البحث عن وسائل للتسلية، أما مع وجود جهاز تلفزيون واحد، فإن الطفل سوف يلجأ إلى القراءة بالذات حين يكون فرد آخر في أسرته يتابع برنامج لا يرغب الطفل في متابعته!!.

وإياك أن تضع جهاز تلفزيون في غرفة نوم طفلك لأنه سوف ينام وهو يشاهده بدلاً من قراءة كتاب قبل النوم. وكلما كبر طفلك وازدحمت حياته، وزاد انشغاله، فإن وقت ما قبل النوم، يصبح هو الفرصة الوحيدة للقراءة عنده، لذا أحرص على غرس هذه العادة في طفلك!!

١٢ - العب مع أطفالك بعض الألعاب القرائية: والألعاب التي يمكن أن تلعبها مع طفلك ليحب القراءة كثيراً جداً، ولكن اختر منها الألعاب المشوقة والمثيرة، وهناك ألعاب يمكن أن تبتكرها أنت، مثل: اكتب كلمات معكوسة وهو يقرأها بشكل صحيح، وابدأ بكتابة اسمه هو بشكل معكوس فمثلاً اسمه (سعد) اكتبه له (دعس) واطلب منه أن يقرأه بشكل صحيح وهكذا. ومن الألعاب: أن تطلب منه أن يقرأ اللوحات المعلقة في الشوارع، وبعض علامات المرور، كعلامة (قف). ومن الألعاب التي يمكن أن تبتكرها لطفلك، يمكنك كتابة قوائم ترغب في شرائها من محل التموينات، واجعل طفلك يشطب اسم الشيء الذي تشتريه. ومن الألعاب القرائية: ألصق بعض الأحرف الممغنطة على الثلاجة، وكتب بها بعض الكلمات، واطلب من طفلك قراءتها، ثم دعه هو يكتب الحروف والكلمات وأنت تجيب، وحاول أن تعطيه إجابة خاطئة أحياناً حتى يصححها لك، وتذكر أن الطفل يحب أن يتولى زمام اللعبة خاصة مع أبويه!!

١٣ - المدرسة وقراءة طفلك: تابع باستمرار كيف يتم تدريس القراءة لأطفالك. زر المدرسة وتعرف على معلم القراءة، وبين له أنك مهتم بقراءة طفلك وبين له أيضاً البرامج التي تقدمها لطفلك ليكون محباً للقراءة. وأسأل معلم القراءة كيف يتم تدريس القراءة لطفلك وأسأله عن الأنشطة القرائية التي يمارسها طفلك في المدرسة، وأسأله عن علاقة طفلك بمكتبة المدرسة. وحاوره بشكل لطيف عن أهمية الأنشطة القرائية التي يجب أن يتعود عليها الطفل في المدرسة !!

ولا تنس أن تقدم خطابات الشكر للمعلم الذي يؤدي درس القراءة بطريقة تنمي حب القراءة لدى الطفل. وأحياناً يخشى المعلم القيام بأنشطة قرائية حرة داخل الصف ويترك المقرر قليلاً، لذا عليك أن تدعم هذا المعلم وترسل له خطابات الشكر هو ومديره، وأشكره على عمله!

واعرض عليه التبرع بالقصص المشوقة والكتب المناسبة لمكتبة الفصل! عندما يسمع المعلمون الآخرون عن هذا التشجيع فقد يجدون الشجاعة لعمل الشيء ذاته في فصولهم!!

١٤ - طفلك والرحلات المدرسية وأصدقائه والقراءة: إذا شارك طفلك أو ولدك في رحلة مدرسية، فاحرص على أن تزوده ببعض الكتب والقصص المشوقة! فقد يكون هناك وقت مناسب لكي يقرأ فيها، ويمرر هذه الكتب والقصص المفيدة لأصدقائه!

ولكن ينبغي أن يطلع عليها المعلم أولاً. أيضاً يمكن أن تقدم لأصدقاء طفلك بعض الكتب والقصص المشوقة أو يعيرها ولدك لهم. هذا بإذن الله سوف يضمن إنشاء أصدقاء لطفلك يحبون القراءة.

١٥ - السيارة وقراءة طفلك! احرص على توفير المجلات والقصص المناسبة لطفلك في سيارتك. وقدمها لطفلك أثناء القيادة، ولا سيما إذا كان الطفل سيجلس لمدة طويلة في السيارة. إن الطفل وقتها سوف ينشغل في القراءة ويكف عن الصراخ والمشاجرة وهذه فائدة أخرى!! ومن الملاحظ أن من الناس من يمضي وقتاً طويلاً، وسيارته واقفة لغسيلها، أو إصلاح المهندس لعطل فيها، أو لأي سبب آخر. ولا يستفيد من هذا الوقت في القراءة في مجلات أو كتب نافعة. فلا تجعل أطفالك من هذا النوع إذا كبروا!!

١٦ - عود طفلك على قراءة الوصفات! عندما تشتري دواء، فإن وصفة طريقة تناول الدواء تكون موجودة داخل العلبة. وعندما تشتري لعبة لطفلك تحتاج إلى تركيب، فإن وصفة طريقة التركيب تكون مصاحبة لها. لذا من الضروري أن تطلب من طفلك أن يقرأها أولاً، أو أن تقرأها له بصوت واضح وتشرح له ما لم يفهمه منها. المهم أن يتعود على قراءة أية وصفة مصاحبة لأي غرض. لأن ذلك سوف يدفعه إلى حب القراءة والتعود عليها.

١٧ - القصص والمجلات المشوقة وملاحقة الأطفال: لاحق أطفالك بالقصص الجذابة والمشوقة في أماكن تواجدهم. ضع القصص بجوار التلفزيون، وأماكن اللعب، وبجوار السرير، ضع قصص جذابة للنوم ولكن لا تكره طفلك على القراءة أبداً!!.

١٨ - أفراد أسرتك والقراءة!! تحدّث مع أفراد أسرتك عن المقالات والكتب التي قرأتموها. وخصص وقتاً للحوار والنقاش فيها. وليكن ذلك بوجود أطفالك، واسمح لهم بالمشاركة في الحوار، وحاوهم في قراءتهم، وشجّعهم على القراءة! وعلى كتابة ما يعجبهم من القصص في دفتر خاص بذلك.

١٩ - الطفل ومسرح القراءة: إن الأطفال يقرأون بسهولة عندما يفهمون ما يقرأون، لذا اختر الأدوار في القصة، واجعل طفلك يصبح إحدى الشخصيات وقرأ الحوار الذي تنطق به وهذا هو ما يسمى (مسرح القراءة). وهذا سوف يساعد على المتعة والإثارة أثناء القراءة.^{٩٢٠}

لذا ينبغي الاهتمام بتكوين مكتبة تخص الأطفال ويتم تشجيعهم على الاستعارة والاهتمام بالكتب وتلخيص ما تم استعارته، ومكافأهم على ذلك واعطائهم الجوائز.

مكونات المكتبة:

١ - كتب ومجلات. ٢ - أشرطة كاست. ٣ - أشرطة فيديو. ٤ - اسطوانات كمبيوتر. تحضير هذه المواد من السهل. يمكن فمجرد المرور على المكتبات ودور النشر والتسجيلات يستطيع المربي تكوين مكتبة شاملة، حيث يختار منها ما يخص الأطفال، وخاصة القصص والكتب المصورة، والأناشيد والكرتون المفيد.



الأساس الثامن - رواية طفولة علماء السلف الصالح أمام الأطفال.

نظرا لما تلعب القصة في شد انتباه الطفل، وتحريك مشاعره، وإثارة اليقظة الفكرية في عقله، وحيث إن أسلوب القصة كانت إحدى الوسائل النبوية في تربية الأطفال، وأحد الأركان القوية في شحذ همهم، وتطلعهم نحو مستقبل عملي متقدم، لهذا نقدم بين يديك هذه النماذج لتكون النواة التي تنطلق منها في توجيه الأطفال، واستنهاض همهم .

١ - سفيان بن عيينة :

عن أحمد بن النضر الهلالي، قال: سمعتُ أبي يقول: كنتُ في مجلسِ سفيان بن عيينة فنظرَ إلى صبيٍّ دخلَ المسجدَ، فكأنَّ أهلَ المجلسِ تهاوؤوا به لصغرِ سنِّه، فقالَ سفيان: كذلك كنتم من قبلَ فمنَّ الله عليكم ثم قال: "يا نضر، لو رأيتهُ وليَ عشرِ سنين، طولي خمسَ أشبارٍ، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغارٌ، وأكمامي قصارٌ، وذيلي بمقدارٍ، ونعلي كآذانِ الفار، أختلفُ إلى علماءِ الأمصار، مثلَ الزهريِّ وعمر بن دينار، أجلسُ بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلتُ المجلسَ قالوا: أوسعوا للشَّيخِ الصَّغيرِ، أوسعوا للشَّيخِ الصَّغيرِ، قال: ثمَّ تَبَسَّمَ ابنُ عيينةَ وضحك، قال أحمد وتَبَسَّمَ أبي وضحك، قال عمارٌ وتَبَسَّمَ أحمد وضحك قال أبو الحسن السَّلاميُّ وتَبَسَّمَ عمارٌ وضحك، قال القاضي: وتَبَسَّمَ السَّلاميُّ وضحك، وتَبَسَّمَ أبو العلاء وضحك، وتَبَسَّمَ أبو بكرٍ الحافظُ وضحك، وتَبَسَّمَ شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وضحك، قال سَيِّدُنَا ابنُ المَقْدِسِيِّ: وتَبَسَّمَ شَيْخُنَا الإمامُ الحافظُ أَبُو طَاهِرٍ السَّلْفِيِّ وضحك" ٩٢١ .

وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: سَأَلْتُ أَبِي: مَتَى يَجُوزُ سَمَاعُ الصَّبِيِّ فِي الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: إِذَا عَقَلَ وَضَبَطَ، قُلْتُ: فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ سَمِعْتُهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَجُوزُ سَمَاعُهُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَدَّ الْبَرَاءَ وَابْنَ عُمَرَ، وَاسْتَصْعَرَهُمَا يَوْمَ بَدْرٍ،

٩٢١ - الْكِفَايَةُ فِي عِلْمِ الرِّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١٤٢)

فَأَنْكَرَ قَوْلَهُ هَذَا، وَقَالَ: "بَسَّ الْقَوْلُ يَجُوزُ سَمَاعُهُ إِذَا عَقَلَ فَكَيْفَ يَصْنَعُ بَسْفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَوَكَيْعٌ، وَذَكَرَ أَيْضًا قَوْلًا" ٩٢٢.

٢- طفولة مال بن أنس رحمه الله :

قال مطرف: قال مالك: قلت لأبي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال، فلبس ثياب العلم، فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فأكتب الآن، وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أديبه قبل علمه" ٩٢٣.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: قَالَ مَالِكُ: كُنْتُ آتِي نَافِعًا، وَأَنَا حَدِّثُ السَّنَّ، وَمَعِيَ غُلَامٌ لِي، فَيَقْعُدُ، وَيُحَدِّثُنِي، وَكَانَ صَغِيرَ النَّفْسِ، وَكَانَ فِي حَيَاةِ سَالِمٍ لَا يُفْتِي شَيْئًا ٩٢٤.

وَعَنْ مَالِكٍ: كُنْتُ آتِي نَافِعًا، وَأَنَا غُلَامٌ حَدِّثُ السَّنَّ، فَيَنْزِلُ، وَيُحَدِّثُنِي، وَكَانَ يَجْلِسُ بَعْدَ الصُّبْحِ فِي الْمَسْجِدِ، لَا يَكَادُ يَأْتِيهِ أَحَدٌ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، خَرَجَ، وَكَانَ يَلْبَسُ كِسَاءً، وَرُبَّمَا وَضَعَهُ عَلَى فَمِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا، وَكَُنْتُ أَرَاهُ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ يَلْتَفُّ بِكِسَاءٍ لَهُ أَسْوَدٌ ٩٢٥.

٣- طفولة الإمام الشافعي رحمه الله :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ: "لَمْ يَكُنْ لِي مَالٌ كُنْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي الْحَدَاثَةِ فَكُنْتُ أَذْهَبُ إِلَى الدِّيَوَانِ أَسْتَوْهِبُ الظُّهُورَ أَكْتُبُ عَلَيْهَا" ٩٢٦.

وعن الشافعي: أنه كان في مجلس مالك بن أنس، وهو غلام، فجاء رجل إلى مالك، فاستفتاه، فقال: إني حلفت بالطلاق الثلاث إن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح. قال: فقال له مالك: قد حثت. فمضى الرجل. فلتفت الشافعي إلى بعض أصحاب مالك، فقال: إن

٩٢٢ - الْكُفَايَةُ فِي عِلْمِ الرِّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١٤٣)

٩٢٣ - ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ (٤/٣) بَنَحْوِهِ. وَمَقْدَمَةُ كِتَابِ الدِّيَاكِ لَابْنِ فَرْحُونَ

٩٢٤ - سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ - (٥ / ٩٧)

٩٢٥ - سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ - (٥ / ٩٨)

٩٢٦ - حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (١٣٥١٢)

هذه الفتيا خطأ. فأخبر مالك بذلك. قال: وكان مالك مهيب المجلس، لا يجسر أحد أن يراده، وكان ربما جاء صاحب الشرطة، فيقف على رأسه إذا جلس في مجلسه. قال: فقالوا لمالك: إن هذا الغلام الشافعي يزعم أن هذه فتيا إغفال أو خطأ، فقال له مالك: من أين قلت هذا؟ فقال له الشافعي: أليس أنت الذي رويت لنا عن النبي ﷺ في قضية فاطمة بنت قيس أنها قالت: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالُ لَهُ، أَنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ^{٩٢٧}، وإنما أراد الأغلب من ذلك. قال: فعرف مالك محل الشافعي ومقداره. قال الشافعي: فلما أردت أن أخرج المدينة جئت إلى مالك، فودعته، فقال لي مالك حين فارقت: يا غلام، اتق الله، ولا تطفئ هذا النور الذي أعطاكه الله بالمعاصي. يعني بالنور: العلم، وهو قول الله - عز وجل - : "وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ" (٤٠) سورة النور^{٩٢٨}.

٤ - طفولة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

حفظ أحمد بن حنبل القرآن في صباه، وتعلم القراءة والكتابة، ثم اتجه إلى الديوان، يمر على التحرير، ويقول في نفسه: كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب، ثم أختلف إلى الديوان، وأنا ابن أربع عشرة سنة . وكانت نشأته فيها آثار النبوغ والرشد، حتى قال بعض الأدباء: وأنا أنفق على ولدي، وأحييهم بالمؤدين على أن يتأدبوا، فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظروا كيف؟!

وجعل يعجب من أدبه، وحسن طريقه^{٩٢٩}.

وبدافع الرغبة في العلم أقبل أحمد الطفل الصغير بكل قلبه وجوارحه على العلم والدرس والقراءة، موفور الموهبة، نام الملكة، وأخذ يتردد على حلقات العلم في بغداد، وهو موضع

^{٩٢٧} - صحيح مسلم- المكثر - (٣٧٧٠) وصحيح ابن حبان - (٩ / ٣٥٦) (٤٠٤٩)

^{٩٢٨} - تاريخ دمشق - (٥١ / ٧٠) وحياة الحيوان الكبرى - (١ / ١٥١)

^{٩٢٩} - رجال الفكر والدعوة للندوي (ص ١٠٥)

الإعجاب من الناس. قال المروذي: قال لي أبو سراج بن خزيمة -وهو ممن كان مع أحمد في الكتاب-: إن أبي جعل يعجب من أدب أحمد وحسن طريقته. فقال لنا ذات يوم: أنا أنفق على أولادي وأحييهم بالمؤدين على أن يتأدبوا، فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظر كيف يخرج؟ وجعل يعجب. وكان الهيثم بن جميل يقول عن أحمد: أحسب هذا الفتى -إن عاش- يكون حجة على أهل زمانه^{٩٣٠}.

٥- طفولة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة :

قال أبو يوسف: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلّ، رثّ الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال: يا بني ! لا تمدّن رجلك مع أبي حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزه مشويّ، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري، قال لي: ما شغلك عنا ؟ قلت: الشغل بالمعاش، وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع إليّ صرة وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مئة درهم، فقال لي: الزم الحلقة وإذا نفذت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إليّ مئة أخرى، ثم كان يتعاهدني، وما أعلمته بخلة قط، ولا أخبرته بنفاد شيء ما، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتموّلت .

وهناك رواية ثانية في نشأة الإمام أبي يوسف :قال علي بن الجعد: أخبرني أبو يوسف، قال: توفي أبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصّار أحدمه، فكنت أدع القصّار وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصّار، وكان أبو حنيفة يعنّي بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي، وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبيّ فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي، وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرّي يا رعاء ! هو ذا

^{٩٣٠} - http://www.fustat.com/bibliography/ibn_hanbal_.shtml

يتعلّم أكل الفالودج بدهن الفستق، فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك .

قال أبو يوسف: ثم لزمّت أبا حنيفة، وكان يتعاهدني بماله، فما ترك لي خلّة، فنفعني الله بالعلم، ورفعتني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس هارون الرشيد، وأكل معه على مائدته .

فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون الرشيد فالودج، فقال لي هارون: يا يعقوب ! كل منه، فليس يعمل لنا مثله كل يوم، فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال: هذا فالودج بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مم ضحكت ؟ فقلت: خيراً أبقى الله يا أمير المؤمنين، قال: لتخبرني، وألح عليّ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعجب من ذلك، وقال لي: لعمرى إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنياً، وترحم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه^{٩٣١} .

٦- طفولة محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله :

قال مجاشع بن يوسف: كنت بالمدينة عند مالك وهو يفتي الناس، فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حدث، فقال: ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد؟ فقال مالك: لا يدخل الجنب المسجد، قال: فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء؟ فجعل مالك يكرر: لا يدخل الجنب المسجد، فلما أكثر عليه قال له مالك: فما تقول أنت في هذا؟ قال: يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج فيغتسل، قال مالك: من أين أنت؟ قال: من أهل هذه، وأشار إلى الأرض، فقال: ما من أهل المدينة أحد إلا أعرفه، فقال: ما أكثر من لا تعرف ! ثم نهض، قالوا للمالك: هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، فقال مالك: محمد بن الحسن ! كيف يكذب وقد ذكر أنه

^{٩٣١} - أقباس روحانية موافق للمطبوع - (١ / ٨٤)

من أهل المدينة؟ قالوا: إنما قال: من أهل هذه، وأشار إلى الأرض، قال: هذا أشد علي من ذلك^{٩٣٢}.

٧- طفولة ابن الجوزي رحمه الله :

قال ابن الجوزي: تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم فرأيت أكثر الخلق تبين حسراتهم حينئذ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب، ومنهم من فرط في اكتساب العلم ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات.

فكلهم نادم في حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت، أو قوى ضعفت، أو فضيلة فاتت، فيمضي زمان الكبر في حسرات، فإن كانت للشَّيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت، قال:

وأأسفاه على ما جنيت؟ وإن لم يكن له إفاقة صار متأسفا على فوات ما كان يلتذ به. فأما من أنفق عصر الشباب في العلم فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جنى ما غرس ويلتذ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئا بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم.

هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان يأمل به إدراك المطلوب، وربما كانت تلك الأعمال أطيب مما نيل منها، كما قال الشاعر:

أهترّ عند تمّني وصلها طربا ... وربّ أمنيّة أحلى من الظفر

ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدُّنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلّا ما لو حصل لي ندمت عليه، ثمّ تأملت حالي فإذا عيشي في الدُّنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلت من معرفة العلم لا يقاوم. فقال لي إبليس: ونسيت تعبك

٩٣٢ - تاريخ بغداد - (١ / ٢٧٠)

<http://www.sonnaonline.com/SubMosanfeen.aspx?FileID=mosanefo&ID=>

وسهرك، فقلت له: أيها الجاهل. تقطيع الأيدي لا وقع له عند رؤية يوسف، وما طالت طريق أدت إلى صديق:

جزى الله المسير إليه خيراً... وإن ترك المطايا كالمراد.

ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلّا عند الماء، فكلّما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلّا لذة تحصيل العلم، فأثر ذلك عندي أنّي عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيه - ﷺ أجمعين -^{٩٣٣}.

وقال أيضاً: لم أقنع بفن واحد بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعط، ولا غريباً يقدم إلّا وأحضره، وأتخير الفضائل. ولقد كنت أدور على المشايخ لسماعي الحديث فينقطع نفسي من العدو لئلا أسبق^{٩٣٤}..

٨- طفولة ابن سينا رحمه الله :

لما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن حفظ القرآن العزيز، والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين، والحساب والجبر والمقابلة، ثم أحكم علم المنطق، وإقليدس والمجسطي، وفاق شيخه (الحكيم أبا عبد الله الناتلي) أضعفاً كثيرة، وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد، واشتغل بتحصيل العلوم الطبيعي والإلهي، وفتح الله عليه أبواب العلوم، ثم رغب بعد ذلك، في علم الطب، وتأمل الكتب المصنفة فيه، وعالج تأديباً -أي تعلماً وتعليماً- لا تكسباً، وعلم الطب حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة، وأصبح فيه عديم النظير، فقيد المثل، واختلف إليه فضلاء هذا الفن وكبراءه، يقرؤون عليه أنواعه،

^{٩٣٣} - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - (٧ / ٣٠٠٥) وصيد الخاطر لابن الجوزي (٢١٨ - ٢١٩).

لا وقع له: أي لا ألم له. - المطايا: جمع مطية: الدابة التي تتركب. - المراد: أي المزايدة وهي القرية من الجلد إذا كانت خالية من الماء- وأرجو: أي أطلبه من العلم وأرجوه من تحصيل الثواب ونفع الناس بالدعوة إلى الله.

^{٩٣٤} -

والمعالجات المقتبسة من التجربة، وسُنَّه آن ذاك نحو ست عشرة سنة، وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة، وكان إذا أشككت عليه مسألة توضأ، وقصد المسجد الجامع وصلى، ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه، ويفتح مغلقها له، وكان نادرة عصره في عمله وذكائه وتصنيفه، وصنف ما يقارب مئة مصنف ما بين مطول ومختصر، ورسالة في فنون شتى، رحمه الله تعالى^{٩٣٥}.



^{٩٣٥} - صفحات من صبر العلماء لأبي غدة (ص ٤٣)

خاتمة- نموذج من أطفال الصحابة ممن جمع بين العلم والقرآن والجهاد

عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ، قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: كَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثَ وَأَنَا ابْنُ سِتِّ سِنِينَ، وَكَانَتْ قَبْلَ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ سِنِينَ فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَأَنَا ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، وَأُنِي بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: غُلَامٌ مِنَ الْخَزْرَجِ قَدْ قَرَأَ سِتَّ عَشْرَةَ سُورَةً، فَلَمْ أُحْزَ فِي بَدْرٍ، وَلَا أُحْدٍ، وَأُجِزْتُ فِي الْخَنْدَقِ "

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ يَكْتُبُ الْكِتَابَيْنِ جَمِيعًا كِتَابَ الْعَرَبِيَّةِ، وَكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّةِ، وَأَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ فِيْمَنْ يَنْقُلُ التَّرَابَ يَوْمَئِذٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ نِعْمَ الْغُلَامُ، وَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ يَوْمَئِذٍ، فَرَقَدَ، فَجَاءَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ، فَأَخَذَ سِلَاحَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا رُقَادٍ نِمْتَ حَتَّى ذَهَبَ سِلَاحُكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِسِلَاحِ هَذَا الْغُلَامِ؟ فَقَالَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَذْتُهُ فَرَدَدَهُ، فَتَهَيَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرَوْعَ الْمُؤْمِنُ، وَأَنْ يُؤْخَذَ مَتَاعُهُ لَاعِبًا وَجَدًّا، وَكَانَتْ رَأْيَةَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ فِي تَبُوكَ مَعَ عُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ، فَأَدْرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَهَا مِنْهُ فَدَفَعَهَا إِلَيْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَقَالَ عُمَارَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلَعَكَ عَنِّي شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ يُعْطَمُ، وَكَانَ زَيْدٌ أَكْثَرَ أَخْذًا مِنْكَ لِلْقُرْآنِ ..". ٩٣٦.



الفصل الثامن

البناءُ الصحيُّ

تمهيد :

المبحث الأول-أسس البناء الصحي :

- الأساس الأول -رياضة الطفل للسباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجري .
- الأساس الثاني- تعود الطفل سنّة السواك.
- الأساس الثالث -اهتمام الطفل بالنظافة وتقليم الأظافر .
- الأساس الرابع - اتباع السنن النبوية في الأكل والشرب.
- الأساس الخامس- نوم الطفل على شقه الأيمن .
- الأساس السادس -تعلم الطفل للعلاج الطبيعي .
- الأساس السابع- النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر .
- الأساس الثامن - إبعاد الأطفال عن الطفل المريض مرضاً معدياً .
- الأساس التاسع - رقية الأطفال من العين الحاسدة والجنّ.

المبحث الثاني - العلاجات النبوية :

- ١- السرعة في معالجة المريض .
- ٢-عيادة وزيرة الطفل المريض.
- ٣- العلاج باستخدام العود الهندي.
- ٤- العلاج بالحجامة .
- ٥- العلاج بالدعاء والرقى .
- ٦- العلاج من إصابة العين الحاسدة .
- ٧-تحريم تعليق شيء على الطفل ما لم يكن قرآناً أو حديثاً نبوياً.

تمهيد :

إن الإسلام قد اهتم بصحة الإنسان عامة، وبصحة الطفل خاصة، وقد حرص في توجيهاته الكثيرة على المداواة والمصارعة إليها، لأنها من العلاجات الأساسية لصحة الجسم، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان، لذا وجب المحافظة على هذه الأمانة، حتى جعل المداواة من قدر الله تعالى، الذي يحو قدر الله الذي حل بالإنسان، وهو المرض .

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ دَوَاءً، جَهْلُهُ مَنْ جَهْلَهُ، وَعَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ^{٩٣٧}.

وَعَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ^{٩٣٨}.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، إِلَّا السَّامَ وَالْهَرَمَ^{٩٣٩}.

وَعَنْ أَبِي خُزَّامَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رُقِيَ نَسْتَرَقِيهَا وَدَوَاءٌ تَدَاوَى بِهِ وَثِقَاءٌ تَتَّقِيهَا هَلْ تُرَدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا قَالَ « هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ »^{٩٤٠}.

وهذه الأحاديث إنما تدل على اهتمام النبي ﷺ بسلامة الفرد المسلم من الأمراض والأوجاع، كيف وقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ الْخَيْرِ، فَاحْرِصْ عَلَى مَا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ: قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ^{٩٤١}.

إذا تأملنا في الأحاديث النبوية والسيرة الشريفة، نلمح تسعة أركان صحية اهتم بها رسول الله ﷺ لرعاية الطفل صحياً، فما هي هذه الأركان .

^{٩٣٧} - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٢٧) (٦٠٦٢) صحيح

^{٩٣٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٨٧١) و صحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٢٨) (٦٠٦٣)

^{٩٣٩} - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٢٨) (٦٠٦٤) صحيح

^{٩٤٠} - سنن الترمذی - المكثر - (٢٢٠٦) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

^{٩٤١} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٩٤٥) و صحيح ابن حبان - (١٣ / ٢٩) (٥٧٢٢)

المبحث الأول-أسس البناء الصحي :

الأساس الأول -رياضة الطفل للسباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجري .

تقدم معنا في أسس البناء الجسمي أن حق الطفل في تعلم السباحة والرماية، ووصية عمر ﷺ للولادة أن يعلموا أطفالهم كذلك، فعن أبي عثمان، قال: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى: أَنْ قَطُّعُوا الرُّكْبَ، وَأَنْزُوا عَلَى الْخَيْلِ نَزْوًا، وَأَلْقُوا الْخِفَافَ، وَاحْتَدُوا النَّعَالَ، وَأَلْقُوا السَّرَاوِيْلَاتِ، وَأَتَرُّرُوا، وَأَرْمُوا الْأَغْرَاضَ، وَعَلَيْكُمْ بِاللَّبْسَةِ الْمُعَدِّيَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَهَدْيِ الْعَجَمِ، فَإِنَّ شَرَّ الْهَدْيِ، هَدْيُ الْعَجَمِ^{٩٤٢}،، وأن النبي ﷺ، كان سصف الأطفال، ويجري لهم مسابقة الجري، وأنه شاهد مصارعة طفلين مع بعضهما قبل دخول غزوة أحد، فالرياضة البدنية هذه تبني جسم الطفل بشكل قوي، بحيث يقوى على التصدي للأمراض بشكل ذاتي، ويصبح جسمه ممتنعاً ذاتياً عن قبول الأمراض، إلا إذا أراد الله شيئاً آخر، وابتلاء آخر .

ومن هذه الفوائد

- النوم الجيد والعميق والمفيد.
- إنقاص الوزن الزائد من الدهون المتراكمة.
- زيادة العضلات والكتلة العضلية في الجسم.
- زيادة مقاومة الجسم لمحاربة الالتهابات والأمراض.
- خفض معدل الإصابة بالسرطان وأمراض القلب والداء السكري والحد منها.
- تساهم الرياضة في المحافظة على خلايا المخ وتجعل الإنسان يفكر بشكل جيد.

^{٩٤٢} - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٢١٥) (٢٥٣٦٦) صحيح

الانترار: لبس الإزار والمراد تغطية النصف الأسفل من الجسم - السروال: لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما- نَزَوْتُ عَلَى الشَّيْءِ: وَثَبْتُ عَلَيْهِ

تقوي الرياضة الرئتين والعضلات وتحافظ على المفاصل.إذا كنت مصاباً بداء السكري، فإن الرياضة جزء أساسي في ضبط سكر الدم^{٩٤٣}.

وتساعد الرياضة على التخلص من التوتر النفسي:

كل إنسان يعاني من التوتر النفسي في زمن ما.تنتج تأثيرات التوتر النفسي عن هرمون اسمه "إيبينيفرين"(إدرينالين)، يتم إفرازه في الدم، ويؤدي إلى تسارع ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم.يتم تحريض إفراز الإيبينيفرين عندما نخاف شيئاً ما أو عندما يطلب منا أي شيء أكثر من اللازم.التعرض للتوتر النفسي بشكل عرضي، غير ضار.أما التوتر المستمر، فإنه يضر بالصحة.وتشكل التمارين الرياضية وسيلة ناجعة لخفض التوتر النفسي، خاصة عند ممارستها بشكل يومي^{٩٤٤}.



^{٩٤٣} - <http://www.mor-١٥٠٤٣٥ben.com/forum/archive/index.php/t-٣>

^{٩٤٤} <http://forum.alrowadschool.com/showthread.php?t=١١١٨٥>

^{٩٤٤} <http://www.schoolsollympic.com/vb/showthread.php?t=-١٣٦٣>

الأساس الثاني- تعود الطفل سنة السواك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ٩٤٥.

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ مَعَ الْوُضُوءِ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ٩٤٦.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَاكِ ٩٤٧.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، سَمِعْتُ أَبِي، سَمِعْتُ عَائِشَةَ تُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: السَّوَاكِ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ٩٤٨.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِالسَّوَاكِ، فَإِنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ ٩٤٩.

وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شَرِيحٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ قُلْتُ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ - إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ قَالَتْ بِالسَّوَاكِ ٩٥٠.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذَا قَامَ لِيَتَهَجَّدَ يَشُورُ فَاهُ بِالسَّوَاكِ ٩٥١.

قال النووي: "إن السواك مستحب في جميع الأوقات، ولكن في خمسة أوقات أشد استحبابا: أحدها: عند الصلاة سواء كان متطهرا بماء أو بتراب، أو غير متطهر كمن لم يجد ماء ولا ترابا، الثاني: عند الوضوء، الثالث: عند قراءة القرآن، الرابع: عند الاستيقاظ من النوم، الخامس: عند تغير الفم ؛ وتغيره يكون بأشياء منها: ترك الأكل والشرب، ومنها: أكل ما له رائحة كريهة، ومنها طول السكوت، ومنها: كثرة الكلام. ومذهب

٩٤٥ - صحيح مسلم- المكثر - (٦١٢) وصحيح ابن حبان - (٣ / ٣٥٠) (١٠٦٨)

٩٤٦ - صحيح ابن حبان - (٣ / ٣٥١) (١٠٦٩) صحيح

٩٤٧ - صحيح ابن حبان - (٣ / ٣٤٨) (١٠٦٦) صحيح

٩٤٨ - صحيح ابن حبان - (٣ / ٣٤٩) (١٠٦٧) صحيح

٩٤٩ - صحيح ابن حبان - (٣ / ٣٥٢) (١٠٧٠) صحيح

٩٥٠ - صحيح مسلم- المكثر - (٢ / ٢٣٨) (٦١٣)

٩٥١ - صحيح مسلم- المكثر - (٦١٦) - يشوص: يدل ذلك أسنانه وينقيها

الشافعي: أن السواك يكره للصائم بعد زوال الشمس لئلا يزيل رائحة الخلوف المستحبة، ويستحب أن يستاك بعود من أراك، وبأي شيء استاك مما يزيل التغير حصل السواك كالخرقة الخشنة والسعد والأشنان، وأما الإصبع فإن كانت لينة لم يحصل بها السواك، وإن كانت خشنة ففيها ثلاثة أوجه لأصحابنا: المشهور: لا تجزي، والثاني: تجزي، والثالث: تجزي إن لم يجد غيرها، ولا تجزي إن وجد، والمستحب أن يستاك بعود متوسط لا شديد اليبس يجرح، ولا رطب لا يزيل، والمستحب أن يستاك عرضا ولا يستاك طولاً لئلا يدمي لحم أسنانه، فإن خالف واستاك طولاً حصل السواك مع الكراهة، ويستحب أن يمر السواك أيضاً على طرف أسنانه وكراسي أضراسه وسقف حلقة إمرار لطيفاً، ويستحب أن يبدأ في سواكه بالجانب الأيمن من فيه، ولا بأس باستعمال سواك غيره بإذنه، ويستحب أن يعود الصبي السواك ليعتاده^{٩٥٢}.

وقد اكتشف في عدة أبحاث طبية وصيدلانية أن السواك المأخوذ من شجرة الأراك غني بالمواد المطهرة والمنظفة والقابضة والمانعة للتزيف الدموي والعفونة والقاتلة للجراثيم، وهو يحتوي على مواد عديدة ومفيدة لا توجد بأي معجون وان المواد التي ثبت وجودها في السواك أكثر من ٢٥ مادة طبيعية لا غنى عنها في سلامة الأسنان ونظارتها .

فوائد السواك

قال الإمام ابن القيم في فوائد السواك عدة منافع:

فهو يطيب الفم. يشد اللثة. يقطع البلغم. يجلو البصر. يذهب بالحفر. يصح المعدة. يصفى الصوت. يعين على هضم الطعام. يسهل مخارج الكلام. ينشط للقراءة والذكر والصلاة. يطرد النوم. يعجب الملائكة. يكثر الحسنات.

ومن الفوائد المكتشفة حديثاً:

أفضل علاج وقائي لتسوس أسنان الأطفال لاحتوائه مادة الفلورايد

يزيل الصبغ والبقع لاحتوائه مادة الكلور

^{٩٥٢} - شرح النووي على مسلم - (١ / ٤٠٧)

يبيض الأسنان لاحتوائه مادة السليكا

تحمي الأسنان من البكتريا المسببة للتسوس لاحتوائه مادة الكبريت والمادة القلوية
يفيد في إلتآم الجروح وشقوق اللثة وعلى نموها نموا سليما لاحتوائه مادة تراي مثيل امين

وفيتامين ج

أفضل علاج لترك التدخين^{٩٥٣} .

والمهم في هذا الأمر أن نعوّد الطفل على السواك في كل حين، وأن ينظف أسنانها بأي
وسيلة نافعة كانت .



الأساس الثالث - اهتمام الطفل بالنظافة وتقليم الأظافر .

النظافة ركن أساسي من الأركان التي دعا إليها الإسلام، والطفل الذي يريد الصلاة لا بد أن يتوضأ، ولا بد أن تكون ثيابه نظيفة طاهرة، ولا بد أن يكون المكان طاهراً، وذلك كله لأداء فريضة الصلاة التي يؤمر بها في السابعة، ويضرب عليها في العاشرة .

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَنْظِفُوا" ٩٥٤ .
وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَنْظِفُوا أَفْنِيَتَكُمْ، فَإِنَّ الْيَهُودَ أَتَتْهُ النَّاسُ" ٩٥٥ .
وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، تَطْيِيفُ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَنْظِفُوا بُيُوتَكُمْ، وَلَا تَسْبَهُوا بِالْيَهُودِ الَّتِي تَجْمَعُ الْأَكْنَافُ فِي دُورِهَا ٩٥٦ .

وأما تقليم الأظفار، فهو من الفطرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَمْسٌ مِنْ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ، وَتَنْفُ الْإِيطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَالِاسْتِحْدَادُ وَالْحَتَانُ ٩٥٧ .

قال النووي: "أما قوله ﷺ: (الفطرة خمس) فمعناه خمس من الفطرة كما في الرواية الأخرى (عشر من الفطرة)، وليست منحصرة في العشر، وقد أشار ﷺ إلى عدم انحصارها فيها بقوله: "من الفطرة". والله أعلم .

وأما الفطرة ؛ فقد اختلف في المراد بها هنا ؛ فقال أبو سليمان الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنة، وكذا ذكره جماعة غير الخطابي قالوا: ومعناه أنها من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقيل: هي الدين ..

أما تفصيلها (فالختان) واجب عند الشافعي وكثير من العلماء، وسنة عند مالك وأكثر العلماء، وهو عند الشافعي واجب على الرجال والنساء جميعاً، ثم إن الواجب في الرجل

٩٥٤ - الزُّهْدُ لَوَكَيْعٍ (٢٨٨) حسم مرسل

٩٥٥ - الزُّهْدُ لَوَكَيْعٍ (٢٨٧) صحيح مرسل

٩٥٦ - مسند أبي يعلى الموصلي (٧٩٠) والكنى والأسماء للدولابي - (٨٦٧) ضعيف

٩٥٧ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٨٨٩) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٢٠) وصحيح ابن حبان - (١٢) /

(٢٩١) (٥٤٧٩)

أن يقطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة، وفي المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج ..

وأما (الاستحداد) فهو حلق العانة، سمي استحدادا لاستعمال الحديدية وهي الموسى، وهو سنة، والمراد به نظافة ذلك الموضع، والأفضل فيه الحلق، ويجوز بالقص والتنف والنورة، والمراد (بالعانة) الشعر الذي فوق ذكر الرجل وحواليه، وكذلك الشعر الذي حوالي فرج المرأة .

وأما (تقليم الأظفار) فسنة ليس بواجب، وهو تفعيل من القلم وهو القطع، ويستحب أن يبدأ باليدين قبل الرجلين فيبدأ بمسبحة يده اليمنى، ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم الإبهام ثم يعود إلى اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها إلى آخرها ثم يعود إلى الرجلين اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر اليسرى. والله أعلم .

أما (تنف الإبط) فسنة بالاتفاق، والأفضل فيه التنف لمن قوي عليه، ويحصل أيضا بالحلق وبالنورة، وحكي عن يونس بن عبد الأعلى قال: دخلت على الشافعي - رحمه الله - وعنده المزين يخلق إبطه فقال الشافعي: علمت أن السنة التنف، ولكن لا أقوى على الوجع، ويستحب أن يبدأ بالإبط الأيمن .

وأما (قص الشارب) فسنة أيضا، ويستحب أن يبدأ بالجانب الأيمن وهو مخير بين القص بنفسه وبين أن يولي ذلك غيره لحصول المقصود من غير هتك مروءة ولا حرمة بخلاف الإبط والعانة. وأما حد ما يقصه فالمختار أنه يقص حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من أصله، وأما روايات (أحفوا الشوارب) فمعناها: أحفوا ما طال على الشفتين والله أعلم .
وأما (إعفاء اللحية) فمعناه توفيرها وهو معنى (أوفوا اللحى) في الرواية الأخرى، وكان من عادة الفرس قص اللحية فنهى الشرع عن ذلك .

وأما (غسل البراجم) فسنة مستقلة ليست مختصة بالوضوء (البراجم) بفتح الباء وبالجميم جمع برجمة بضم الباء والجميم وهي عقد الأصابع ومفاصلها كلها. قال العلماء: ويلحق بالبراجم ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن وهو الصماخ فيزيله بالمسح لأنه

ربما أضرت كثرته بالسمع، وكذلك ما يجتمع في داخل الأنف، وكذلك جميع الوسخ المجتمع على أي موضع كان من البدن بالعرق والغبار ونحوهما. والله أعلم^{٩٥٨} .

ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتبع، منها تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان، وامتنال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى: {وَصَوِّرْكُمْ فَأَحْسَنَ صَوْرَكُمْ} لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنه قيل قد حسنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها، أو حافظوا على ما يستمر به حسنهما، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التألف المطلوب، لأن الإنسان إذا بدأ في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس^{٩٥٩} .

فالنظافة جزء من تعاليم ديننا الإسلامي، فنحن نتوضأ لأداء الصلاة، كما نغتسل للصلاة الجمعة، وكلما وجدنا أجسامنا تحتاج للنظافة.

عدم تنظيف أجسامنا يؤدي إلى انبعاث روائح كريهة منها.

عدم تقليم أظافرنا يؤدي إلى حمل الجراثيم مع الطعام الذي نأكله.

نظافة الملابس الداخلية والخارجية وطهارتها مطلب ديني لذا لا نصلي إلا في ملابس نظيفة. يجب تنظيف الأسنان من بقايا الطعام بصفة مستمرة. بأدواتك الخاصة بك. في كل يوم نهتم بنظافة أجسامنا وملابسنا الداخلية والخارجية وحاجتنا التي نستعملها كالمنشفة وفراش النوم.

ونحن ننظف أسناننا بالسواك والفرشة والمعجون لنبعد بقايا الطعام التي تبقى بين الأسنان فتسبب تسوسها وانبعاث روائح كريهة من الفم. لكي لا يتأذى منها الناس والملائكة .

ومن فوائد النظافة :

١. محبة الله ورسوله للمتطهر.

^{٩٥٨} - شرح النووي على مسلم - (١ / ٤١٤)

^{٩٥٩} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر - (١٠ / ٣٣٩)

٢. شعور نفسي كبير بالراحة والنشاط.
٣. احترام الناس للإنسان النظيف واقتراحهم منه وعدم نفورهم، خصوصاً وأنّ الإنسان في معاملاته اليومية يحتاج إلى الاقتراب من الآخرين .
٤. إن الله خلق ملائكة مرافقين للإنسان، فمن الاحترام لهم أن يكون نظيفاً.
٥. والأهم نظافة بيئتنا لتكون مثيلة لبيئتنا وعدم التفرقة بينهما.
٦. إن كان للإنسان زوجة وأبناء وأبوان يقترب منهم كثيراً، فزيادة في الصلة والمودة عليه أن يكون نظيفاً.
٧. النظافة تقلل من الأمراض الجسدية، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج^{٩٦٠}.



الأساس الرابع - اتباع السنن النبوية في الأكل والشرب.

تقدم معنا من أدب الطعام: أن يعود الطفل تناول الطعام من أمامه، فلا تطيش يده في الصحن حيثما يحلو له، وإذا عود سنة رسول الله ﷺ في الابتعاد عن التخممة أثناء الطعام، كان له فوزاً ونصراً، وحفاظاً من كثير من الأمراض الباطنية والداخلية .

عَنْ صَالِحِ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ الْمِقْدَامِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُكَ يَا ابْنَ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبُكَ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَنُلْثُ طَعَامًا، وَنُلْثُ شَرَابًا، وَنُلْثُ نَفْسًا^{٩٦١} .

وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ الْكِنْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَنُلْثُ طَعَامَهُ، وَنُلْثُ شَرَابَهُ، وَنُلْثُ لِنَفْسِهِ"^{٩٦٢} .

وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَنُلْثُ طَعَامًا، وَنُلْثُ شَرَابًا، وَنُلْثُ لِنَفْسِهِ"^{٩٦٣} .

قال العلامة ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، وقد روي أن ابن ماسويه لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت المارشايات، ودكاكين الصيادلة. وإنما قال هذا لأن أصل كل داء التخم. والله أعلم^{٩٦٤} .

^{٩٦١} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٤١) (٥٢٣٦) صحيح

^{٩٦٢} - شعب الإيمان - (٧ / ٤٤٧) (٥٢٦١) والمسند الجامع - (١٥ / ٧٠٨) (١١٨٢٠) صحيح

^{٩٦٣} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٨٥٤) (١٧١٨٦) (١٧٣١٨) - صحيح

^{٩٦٤} - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٢ / ٣٣٨٣) وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب - (٢ / ٤٦٦)

وهناك أطفال كثيرون تنمو أجسامهم نموًّا غير معقول، بسبب قناعة الآباء المغلوطة أنَّ الصِّحة في كثرة الشحوم والدهون، فينشأ هذا الطفل على عادات غذائية سيئة، فيصبح ضحيةً لإهمال أبيه وأمّه، فلا بدَّ من العناية بهذا التوجيه^{٩٦٥}.

وأما الشراب فيتعوّد فيه سنة رسول الله ﷺ، فعن أنسٍ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا.

وفي رواية عن أنس بن مالك، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا شَرِبَ يَتَنَفَّسُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقَالَ: هُوَ أَهْنَأُ وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ^{٩٦٦}.

أروى: من الري، وهو ذهاب العطش.

أبرأ: من البرأ، وهو ذهاب المرض، فإما أن يريد به أنه يبرئه من ألم العطش، أو أنه لا يكون منه مرض...

أمرأ: من الاستمراء، وهو ذهاب كظة الطعام وثقله.

أهنأ: من الشيء الهنيء، وهو اللذيذ الموافق للغرض، إنما نهي عن النفخ في الشراب: من أجل ما يخاف أن ييدر من فيه وريقه فيقع فيه، أو لرائحة رديئة تخرج منه فتعلق بالماء، وربما شرب بعده غيره فيتأذى به^{٩٦٧}.

ويحذر الطفل من التنفس في الكأس، فعن يحيى بن أبي كثير، حدّثني عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ^{٩٦٨}.

وعن ابن عباس قال: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ"^{٩٦٩}. قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا لِأَنَّ الْبُخَارَ الَّذِي يَرْتَفِعُ مِنَ الْمَعِدَةِ أَوْ يَنْزِلُ مِنَ الرَّأْسِ وَكَذَلِكَ رَائِحَةُ الْجَوْفِ قَدْ يَكُونَانِ كَرِيهَيْنِ فَإِمَّا أَنْ يُعْلَقَا بِالْمَاءِ فَيَضُرَّ وَإِمَّا أَنْ يُفْسِدَا

^{٩٦٥} - تربية الأولاد في الإسلام للنابلسي - (٥ / ٦)

^{٩٦٦} - صحيح البخارى- المكثر - (٥٦٣١) وصحيح مسلم- المكثر - (٥٤٠٥) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ١٤٦)(٥٣٢٩ و٥٣٣٠)

^{٩٦٧} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٥ / ٨٠)

^{٩٦٨} - صحيح البخارى- المكثر - (١٥٣) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ١٤٦)(٥٣٢٨)

^{٩٦٩} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٣٨) وشعب الإيمان - (٨ / ١٣٦)(٥٦٠٢) وسنن الترمذى- المكثر - (٢٠٠٩)

السُّؤْرَ عَلَى غَيْرِ الشَّارِبِ لِأَنَّهُ قَدْ يَتَقَدَّرُ إِذَا عَلِمَ بِهِ فَلَا يَشْرَبُ وَذَكَرَ كَلِيبُ الْجَرْمِيُّ أَنَّهُ شَهِدَ عَلِيًّا عليه السلام نَهَى الْقَصَائِينَ عَنِ النَّفْخِ فِي اللَّحْمِ وَهُوَ نَظِيرُ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الَّذِي جَاءَ النَّهْيُ عَنْهُ، لِأَنَّ النَّكْهَةَ رُبَّمَا كَانَتْ كَرِيهَةً فَكَرِهَتْ اللَّحْمَ وَغَيَّرَتْ رِيحَهُ وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ بِالتَّجَارِبِ .

والأفضل أن يشرب قاعدا، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا^{٩٧٠} . ويجوز الشرب واقفاً عند الحاجة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَرِبَ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ وَهُوَ قَائِمٌ^{٩٧١*} .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِزَمَزَمَ، فَاسْتَسْقَى فَأَتَيْتُهُ بِالِدُّلْوِ فَشَرِبَ، وَهُوَ قَائِمٌ^{٩٧٢*} .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كُنَّا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَأْكُلُ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ^{٩٧٣*} .

وَعَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي النَّزَالُ بْنُ سَبْرَةَ، قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ عَلِيٍّ الظُّهْرَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الرَّحْبَةِ، قَالَ: فَدَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ، فَأَخَذَهُ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَذَرَاعِيَهُ وَرَأْسَهُ وَقَدَمَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ فَضَلَّهُ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُونَ أَنْ يَشْرَبُوا وَهُمْ قِيَامٌ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ، وَقَالَ: هَذَا وَضُوءٌ مَنْ لَمْ يُحْدِثْ^{٩٧٤*} .



^{٩٧٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٣٩٣) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ١٤٠) (٥٣٢١)

^{٩٧١} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٣٩) (٥٣١٩) صحيح

^{٩٧٢} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٤٠) (٥٣٢٠) صحيح

^{٩٧٣} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٤١) (٥٣٢٢) صحيح

^{٩٧٤} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٤٤) (٥٣٢٦) صحيح

الأساس الخامس - نوم الطفل على شقه الأيمن .

وهو ركن صحيٌّ نبويٌّ أساسيٌّ في حياة المسلم، وله فوائده الصحية الكثيرة، والرسول ﷺ يوصي بذلك أصحابه، فعن سعد بن عبيدة، قال: حَدَّثَنِي الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: إِذَا أَحَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُ آخِرَ مَا تَقُولُ، فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَقُلْتُ: أَسْتَذْكِرُهُنَّ وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ؟ فَقَالَ: وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ^{٩٧٥}.

قال الطحاوي: "فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنُهُ: أَنْ قَوْلُهُ: وَرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الرِّسَالَةُ خَاصَّةً، وَالَّذِي رَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَمْرُهُ أَنْ يَقُولَ مَكَانَ ذَلِكَ، وَهُوَ: وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ يَجْمَعُ الرِّسَالَةَ وَالتَّنْبُوَّةَ جَمِيعًا فَكَانَ أَوْلَى مِمَّا يَكُونُ عَلَى الرِّسَالَةِ دُونَ التَّنْبُوَّةِ، وَاللَّهُ نَسَّأَلُهُ التَّوْفِيقَ"^{٩٧٦}.

فوضت: فوض فلان أمره إلى فلان: إذا رده إليه.

رغبة: الرغبة: طلب الشيء وإرادته.

ورهوة: الرهوة: الفزع. وقد عطف الرهوة على الرغبة، ثم أعمل لفظ الرغبة وحدها، ولو أعمل الكلمتين لقال: رغبة إليك ورهوة منك.

ولكن هذا سائغ في العربية: أن يجمع بين الكلمتين، ويحمل إحدهما على الأخرى، كقول الشاعر [إذا ما الغانيات برزن يوماً] وزججن الحواجب والعيونا والعيون لا تزجج، وإنما تكحل.

ونبيك الذي أرسلت: قال: في رد النبي ﷺ - على البراء في هذا الحديث قوله: «ورسولك الذي أرسلت» حجة لمن ذهب إلى أنه لا يجوز رواية الحديث بالمعنى.

^{٩٧٥} - صحيح البخارى - المكثر - (٢٤٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٠٥٧) وصحيح ابن حبان - (١٢) /

(٣٤٦)(٥٥٣٦)

^{٩٧٦} - شرح مشكل الآثار - (٣ / ١٧٣)

قال الخطابي: والفرق بين «النبى» و«الرسول»: أن الرسول: هو المأمور بتبليغ ما أنبىء وأخبر به والنبى: هو المخبر، ولم يؤمر بالتبليغ، فكل رسول نبى، وليس كل نبى رسولا. قال: ومعنى رده على البراء من «رسولك» إلى «نبيك»: أن الرسول من باب المضاف، فهو ينبىء عن المرسل والمرسل إليه، فلو قال: ورسولك» ثم قال: «الذي أرسلت» لصار البيان مكررا معادا، فقال: «ونبيك الذي أرسلت» إذا قد كان نبيا قبل أن يكون رسولا، ليجمع له الثناء بالاسمين معا، ويكون تعديدا للنعمة في الحالين، وتعظيما للمنة على الوجهين^{٩٧٧}.



^{٩٧٧} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٤ / ٢٦٢)

الأساس السادس - تعلم الطفل للعلاج الطبيعي .

إن تدليك العضلات يحتاجه الإنسان في حياته كلها، والطفل ينشأ وقد تدرّب على تدليك عضلات والديه بإرشادهما، فيكتسب مهارة جيدة، وعلماً قد غدا اليوم من العلوم المفيدة للإنسان .

عَنْ عُمَرَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَغُلَامٌ لَهُ حَبَشِيٌّ يَغْمِزُ ظَهْرَهُ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ النَّاقَةَ افْتَحَمَتْ بِي^{٩٧٨}.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِذَا غُلَامٌ أَسْوَدٌ، يَغْمِزُ ظَهْرَهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: إِنَّ النَّاقَةَ افْتَحَمَتْ بِي^{٩٧٩}.

أي ألقني في ورطة (حفرة عميقة) يقال تفحمت به دابته إذا ندّت به فلم يضبط رأسها. فربما طوّحت به في أهوية. ويغمز ظهره أي: يعصره ويكبسه باليد، فالنبي ﷺ هاجت به الناقة حتى ألقته في حفرة، فتأثر ببعض الصدمات والكدمات ثم هو يعلم ذلك الغلام الصغير في جسمه الشريف الطاهر كيف يدلك عضلاته ليخفف من إصاباته، وكل أب ومُربٍ، بل وكل أم ومربية في حاجة ماسّة إلى تدريب أبنائهم على ذلك العلاج الطبيعي الذي يعطي العضلات عافية من التقلص والألم، بإذن الله^{٩٨٠}.

فوائد التدليك(المساج).

إخراج الرطوبة والبرودة من الجسم.

٢. إزالة ألم الظهر والكتفين والمفاصل والرقبة.

٣. توزيع الدهون للتخلص من السيلوليت الدهني المحاط بالماء.

٤. يعالج بعض حالات الشلل والعقم.

٥. علاج العديد من الأمراض كالآرق والتوتر وآلام الظهر والصداع .

٦. يساعد على التحسيس وشد الجسم.

^{٩٧٨} - المعجم الصغير للطبراني - (١ / ١٤٨) (٢٢٦) وتاريخ بغداد - (٣ / ٨٢) حسن

^{٩٧٩} - كشف الأستار - (٣ / ٣٩٣) (٣٠٣٣) حسن

^{٩٨٠} - أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين ﷺ - (١ / ٥)

٧. يؤدي إلى صفاء الدهن .
٨. يحافظ على نعومة الجلد.
٩. يخفف من حدة الضغوط.
١٠. يخلص الجسم من الخلايا الميتة أو أي مادة ضارة أو عديمة الفائدة قد تعوق الوظيفة الطبيعية.
١١. يزيد من مرونة الجسم.
١٢. يساعد على إرخاء العضلات .
١٣. يساعد على الاسترخاء النفسي والنشاط والراحة.
١٤. يساعد على تدفق الدم.
١٥. يساعد في وظيفة الغدد ذات القناة وعديمة القناة.
١٦. يساعد على التفكير الإيجابي في إيجاد "النصف الآخر"
١٧. يغذي ويولد عمل الإحساس في الأنسجة الظاهرة.
١٨. يفتح المسامات ويزيل السموم من الجسم .
١٩. ينشط الدورة الدموية.
٢٠. يهدئ الأعصاب ويسبب درجة أفضل من التطبيق العصبي.

أنواع التدليك

١. التدليك المخفف لآلام الرقبة
٢. مساج التدوير أو الضغط الدائري .
٣. تدليك الصدر لتخفيف السعال
٤. مساج العصر أو الفك .
٥. التدليك المخفف للصداع .
٦. مساج الاهتزازي .
٧. التدليك لبشرة الوجه.
٨. التدليك الشامل لجميع أجزاء الجسم.

٩. التدليك المقاوم للضغط النفسي والمساعد على الإسترخاء.

١٠. مساج الضغط بالأصابع .

١١. التدليك المخفف لألم القدمين المتعبتين.

١٢. التدليك المخفف لمتاعب الصباح .

١٣. تدليك إعادة تأهيل الرياضيين.

١٤. التدليك المنشط للدورة الدموية الطرفية .

١٥. التدليك المخفف لألم الظهر.

١٦. التدليك المخفف لتعب وألم الساقين.

١٧. تدليك أعلى الكتفين لعلاج الأبهـر.

موانع التدليك

١. وجود إصابة في العمود الفقري

٢. وجود إلتهاب داخلي أو خارجي

٣. وجود فك في المفاصل

٤. وجود إصابة بالسرطان

٥. وجود تمزق في العظلات

٦. إرتفاع درجة حرارة الجسم

٧. وجود دوالي الساقين أو جلطات بالأوردة أو مشاكل القلب

٨. الصرع أو الربو الشعبي

٩. صعوبة التنفس

١٠. نزيف بالقلب أو المخ أو الرئتين أو المثانة^{٩٨١}.

هل فكرت يوماً أن التدليك له فوائد جسمية ونفسية عديدة بالنسبة لطفلك..؟؟

هذا ما أوضحه بعض الأطباء في ألمانيا حديثاً، فقد نصح هؤلاء الأطباء باستخدام أسلوب تدليك العظام لتخفيف التوتر، وتبديد التهيج العصبي، والمساعدة في عودة الهدوء والاتزان وبخاصة للأطفال.

وقال اختصاصي التدليك بالمركز الطبي لتقويم العظام بمدينة دوسلدورف الألمانية دينيس غولدن: إن تدليك جذع الطفل، والضغط برفق في بعض الأماكن، وتدليك أماكن أخرى من جسده الصغير، يساعد في تخفيف التوتر وتبديد التهيج العصبي.

وقال غولدن أنه عالج طفلاً كان يعاني تهيجاً عصبياً في الجزء الخلفي من رقبته يمنعه من الاستلقاء على ظهره، فضلاً عن عدم قدرته على إدارة رأسه بشكل صحيح، ولهذا عالجه بالتدليك، فأصبح الطفل هادئاً وأكثر اتزاناً بعد خضوعه لعدد من جلسات التدليك.

ومن جانبها قالت مديرة قسم تقويم العظام بالتدليك في ميونيخ غابي بريديغر: إن تقويم العظام إجراء وقائي يتم في مرحلة مبكرة من العمر، بما يتناسب مع الأطفال، ويمكن استخدامه لرصد وعلاج الفقرات غير الموجودة في مكانها الصحيح، في مرحلة مبكرة من العمر، وأيضاً بين الأطفال الذين لديهم مشكلات سلوكية واضحة^{٩٨٢}.



الأساس السابع- النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر .

إن تعودَ الطفل لأداء صلاة الصبح في وقتها، هذا يعني أن يستيقظ مبكراً، ولكي يستطيع أن يستيقظ باكراً نشيطاً قد شبع من النوم، فلا بد أن ينام باكراً^{٩٨٣}.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِالْعِشَاءِ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الصَّلَاةُ فَقَدْ رَقَدَ النَّسَاءُ وَالْوِلْدَانُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ يَقُولُ: لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوا هَذِهِ الصَّلَاةَ^{٩٨٤}.

وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي بِصَلَاةِ الْعِشَاءِ، وَهِيَ الَّتِي تُدْعَى الْعَتَمَةَ، فَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: نَامَ النَّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِأَهْلِ الْمَسْجِدِ حِينَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ: مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ غَيْرُكُمْ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْشُو الْإِسْلَامُ فِي النَّاسِ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَذَكَرُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَبْدُرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصَّلَاةِ وَذَلِكَ حِينَ صَاحَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ^{٩٨٥}.

أَعْتَمَ: يقال: أَعْتَمَ القوم: إذا دخلوا في العتمة، وهي أول الليل.

يفشو: فشا الشيء يفشو: إذا ظهر وانتشر.

تترؤا: نذرت على الرجل: إذا ألححت عليه في القول والسؤال.

أشق على أمي: شق الشيء يشق علي شقا ومشقة: إذا اشتد والاسم: الشق، بالكسر^{٩٨٦}.

بالتالي فإن الطفل المسلم بأدائه لفروض دينه يكتسب العادات الصحية الجيدة، فيقوى جسمه ونفسه، وحيث إن غاز الأوزون ((وتركيبه ثلاث ذرات من الأكسجين)) ينتشر في الجو عند الفجر، وقد ثبت أن هذا الغاز يزيد من نشاط الخلايا الحيوية، ويقضي على

^{٩٨٣} - زاد المعاد لابن القيم (١٦٩/٣)

^{٩٨٤} - صحيح البخارى- المكثر - (٥٦٦) وصحيح ابن حبان - (٤ / ٤٠٠) (١٥٣٣)

^{٩٨٥} - صحيح مسلم- المكثر - (١٤٧٥) وصحيح ابن حبان - (٤ / ٤٠٢) (١٥٣٥)

^{٩٨٦} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٥ / ٢٤١)

كثير من الأمراض، فإن استنشاق الطفل لهذا الغاز يقوي من بنيته من حيث لا يدري، وهو يؤدي فرض صلاته .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيَّاكَ وَالسَّمَرَ بَعْدَ هَذِهِ اللَّيْلِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَ مَا يَأْتِي اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ ^{٩٨٧}.

وهكذا تجد أنه لا فصل في الإسلام بين الدين والدنيا، فمن أراد تطبيق الدين على أطفاله، جاءته الدنيا راحة صاغرة.

والنوم المعتدل ممكن للقوى الطبيعية من أفعالها، مريح للقوة النفسانية، أكثر من جوهر حاملها، حتى إنه ربما عاد بإرخائه مانعاً من تحلل الأرواح. ونوم النهار رديء يورث الأمراض الرطوبية والنوازل، ويفسد اللون، ويورث الطحال، ويرخي العصب، ويكسل، ويضعف الشهوة، إلا في الصيف وقت الهجرة، وأردؤه نوم أول النهار، وأردأ منه النوم آخره بعد العصر، ورأى عبد الله بن عباس ابناً له نائماً نومة الصبح، فقال له: قم، أتمام في الساعة التي تُقسَّم فيها الأرزاق ؟

ونوم الصبح يمنع الرزق، لأن ذلك وقت تطلب فيه الخليقة أرزاقها، وهو وقت قسمة الأرزاق، فنومه حرمانٌ إلا لعارض أو ضرورة، وهو مضر جداً بالبدن لإرخائه البدن، وإفساده للفضلات التي ينبغي تحليلها بالرياضة، فيحدث تكسراً وعياً وضعفاً. وإن كان قبل التبرز والحركة والرياضة وإشغال المعدة بشيء، فذلك الداء العضال المولد لأنواع من الأدواء ^{٩٨٨}.

وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ رضي الله عنها قَالَتْ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ مُتَّصِحَّةٌ، فَحَرَكَنِي بِرِجْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا بِنْتُ قَوْمِي اشْهَدِي رِزْقَ رَبِّكَ، وَلَا تَكُونِي مِنَ الْعَافِلِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْسِمُ أَرْزَاقَ النَّاسِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ" ^{٩٨٩}.



^{٩٨٧} - المستدرک للحاکم - (٧٧٦٤) صحيح

^{٩٨٨} - زاد المعاد لابن القيم (٣-١٦٩) والآداب الشرعية - (٣ / ٢٨٩) وغذاء الألباب - (٣ / ٣٦٨)

^{٩٨٩} - شعب الإيمان - (٦ / ٤٠٤) (٤٤٠٥) ضعيف جدا

الأساس الثامن - إبعاد الأطفال عن الطفل المريض مرضاً معدياً .

وضع ﷺ قاعدة عامة للأمة جميعاً كبيرها وصغيرها، وهي عدم ورود الإنسان المريض الذي يحمل مرضاً معدياً إلى تجمع الناس، ولا أن يقوم بزيارة أحد، وذلك لتجنب إصابة المسلمين.

وهناك أمراض معدية في مرحلة الطفولة يحذر فيها الأبوان من أن يأخذا طفلهما في زيارة الأرحام والأصدقاء، كذلك بالعكس لا يأخذ الوالدان طفلهما إلى زيارة أحد في بيته طفل مصاب بمرض معد حتى يشفي، وفي هذا أنفس القواعد الصحية النبوية .

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ بَعْدُ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَا يُورِدَنَّ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحٍّ »^{٩٩٠}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فَرٍّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ^{٩٩١}.

كذلك يقوم الأبوان بإبعاد طفلهم هذا عن بقية إخوته حتى لا ينتقل إليهم المرض، وحتى لا تنشأ عقدة نفسية لهذا الطفل المريض، فلا بأس بنصحه بحديث رسول الله ﷺ هذا ليعلم أن الأمر من رسول الله ﷺ وأن الطفل المسلم يحب رسوله، ويتبعه، ويستجيب لندائه.



^{٩٩٠} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٧٧١)

^{٩٩١} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٥٦٥) (٩٧٢٢) - ٩٧٢٠ - صحيح لغيره

الأساس التاسع - رقية الأطفال من العين الحاسدة والجن.

وهذا العلاج يتفرد به الطب النبوي للأطفال، وهو ركن من أركان المحافظة على صحة الطفل عند رسول الله ﷺ وهذا ما فعله ﷺ مع الأطفال، وحض الأبوين عليه، فقد أورد النووي رحمه الله تعالى في كتابه ((الأذكار)) باب: ما يعوذ به الصبيان وغيرهم، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قالَ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ « إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ »^{٩٩٢}.

هامة: الهامة: واحدة الهوام، وهي الحيات، وكل ذي سم يقتل. فأما مالا يقتل ويسم فهو السوام، وواحدة: سامة، كالعقرب والزنبور، وقد تقع الهوام على كل ما يدب من الحيوان.

لامة اللامة: ذات اللمم، ولم يقل: ملمة. وإن كانت من: أملت تلم: طلبا للازدواج بهامة، والعين اللامة: هي التي تصيب بسوء^{٩٩٣}.



^{٩٩٢} - صحيح البخارى - المكثر - (٣٣٧١)

^{٩٩٣} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٤ / ٣٧٠)

المبحث الثاني - العلاجات النبوية :

بقي أن نسأل: وإذا نزل المرض بالطفل، فما هي أهم العلاجات النبوية الأساسية للأطفال؟.

للإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نذكر ما جاء في المقدمة من ضرورة، وأهمية المداواة، واستشارة الطبيب، ولكن يضاف إليها العلاجات النبوية التالية :

١ - السرعة في معالجة المريض .

إن السرعة في أخذ الطفل المريض إلى الطبيب تلعب دورا كبيرا في التخفيف من الإصابة المرضية، حتى إنها تصبح عنصرا فعالا، فكثيرا من الأمراض يكون سببها تكاسل الوالدين في أخذ الطفل إلى الطبيب، لهذا نجد رسول الله ﷺ يعلمنا السرعة في معالجة الطفل .

عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: "كان أسامة ابن زيد رضي الله عنه قد أصابه الجدري أول ما قدم المدينة، وهو غلام، مخاظه يسيل على فيه، فتقذرتة عائشة رضي الله عنها، فدخل رسول الله ﷺ فطفق يغسل وجهه ويقبله، فقالت عائشة: أما والله ! بعد هذا فلا أقصيه أبدا" ٩٩٤ .

أرأيت أنه وهو يغسله يقبله ؟ ! هكذا رضي الله عنه يعالج بيديه الشريفتين، ولا يتقزز، ولا يقرف منهم ﷺ

٢ - عيادة وزيارة الطفل المريض.

وهذا علاج نفسي للطفل المريض، فإنه عندما يرى الكبار حوله جاءوا لزيارته تقوى نفسه على مواجهة المرض، ويبدأ بالتحرك والكلام مع الضيوف شيئا فشيئا، وإذا صحب ذلك المجلس، وتلك الزيارة الدعاء للطفل كان خيرا على خير، وهذا علاج نبوي للأطفال فريد في معناه، فعن أنس رضي الله عنه - قال كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ - ﷺ - يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ « أَسْلِمَ ». فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِيعْ أَبَا الْقَاسِمِ - ﷺ - . فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - ﷺ - وَهُوَ يَقُولُ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ » ٩٩٥ .

٩٩٤ - تاريخ دمشق - (٨ / ٦٨) وحياة الصحابة للكاندهلوى - (١ / ٣٧٣) ضعيف

٩٩٥ - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٥٦)

هكذا يعود ﷺ الأطفال مؤمنهم وكافرهم، ويحرص عليهم، وما هذا إلا عناية منه بهم، واهتماما منه ﷺ بالأطفال .

٣- العلاج باستخدام العود الهندي.

عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ، أُخْتِ عُكَّاشَةَ بِنِ مِحْصَنٍ، قَالَتْ: دَخَلْتُ بَابِنِ لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ، فَبَالَ، فَدَعَا بِمَاءِ فَرَشَتِهِ. وَدَخَلْتُ بَابِنِ لِي قَدْ أَعْلَقْتُ عَنْهُ، وَقَالَ مَرَّةً: عَلَيْهِ، مِنَ الْعُذْرَةِ، فَقَالَ: عَلَامَ تَدْعُرْنَ أَوْلَادَكُمْ بِهَذَا الْعِلَاقِ؟ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُسْطِ، وَقَالَ مَرَّةً سُفْيَانُ: الْعُودُ الْهِنْدِيُّ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ، مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ، يُسْعَطُ مِنَ الْعُذْرَةِ، وَيُلْدُ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ^{٩٩٦}.

السعوط: : ما يستعط به الأنف.

أعلقت: أعلقت على الصبي، وأعلقت عنه أعلق إعلاقا والإعلاق: معالجة الصبي من العذرة، قال الخطابي: المحدثون يقولون: أعلقت عليه، وإنما أعلقت عنه، أي: دفعت عنه العذرة بالأصبع ونحوها، وقد جاء في بعض الروايات «أعلقت به» وقال الجوهري: الإعلاق: الدغر، يقال: أعلقت المرأة ولدها من العذرة: إذا رفعتها بيدها، وقد جاء في بعض الروايات «العلاق» والمعروف: الإعلاق.

العذرة: بالضم: وجع يعرض في الحق من الدم.

علام تدغرن: الدغر: علاج العذرة، وهو أن ترفع لهاة المذخور بالإصبع، و«علام» بمعنى: على أي شيء والأصل: على ما، فأسقطت الألف تخفيفا، كقولهم: عم وفيم [ولم] ويم؟^{٩٩٧}.
وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَجْرِ الْحَجَّامِ فَقَالَ احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حَجَمَهُ أَبُو طَبِيَّةٍ، وَأَعْطَاهُ صَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَكَلَّمَ مَوَالِيَهُ فَخَفَّفُوا عَنْهُ، وَقَالَ «إِنَّ أَمْثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحَجَّامَةُ وَالْقُسْتُ الْبَحْرِيُّ». وَقَالَ «لَا تُعَذِّبُوا صَبْيَانَكُمْ بِالْعَمَزِ مِنَ الْعُذْرَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقُسْطِ»^{٩٩٨}.

^{٩٩٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٧١٧) (٢٦٩٩٧) ٢٧٥٣٧ - وصحيح مسلم - المكثر - (٥٨٩٢ و ٥٨٩٣)

^{٩٩٧} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٧ / ٥٢٦)

^{٩٩٨} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٦٩٦)

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ امْرَأَةٌ، قَالَ أَبُو يَعْلَى: تَصُبُّ عَلَى صَبِيٍّ يَقْطُرُ مِنْ حِرَاءِهِ دَمًا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا شَأْنُ هَذَا الصَّبِيِّ؟ فَقَالُوا: بِهِ الْعُذْرَةُ فَقَالَ: وَيَحْكُنُّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، لَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُمْ، أَيُّمَا امْرَأَةٍ كَانَ بِصَبِيَّهَا عُذْرَةٌ أَوْ وَجَعَ بِرَأْسِهِ، فَلْتَأْخُذْ قُسْطًا هِنْدِيًّا فَلْتَحْكُكْهُ، ثُمَّ لْتُسِطْ، ثُمَّ أَمْرَ عَائِشَةَ فَفَعَلَتْ ذَلِكَ بِالصَّبِيِّ فَبَرَأَ^{٩٩٩}.

وقال فيه ابن القيم: "القُسْطُ: نوعان. أحدهما: الأبيضُ الذي يُقال له: البحرى. والآخر: الهندى، وهو أشدُّهما حرًّا، والأبيضُ أليْنُهُما، ومنافعُهُما كثيرة جدًا.

وهما حاران يابسان في الثالثة، يُنَشَّفَانِ البلغم، قاطعان للزُّكام، وإذا شَرِبَا، نفعًا من ضعف الكبد والمعدة ومن بردهما، ومن حُمَّى الدَّوَرِ والرَّبع، وقطعا وجع الجنب، ونفعًا من السُّموم، وإذا طُلِيَ به الوجهُ معجونًا بالماء والعسل، قَلَعَ الكَلَفَ.

وقال "جالينوس": ينفع من الكُزَّاز، ووجع الجنين، ويقتل حَبَّ القَرَع. وقد خفيَ على جُهَّالِ الأطباءِ نفعُهُ من وجعِ ذاتِ الجنبِ، فأنكروه، ولو ظَفِرَ هذا الجاهلُ بهذا النقلِ عن "جالينوس" لَزَلَّه مِثْلُةُ النصِّ، كيف وقد نصَّ كثيرٌ من الأطباءِ المتقدمين على أنَّ القُسْطَ يصلحُ للنوعِ البلغميِّ من ذاتِ الجنبِ، ذكره الخطَّابُ عن محمد بن الجهم.

وقد تقدَّم أنَّ طِبَّ الأطباءِ بالنسبةِ إلى طِبِّ الأنبياءِ أَقْلُ من نسبةِ طِبِّ الطُّرُقِيِّ والعجائزِ إلى طِبِّ الأطباءِ، وأنَّ بَيْنَ ما يُلقَى بالوحي، وبَيْنَ ما يُلقَى بالتجربة، والقياسِ من الفرقِ أعظمُ مما بَيْنَ القَدَمِ والفرقِ.

ولو أنَّ هؤلاءَ الجُهَّالِ وجدوا دواءً منصوباً عن بعضِ اليهود والنصارى والمشرِّكين من الأطباءِ، لتلقَّوه بالقبول والتسليم، ولم يتوقَّفوا على تجربته.

نعم.. نحن لا ننكرُ أنَّ للعادة تأثيراً في الانتفاع بالدواءِ وعدمه، فمن اعتاد دواءً وغذاءً، كان أنفعَ له، وأوفقُ ممن لم يعتدَّه، بل ربما لم ينتفع به مَنْ لم يعتدَّه.

وكلامُ فضلاءِ الأطباءِ وإن كان مطلقاً فهو بحسبِ الأزمنة والأماكن والعوائد، وإذا كان التقييدُ بذلك لا يقدح في كلامهم ومعارفهم، فكيف يقدح في كلام الصادق

٩٩٩ - مسند أبي يعلى الموصلي (٢٠٠٩) صحيح

المصدوق، ولكن نفوس البشر مركبة على الجهل والظلم، إلا من أيده الله بروح الإيمان، وتوّر بصيرته بنور الهدى^{١٠٠٠}.

قال النووي في شرح مسلم مبينا منافع القسط: قد أطبق الأطباء في كتبهم على أنه يدر الطمث والبول وينفع من السموم ويحرك شهوة الجماع ويقتل الدود وحب القرع في الأمعاء إذا شرب بعسل ويذهب الكلف إذا طلي عليه وينفع من برد المعدة والكبد ويردهما ومن حمى الورد والربيع وغير ذلك. والله أعلم^{١٠٠١}.

وقد ذكر الدكتور الكيلاني فوائد العود الهندي فقال: "القسط الهندي نبات يؤتى به من الهند ومن كشمير خاصة، تستعمل منه الجذور، وفيها مواد قابضة تقبض الأنسجة الملتهبة المتورمة، لذلك نصح النبي ﷺ باستعماله في التهابات الحلق واللهاة واللوزتين تقطيرا في الأنف بعد مرثه بالماء، وفي جذوره مواد حارة أيضا؛ لذلك يستعمل - بعد نقعه في الزيت - في الآلام العصبية والعضلية... وفي ذات الجنب، وهي ذات الجنب الرئوية (الروماتيزمية) غالبا التي تنشأ عن البرد، ويستعمل طلاء كما يمكن استعماله شربا بعد استحلاب مسحوق جذوره في الماء".

وذكر الكحال بن طرقات طريقة المعالجة بالقسط للألم الجانبي فقال: "يدق القسط ناعما، ويخلط بالزيت المسخن، ويدلك به مكان الريح ويلعق".

وقد ذكر داود الأنطاكي في تذكرته "أن القسط يفيد من ضيق النفس والربو المزمن وأوجاع الصدر، وأنه يقطع الصداع العتيق شرابا وسعوطا ودهنا بالسمن^{١٠٠٢}".

٤ - العلاج بالحجامة .

قال عكرمة: كَانَ لِابْنِ عَبَّاسٍ غَلَمَةٌ ثَلَاثَةٌ حَجَّامُونَ فَكَانَ اثْنَانِ مِنْهُمْ يُغَلِّانِ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ وَوَاحِدٌ يَحْجُمُهُ وَيَحْجُمُ أَهْلَهُ. قَالَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ - « نَعَمْ الْعَبْدُ الْحَجَّامُ يُذْهِبُ الدَّمَ وَيُخَفِّ الصُّلْبَ وَيَجْلُو عَنِ الْبَصَرِ ». وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -

١٠٠٠ - زاد المعاد في هدي خير العباد - (٤ / ٣٥٣)

١٠٠١ - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (١٠ / ١٦)

١٠٠٢ - الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

حِينَ عُرِجَ بِهِ مَا مَرَّ عَلَى مَلَاٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا عَلَيْكَ بِالْحِجَامَةِ. وَقَالَ « إِنَّ خَيْرَ مَا تَحْتَجِمُونَ فِيهِ يَوْمَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَيَوْمَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَيَوْمَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ». وَقَالَ « إِنَّ خَيْرَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ السَّعُوطُ وَاللَّدُودُ وَالْحِجَامَةُ وَالْمَشْيُ ».

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - لَدَهُ الْعَبَّاسُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ لَدَنِي فَكُلْهُمْ أَمْسِكُوا فَقَالَ « لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِمَّنْ فِي الْبَيْتِ إِلَّا لَدَّ ». غَيْرَ عَمَّهِ الْعَبَّاسُ قَالَ عَبْدٌ قَالَ النَّضْرُ اللَّدُودُ الْوَجُورُ^{١٠٠٣}.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اسْتَأْذَنَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْحِجَامَةِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا طَيْبَةَ أَنْ يَحْجُمَهَا، قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَكَانَ أَخُوهَا مِنَ الرِّضَاعَةِ أَوْ غُلَامًا لَهُ لَمْ يَحْتَلَمْ^{١٠٠٤}.

وَأَمَّا مَنَافِعُ الْحِجَامَةِ: فَإِنَّمَا تُنْقَى سَطْحُ الْبَدَنِ أَكْثَرَ مِنَ الْفُصْدِ، وَالْفُصْدُ لِأَعْمَاقِ الْبَدَنِ أَفْضَلُ، وَالْحِجَامَةُ تَسْتَخْرِجُ الدَّمَ مِنْ نَوَاحِي الْجِلْدِ.

قُلْتُ: وَالتَّحْقِيقُ فِي أَمْرِهَا وَأَمْرِ الْفُصْدِ، أَهْمَا يَخْتَلِفَانِ بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ، وَالْمَكَانِ، وَالْأَسْنَانِ، وَالْأَمْرِجَةِ، فَالْبِلَادُ الْحَارَةُ، وَالْأَزْمَنَةُ الْحَارَةُ، وَالْأَمْرِجَةُ الْحَارَةُ الَّتِي دُمُ أَصْحَابِهَا فِي غَايَةِ التُّضْجِ الْحِجَامَةُ فِيهَا أَنْفَعُ مِنَ الْفُصْدِ بكَثِيرٍ، فَإِنَّ الدَّمَ يَنْضِجُ وَيَرْقُ وَيُخْرَجُ إِلَى سَطْحِ الْجَسَدِ الدَّخِلِ، فَتُخْرِجُ الْحِجَامَةُ مَا لَا يُخْرِجُهُ الْفُصْدُ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَنْفَعُ لِلصَّبِيَانِ مِنَ الْفُصْدِ، وَلِمَنْ لَا يَقْوَى عَلَى الْفُصْدِ.

وَقَدْ نَصَّ الْأَطْبَاءُ عَلَى أَنَّ الْبِلَادَ الْحَارَةَ الْحِجَامَةُ فِيهَا أَنْفَعُ وَأَفْضَلُ مِنَ الْفُصْدِ، وَتُسْتَحَبُّ فِي وَسْطِ الشَّهْرِ، وَبَعْدَ وَسْطِهِ. وَبِالْجُمْلَةِ، فِي الرَّبْعِ الثَّالِثِ مِنْ أَرْبَاعِ الشَّهْرِ، لِأَنَّ الدَّمَ فِي أَوَّلِ

^{١٠٠٣} - سنن الترمذی - المکثر - (٢١٩١) حسن

السعوط: دواء يوضع في الأنف - يغلان: يجمعان له الغلة وهي ما يحصل عليه من الزرع والثمر ونحو ذلك - اللدود:

الشراب الذي يسقاه المريض في أحد شقي فمه

^{١٠٠٤} - المستدرک للحاکم (٧٤٧٤) صحيح

الشهر لم يكن بعدُ قد هاج وتَبَيَّغَ، وفي آخره يكون قد سكن، وأما في وسطه وبُعَيْدَه، فيكون في نهاية التَّزْيِيدِ^{١٠٠٥}.

قال في المعجم الوسيط: «الحجامة هي امتصاص الدم بالحجم، والمحجم: أداة الحجم أي المشروط الذي يستعمل في الحجم، وهو أيضا القارورة التي يجمع فيها دم الحجامة»^{١٠٠٦}.

قال ابن القيم في الزاد: وفي ضمن هذه الأحاديث المتقدمة استحبابُ التداوي، واستحبابُ الحجامة، وأنها تكون في الموضع الذي يقتضيه الحال؛ وجوازُ احتجامِ الْمُحْرَمِ: وإن آل إلى قطع شيء من الشعر، فإن ذلك جائز. وفي وجوب الفدية عليه نظر، ولا يَقْوَى الوجوب، وجوازُ احتجامِ الصائم، فإنَّ في "صحيح البخاري" أنَّ رسول الله ﷺ "احتجم وهو صائم"، ولكن: هل يُفْطِرُ بذلك، أم لا؟ مسألة أخرى..

وفيها: دليلٌ على استتجار الطبيب وغيره من غير عقد إجارة، بل يُعطيه أجرة المثل، أو ما يُرضيه.

وفيها: دليلٌ على جواز التكبُّبِ بصناعة الحجامة، وإن كان لا يطيب للحُرِّ أكلُ أُجْرَتِهِ من غير تحریم عليه، فإنَّ النبي ﷺ أعطاه أجرة، ولم يَمْنَعْهُ من أكله، وتسميتهُ إياه خبيثاً كَتَسْمِيَتِهِ للثوم والبصل خبيثين، ولم يلزم من ذلك تحريمهما.

وفيها: دليلٌ على جواز ضرب الرجل الخراجَ على عبده كُلِّ يومٍ شيئاً معلوماً بقدر طاقته، وأنَّ للعبد أن يتصرَّفَ فيما زاد على خراجه، ولو مُنِعَ من التصرف، لكان كسْبُهُ كُلَّهُ خراجاً ولم يكن لتقديره فائدة، بل ما زاد على خراجه، فهو تملكٌ من سيده له يتصرَّفَ فيه كما أراد.. والله أعلم.^{١٠٠٧}

الحجامة في الطب الحديث

يقول الدكتور أمير صالح رئيس الجمعية الأمريكية للعلوم التقليدية والحاصل على البورد الأمريكي في العلاج الطبيعي، والذي يعمل حالياً مستشاراً للعلاج الطبيعي والطب البديل

^{١٠٠٥} - زاد المعاد في هدي خير العباد - (٤ / ٥٣)

^{١٠٠٦} - [راجع أيضاً لسان العرب] .

^{١٠٠٧} - زاد المعاد في هدي خير العباد - (٤ / ٦١)

بالمستشفى السعودي الألماني، وهو من أبرز الأطباء المسلمين الذين اهتموا بالطب البديل ولا سيما ما ورد في الطب النبوي، (وذلك في الحوار الذي أجرته معه في المدينة المنورة: أحلام علي)

يقول: عندما كنت أدرس في أصول الفقه قرأت كلمة (حجامة) فأثارت رغبتي في معرفة هذا النوع من العلاج، ولكن هذا لم يخرج إلى حيز التنفيذ إلا عندما سافرت إلى أمريكا، ووجدتهم يدرسونها في جامعاتهم ضمن مناهج الطب البديل، فشعرت بغيرة على ديننا، وأحسست بأننا نحن المسلمين مقصرون جدا في إحياء هذه السنة.

ثم ذكر أنه أعد بحثا عن الحجامة ضمن البحوث التي طلبت منه عندما بدأ في دراسة الدكتوراه ما بين جامعة شيكاغو وجامعة القاهرة، وفي بحثه دون بابا عن الحجامة عند الإغريق والفراعنة والصينيين، وفي الإسلام، ولما كتب الأحاديث التي في الصحيحين وغيرهما اندهش أساتذته الأمريكيان من الثراء الطبي الخاص بالحجامة في الطب النبوي، ثم يعقب على ذلك بقوله: فمن يصدق أن العلاج بالحجامة يتم تدريسه في أمريكا كفرع مهم في مناهج الطب عندهم يسمونه **cupping therapy**، ومن المؤسف بل المحزن أن نرى أطباء عربا ومسلمين ينكرون هذا النوع من العلاج، في الوقت الذي أصبح علاجاً نافعا للعديد من الأمراض الخطيرة في معظم عواصم العالم.

ثم يقول: وعمل الحجامة يتم من خلال أربع طرق:

أولها: إثارة مناطق الألم وتنبيهها.

ثانيها: تنبيه المناطق العصبية التي لها اتصال بالجلد.

ثالثها: استخدام ردود فعل، حيث يتم التنبيه في أماكن معينة في الجلد فيحدث ذلك ردود فعل في الأعضاء الداخلية مثل تنبيه الغدد وتنبيه إفرازات الجهاز الهضمي.

رابعها: استخدام خارطة الإبر الصينية.

وفي إجابة له على سؤال حول وجود علاقة بين العلاج بالحجامة والعلاج بالإبر الصينية يقول: نستطيع أن نقول: إن الحجامة هي الأصل، والصينيون كانوا يستخدمون هذه

الوسيلة في العلاج، وكانوا يجرونها على شكل جرح طولي، ثم تقلصت من الجرح الطولي إلى جروح صغيرة (حدوش) ثم تقلصت إلى وخز بالأبر.

وفي إجابة على سؤال آخر حول اعتراف الغرب بأن العلاج بالحجامة والعسل وغير ذلك مصدره الطب النبوي يقول: الغرب يعترف بأنها طب صيني، لأن الصينيين نسبوا كل العلاجات القديمة لهم (علاجات الطب البديل) حتى العلاج بالأعشاب، مثلهم في ذلك مثل الغرب الذي سرق موروثات المسلمين في الطب للزهرراوي وابن سينا وابن النفيس وغيرهم وفي سائر العلوم الأخرى، لذا يجب أن تكون هناك وقفة ولو معنوية لأطباء المسلمين لإحياء هذه السنة واسترداد تراثنا الطبي.

• الأمراض التي تعالجها الحجامة

يقول الدكتور أمير صالح: الحجامة تؤدي بإذن الله تعالى إلى تحسن واضح في وظائف الكبد، ومرض السكر وعلاج ضغط الدم المرتفع، والصداع النصفي، وعلاج كثير من الأمراض الجلدية، وحساسية الصدر (الربو)، كما أنني حققت خطوات مهمة في علاج الأطفال الذين يعانون من شلل مخي، وكذلك الشلل النصفي وشلل الوجه؛ حيث سجلت تحسنا ملحوظا في حالات عديدة، كذلك تعالج زيادة الكوليسترول في الدم، والنقرس، والحمول، وتعمل على تحسين كرات الدم الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية، وأمراض النساء والولادة.

ثم يختم حديثه في الحوار الذي أجري معه بنصيحة يقدمها للأطباء والحجامين والمرضى قائلا:

أولا: للأطباء: أن يقوموا بهذا العمل ولا يدعوه لغيرهم فهم أحق الناس به، وليتذكروا جميعا قول ابن قدامة المقدسي في كتابه "منهاج القاصدين": «قرية بلا حجام آثم أهلها»، لأنه وضعها ضمن فروض الكفاية، وأحذر كل من قرأ وريقات عنها أو سمع شريطا أن يجري الحجامة؛ لأن جسد الإنسان أمانة سيسأل عنه من يجترئ عليه.

ثانيا: للحجامين: كما هو معلوم في الفقه: من يشتهر عنه الطب فهو ضامن، فلذلك من يتصدى لأمر الطب وهو ليس بطبيب فعليه أن يتحمل العضو التالف أو النفس المزهقة،

وإن كان ولا بد فعلى الحجامة أن يتصدى للأمراض البسيطة، وأن يستخدم أدوات معقمة ولمرة واحدة فقط، وأن يستخدم المشروط الطبي المعقم ويرتدي القفازين لحماية نفسه من أمراض الدم، ويتخلص من الدم الخارج طبقاً لقوانين البيئة في التخلص من النفايات الطبية، إذ (لا ضرر ولا ضرار).

ثالثاً: للمرضى أقول: تذكروا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرَضْتَ فَهُوَ يَشْفِيكَ﴾ [الشعراء: ٨٠]. اتبعوا سنة النبي - ﷺ - ففيها الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

وفي دراسات أخرى وأبحاث علمية نشر بعضها على النت جاء فيها ما يلي:

• أثر الحجامة على الكبد

الكبد هو المسئول عن إنتاج البروتين اللازم لاستمرار الحياة والنمو، مما يؤدي إلى التغلب على الالتهابات الكبدية التي تصيبه، وصد كل الأمراض التي قد تصيبه، ذلك بالإضافة إلى ارتفاع توتر وريد الباب وما ينشأ عنه من مشكلات كثيرة وخطيرة.

يقول الأستاذ الدكتور/ أحمد غياث جبجي الأخصائي بالجراحة العصبية المجهرية (من هولند): إن تطبيق الحجامة، كما أوصي بها هو مدخل صريح وواضح إلى الصحة والعافية التامة.. يمد الإنسان بقدرة و طاقة عظمى عن طريق فتح أو تنظيف الأوعية الدموية الدقيقة التي يركد داخلها الدم ويشكل ترسباً على جدرانها، وهذا من الأسباب المؤدية لأمراض الشقيقة (الصداع النصفي) والقلب والكبد وغيرها من أمراض هذا العصر. اهـ.

• أثر الحجامة على المناعة

عملية الحجامة تزيد من قوة جهاز المناعة لزيادة نشاط الجملة الشبكية البطانية، كما أن التروية الدموية الجيدة للنسيج والأعضاء من شأنها رفع مناعة الجسم بسبب كثرة تعرض العامل الممرض لعناصر جهاز المناعة، إن الأنترفيرون أسرع خط دفاعي يتم تكوينه وإفرازه بعد تعرض الجسم لأي فيروس.

يقول البروفيسور (كانتل): إن الكريات البيض تستطيع إنتاج الأنترفيرون بمعدل يزيد على عشرة أضعاف مما تتجه خلايا الجسم. اهـ.

ومعلوم أن الحجامة تحافظ على الكريات البيض وتنشط إنتاجها مما يساعد على تحرير الأنترفيرون بكميات كافية لمواجهة الفيروس الكبدي أو الخلايا السرطانية.

• أثر الحجامة على القلب والخثرات الدموية

إننا في هذا العصر، وفي كل يوم نسمع عن الموت الفجائي والشلل، وهذا يعزى إلى حدوث الجلطات، والتي هي عبارة عن تجمع من الكريات الحمر والبيض والألياف ترتص عند تفرعات الشرايين لتشكل بوغة أو كيس، وسبب حدوثها الرئيس هو ارتفاع ضغط الدم، ولعملية الحجامة دور كبير في الوقاية منها، فالحجامة كما جاء في بعض الأحاديث تقي من تبغ الدم، ومعنى (تبغ الدم) التهيج والزيادة، وهذا الوصف ينطبق أيضا على ارتفاع التوتر الشرياني وفرط الكريات الحمر الحقيقي.

وبعد، فما يزال بعض الأطباء المسلمين يتنكرون لما جاء في الطب النبوي، ويصفونه بالخرافة، وأن من يلجأ إلى التداوي به خرافي، وبعضهم يتشدد ويستدل لتكره بحديث: (أنتم أعلم بأمور دنياكم). نافيا جملة ما جاء في الإسلام من أمور الدنيا، فإن شرع الله تعالى لم يهمل شيئا لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة، بل قال ربنا سبحانه: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾، وقال عن نبيه -ﷺ-: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ ﴿٣﴾ إن هو إلا وحي يوحى ﴿[النجم: ٣]﴾، بل يتبحر بعضهم ويقول: إن الصفات الطبية التي وصفها رسول الله -ﷺ- لم يصفها على أنها وحي، وإنما وصفها على أنه حكيم من حكماء زمانه عرف التجربة فيها فوصفها، ﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذب﴾ ﴿[الكهف: ٥]﴾.

ولقد قال -ﷺ- لعبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- عندما سأله عن كتابة كل ما يقول: (اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق).

فكل ما صح عنه -ﷺ- حق وصدق ووحى، وأما غيره فمهما بلغ من التخصص فإنما علمه تجارب وظنون، ونحن نصدق الأطباء فيما يقولون، فتصدقنا نبينا -ﷺ- -أولى، وقبول ما جاء به من عند ربه أحق^{١٠٠٨}.

٥- العلاج بالدعاء والرقي .

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ قَيْسٍ الْمَكِّيِّ أَنَّهُ قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- -بِابْنِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِحَاضَتَيْهِمَا « مَا لِي أَرَاهُمَا ضَارِعَيْنِ ». فَقَالَتْ حَاضَتُهُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ تَسْرَعُ إِلَيْهِمَا الْعَيْنُ وَلَمْ يَمْنَعْنَا أَنْ نَسْتَرْقِيَ لَهُمَا إِلَّا أَنَّا لَا نَدْرِي مَا يُوَفِّقُكَ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « اسْتَرْقُوا لَهُمَا فَإِنَّهُ لَوْ سَبَقَ شَيْءٌ الْقَدَرُ لَسَبَقْتُهُ الْعَيْنُ »^{١٠٠٩}.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ بِوَلَدِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بِهِ لَمَمًا، وَإِنَّهُ يَأْخُذُهُ عِنْدَ طَعَامِنَا، فَيُفْسِدُ عَلَيْنَا طَعَامَنَا، قَالَ: فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ، وَدَعَا لَهُ، فَتَنَعَ ثَعَّةً، فَخَرَجَ مِنْ فِيهِ مِثْلُ الْجَرِّ الْأَسْوَدِ، فَسَعَى^{١٠١٠}.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ مَا رَأَاهَا أَحَدٌ قَبْلِي: كُنْتُ مَعَهُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ بِامْرَأَةٍ مَعَهَا ابْنٌ لَهَا، بِهِ لَمَمٌ، مَا رَأَيْتُ لَمَمًا أَشَدَّ مِنْهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنِي هَذَا كَمَا تَرَى، فَقَالَ: "إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَهُ"، فَدَعَا لَهُ، ثُمَّ مَضَى فَمَرَّ عَلَى بَعِيرٍ نَادَّ جِرَانُهُ يَرْغُو، فَقَالَ: "عَلَيَّ بِصَاحِبِ هَذَا"، فَجِئْتُ بِهِ، فَقَالَ: "هَذَا يَقُولُ تُنَجِّتُ عَنْهُمْ فَاسْتَعْمِلُونِي، حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ أَرَادُوا أَنْ يَنْحَرُونِي". قَالَ: ثُمَّ مَضَى فَرَأَى شَجَرَتَيْنِ مُتَفَرَّقَتَيْنِ، فَقَالَ لِي: "اذهَبْ، فَمُرَّهُمَا فَلْتَجْتَمِعَا لِي". قَالَ: فَاجْتَمَعَتَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، قَالَ: ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا انْصَرَفَ مَرَّ عَلَى الصَّبِيِّ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ وَقَدْ هَيَّأَتْ أُمُّهُ أَكْبُشًا، فَأَهْدَتْ لَهُ كَبْشَيْنِ، وَقَالَتْ: مَا عَادَ إِلَيْهِ شَيْءٌ

^{١٠٠٨} - http://www.quranway.net/index.aspx?function=Item&id=١٤٠١

^{١٠٠٩} - موطأ مالك - المكثر - (١٧١٦) صحيح لغيره - الضارح: نجيل الجسم

^{١٠١٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٦٣٤) (٢١٣٣) حسن لغيره

مِنَ اللَّمَمِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا كَفَرَهُ - أَوْ فَسَقَهُ - الْجِنَّ وَالْإِنْسِ" ١٠١١ .

اللمم: طرف من الجنون أو المس يعتري الإنسان

البعير: ما صلح للركوب والحمل من الإبل، وذلك إذا استكمل أربع سنوات، ويقال للجمل والناقة

الجران: باطن العنق

النحر: الذبح

الكبش: الذكر أو الفحل من الضأن

إليك بعض الرقى المسنونة، والمستحبة، هي كما يلي :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُم مِّنَ الْحُمَى، وَمِنَ الْأَوْجَاعِ كُلِّهَا، أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ الْكَبِيرِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، مِنْ شَرِّ عِرْقٍ نَّعَارٍ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ ١٠١٢ .

عرق نعار: نعر العرق بالدم: إذا ارتفع وعلا.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جَرَحٌ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا « بِاسْمِ اللَّهِ تَرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةٍ بَعْضِنَا لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا » ١٠١٣ .

وَعَنْ عَائِشَةَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا - أَوْ أَتَى بِهِ - قَالَ « أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا » ١٠١٤ . (البأس): الشدة، والألم .

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، كَانَ إِذَا اشْتَكَى قَرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ عَنْهُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا ١٠١٥ .

١٠١١ - دَلَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٢٧١) حسن لغيره

١٠١٢ - سنن ابن ماجه - ط - الرسالة - (٤ / ٥٥٢) (٣٥٢٦) وسنن الترمذى - المكثر - (٢٢١٩) ضعيف

١٠١٣ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٨٤٨)

١٠١٤ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٦٧٥)

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَأَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَعًا يَجِدُهُ مُنْذُ أُسْلِمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأْلَمُ مِنْ حَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَحْدُ وَأُحَادِرُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ ١٠١٦.

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عُثْمَانُ: وَبِيَ وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: امْسَحْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَحْدُ قَالَ: فَقُلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ بِي فَلَمْ أَزَلْ أَمُرُّ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ ١٠١٧.

وَعَنِ الْجُعَيْدِ قَالَ سَمِعْتُ السَّائِبَ يَقُولُ ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجَعٌ فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضْؤِهِ وَقُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَتَظَرَّتُ إِلَى خَاتَمِ التَّبَوُّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زِرِّ الْحَجَلَةِ ١٠١٨.

ونختم هذه الرقية برقية جبريل عليه السلام لرسولنا محمد ﷺ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ فَقَالَ «نَعَمْ». قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْفِيكَ ١٠١٩.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَلَا أَرْفِيكَ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ "نَعَمْ" قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَرْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ وَعَيْنٍ بِسْمِ اللَّهِ أَرْفِيكَ ١٠٢٠. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا عَلَى قَلْبِهِ الْوَسْوَاسُ فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهُ حَنَسَ، وَإِنْ غَفَلَ وَسَّوسَ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ { الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ } [الناس: ٤]" ١٠٢١.

١٠١٥ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٠١٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٨٤٤) وصحيح ابن حبان - (٧) / (٢٣٠)(٢٩٦٣)

١٠١٦ - صحيح ابن حبان - (٧) / (٢٣٠)(٢٩٦٤) صحيح

١٠١٧ - صحيح ابن حبان - (٧) / (٢٣١)(٢٩٦٥) صحيح

١٠١٨ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٦٧٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٢٣٣)

الحجلة: بيت كالقبة يستر بالثياب تكون له أزرار كبار - الزر: بيضة الطائر

١٠١٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٨٢٩)

١٠٢٠ - السنن الكبرى للنسائي (٦٤٤٥) صحيح

١٠٢١ - شعب الإيمان - (٢) / (١٦٩)(٦٦٦) ضعيف

٦ - العلاج من إصابة العين الحاسدة .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ ^{١٠٢٢}.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنِيفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ أَبَا أُمَامَةَ، يَقُولُ: اغْتَسَلَ أَبِي سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ بِالْخَرَّارِ، فَتَزَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ يَنْظُرُ، قَالَ: وَكَانَ سَهْلٌ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِلْدِ، قَالَ: فَقَالَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ عَذْرَاءَ فَوْعِكَ سَهْلٌ مَكَانَهُ، فَاشْتَدَّ وَعَكُهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ سَهْلًا وَعِكَ، وَأَنَّهُ غَيْرُ رَائِحٍ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ سَهْلُ الَّذِي كَانَ مِنْ شَأْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَا بَرَكْتَ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، تَوَضَّأَ لَهُ، فَتَوَضَّأَ لَهُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَرَأَى سَهْلٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ» ^{١٠٢٣}.

وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلٍ بْنِ حَنِيفٍ: إِنَّ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَخَا بَنِي عَدِيٍّ بَنِي كَعْبٍ رَأَى سَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْخَرَّارِ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّاتٍ قَالَ: فَلَبِطَ سَهْلٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ، لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَتَّهِمُونَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ رَأَاهُ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّاتٍ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَا تُبْرِكُ؟ اغْتَسِلْ لَهُ فَعَسَلَ لَهُ عَامِرٌ، فَرَأَى سَهْلٌ مَعَ الرَّكْبِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ».

قَالَ: وَالْعُسْلُ أَنْ يُؤْتَى بِالْقَدَحِ، فَيُدْخَلُ الْعَاسِلُ كَفَّيْهِ جَمِيعًا فِيهِ، ثُمَّ يَغْسِلُ وَجْهَهُ فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يَدْخُلُ يَدَهُ الْيُمْنَى، فَيَغْسِلُ صَدْرَهُ فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يَدْخُلُ يَدَهُ الْيُسْرَى فَيَغْسِلُ ظَهْرَهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَغْسِلُ رُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ أَصَابِعِهِ مِنْ ظَهْرِ الْقَدَمِ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِالرَّجْلِ الْيُسْرَى، ثُمَّ يُعْطِي ذَلِكَ الْإِنَاءَ قَبْلَ أَنْ يَضَعَهُ بِالْأَرْضِ الَّذِي أَصَابَهُ

^{١٠٢٢} - سنن أبي داود - المكثر - (٣٨٨٢) صحيح - العائِن: الحاسد - المعين: المحسود

^{١٠٢٣} - موطأ مالك - المكثر - (١٧١٥) وصحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٦٩) (٦١٠٥) صحيح

المخبة: المكنونة التي لا تراها العيون - لبط: صرع وسقط على الأرض

الْعَيْنُ، ثُمَّ يَمُجُّ فِيهِ، وَيَتَمَضَّمُ وَيَهْرِيقُ عَلَى وَجْهِهِ، وَيَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ، وَيُكْفِي الْقَدَحَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ^{١٠٢٤}.

مُحَبَّاةُ عِذْرَاءٍ: الْمُحَبَّاةُ الْمُخْدَرَةُ، وَالْعِذْرَاءُ الْبَكَرُ وَالْجَمْعُ الْعِذَارَى.

أَلَا بَرَكْتَ: مِنَ الْبَرَكَةِ، وَهِيَ الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ، أَوْ الثَّبَاتُ وَالِدَوَامُ، أَي: هَلَا دَعَوْتَ لَهُ بِالْبَرَكَةِ.

دَاخِلَةٌ إِزَارَهُ: هِيَ الْطَرَفُ الَّذِي يَلِي جِسْدَ الْمُؤْتَرَرِ.

وَقِيلَ: أَرَادَ مَوْضِعَ دَاخِلَةِ إِزَارِهِ مِنْ جِسْدِهِ، لَا إِزَارَهُ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ مَذَاكِيرَهُ، فَكُنِيَ عَنْهَا، كَمَا يَكْنَى عَنِ الْفَرْجِ: بِالسَّرَاوِيلِ، وَقِيلَ: هُوَ الْوَرَكُ^{١٠٢٥}.

وَقَالَ الطَّحَاوِيُّ: "بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَيْنِ أَنَّهَا حَقٌّ وَفِي الْاِغْتِسَالِ لِمَنْ بُلِيَ بِهَا

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتِ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا" (صَحِيح)

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كَانُوا يَأْمُرُونَ الْمَعِينَ، فَيَتَوَضَّأُ، فَيَغْسِلُ بِهِ الْمُعَانَ" (صَحِيح) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هَكَذَا حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي نَضْرَةَ، فَقَالَ: الْمَعِينُ، وَالْمُعَانُ الَّذِي نَحْفَظُهُ مِنْ أَهْلِ اللَّغَةِ أَنَّ الْفَاعِلَ مِنَ الْعَيْنِ عَائِنٌ، وَالْمَفْعُولُ بِهِ مَعِيُونٌ، وَيُنْشَدُ:

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسُبُونَكَ سَيِّدًا ... وَإِخَالُ أَنتَ سَيِّدٌ مَعِيُونٌ

وَرُبَّمَا رَدَّ بَعْضُهُمُ الْمَفْعُولَ مِنْهُ إِلَى فِعْلٍ مِثْلَ مَكِيلٍ وَمَبِيعٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: مَعِينٌ. وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ عَلَى سَهْلِ بْنِ حَنْبَلٍ، وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ سَهْلٌ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُحَبَّاةٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ فَأَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: أَذْرِكُ سَهْلًا صَرِيحًا، فَقَالَ: "مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ؟"، فَقَالُوا: عَامِرٌ، فَقَالَ: "عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ"، وَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ لَهُ وَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَيَصُبُّ عَلَيْهِ وَيُكْفِي الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ" وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ

^{١٠٢٤} - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٧٠) (٦١٠٦) صحيح

^{١٠٢٥} - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٧ / ٥٨٦)

ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ، وَزَادَ "فَرَّاحٌ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ" قَالَ لَنَا يُونُسُ: قَالَ لَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ مَالِكٌ: دَاخِلَةُ الْإِزَارِ: الَّتِي تَحْتَ الْإِزَارِ مِمَّا يَلِي الْجَسَدَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ: اغْتَسَلَ أَبِي سَهْلٌ بْنُ حُنَيْفٍ بِالْخِرَارِ، فَنَزَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ يَنْظُرُ. قَالَ: وَكَانَ سَهْلٌ أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِلْدِ، فَقَالَ لَهُ عَامِرٌ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ وَلَا جِلْدَ عَذْرَاءٍ، ثُمَّ ذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: "وَالْعُسْلُ الَّذِي أَدْرَكْنَا عَلَيْهِ عُلَمَاءُنَا يَصِفُونَهُ أَنْ يُؤْتَى الرَّجُلُ الَّذِي يَعِينُ صَاحِبَهُ الْقَدَحَ فِيهِ الْمَاءُ، فَيَمْسِكُ لَهُ مَرْفُوعًا مِنَ الْأَرْضِ، فَيُدْخِلُ الَّذِي يَعِينُ صَاحِبَهُ يَدَهُ الْيُمْنَى فِي الْمَاءِ، فَيَصُبُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْهُ وَاحِدَةً فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ الْيُسْرَى فِي الْمَاءِ، فَيَعْسِلُ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمَرْفِقِ بِيَدِهِ الْيُسْرَى مِنْهُ وَاحِدَةً فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ الْيُمْنَى، فَيَعْسِلُ يَدَهُ الْيُسْرَى إِلَى الْمَرْفِقِ صَبَّةً وَاحِدَةً فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَيْهِ جَمِيعًا فِي الْمَاءِ، فَيَعْسِلُ صَدْرَهُ صَبَّةً وَاحِدَةً فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ فَيَمْضِضُ، ثُمَّ يَمْجُجُهُ فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ الْيُسْرَى فَيَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ، فَيَصْبُهُ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُمْنَى صَبَّةً وَاحِدَةً فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ الْيُسْرَى، فَيَصُبُّ عَلَى مَرْفِقِ يَدِهِ مِنْهُ وَاحِدَةً فِي الْقَدَحِ، وَهُوَ ثَانٍ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، ثُمَّ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي مَرْفِقِ يَدِهِ الْيُسْرَى، ثُمَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِ قَدَمَيْهِ الْيُمْنَى مِنْ عِنْدِ أَصُولِ الْأَصَابِعِ وَالْيُسْرَى كَذَلِكَ، ثُمَّ يُدْخِلُ يَدَهُ الْيُسْرَى، فَيَصُبُّ عَلَى ظَهْرِ رُكْبَتِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَفْعَلُ بِالْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَغْمِسُ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ الْيُمْنَى فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَقُومُ الَّذِي فِي يَدِهِ الْقَدَحُ بِالْقَدَحِ حَتَّى يَصْبُهُ عَلَى رَأْسِ الْمُعْيُونِ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ يَكْفَأُ الْقَدَحَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَرَاءَهُ"

فَأَمَّا مَا رُوِيَ فِي الْعَيْنِ أَنَّهَا حَقٌّ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْعُسْلِ فَقَدْ رَوَيْتُ ذَلِكَ فِي آثَارٍ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَابِرٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَكْثَرُ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ بِالْأَنْفُسِ" (صحيح)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَسَهْلٌ بْنُ حُنَيْفٍ نَلْتَمِسُ الْخَمَرَ فَأَصَبْنَا غَدِيرًا حَمْرًا، فَكَانَ أَحَدُنَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَتَجَرَّدَ وَاحِدٌ يَرَاهُ، وَاسْتَرَّ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ نَزَعَ جُبَّةً صُوفٍ عَلَيْهِ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَأَعْجَبَنِي خَلْقُهُ، فَأَصَبْتُهُ بَعِينَ فَأَخَذْتُهُ

قَعَقَةً فَدَعَوْتُهُ فَلَمْ يُجِبْنِي، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: "قُومَا"، فَرَفَعَ عَنِ سَاقِيهِ حَتَّى خَاضَ إِلَيْهِ الْمَاءَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَضَحِ سَاقِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَضَرْبَ صَدْرِهِ، وَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ أَذْهَبْ حَرَّهَا وَبَرِّدْهَا وَوَصِّبْهَا قِفْ بِإِذْنِ اللَّهِ"، فَقَامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَخِيهِ شَيْئًا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ" (صحيح)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ اكْتَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَهْلٍ بِالِدُعَاءِ وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ أَمْرُهُ عَامِرًا بِالِاغْتِسَالِ لَهُ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُهُمَا لَهُ جَمِيعًا، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَدْرَكَ سَهْلًا فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِنْ عَامِرٍ مَا أَدْرَكَهُ مِنْهُ، فَفَعَلَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَا فَعَلَ فِيهَا مِنْ دُعَاءٍ، وَمِنْ أَمْرِ بِاغْتِسَالٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْاغْتِسَالُ كَانَ، ثُمَّ نُسِخَ بَعِيرُهُ، فَعَنَّ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوَّذَتَانِ أَخَذَهُمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ.

وَقَدْ رُوِيَ مِنْهَا أَيْضًا، عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَسْتَرْقِيَ مِنَ الْعَيْنِ" (صحيح)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: اشْتَكَيْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَاقَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ وَاللَّهُ يَشْفِيكَ" (صحيح)
قَالَ: فِي هَذِهِ الْآثَارِ الْاِكْتِفَاءُ بِالْمُعَوَّذَتَيْنِ، وَبِالرُّقْيِ، وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى نَسْخِ الْغُسْلِ لَا سِيَّمَا مَا فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوَّذَتَانِ أَخَذَهُمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَفِيهِ نَسْخُ الْغُسْلِ، وَمَا سِوَاهُ مِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ ﷺ قَبْلَ نَزُولِهِمَا عَلَيْهِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَّأَلُهُ التَّوْفِيقَ "١٠٢٦".
الرُّقْيَةُ لُغَةً: اسْمٌ مِنَ الرُّقْيِ يُقَالُ رَقَى الرَّاقِي الْمَرِيضَ يَرْقِيهِ.

قال ابن الأثير : الرُّقِيَّةُ الْعَوْدَةُ الَّتِي يُرْقَى بِهَا صَاحِبُ الْآفَةِ كَالْحُمَى وَالصَّرْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ لِأَنَّهُ يُعَادُ بِهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ } (٢٧) سورة القيامة ، أَيْ مَنْ يَرْقِيهِ ، تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهُ لَا رَاقِيَ يَرْقِيهِ فَيَحْمِيهِ ، وَرَقِيَّتُهُ رُقِيَّةٌ أَيْ عَوْدَتُهُ بِاللَّهِ ، وَالْإِسْمُ الرُّقْيَا ، وَالْمَرَّةُ رُقِيَّةٌ ، وَالْجَمْعُ : رُقَى .

وَلَا يَخْرُجُ اصْطِلَاحُ الْفُقَهَاءِ لِلرُّقِيَّةِ عَنِ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ .
وَالرُّقِيَّةُ قَدْ تَكُونُ بَكِتَابَةِ شَيْءٍ وَتَعْلِيْقِهِ ، وَقَدْ تَكُونُ بِقِرَاءَةِ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمَعْوِذَاتِ وَالْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ .

وقد اختلف الفقهاء في الرُّقَى :

فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى جَوَازِ الرُّقِيِّ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُصِيبُ الْإِنْسَانَ بِشُرُوطٍ ثَلَاثَةٍ :

أَوَّلُهَا : أَنْ يَكُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ .

ثَانِيهَا : أَنْ يَكُونَ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَوْ بِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ .

ثَالِثُهَا : أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الرُّقِيَّةَ لَا تُؤْتِرُ بِذَاتِهَا بَلْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ ، فَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تَقُولُ فِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ ، وَلَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكَاً^{١٠٢٧} .

وَعَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرُّقَى ، فَأَتَاهُ خَالِي ، وَكَانَ يَرْقِي مِنَ الْعَقَرِ ، قَالَ : فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ قَدْ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقِيَّةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقَرِ ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى ، قَالَ : فَعَرِّضُوهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا أَرَى بَأْسًا ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ^{١٠٢٨} .

وَقَالَ الرَّبِيعُ : سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنِ الرُّقَى فَقَالَ : لَا بَأْسَ إِنْ رُقِيَ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ بِمَا يُعْرَفُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَسُئِلَ مَالِكٌ عَنِ الرُّقَى بِالْأَسْمَاءِ الْعَجْمِيَّةِ فَقَالَ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا كُفْرٌ ؟ وَمُقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّ مَا جُهِلَ مَعْنَاهُ لَا يَجُوزُ الرُّقِيَّةُ بِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ كُفْرٌ أَوْ سِحْرٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ .

^{١٠٢٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٨٦٢) وصحيح ابن حبان - (٤٦١ / ١٣) (٦٠٩٤)

^{١٠٢٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦٧ / ٥) (١٤٣٨٢) ١٤٤٣٥ - وصحيح مسلم - المكثر - (٥٨٦١)

وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ : لَا تَجُوزُ الرُّقِيَّةُ إِلَّا مِنَ الْعَيْنِ وَاللِّدْغَةِ لِحَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ ١٠٢٩ .

وَذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهُ تُكْرَهُ الرُّقِيَّةُ حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ لِأَنَّهَا قَادِحَةٌ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ فَعْنٍ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، فَقَالَ لَنَا : أَيُّكُمْ رَأَى الْكُوكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَنَا ، أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي الصَّلَاةِ ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ . قَالَ : فَمَا فَعَلْتَ ؟ قُلْتُ : اسْتَرْقَيْتُ . قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : حَدِيثُ حَدَّثَنَا الشَّعْبِيُّ . قَالَ : وَمَا يُحَدِّثُكُمْ الشَّعْبِيُّ ؟ قَالَ : قُلْتُ : حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حَصِيبٍ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ : لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ . قَالَ : فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ رَهْطٌ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ رَجُلٌ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقُلْتُ : هَذِهِ أُمَّتِي ؟ فَقِيلَ : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ ، فَانْظُرْتُ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ إِلَى هَذَا الْجَانِبِ الْآخَرِ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ، ثُمَّ نَهَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ ، فَخَاضَ الْقَوْمَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالُوا : مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؟ فَقَالَ : بَعْضُهُمْ لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا النَّبِيَّ ﷺ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ قَطُّ ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَخُوضُونَ فِيهِ ؟ فَأَخْبَرُوهُ بِمَقَالَتِهِمْ ، فَقَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُبُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مَحْصَنِ الْأَسَدِيِّ ، فَقَالَ : أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَنْتَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ : أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ ١٠٣٠ .

وَمِنْ هَؤُلَاءِ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ .
وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى كَرَاهَةِ الرُّقِيَّةِ إِلَّا بِالْمُعَوِّذَاتِ .

١٠٢٩ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٧٠٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٤٩)

١٠٣٠ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٤٩) وصحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٣٩) (٦٤٣٠)

وَفَرَّقَ قَوْمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ الرَّقِيِّ قَبْلَ وَقُوعِ الْبَلَاءِ وَبَعْدَ وَقُوعِهِ، فَقَالُوا : الْمَنْهِيُّ عَنْهُ مِنَ الرَّقِيِّ هُوَ مَا يَكُونُ قَبْلَ وَقُوعِ الْبَلَاءِ، وَالْمَأْذُونُ فِيهِ مَا كَانَ بَعْدَ وَقُوعِهِ "١٠٣١".

قلت : والصواب قول الجمهور .

٧- النهي تعليق شيء على الطفل ما لم يكن قرآناً أو حديثاً نبوياً أو أثراً.

ولابد أن نذكر في ختام هذا الباب من حرمة تعليق الحرز، أو الحلقات، وعليها حبات زرقاء، أو لبس الصبي لخلخال اعتقاداً من أنه يقي من العين، مما يفعله الجاهلون بأحكام الشرع ، والذي اعتبره رسول الله ﷺ من الشرك ؛ الذي إذا أصرَّ صاحبه على وضعه بعد تنبيهه .

عن عمرو بن الحارث، أن بكيراً، حَدَّثَهُ أَنَّ أُمَّهُ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِأَحِيهِ مَخْرَمَةً، وَكَانَتْ تُدَاوِي مِنْ قَرْحَةٍ تَكُونُ بِالصَّبِيَّانِ، فَلَمَّا دَاوَتْهُ عَائِشَةُ وَفَرَعَتْ مِنْهُ رَأَتْ فِي رِجْلَيْهِ خَلْخَالَيْنِ جَدِيدَيْنِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: "أَظَنَنْتُمْ أَنَّ هَذَيْنِ الْخَلْخَالَيْنِ يَدْفَعَانِ عَنْهُ شَيْئًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لَوْ رَأَيْتَهَا مَا تَدَاوَى عِنْدِي وَمَا مَسَّ عِنْدِي لَعَمْرِي لَخَلْخَالَانِ مِنْ فِضَّةٍ أَطْهَرُ مِنْ هَذَيْنِ" ١٠٣٢ .

ولهذا نجد تحذيراً شديداً من رسول الله ﷺ من أفعال الجاهلية ومعتقداتها بتعليق أشياء على صدور الأطفال خشية الحسد، فلنستمع و ننتبع، ولا نبندع .

وعَنْ أَبِي قَلَابَةَ، قَالَ: "قَطَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّمِيمَةَ مِنْ قِلَادَةِ الصَّبِيِّ "يَعْنِي الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَهِيَ الَّتِي تُخْرَزُ فِي عُنُقِ الصَّبِيِّ مِنَ الْعَيْنِ" ١٠٣٣ .

وَعَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، أَوْ: عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: رَأَى ابْنُ مَسْعُودٍ فِي عُنُقِ امْرَأَتِهِ خَرَزًا قَدْ تَعَلَّقَتْهُ مِنَ الْحُمْرَةِ فَقَطَعَهُ، وَقَالَ: "إِنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لَأَغْنِيَاءُ عَنِ الشَّرْكِ" ١٠٣٤ .

١٠٣١ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٣ / ٩٦) وفتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠ / ١٥٦ ، ١٩٥ ، ٢١١ ، دليل الفالحين ٣ / ٣٧٢ ، القوانين الفقهية ص ٤٥٣ ، الفواكه الدواني ٢ / ٤٤٢ ، حاشية العدوي ٢ / ٤٥٣ ، مغني المحتاج ١ / ٣٧ ، المغني لابن قدامة ٢ / ٤٤٩ ، حاشية ابن عابدين ٥ / ٢٣٢ ، والموسوعة ١١ / ١٢٣ - ١٢٤ فقرة ١٣ و ١٣ / ٢١ وما بعدها .

١٠٣٢ - الْمُسْتَذْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ (٧٦١٦) حسن

١٠٣٣ - جَامِعُ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ (٩٥٦) صحيح مرسل

وَعَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ، نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ فِي يَدِهِ فَتَحَّ مِنْ صُفْرِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا فِي يَدِكَ؟"، قَالَ: صَنَعْتُهُ مِنَ الْوَاهِنَةِ، فَقَالَ عِمْرَانُ: "فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا" ١٠٣٥.

وَعَنْ مِشْرِحِ بْنِ هَاعَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ ١٠٣٦.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: إِنْ عَلَيْهِ تَمِيمَةٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ ١٠٣٧.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي عَضُدِهِ حَلَقَةٌ مِنْ صُفْرِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ؟ قَالَ: أَيْسُرُكَ أَنْ تُوَكَّلَ إِلَيْهَا؟ ابْنُهَا عَنْكَ ١٠٣٨.

التَّمِيمَةُ فِي اللَّعَةِ عُودَةٌ تُعَلَّقُ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَيُقَالُ: هِيَ خَرَزَاتُ كَانَ الْعَرَبُ يُعَلِّقُونَهَا عَلَى أَوْلَادِهِمْ يَتَّقُونَ بِهَا الْعَيْنَ فِي زَعْمِهِمْ.

وَعَرَفَهَا الْفُقَهَاءُ بِأَنَّهَا وَرَقَةٌ يُكْتَبُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ غَيْرِهِ وَتُعَلَّقُ عَلَى الْإِنْسَانِ .

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرُّقِيَّةِ وَالتَّمِيمَةِ أَنَّ الرُّقِيَّةَ تَكُونُ بِقِرَاءَةِ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ غَيْرِهِ .

أَمَّا التَّمِيمَةُ فَهِيَ وَرَقَةٌ يُكْتَبُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الرُّقِيَّةُ : هِيَ تَعْوِيذُ مَقْرُوءٌ، وَالتَّمِيمَةُ: تَعْوِيذُ مَكْتُوبٌ .

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي عَدَمِ جَوَازِ التَّمِيمَةِ إِذَا كَانَ فِيهَا اسْمٌ لَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّ مَا لَا يُفْهَمُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ، وَلَئِنَّهُ لَا دَافِعَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يُطْلَبُ دَفْعُ الْمُؤْذِيَّاتِ إِلَّا بِاللَّهِ وَبِأَسْمَائِهِ .

١٠٣٤ - جَامِعُ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ (٩٥٧) صحيح

١٠٣٥ - جَامِعُ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ (٩٥٨) صحيح

١٠٣٦ - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٥٠) (٦٠٨٦) حسن

١٠٣٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٩١٦) (١٧٤٢٢) ١٧٥٥٨ - صحيح

١٠٣٨ - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٥٣) (٦٠٨٨) صحيح

أَمَّا إِذَا كَانَتْ التَّمِيمَةُ لَا تَشْتَمِلُ إِلَّا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، فَقَدْ
 اخْتَلَفَتْ الْأَرَاءُ فِيهَا عَلَى النَّحْوِ التَّالِي :
 ذَهَبَ الْحَنْفِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ إِلَى جَوَازِ ذَلِكَ، وَهُوَ ظَاهِرٌ مَا رُوِيَ
 عَنْ عَائِشَةَ، وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَحَمَلُوا حَدِيثَ ابْنِ الرُّقَيِّ وَالتَّمَائِمِ
 وَالتَّوَلَّ شَرَكُ " عَلَى التَّمَائِمِ الَّتِي فِيهَا شَرَكٌ .
 وَالرَّوَايَةُ الْأُخْرَى عَنْ أَحْمَدَ حُرْمَةُ التَّمِيمَةِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ حُذَيْفَةَ وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَابْنِ
 حَكِيمٍ . وَبِهِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ ١٠٣٩ ..



١٠٣٩ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٤ / ٣٠) و الشرح الصغير ٤ / ٧٦٩ ، وحاشية ابن عابدين ٥ / ٢٣٢ ،
 والفتاوى الحديثة ص ١٢٠ ، والدين الخالص ٢ / ٢٦٣ ، شرح منتهى الإرادات ١ / ٣٢١ ط دار الفكر ، وكشاف
 القناع ٢ / ٧٧ ، والآداب الشرعية لابن مفلح ٣ / ٧٨ .

الفصل التاسع

تهذيب الدافع الجنسي للطفل

تمهيد :

- الأساس التهذيبي الأول - استئذان الطفل في الدخول :
- الأساس التهذيبي الثاني - تعويد الطفل غض البصر، وحفظ العورة :
- الأساس التهذيبي الثالث - التفريق في المضاجع بين الأطفال :
- الأساس التهذيبي الرابع - نوم الطفل على شقه الأيمن، وابتعاده عن النوم على بطنه :
- الأساس التهذيبي الخامس - ابتعاد الطفل عن الاختلاط والمهيجات الجنسية :
- الأساس التهذيبي السادس - تعلم الطفل المميز فروض الغسل، وسننه .
- الأساس التهذيبي السابع - شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميز :
- الأساس التهذيبي الثامن - المصارحة الجنسية والتحذير من الفاحشة:
- الأساس التهذيبي التاسع - الزواج المبكر :

تمهيد :

حرص الإسلام على تنشئة الإنسان تنشئة متوازنة، بحيث يتكون تكويننا منسجماً مع طبيعته التي خلقها الله، ومع فطرته التي فطره عليها، وهكذا كانت إحدى خصائصه المميزة التوازن في الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط .

والدافع الجنسي خلقه الله تعالى في النفس البشرية ليكون سبباً في استمرار الكائنات الحية جميعها، ومن بينها الإنسان، وقد خصَّ الله تعالى زمناً معيناً لتفجير هذه الطاقة في الإنسان، ليصبح قادراً على الإنجاب، وسمَّى الشرع الخفيف هذا السنَّ بسنَّ التكليف، أي بدخول الطفل هذا السنَّ يصبح مسؤولاً عن تصرفاته محاسباً على أعماله .

ولكي يسير الدافع الجنسي في نفس الطفل بشكل هادئ، بلا تهيجات خارجية تغذيه نحو الانحراف عن السلوك القويم، رعى الإسلام هذا الطفل، وطالبه بأوامر ونواهٍ، وذلك لكي يتهدب الدافع الجنسي، ويبقى متوازناً طاهراً بلا انحراف، نقياً بلا تلوث .

فما هي الأركان والقواعد ليقوم الوالدان باتباعها، فيحفظوا بها طفلهم من الانحراف الجنسي، وتبقى فطرته نظيفة طاهرة عفيفة، لم تخذشها الجاهلية بمستنقعها الآسن ؟

الأساس التهديبي الأول - استئذان الطفل في الدخول :

الطفل يعيش في منزله كثيراً، ويتنقل سريعاً في أرجاء البيت، والاستئذان بالنسبة له أمر صعب وشاق في كل لحظة، وفي كل آن ؛ لذلك وجدنا القرآن الكريم يحدد للطفل الصغير طريقة الاستئذان، فيتناولها بالرعاية، والتوجيه، وذلك بأسلوب تدريجي رائع، فحددها له أولاً، وهو طفل صغير أن يستأذن فين ثلاث أوقات حساسة: من قبل صلاة الفجر ... ووقت الظهيرة عند القيلولة.. وبعد صلاة العشاء.

ونلاحظ أن هذه الأوقات هي أوقات نوم الوالدين، وقد دخلا في غرفة النوم إذا قرب من سن الاحتلام وجب عليه الاستئذان في البيت في الدخول على والديه في كل آن، وكلما وجد أمامه الباب مغلقاً في وجهه، ووالداه في الغرفة.

فلنعش لحظات مع التوجيه القرآني الذي خص هذا الأمر بالتفصيل، والبيان دون غيره ؛ لما له من أهمية كبيرة في ميزان الشرع.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَھُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) } [النور: ٥٨-٥٩]

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه مُروا عبيدكم وإماءكم، والأطفال الأحرار دون سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاثة: من قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة، ووقت خلع الثياب للقيولة في الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت للنوم، وهذه الأوقات الثلاثة عورات لكم، يقل فيها التستر، أما فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن؛ لحاجتهم في الدخول عليكم، طوافون عليكم للخدمة، وكما بيّن الله لكم أحكام الاستئذان بيّن لكم آياته وأحكامه وحججه وشرائع دينه. والله عليم بما يصلح خلقه، حكيم في تدبيره أمورهم.

وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية، فعليهم أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار، وكما بيّن الله آداب الاستئذان بيّن الله تعالى لكم آياته. والله عليم بما يصلح عباده، حكيم في تشريعه^{١٠٤٠}.

فالخدم من الرقيق، والأطفال المميزون الذين لم يبلغوا الحلم يدخلون بلا استئذان. إلا في ثلاثة أوقات تنكشف فيها العورات عادة، فهم يستأذنون فيها. هذه الأوقات هي: الوقت قبل صلاة الفجر حيث يكون الناس في ثياب النوم عادة أو أنهم يغيرونها ويلبسون ثياب الخروج. ووقت الظهيرة عند القيولة، حيث يخلعون ملابسهم في العادة ويرتدون ثياب النوم للراحة. وبعد صلاة العشاء حين يخلعون ملابسهم كذلك ويرتدون ثياب الليل ..

^{١٠٤٠} - التفسير الميسر - (٦ / ٢٦٢)

وسماها «عورات» لانكشاف العورات فيها. وفي هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم. وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة! وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر. بينما يقرر النفسيون اليوم - بعد تقدم العلوم النفسية - أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤها منها.

والعليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب، سليمة الصدور، مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات.

ويخصص هذه الأوقات الثلاثة دون غيرها لأنها مظنة انكشاف العورات. ولا يجعل استئذان الخدم والصغار في كل حين منعا للخرج. فهم كثيرون الدخول والخروج على أهليهم بحكم صغر سنهم أو قيامهم بالخدمة:

«طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ» .. وبذلك يجمع بين الحرص على عدم انكشاف العورات، وإزالة الحرج والمشقة لو حتم أن يستأذنوا كما يستأذن الكبار.

فأما حين يدرك الصغار سن البلوغ، فإنهم يدخلون في حكم الأجانب، الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت، حسب النص العام، الذي مضت به آية الاستئذان.

ويعقب على الآية بقوله: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» لأن المقام مقام علم الله بنفوس البشر، وما يصلحها من الآداب ومقام حكمته كذلك في علاج النفوس والقلوب^{١٠٤١}.

فهل تريدان أيها الوالدان أن يمرض طفلكما ؟ وبأي مرض ؟ إنه بالأمراض النفسية، والعصبية ؛ التي يصعب شفاء الطفل منها.

وما هو السبب يا ترى ؟ إنه تمآون الوالدين في تعويد طفلهم الاستئذان للدخول في الأوقات الثلاثة ؛ التي تكون فيها عورات الوالدين منكشفة ؛ لهذا نجد النبي ﷺ يعلم أنسا

^{١٠٤١} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٥٣٢)

الاستئذان ، فعن سلم العلوي قال: سمعت أنسا يقول: كنتُ خادماً للنبي ﷺ ، قال: فكنتُ أدخلُ بغيرِ استئذانٍ، فجئتُ يوماً، فقال: "كما أنت يا بُني، فإنه قد حدثَ بعدَكَ أمرٌ: لا تدخلنَّ إلَّا بإذنٍ" ١٠٤٢ .

ومن هنا وجب أيضا على الوالدين أن يسترا عورتاهما في كل آن أمام طفلهما ؛ ولنتنبه .. ولنستجب لنداء الله تعالى ورسوله لما يحينا .

حكم الطفل غير المميز:

إن الطفل الصغير الذي لا يميز محاسن وقبح النساء، وكذلك البنت التي لم تبدأ معالم البلوغ عندها، لهما حكم خاص بهما نصت الآية عليه: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) سورة النور .

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عما لا يحل لهن من العورات، ويحفظن فروجهن عما حرم الله، ولا يُظهرن زينتهن للرجال، بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة لبئسها، إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات صدورهن مغطيات وجوههن؛ ليكمل سترهن، ولا يُظهرن الزينة الخفية إلا لأزواجهن؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهم. وبعضها، كالوجه، والعنق، واليدين، والساعدين يباح رؤيتهن لآبائهن أو آباء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو أبناء أخواتهن أو نساءهن المسلمات دون الكافرات، أو ما ملكن من العبيد، أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء، مثل البُله الذين

١٠٤٢ - الأذُبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (٨٣٤) صحيح

يتبعون غيرهم للطعام والشراب فحسب، أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد، ولا يضرب النساء عند سيرهن بأرجلهن لئلا يسمعن صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه، وارجعوا- أيها المؤمنون- إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة^{١٠٤٣}.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ إِذْ مَنَّ ابْنُ هِشَامٍ النَّسَاءَ الطَّوَّافَ مَعَ الرَّجَالِ قَالَ: كَيْفَ تَمْنَعُهُنَّ وَقَدْ طَافَ نِسَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -؟ قُلْتُ: أَبْعَدَ الْحِجَابِ أَوْ قَبْلُ؟ قَالَ: إِي لَعْمَرِي لَقَدْ أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الْحِجَابِ. قُلْتُ: كَيْفَ يُخَالِطُنَ الرَّجَالُ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ يُخَالِطُنَ كَانَتْ عَائِشَةُ ﷺ تَطُوفُ حَجْرَةً مِنَ الرَّجَالِ لَا تُخَالِطُهُمْ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: انْطَلِقِي نَسْتَلِمُ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: انْطَلِقِي عَنْكَ فَأَبَتْ فَخَرَجْنَ مُتَنَكِّرَاتٍ بِاللَّيْلِ وَيَطْفَنَ مَعَ الرَّجَالِ وَلَكِنَّهُنَّ كُنَّ إِذَا دَخَلْنَ الْبَيْتَ قُمْنَ حَتَّى يَدْخُلْنَ وَأُخْرِجَ الرَّجَالُ وَكُنْتُ أَتِي عَائِشَةَ ﷺ أَنَا وَعُبَيْدٌ وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ فِي جَوْفِ ثَبِيرٍ فَقُلْتُ: وَمَا حِجَابُهَا؟ قَالَ: هِيَ فِي قُبَّةٍ تُرَكِّبُ لَهَا غِشَاءً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذَلِكَ وَرَأَيْتُ عَلَيْهَا دِرْعًا مُورَدًا^{١٠٤٤}.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، حِينَ مَنَّ ابْنُ هِشَامٍ النَّسَاءَ الطَّوَّافَ مَعَ الرَّجَالِ، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي: فَكَيْفَ يَمْنَعُهُنَّ مِنَ الطَّوَّافِ وَقَدْ طَافَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الرَّجَالِ؟ قُلْتُ: أَبْعَدَ الْحِجَابِ؟ إِي لَعْمَرِي، قَدْ أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الْحِجَابِ، قُلْتُ: فَكَيْفَ يُخَالِطُنَ الرَّجَالُ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَنَّ، قَالَ: كَانَتْ عَائِشَةُ ﷺ تَطُوفُ حُجْرَةً مِنَ الرَّجَالِ لَا تُخَالِطُهُمْ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا: انْطَلِقِي نَسْتَلِمُ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَاجْتَبَذَتْهَا وَقَالَتْ: "انْطَلِقِي عَنْكَ"، فَأَبَتْ أَنْ تَسْتَلِمَ، قَالَ: فَكُنَّ يَخْرُجْنَ مُتَنَكِّرَاتٍ بِاللَّيْلِ فَيَطْفَنَ مَعَ الرَّجَالِ، قَالَ: وَلَكِنَّهُنَّ يَكُنَّ إِذَا دَخَلْنَ الْبَيْتَ سَتَرْنَ حَتَّى يَدْخُلْنَ ثُمَّ يَخْرُجُ عَنْهُنَّ الرَّجَالُ، قَالَ: وَكُنْتُ أَتِي عَائِشَةَ ﷺ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ فِي جَوْفِ ثَبِيرٍ قُلْتُ: فَمَا حِجَابُهَا حِينَئِذٍ؟

^{١٠٤٣} - التفسير الميسر - (٦ / ٢٣٥)

^{١٠٤٤} - صحيح البخارى - المكثر - (١٦١٨) والسنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٥ / ٧٨) (٩٥١٥)

قَالَ: هِيَ فِي قُبَّةٍ لَهَا حَيْثُ تُرَكِّبُ عَلَيْهَا غِشَاؤُهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا قَالَ: وَلَكِنْ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا
دِرْعًا مُعْصَفَرًا وَأَنَا صَبِيٌّ ۖ ١٠٤٥ .



الأساس التهذيبي الثاني - تعويد الطفل غض البصر، وحفظ العورة :

إن البصر هو نافذة الطفل على العالم الخارجي، فما تراه عيناه ينطبع في ذهنه ونفسه، وذاكرته بسرعة فائقة، فإذا تعودَ غضُّ البصر عن العورات كافة المتزلية والخارجية، مستعيناً بمراقبة الله تعالى له، كما فعل الطفل الصالح عبد الله التستري، الذي كان يردد ورده القلبي قبل أن ينام "الله شاهدي، الله ناظري، الله معي" فإن ذلك يورث حلاوة الإيمان، التي يجدها الطفل في نفسه .

عَنْ أَبِي رِيحَانَةَ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي غَزْوَةٍ فَسَمِعَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ يَقُولُ : "حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ". قَالَ: وَقَالَ الثَّالِثَةُ فَنَسِيْتُهَا. قَالَ أَبُو شُرَيْحٍ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ : "حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، أَوْ عَيْنٍ فُقِئَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" ١٠٤٦.

وقد يتهاون الطفل أحياناً، وينسى أخرى، ويغلبه هواه في لحظة ما، فيرسل بصره نحو الفتيات بشهوة وتلذذ، فماذا فعل رسول الله ﷺ في مثل هذا الموطن ؟

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَتَمِ تَسْتَفْتِيهِ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَهُ الْفَضْلَ إِلَى الشَّقِّ الْآخَرِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَذْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحْجَّ عَنْهُ قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ١٠٤٧.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَكَانَ الْفَتَى يُلَاحِظُ النِّسَاءَ. قَالَ: فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ بَصَرَهُ وَيَقُولُ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ مَلِكٍ سَمِعَهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ، وَبَصَرُهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ، وَلِسَانُهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ ؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ ١٠٤٨.

١٠٤٦ - سنن الدارمي - المكثر - (٢٤٥٥) صحيح لغيره

١٠٤٧ - صحيح مسلم - المكثر - (٣٣١٥) وصحيح ابن حبان - (٣٠١ / ٩) (٣٩٨٩)

١٠٤٨ - أخبار مكة للفاكهي - (٥ / ٢١) (٢٧٤٨) صحيح لغيره

وعن ابن عباس، قال: كَانَ فُلَانٌ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ، قَالَ: فَجَعَلَ الْفَتَى يُلَاحِظُ النِّسَاءَ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، قَالَ: وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَهُ بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِهِ مِرَارًا، قَالَ: وَجَعَلَ الْفَتَى يُلَاحِظُ إِلَيْهِنَّ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ابْنُ أَخِي، إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ مَلَكٍ فِيهِ سَمْعُهُ، وَبَصَرُهُ، وَلِسَانُهُ، غُفِرَ لَهُ^{١٠٤٩}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَقْبَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَارِيَةٌ شَابَةٌ مِنْ خَنَعَمٍ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ أَدْرَكْتُهُ فَرِيضَةُ اللَّهِ عَزَّ وَحَلَّ فِي الْحَجِّ، أَفِيَجْزِي أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: "حُجِّي عَنْ أَبِيكَ" وَلَوْ عُنُقُ الْفَضْلِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ. فَقَالَ: "إِنِّي رَأَيْتُ شَابَةً وَشَابًا فَلَمْ أَمَنِ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمَا"^{١٠٥٠}.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَخِيهِ الْفَضْلِ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَمْعٍ إِلَى مَنَى، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ إِذْ عَرَضَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ مُرَدِّفًا ابْنَةً لَهُ حَمِيلَةً، وَكَانَ يُسَايِرُهُ، قَالَ: فَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَتَنْظُرُ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَلَبَ وَجْهِي عَنْ وَجْهَهَا، ثُمَّ أَعَدْتُ النَّظَرَ، فَقَلَبَ وَجْهِي عَنْ وَجْهَهَا حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، وَأَنَا لَا أَتْنَهِي، فَلَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى حِمْرَةَ الْعَقَبَةِ^{١٠٥١}.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَنَعَمٍ تَسْتَفْتِيهِ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَهُ الْفَضْلَ إِلَى الشَّقِّ الْآخَرِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبِتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجَّ عَنْهُ قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ^{١٠٥٢}.

^{١٠٤٩} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٨٣١) (٣٠٤١) - ٣٠٤٢ - حسن

^{١٠٥٠} - مُشْكِلُ الْأَثَارِ لِلطَّحَاوِيِّ (٢١٢٧) صحيح

^{١٠٥١} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٦٢) (١٨٠٥) صحيح

^{١٠٥٢} - صحيح البخاري - المكثر - (١٥١٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٣١٥) وصحيح ابن حبان - (٩ /

(٣٩٨٩) (٣٠١)

فإذا لا بد من تعويد الطفل غض البصر عن العورات في كل مكان، حتى لا تتسرع غريزته الجنسية بالنضوج المبكر، السريع الشاذ ؛ الذي قد يسبب أضرارا، وأخطارا ذاتية، وجسميه، ونفسية، واجتماعية، وخلقية.

وقد ذكر الشيخ عبد الحميد كشك - رحمه الله تعالى - في إحدى خطبه قول أحد علماء الألمان حول أهمية غض البصر، وأنه العلاج الوحيد للجنس قوله: "لقد درست علم الجنس، وأدوية الجنس، فلم أجد دواء أنجح، وأنجح من القول في الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٣٠) سورة النور .

أما ستر العورة فإن الطفل يتعوّدها مع بداية أمره بالصلاة، حيث لا بد أن يكون لباسه ساترا لعورته، وذلك لتكون صلاته صحيحة سليمة من صغره، وبالتالي ينشأ على حب ستر العورة، صبيا كان أم بنتا، فالصبي يلبس ما يستر عورته، والبنت كذلك، وتزيد عليه أن تتعوّد الحجاب، فتبدأ بحجاب الصلاة، وهكذا ينشأ الطفل مستقيما صالحا مهذبة نفسه ، قوية أخلاقه، قويا في إيمانه .



الأساس التهذيبي الثالث - التفريق في المضاجع بين الأطفال :

وهو ركن أساسي في تهذيب الطفل جنسيا، وعدم إثارة غريزته بشكل سيئ، وهكذا لا نظير له في العالم كله من تشريعات ... إنها نظرة النبوة، والدقة النبوية في تهذيب الطفل، والاهتمام به، فعن عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ »^{١٠٥٣}.

وعن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِذَا بَلَغَ أَوْلَادُكُمْ سَبْعَ سِنِينَ فَرَّقُوا بَيْنَ فُرُشِهِمْ وَإِذَا بَلَغُوا عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُمْ عَلَى الصَّلَاةِ »^{١٠٥٤}.
إذاً هذا التفريق يبدأ في سن العاشرة، حيث تكون الغريزة في طريقها للنمو، ولكن كيف يتم التفريق في المضجع ؟ إنه عدم نوم طفلين تحت لحاف واحد، أو ينامان في سرير واحد، أمّا على فراش واحد، وبلحافين مختلفين فلا حرج. وكلما ابتعدا عن بعضهما فهو أفضل .
قال الدهولي: " وإنما أمر بتفريق المضاجع لأن الأيام أيام مراهقة فلا يبعد أن تفضي المضاجعة إلى شهوة الجامعة فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه "^{١٠٥٥}.

لذلك فإن النوم في فراش واحد تحت لحاف واحد، يؤدي بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة، وأن تتأجج فلا تجد لإنفاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف، والشذوذ الجنسي، وكم تحدث شذوذات تحت اللحاف لا يشعر بها الأبوان، فتكون سبباً في دمار هؤلاء الأطفال الأبرياء، الذين تساهل آبائهم عن أحوالهم، فوضعهم في مخالفة أوامر النبي ﷺ. ورسول الله ﷺ { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) } [النجم: ٣، ٤]، يقدم لنا أمراً صريحاً "وفرّقوا" فالملؤن يمثل فيفرق، وأين التفريق؟ إنه بينهم في المضاجع، فأين التربية الغربية والشرقية من هذا التوجيه النبوي الرائع ؟



^{١٠٥٣} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٥) صحيح

^{١٠٥٤} - سنن الدارقطني - المكثر - (٨٩٨) صحيح

^{١٠٥٥} - حجة الله البالغة - (١ / ٣٧١)

الأساس التهذيبي الرابع - نوم الطفل على شقه الأيمن، وابتعاده عن النوم على بطنه :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ
إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَيُسَمِّيَ اللَّهَ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ عَلَى
فِرَاشِهِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ
رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ
أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا حَفَظْتَ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ^{١٠٥٦}.

وَعَنْ سُهَيْلٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ، يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ
عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ
قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ،
أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَاعْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^{١٠٥٧}.

إِنَّ اتِّبَاعَ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يبعد الطفل عن كثير من
المهيجات الجنسية أثناء النوم وقد وصف ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان ...
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى بَطْنِهِ، فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ،
وَقَالَ: إِنَّهَا ضِجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^{١٠٥٨}.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَجُلٍ نَائِمٍ فِي الْمَسْجِدِ مُنْبَطِحٍ عَلَى
وَجْهِهِ، فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: قُمْ وَقْعُدْ، فَإِنَّهَا نَوْمَةٌ جَهَنَّمِيَّةٌ^{١٠٥٩}.

١٠٥٦ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٣٤٤) (٥٥٣٤) صحيح

١٠٥٧ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٣٤٨) (٥٥٣٧) صحيح

١٠٥٨ - المستدرک للحاکم (٧٧٠٩) صحيح

١٠٥٩ - سنن ابن ماجه - ط - الرسالة - (٤ / ٦٧٠) (٣٧٢٥) حسن

فإذا نام الطفل على بطنه، فيؤدي ذلك إلى كثرة حك أعضائه التناسلية التي تثير شهوته في هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل في هذه الحالة نائما غيرا من حالته، وحببوا إليه النوم على الشق الأيمن، والابتعاد عن النوم على الصدر... فضلا عن أن النوم على الصدر يورث كثيرا من الأمراض الجسمية ... والأطباء جميعا بدون استثناء ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن .



الأساس التهذيبي الخامس - ابتعاد الطفل عن الاختلاط والمهيجات الجنسية :

يسقط واقع الاختلاط ومفاسده في أوروبا وأمريكا كل الدعاوي بفوائده. قال القاضي (بن لندسي) في كتابه تمرد النشء الجديد : أن الصبية في أمريكا أصبحوا يراهم قبل الأوان، ومن السن الباكرة جداً يشتد فيهم الشعور الجنسي. ويقول الدكتور أديب هوكر في كتابه القوانين الجنسية: إنه ليس من الغريب الشاذ حتى في الطبقات المثقفة أن بنات سبع أو ثمان سنين يخادن لذاتهن مع الصبية، وربما تلوثن معهم بالفاحشة، وبنت في السابعة من بيت عريق ارتكبت الفاحشة مع أخيها وعدد من أصحابه، ووجد نفر من خمسة أولاد يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيات متقاربي البيوت وجدوا متعلقين ببعضهم بالعلاقات الجنسية وكان أكبرهم سناً ابن عشر سنين وبنت في التاسعة. وجاء في تقرير طبيب من مدينة بالتيمور أنه رفع إلى المحاكم أكثر من ألف مرافعة في سنة واحدة في ارتكاب الفاحشة مع الصبايا دون الثانية عشرة، ويخمن القاضي لندسي أن (٤٥%) من الطالبات تدنسن قبل خروجهن من المدرسة، وترتفع هذه النسبة في مراحل التعليم العالية. ومن المؤسف والمؤلم أن كثيراً من البلدان المسلمة بدأت تسير على هذا النهج في اختلاط الصبيان مع البنات، وهذا تأمر على إفساد المجتمع وتوهين بنية الأجيال^{١٠٦٠}.



^{١٠٦٠} - منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد ص ٢٦٥

الأساس التهذيبي السادس - تعلم الطفل المميز فروض الغسل، وسننه .

حينما يتوقع الأبوان قرب بلوغ الصبي، والبنت على السواء، عند ذلك وجب عليهما تعليم الأطفال فرائض إسقاط الحدث الأكبر - الجنابة - وسننه، وكذلك يحدثانهم عن أسبابه، وعن طبيعة المادة التي تخرج، ولونها، أي: يقدمان لهم درسا في فقه الغسل من كتب الفقه، ولأن يحدثهم الآباء حديثا هادئا عن هذه الأمور، خير من أن تمتد أيدي السوء لتنتشلهم، ويقدمون لهم السم الزعاف.

فلا بد من أن يقدم الأب لصبيه والأم لبنتها حديثا وأحاديث عن فقه الإسلام في هذه المادة، التي تخرج من جسم الإنسان، في مقابل ذلك، وما يعني خروج هذه المادة بالنسبة للشرع ؟

إنه يعني دخول سنّ التكليف في الحياة ... إنه بدء الفرائض على الإنسان ، والنواهي الربانية له ... وبذلك أصبح الإنسان محاسبا على الصغيرة والكبيرة على أعماله، وأقواله، وأن الملكين رقيبا وعتيدا، بدأ كل منهما مهمته في تسجيل الحسنات والسيئات ... إلى غير ذلك من مواعظ هادئة، تنبه الطفل نحو العمل الصالح، وكرهية العمل الطالح .



الأساس التهذيبي السابع- شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميز :

بعد بلوغ الطفل سن العاشرة، يفرق في مضجعه عن إخوانه، فهذا يعني أن بعض الدلالات الجنسية بدأت بالظهور رويداً رويداً .

ففي هذه السن نبدأ بوضع الوقايات النفسية، والمناعات الإيمانية في نفس الطفل، ليقوى بها على التحكم في غريزته، وضبط نفسه، والحفاظ عليها من ارتكاب الفاحشة، والعياذ بالله، فقد كان السلف الصالح يقدمون لأطفالهم سورة النور كوقاية لهم مع الشرح والبيان، ويهتمون بتحفيظها في سن المراهقة قبيل البلوغ وخاصة البنات .

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَلِّمُوا رِجَالَكُمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ وَعَلِّمُوا نِسَاءَكُمْ سُورَةَ النُّورِ" ١٠٦١ .

وَعَنْ أَبِي عَطِيَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ "تَعَلَّمُوا سُورَةَ بَرَاءَةِ وَعَلِّمُوا نِسَاءَكُمْ سُورَةَ النُّورِ وَحَلُّوهُنَّ الْفِضَّةَ" ١٠٦٢ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَانَ يَكْتُبُ إِلَى الْآفَاقِ: "لَا تَدْخُلَنَّ امْرَأَةٌ مُسْلِمَةً الْحَمَّامَ إِلَّا مِنْ سَقَمٍ، وَعَلِّمُوا نِسَاءَكُمْ سُورَةَ النُّورِ" ١٠٦٣ .

سؤال فقهي: ما هو سنُّ زواج الصغيرة ؟

اشْتَرَطَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ - الْحَنَفِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ - لاسْتِحْقَاقِ الزَّوْجَةِ النَّفَقَةَ عَلَى زَوْجِهَا أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ كَبِيرَةً أَوْ مُطِيقَةً لِلْوَطْءِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ نَفْسَهَا لِلزَّوْجِ مَتَى طَلَبَهَا إِلَّا لِمَنْعٍ شَرْعِيٍّ، وَأَنْ يَكُونَ النِّكَاحُ صَحِيحًا لَا فَاسِدًا، فَلَوْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ صَغِيرَةً لَا تُطِيقُ الْوَطْءَ فَلَا نَفَقَةَ لَهَا. سَوَاءٌ كَانَتْ فِي مَنْزِلِ الزَّوْجِ أَوْ لَمْ تَكُنْ حَتَّى تَصِيرَ إِلَى الْحَالَةِ الَّتِي تُطِيقُ الْجِمَاعَ ؛ لِأَنَّ امْتِنَاعَ الْإِسْتِمْتَاعِ إِنَّمَا لِمَعْنَى فِيهَا، وَالْإِحْتِبَاسُ الْمَوْجِبُ لِلنَّفَقَةِ هُوَ مَا يَكُونُ وَسِيلَةً إِلَى مَقْصُودٍ مُسْتَحَقٍّ بِالنِّكَاحِ وَهُوَ الْجِمَاعُ وَدَوَاعِيهِ، وَلَمْ يُوجَدْ ؛ لِأَنَّ الصَّغِيرَةَ الَّتِي لَا تَصْلُحُ لِلْجِمَاعِ لَا تَصْلُحُ لِدَوَاعِيهِ ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُشْتَهَاةٍ .

١٠٦١ - شعب الإيمان - (٤ / ٧٧) (٢٢٠٥) حسن مرسل

١٠٦٢ - شعب الإيمان - (٤ / ٨٢) (٢٢١٣) صحيح

١٠٦٣ - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٠٩١) صحيح

وَلَمْ يَشْتَرِ الْجُمْهُورُ فِي الزَّوْجِ أَنْ يَكُونَ بِالْعَا، بَلْ تَجِبُ النَّفَقَةُ عَلَى الصَّغِيرِ مَتَى تَحَقَّقَتِ الشُّرُوطُ الَّتِي تُوجِبُ النَّفَقَةَ فِي الزَّوْجَةِ .

وَفَرَّقَ الْمَالِكِيَّةُ بَيْنَ الْمَدْخُولِ بِهَا وَغَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا .

أَمَّا غَيْرُ الْمَدْخُولِ بِهَا فَتَجِبُ النَّفَقَةُ لِمُكِنَّةٍ مِنْ نَفْسِهَا مُطِيقَةً لِلوِطْءِ بِلَا مَانِعٍ بَعْدَ أَنْ دَعَتْ هِيَ أَوْ مُجْبِرُهَا أَوْ وَكِيلُهَا لِلدُّخُولِ - وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ حَاكِمٍ - وَبَعْدَ مُضِيِّ زَمَنِ يَتَجَهَّزُ فِيهِ كُلُّ مِنْهُمَا عَادَةً عَلَى الْبَالِغِ لَا عَلَى صَغِيرٍ، وَلَوْ دَخَلَ عَلَيْهَا بِالْعَةِ وَافْتَضَّهَا، وَلَا لِعِغْرِ مُكِنَّةٍ، أَوْ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهَا أَوْ مِنْ وَلِيِّهَا دُعَاءٌ، أَوْ حَصَلَ قَبْلَ مُضِيِّ زَمَنِ يَتَجَهَّزُ فِيهِ كُلُّ مِنْهُمَا، وَلَا لِعِغْرِ مُطِيقَةٍ، وَلَا لِمُطِيقَةٍ بِهَا مَانِعٌ كَرَّتْ إِلَّا أَنْ يَتَلَذَّذَ بِهَا عَالِمًا، وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا مُشْرِفًا عَلَى الْمَوْتِ أَيْ بِالْعَا السِّيَاقِ، وَهُوَ الْأَخْذُ فِي النَّزْعِ .

وَأَمَّا الْمَدْخُولُ بِهَا: فَلَمْ يَشْتَرِطُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

يَقُولُ الدُّسُوقِيُّ: وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ فِي التَّوَضُّيحِ جَعَلَ السَّلَامَةَ مِنَ الْمَرَضِ وَبُلُوغَ الزَّوْجِ وَإِطَاقَةَ الزَّوْجَةِ لِلوِطْءِ شُرُوطًا فِي وُجُوبِ النَّفَقَةِ لِعِغْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا الَّتِي دَعَتْ لِلدُّخُولِ، فَإِنْ اخْتَلَتْ مِنْهَا شَرْطٌ فَلَا تَجِبُ النَّفَقَةُ لَهَا، وَأَمَّا الْمَدْخُولُ بِهَا فَتَجِبُ لَهَا النَّفَقَةُ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ . وَخَالَفَ بَعْضُ فَقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ حَيْثُ جَعَلُوا الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ الْمَذْكُورَةَ شُرُوطًا فِي وُجُوبِ النَّفَقَةِ لِلْمَرْأَةِ مُطْلَقًا، سَوَاءً كَانَتْ مَدْخُولًا بِهَا، أَوْ غَيْرَ مَدْخُولٍ بِهَا وَدَعَتْ لِلدُّخُولِ ١٠٦٤ .



١٠٦٤ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٤١ / ٣٧) والشرح الكبير ٢ / ٥٠٨، والزرقاني ٤ / ٢٤٤ - ٢٤٥ والعناية بهامش فتح القدير ٤ / ١٩٦، والهداية بأعلى فتح القدير ٤ / ١٩٦، وروضة الطالبين ٩ / ٥٨، والحاوي الكبير ١٥ / ٣٠، والمعني مع الشرح الكبير ٩ / ٢٣١، ٢٥٥، والإنصاف ٩ / ٣٧٨ .

الأساس التهذيبي الثامن - المصارحة الحنسية والتحذير من الفاحشة:

بعد تعلم الطفل فرائض الغسل، وإسقاط الجنابة، يحذر تحذيراً شديداً من الوقوع في الفاحشة، ويشرح له ذلك حسب البلد الذي يعيش فيه الطفل، هل في بلد تحلل الموبقات أم في بلد إسلامي محافظ؟ وعلى حسب الأسرة التي بلغ فيها ذلك الطفل، هل هي إسلامية أو إباحية، فحيثما كانت الأسرة فيجب أن يشرح للطفل المسلم البالغ ما هو الزنى، حتى يجتنبه، ويتعد عنه، من أجل ألا يقع في الزنى، ثم يقول: أنا لا أدري كيف هو؟ وما حكمه؟

وترى له الأحاديث النبوية التي تحذر من الزنى، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَاباً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَذُنُّ لِي بِالزَّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: اذْنُهُ، فَذَنَا مِنْهُ قَرِيْبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ١٠٦٥.

وعَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ حَدَّثَهُ، أَنَّ غُلَامًا شَابًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَذُنُّ لِي فِي الزَّنَا، فَصَاحَ النَّاسُ فَقَالَ: "مَهْ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَقْرُوهُ اذْنُ"، فَذَنَا حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتُحِبُّهُ لَأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا، وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لَأُخْتِكَ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لَأَخَوَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ؟ أَتُحِبُّهُ

لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ"، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" ١٠٦٦.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ، أَنَّهِمَا قَالَا: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُنْشِدُكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ الْخَصْمُ الْآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ: نَعَمْ، أَقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَذَنْ لِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْ، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِعِمَّةٍ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَعْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَتِهِ الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْعَتَمُ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَعْرِيبُ عَامٍ، اغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمُهَا، قَالَ: فَعَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَتْ ١٠٦٧.

ولائد: الولائد: جمع وليدة، وليدة، وهي الأمة.

بكِتَابِ اللَّهِ: أراد بقوله: «كِتَابِ اللَّهِ» ما كتب الله على عباده من الحدود الأحكام، ولم يرد به القرآن، لأن النفي والرجم لا ذكر لهما فيه.

أنشدك: أي أسألك ١٠٦٨.

وقول الله تعالى محذرا من الزنى: {وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} (٣٢) سورة الإسراء.

ينهى الله تعالى عباده عن مقارفة الزنى، ومباشرة أسبابه ودواعيه، فهو فعلة ظاهرة القبح (فاحشة)، وبئس طريقا ومسلكا (ساء سبيلا)، لما فيه من اختلاط الأنساب، وفساد العلاقة بين الأزواج، لضياح الثقة الواجب توفرها لاطمئنان الحياة الزوجية ١٠٦٩.

١٠٦٦ - المعجم الكبير للطبراني - (٧ / ١٧٧) (٧٥٧٧) صحيح

١٠٦٧ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٦٩٥ و ٢٦٩٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٥٣١) وصحيح ابن حبان -

(١٠ / ٢٨٢) (٤٤٣٧)

١٠٦٨ - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٣ / ٥٣٨)

إن في الزنا قتلا من نواحي شتى. إنه قتل ابتداء لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها. يتبعه غالبا الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق، قبل مولده أو بعد مولده فإذا ترك الجنين للحياة ترك في الغالب حياة شريرة، أو حياة مهينة، فهي حياة مضیعة في المجتمع على نحو من الأنحاء .. وهو قتل في صورة أخرى. قتل للجماعة التي يفشو فيها. فتضيع الأنساب وتختلط الدماء، وتذهب الثقة في العرض والولد، وتحلل الجماعة وتفكك روابطها، فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات.

وهو قتل للجماعة من جانب آخر، إذ أن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي إليها، والأسرة هي المحضن الصالح للفراخ الناشئة، لا تصح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلا فيه.

وما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال، منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث. وقد يغر بعضهم أن أوربا وأمريكا تملكان زمام القوة المادية اليوم مع فشو هذه الفاحشة فيهما. ولكن آثار هذا الانحلال في الأمم القديمة منها كفر نسا ظاهرة لا شك فيها. أما في الأمم الفتية كالولايات المتحدة، فإن فعلها لم تظهر بعد آثاره بسبب حداثة هذا الشعب واتساع موارده كالشباب الذي يسرف في شهواته فلا يظهر أثر الإسراف في بنيته وهو شاب ولكنه سرعان ما يتحطم عند ما يدلف إلى الكهولة فلا يقوى على احتمال آثار السن، كما يقوى عليها المعتدلون من أنداده! والقرآن يحذر من مجرد مقارنة الزنا. وهي مبالغة في التحرز. لأن الزنا تدفع إليه شهوة عنيفة. فالتحرز من المقاربة أضمن. فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان.

ومن ثم يأخذ الإسلام الطريق على أسبابه الدافعة، توقيا للوقوع فيه .. يكره الاختلاط في غير ضرورة.

ويحرم الخلوة. وينهى عن التبرج بالزينة. ويحض على الزواج لمن استطاع، ويوصي بالصوم لمن لا يستطيع.

ويكره الحواجز التي تمنع من الزواج كالمغالة في المهور. وينفي الخوف من العيلة والإملاق بسبب الأولاد.

ويحض على مساعدة من يبتغون الزواج ليحصنوا أنفسهم. ويوقع أشد العقوبة على الجريمة حين تقع، وعلى رمي المحصنات الغافلات دون برهان ... إلى آخر وسائل الوقاية والعلاج، ليحفظ الجماعة الإسلامية من التردّي والانحلال^{١٠٧٠}.



^{١٠٧٠} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٢٢٤)

الأساس التهذيبي التاسع- الزواج المبكر :

مهما قيل في الزواج المبكر من مساوئ في العصر الحاضر، فإن محاسنه تفوقه، وخاصة إذا صحبه تأمين الحياة المادية، سواء من مساعدة الوالدين، أو من كسب الفتى الناشئ .

وما أمراض الأمة النفسية والاجتماعية، والحوادث الجنائية إلا نتيجة طبيعية لتأخير سن الزواج، ولن نناقش هذا الأمر كثيراً، فحسبنا أن نقدم من حياة السلف الصالح ..

فَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعٍ وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ ابْنَةُ ثَمَانٍ عَشْرَةَ^{١٠٧١} .

وَعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الزُّبَيْرَ زَوَّجَ ابْنَتَهُ لَهُ صَغِيرَةً حِينَ نَفَسَتْ يَعْنِي حِينَ وَلِدَتْ^{١٠٧٢} .

وَعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ زَوَّجَ ابْنًا لَهُ ابْنَةً لِمُصْعَبٍ صَغِيرَةً^{١٠٧٣} .

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: "زَوَّجَ أَبِي ابْنَهُ صَغِيرًا هَذَا ابْنُ خَمْسٍ، وَهَذَا ابْنُ سِتٍّ فَمَاتَ، فَوَرِثَتْهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ"^{١٠٧٤} .

وَعَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ عُمَرَ خَطَبَ إِلَى عَلِيٍّ ابْنَتَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّهَا صَغِيرَةٌ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَأَرْسَلَهَا إِلَيْهِ بِرِسَالَةٍ فَمَازَحَهَا، فَقَالَتْ: لَوْلَا أَنَّكَ شَيْخٌ، أَوْ لَوْلَا أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَعَجَبَ عُمَرُ مُصَاهِرَتَهُ فَخَطَبَهَا فَأَنْكَحَهَا إِيَّاهُ^{١٠٧٥} .

وَعَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: تَزَوَّجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَهِيَ جَارِيَةٌ تَلْعَبُ مَعَ الْجَوَارِي، فَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَدَعَوْا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَتَزَوَّجْ مِنْ نَشَاطٍ بِي، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنْ كُلَّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي"، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي، وَبَيْنَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ سَبَبٌ وَنَسَبٌ^{١٠٧٦} .

١٠٧١ - مصنف ابن أبي شيبة - (٤ / ٣٤٥) (١٧٦٢٦) صحيح

١٠٧٢ - مصنف ابن أبي شيبة - (٤ / ٣٤٥) (١٧٦٢٧) صحيح

١٠٧٣ - مصنف ابن أبي شيبة - (٤ / ٣٤٥) (١٧٦٢٨) صحيح

١٠٧٤ - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٠٠٥٧) صحيح

١٠٧٥ - مصنف ابن أبي شيبة - (٤ / ٣٤٥) (١٧٦٢٩) صحيح لغيره

١٠٧٦ - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٠٠٥٢) صحيح لغيره

وَعَنِ الْحَسَنِ، وَالزُّهْرِيِّ، وَقَتَادَةَ قَالُوا: "إِذَا أَنْكَحَ الصَّغَارَ آبَاؤُهُمْ جَازَ نِكَاحُهُمْ". قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: "وَبِهِ نَأْخُذُ" ١٠٧٧ .

خاتمة: علامات البلوغ :

هناك علامتان لدخول الطفل سن البلوغ والتكليف، وهما الاحتلام ، أو ظهور شعر العانة تحت السرة.

١- الاحتلام:

فقد نصت الآية: { وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (٥٩) سورة النور
وعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رُقَيْشٍ أَنَّهُ سَمِعَ شَيْخًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَمِنْ خَالِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ قَالَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - « لَا يُتِمُّ بَعْدَ احْتِلَامٍ وَلَا صُمَاتٍ يَوْمٌ إِلَى اللَّيْلِ ».

٢- ظهور شعر العانة :

عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَطِيَّةَ الْقُرْظِيَّ يَقُولُ: عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَكَانَ مَنْ أَتَبَتْ قِتْلَ، وَمَنْ لَمْ يُنَبِّتْ، خُلِّيَ سَبِيلُهُ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنَبِّتْ، فَخُلِّيَ سَبِيلِي ١٠٧٨ .

وَعَنْ كَثِيرِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبْنَاءُ قُرَيْظَةَ أَنَّهُمْ عُرِضُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمَ قُرَيْظَةَ فَمَنْ كَانَ مُحْتَلِمًا أَوْ نَبَّتْ عَانَتُهُ قِتْلَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُحْتَلِمًا أَوْ لَمْ تَنْبِتْ عَانَتُهُ تُرِكَ ١٠٧٩ .

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اقْتُلُوا شُيُوخَ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتَحْيُوا شَرَحَهُمْ.

١٠٧٧ - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٠٠٥٣) صحيح

١٠٧٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٣٨٠) (١٨٧٧٦) ١٨٩٨٣ - صحيح

١٠٧٩ - سنن النسائي - المكثر - (٣٤٤٢) صحيح

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: اقْتُلُوا شُبُوحَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: يَقُولُ: الشَّيْخُ لَا يَكَادُ أَنْ يُسَلَّمَ، وَالشَّبَابُ، أَيُّ يُسَلَّمُ، كَأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الشَّيْخِ، قَالَ: الشَّرْحُ: الشَّبَابُ^{١٠٨٠}.

والراجح أن الشرخ: الصغار الذين لم يدركوا أو الشباب أهل الجلد الذين ينتفع بهم.

الصبي إذا بلغ خمس عشرة أقيمت عليه الحدود :

عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ قَالُوا: إِذَا أَنْكَحَ الصَّغَارَ آبَاؤُهُمْ جَازَ نِكَاحُهُمْ^{١٠٨١}.
وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: إِذَا زَوَّجَ الرَّجُلُ ابْنَهُ وَهُوَ صَغِيرٌ فَتَزَوَّجَهُ جَائِزٌ عَلَيْهِ، وَالصَّدَاقُ عَلَى الْإِبْنِ^{١٠٨٢}.

وَعَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "إِذَا أَنْكَحَ الصَّغِيرَيْنِ أَبَاهُمَا، فَهُمَا بِالْخِيَارِ إِذَا كَبُرَا"^{١٠٨٣}.
وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: "أَنَّ عُرْوَةَ بِنَ الزُّبَيْرِ: أَنْكَحَ ابْنَهُ صَغِيرًا ابْنَةً لِمُصْعَبٍ صَغِيرَةً"^{١٠٨٤}.
وَعَنِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: "زَوَّجَ أَبِي ابْنَهُ صَغِيرًا هَذَا ابْنُ خَمْسٍ، وَهَذَا ابْنُ سِتٍّ فَمَاتَ، فَوَرِثَتْهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ"^{١٠٨٥}.

وَتَزِيدُ الْأُنْثَى وَتَخْتَصُّ بِعَلَامَتَيْنِ: هُمَا الْحَيْضُ ؛ إِذْ هُوَ عَلَمٌ عَلَى بُلُوغِهَا، فَعَنْ عَائِشَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ حَائِضٍ إِلَّا بِخِمَارٍ^{١٠٨٦}.

وَحَصَّ الْمَالِكِيَّةُ الْحَيْضَ بِالَّذِي لَمْ يَتَسَبَّبْ فِي جَلْبِهِ، وَإِلَّا فَلَا يَكُونُ عَلَامَةً.
وَالْحَمْلُ عَلَامَةٌ عَلَى بُلُوغِ الْأُنْثَى ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجْرَى الْعَادَةَ أَنَّ الْوَلَدَ يُخْلَقُ مِنْ مَاءِ الرَّجَالِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ. قَالَ تَعَالَى: { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) [الطارق: ٥ - ٧] }.

^{١٠٨٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٧٥٨) (٢٠١٤٥) (٢٠٤٠٧) - صحيح

^{١٠٨١} - مصنف ابن أبي شيبة - (٤ / ١٤١) (١٦٢٦٣) - صحيح

^{١٠٨٢} - مصنف ابن أبي شيبة - (٤ / ١٤٢) (١٦٢٦٤) - صحيح

^{١٠٨٣} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٠٠٥٥) - صحيح

^{١٠٨٤} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٠٠٥٦) - صحيح

^{١٠٨٥} - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٠٠٥٧) - صحيح

^{١٠٨٦} - صحيح ابن حبان - (٤ / ٦١٣) (١٧١١) - صحيح

فَإِذَا وُجِدَ وَاحِدٌ مِنَ الْعَلَامَاتِ السَّابِقَةِ حُكِمَ بِالْبُلُوغِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُتَقَدِّمِ، وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ
كَانَ الْبُلُوغُ بِالسِّنِّ عَلَى النَّحْوِ الْمُبَيَّنِ فِي مَوَاطِنِهِ مِنَ الْبَحْثِ^{١٠٨٧}.

وأخيراً: عليك بالملاحظة التامة لولدك في كل حركاته وسكناته، وتصرفاته وتحاول أن
تصلح ما تراه قد اعوج سالكاً في ذلك اللين والشدّة، والرخاوة والقسوة، كل حسب
حاجته، ولا تظن بذلك أن ولدك صار صالحاً كريماً مقداماً وإنما عليك بالدعاء إلى الله
والتضرع إليه أن يصلح ولدك فإن الله وحده هو الذي بيده مفاتيح القلوب.^{١٠٨٨}



^{١٠٨٧} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٨ / ١٩٠)

^{١٠٨٨} - انظر: <http://www.moudir.com/vb/archive/index.php/t-١٠٣٩٧٠.html>

المصادر

١. أيسر التفاسير لأسعد حومد
٢. التفسير الميسر
٣. تفسير ابن أبي حاتم
٤. تفسير ابن كثير - دار طيبة
٥. تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة
٦. تفسير القرطبي - موافق للمطبوع
٧. في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع
٨. أخبار مكة للفاكهي (٢٧٢)
٩. اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة
١٠. الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم
١١. الأحاديث المختارة للضياء
١٢. الأدب المفرد للبخاري
١٣. الترغيب والترهيب
١٤. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان
١٥. السنن الصغرى للبيهقي
١٦. السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة
١٧. السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد
١٨. السنن الكبرى للبيهقي - المكثر
١٩. الشمائل المحمدية للترمذي
٢٠. الفوائد لتمام ٤١٤
٢١. المجالسة وجواهر العلم (٣٣٣)
٢٢. المدخل إلى السنن الكبرى
٢٣. المستدرک للحاكم مشكلا
٢٤. المسند الجامع
٢٥. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٨٥٢)

٢٦. المعجم الأوسط للطبراني
٢٧. المعجم الصغير للطبراني
٢٨. المعجم الكبير للطبراني
٢٩. تهذيب الآثار للطبري
٣٠. جامع الأحاديث
٣١. جامع الأصول في أحاديث الرسول
٣٢. دلائل النبوة للبيهقي
٣٣. سنن أبي داود - المكثر
٣٤. سنن ابن ماجه - طبع مؤسسة الرسالة
٣٥. سنن ابن ماجه - المكثر
٣٦. سنن الترمذى - المكثر
٣٧. سنن الدارقطنى - المكثر
٣٨. سنن الدارمى - المكثر
٣٩. سنن النسائي - المكثر
٤٠. شرح مشكل الآثار (٣٢١)
٤١. شرح معاني الآثار (٣٢١)
٤٢. شعب الإيمان (٤٥٨)
٤٣. صحيح ابن حبان
٤٤. صحيح ابن خزيمة مشكل
٤٥. صحيح البخارى - المكثر
٤٦. صحيح مسلم - المكثر
٤٧. عشرة النساء للإمام للنسائي - الطبعة الثالثة
٤٨. غاية المقصد فى زوائد المسند ١
٤٩. غاية المقصد فى زوائد المسند ٢
٥٠. كشف الأستار
٥١. مجمع الزوائد
٥٢. مسند أبي عوانة مشكلا

٥٣. مسند أبي يعلى الموصلي
٥٤. مسند أحمد (عالم الكتب)
٥٥. مسند أحمد بن حنبل (بأحكام شعيب الأرناؤوط)
٥٦. مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار
٥٧. مسند الحميدي - المكثر
٥٨. مسند الشاشي ٣٣٥
٥٩. مسند الشاميين ٣٦٠
٦٠. مسند الطيالسي
٦١. مسند عبد بن حميد
٦٢. مصنف ابن أبي شيبة
٦٣. مصنف عبد الرزاق مشكل
٦٤. معرفة السنن والآثار للبيهقي
٦٥. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٣٠)
٦٦. موسوعة السنة النبوية
٦٧. موطأ مالك - المكثر
٦٨. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد
٦٩. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم
٧٠. بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي
٧١. جامع العلوم والحكم محقق
٧٢. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين
٧٣. شرح ابن بطلال
٧٤. شرح النووي على مسلم
٧٥. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين
٧٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري
٧٧. عون المعبود
٧٨. فتح الباري لابن حجر
٧٩. فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين

٨٠. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري
٨١. فيض الباري شرح صحيح البخاري
٨٢. فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢
٨٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
٨٤. مشارق الأنوار على صحاح الآثار
٨٥. معالم السنن للخطابي ٤٨٨
٨٦. الموسوعة الفقهية الكويتية
٨٧. فتاوى الإسلام سؤال وجواب
٨٨. فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة
٨٩. فتاوى واستشارات الإسلام اليوم
٩٠. فتاوى يسألونك لعفانة ١-٢
٩١. مجموع الفتاوى لابن تيمية
٩٢. أدب الدنيا والدين
٩٣. أقباس روحانية موافق للمطبوع
٩٤. إحياء علوم الدين
٩٥. الآداب الشرعية
٩٦. الأذكار للنووي
٩٧. الرسالة القشيرية
٩٨. الزواجر عن اقتراف الكبائر
٩٩. المدخل لابن الحاج
١٠٠. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية
١٠١. تربية الأولاد في الإسلام النابلسي
١٠٢. تربية الأولاد في الإسلام لعلوان
١٠٣. تربية الطفل في الإسلام
١٠٤. لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية
١٠٥. مدارج السالكين
١٠٦. موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني

١٠٧. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية
١٠٨. الأساليب النبوية في التعليم - ط ١
١٠٩. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث
١١٠. حياة الصحابة للكاندهلوى
١١١. زاد المعاد في هدي خير العباد
١١٢. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
١١٣. منهاج الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تصحيح الأخطاء
١١٤. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم
١١٥. الإصابة في تمييز الصحابة
١١٦. تاريخ دمشق
١١٧. سير أعلام النبلاء (٧٤٨)
١١٨. لسان الميزان للحافظ ابن حجر
١١٩. ميزان الاعتدال في نقد الرجال
١٢٠. وفيات الأعيان
١٢١. البداية والنهاية لابن كثير - موافقة للمطبوع
١٢٢. تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - موافقة للمطبوع
١٢٣. تاريخ الرسل والملوك
١٢٤. تاريخ بغداد
١٢٥. إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي
١٢٦. شرح مسند أبي حنيفة
١٢٧. موسوعة كتب ابن القيم
١٢٨. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل أن الحديث بهذه الطرق سيرة ابن هشام
١٢٩. الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ لِلْبَيْهَقِيِّ
١٣٠. أَمْالِي ابْنِ بَشْرَانَ
١٣١. أنباء نجباء الأبناء
١٣٢. المستطرف في كل فن مستظرف

١٣٣. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية
١٣٤. شَرَفُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ
١٣٥. الْمُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاَوِي وَالْوَاعِي لِلرَّامِهرْمَزِيِّ
١٣٦. طبقات ابن سعد
١٣٧. التاريخ الكبير للبخاري
١٣٨. تهذيب الكمال للمزي
١٣٩. تهذيب التهذيب لابن حجر
١٤٠. تذكرة الحفاظ للذهبي
١٤١. شذرات الذهب لابن خلكان
١٤٢. الرَّحْلَةُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ
١٤٣. الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب
١٤٤. وترتيب المدارك وتقريب المسالك
١٤٥. مدخل لدراسة السيرة، د. يحيى يحيى
١٤٦. الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاَوِي وَآدَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ
١٤٧. فَضَائِلُ الْقُرْآنِ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ
١٤٨. جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ
١٤٩. أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم
١٥٠. منهج التربية النبوية للطفل لسويد
١٥١. تاريخ آداب العرب
١٥٢. طبقات الحفاظ للسيوطي
١٥٣. المنهل العذب الروي
١٥٤. طبقات الشافعية الكبرى
١٥٥. الْكَفَايَةُ فِي عِلْمِ الرَّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ
١٥٦. الفرج بعد الشدة - التنوخي -
١٥٧. الأعلام للزركلي
١٥٨. العبر في خبر من غير
١٥٩. الوافي بالوفيات

١٦٠. مقدمة ابن خلدون
١٦١. سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية السنة
للمروزي
١٦٢. حجة الله البالغة
١٦٣. عمل اليوم واليلة لابن السني
١٦٤. المغني لابن قدامة
١٦٥. كشف القناع
١٦٦. حاشية ابن عابدين
١٦٧. الطحطاوي على مراقي الفلاح
١٦٨. الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية
١٦٩. جواهر الإكليل
١٧٠. المجموع للنوي
١٧١. روضة الطالبين للنوي
١٧٢. تحفة الراكع والساجد للجراعي
١٧٣. التوحيدي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي، بيت الأفكار
الدولية، ط ٤، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
١٧٤. مختصر الفقه الإسلامي
١٧٥. حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً
١٧٦. الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة،
١٧٧. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع
١٧٨. الاعتقاد للبيهقي
١٧٩. القضاء والقدر للبيهقي
١٨٠. حديث ابن القاص
١٨١. فتح الغفار بشرح المنار لابن نجيم الحنفي .
١٨٢. السعادة العظمى
١٨٣. تهذيب الأخلاق لابن مسكويه
١٨٤. تنبيه المغترين للشعراني

١٨٥. نصيحة الملوك للماوردي
١٨٦. أنوار البروق في أنواع الفروق
١٨٧. المذهب في الآداب الإسلامية للمؤلف
١٨٨. الأمثال للرامهرمزي
١٨٩. بداية الهداية
١٩٠. حاشية الجمل على شرح المنهج
١٩١. تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ
١٩٢. المعجم الوسيط
١٩٣. حسان شمسى باشا، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان،
١٩٤. مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ لِلْحَاكِمِ
١٩٥. النَّفَقَةُ عَلَى الْعِيَالِ لِأَبْنِ أَبِي الدُّنْيَا
١٩٦. طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني
١٩٧. <http://www.ikhwanonline.net/print.asp?ArtID=٤٨٠٧>
- .&SecID=
١٩٨. تحفة المودود في أحكام المولود
١٩٩. المنتقى - شرح الموطأ
٢٠٠. بستان العارفين
٢٠١. فضائل الرمي لإسحاق القراب
٢٠٢. أَمْثَالُ الْحَدِيثِ لِلرَّامِهرْمَزِيِّ
٢٠٣. أسنى المطالب وحاشية الرملي
٢٠٤. نهاية المحتاج
٢٠٥. المقاصد الحسنة للسخاوي
٢٠٦. مُسْنَدُ الشَّهَابِ الْقُضَاعِيِّ
٢٠٧. <http://www.omandaily.com/dini/eshraqat.htm>
٢٠٨. الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ
٢٠٩. الْكِفَايَةُ فِي عِلْمِ الرَّوَايَةِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ
٢١٠. جواهر الأدب

٢١١. أدب الدنيا والدين
٢١٢. الخلاصة في شرح حديث الولي للمؤلف
٢١٣. البيان والتبيين للجاحظ
٢١٤. الطبقات الكبرى للشعراني
٢١٥. <http://www.mousastar.com/vb/showthread.php?t=١٣٧٩١>
٢١٦. الغارة على العالم الإسلامي
٢١٧. أجنحة المكر الثلاثة للجنكة
٢١٨. <http://www.balagh.com/mosoa/tablg/ugv.htm٦٥wx>
٢١٩. الهداية الإسلامية
٢٢٠. شرح الآجرومية - حسن حفظي -
٢٢١. <http://www.ishim.net/islam/childcare.htm>
٢٢٢. الرسول المعلم - صلى الله عليه وسلم - وأساليبه في التعليم لأبي غدة مجلة الوعي العربي سنة أولى عدد (١) عام ١٩٧٧
٢٢٣. الحيوان للجاحظ
٢٢٤. أثر التربية في حياة الأفراد والأمم، محاضرة ألقاها الإمام "حسن البنا" في جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٧م..
٢٢٥. <http://www.almarefa.net/showthread.php?t=٣٨٦٥>
٢٢٦. حياة الحيوان الكبرى
٢٢٧. رجال الفكر والدعوة للندوي
٢٢٨. http://www.fustat.com/bibliography/ibn_hanbal_.shtml
٢٢٩. <http://www.naseh.net/vb/showthread.php?t=٢٩٢٨١>
٢٣٠. <http://www.sonnaonline.com/SubMosaneft.aspx?FileID=mosaneft&ID=١٢>
٢٣١. صيد الخاطر لابن الجوزي
٢٣٢. <http://www.rayah.info/browse.php?comp=viewArticles&file=article&sid=٤٥>

٢٣٣. صفحات من صبر العلماء لأيي غدة
٢٣٤. <http://www.morben.com/forum/archive/index.php/t-١٥٠٤٣٥.html>
٢٣٥. <http://forum.alrowadschool.com/showthread.php?t=١١١٨٥>
٢٣٦. <http://www.schoolsolympic.com/vb/showthread.php?١٣٦٣&t=>
٢٣٧. <http://www.syrianmeds.net/forum/topic٣٣٥٩.html>
٢٣٨. الزُّهْدُ لَوَكَيْع
٢٣٩. <http://www.shababsyria.org/vb/showthread.php?t=٢٣٧٤٣>
٢٤٠. <http://www.hdrmut.net/vb/t٢٧٤٤٤٣.html>
٢٤١. <http://www.qatralnada.com/vb/t٣٥٠٠.html>
٢٤٢. <http://www.quranway.net/index.aspx?function=Item=&lang١١٤٥&id=>
٢٤٣. <http://www.moudir.com/vb/archive/index.php/t-١٠٣٩٧٠.html>
٢٤٤. الشاملة ٣
٢٤٥. برنامج قالون

الفهرس العام

٥	أهم أسس بناء شخصية الطفل المسلم
٥	تمهيد :
٦	الفصل الأول
٦	البناء العقدي
٦	تمهيد :
١١	الأساس العقدي الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد :
	الأساس العقدي الثاني: حب الله تعالى والاستعانة به ومراقبة الله، والإيمان بالقضاء والقدر :
١٣	
٢١	الأساس العقدي الثالث: ترسيخ حب النبي ﷺ وآل بيته الأطهار وأصحابه الكرام:
٢٢	١- ما ورد في ترسيخ محبة النبي ﷺ وآله الأطهار، وصحابته الأخيار :
٢٢	٢- كيف ترسخ محبة النبي ﷺ في الأطفال ؟
٢٢	أ- السرعة في الاستجابة لندائه، وتنفيذ أوامره :
٢٦	ب- قتال الأطفال لمن يؤذي النبي ﷺ
٢٩	ج- حب أطفال الصحابة لما يحبُّ النبي ﷺ ، وكراهيتهم للجاهلية :
٣٠	د- حفظ أطفال الصحابة والسلف للأحاديث النبوية :
٤٢	هـ -دراسة الأطفال للسيرة النبوية، ومدى تأثيرها فيهم :
٤٣	و- حرص الأمهات على آثار الرسول ﷺ ليكون بركة على أطفالهم :
٤٥	الأساس العقدي الرابع: تعليم الطفل القرآن الكريم:
٤٦	١- ما ورد في تعليم الأطفال القرآن :
٤٨	٢- أجر الوالدين في تعليم القرآن :
٥٠	٣- فهم الطفل للقرآن :
٥١	٤- كيف يؤثر القرآن في نفس الطفل :
٥٤	٥- نماذج من حفظ القرآن من الأطفال :
٥٥	٦- طفولة عجيبة في حفظ القرآن :
٥٥	٧- متى يبدأ الطفل بتعلم القرآن ؟

٥٦	٨- مكافأة للمقريء والطفل :
٥٦	٩- المدارس الإسلامية في البلاد الإسلامية :
٥٩	الأساس العقدي الخامس: تربية الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها:
٦١	١- غلام الأخدود قدوة للأطفال:
٦٢	٢- نماذج من تضحيات الصحابة والسلف الصالح :
٦٦	الأساس العقدي السادس- تعليم الأطفال أحكام الحلال والحرام:
٦٨	الفصل الثاني
٦٨	البناء العبادي
٦٩	تمهيد :
٧٠	الأساس العبادي الأول
٧٠	الصلاة
٧٠	١- مرحلة الأمر بالصلاة :
٧١	٢- مرحلة تعليم الطفل الصلاة :
٧٦	٣- مرحلة الأمر بالصلاة والضرب عليها :
٧٧	٤- تدريب الأطفال على حضور صلاة الجمعة :
٧٨	٥- نموذج للأطفال في قيام الليل :
٧٩	٦- تعويد الطفل على صلاة الاستخارة :
٨٠	٧- اصطحاب الأطفال لصلاة العيد :
٨١	الأساس العبادي الثاني
٨١	الطفل والمسجد
٨١	١- أخذ الطفل إلى المسجد :
٨٤	٢- ربط الطفل بالمسجد :
٩١	الأساس العبادي الثالث
٩١	الصوم
٩٦	الأساس العبادي الرابع
٩٦	الزكاة
٩٩	الأساس العبادي الخامس

٩٩	الحج
١٠٣	ماورد في حج أطفال الصحابة :
١٠٤	محاسن وأسرار الحج :
١٠٦	الفصل الثالث
١٠٦	البناء الاجتماعي
١٠٧	تمهيد :
١٠٧	الأساس الأول - اصطحاب الطفل لجالس الكبار :
١١٢	الأساس الثاني - إرسال الطفل لقضاء الحاجات :
١١٤	الأساس الثالث - تعويد الطفل سنّة السلام :
١١٦	الأساس الرابع - عياة الطفل إذا مرض :
١١٨	الأساس الخامس - اتخاذ الطفل أصدقاء من الأطفال :
١٢١	الأساس السادس - تعويد الطفل البيع والشراء :
١٢٢	الأساس السابع - حضور الأطفال للحفلات المشروعة :
١٢٣	الأساس الثامن - مبيت الطفل عند أقربائه الصالحين :
١٢٤	خاتمة - نموذج عملي من اجتماعية الرسول ﷺ مع الأطفال :
١٣٤	الفصل الرابع
١٣٤	البناء الأخلاقي
١٣٥	تمهيد :
١٣٦	الأساس الخُلقي الأول - خلق الأدب :
١٣٦	ما ورد في غرس الأدب في الأطفال :
١٣٩	نماذج من حياة السلف الصالح :
١٤٠	أنواع الآداب النبوية للأطفال :
١٤٠	١- الأدب مع الوالدين :
١٤٦	٢- الأدب مع العلماء :
١٥٠	٣- أدب الاحترام والتوقير :
١٥١	٤- أدب الأخوة :
١٥٢	٥- أدب الجار :

١٥٣	٦- أدب الاستئذان :
١٥٦	٧- أدب الطعام:
١٥٧	٨- أدب مظهر الطفل:
١٦٤	٩- أدب استماع القرآن:
١٦٦	الأساسُ الخُلُقِيُّ الثاني- خُلُقُ الصدق:
١٦٩	الأساسُ الخُلُقِيُّ الثالث- خُلُقُ كتم الأسرار :
١٧٠	الأساسُ الخُلُقِيُّ الرابع- خُلُقُ الأمانة :
١٧٢	الأساسُ الخُلُقِيُّ الخامس -خُلُقُ سلامة الصدر من الأحقاد :
١٧٤	الأساس الخُلُقِي السادس - التحذير من الأخلاق الهابطة:
١٧٤	١- خلق الكذب:
١٧٧	٢- خلق السرقة:
١٨٤	٣- خلق السباب والشتائم:
١٩٢	٤- خلق الميوعة والانحلال:
١٩٥	خاتمة: مثال عمليٍّ من خُلُق الرسول ﷺ مع الأطفال :
١٩٨	الفصل الخامس
١٩٨	البناء العاطفي والنفسي
١٩٩	تمهيد :
١٩٩	الأساس الأول- القبلية والرافقة والرحمة بالأطفال :
٢٠٣	الأساس الثاني - المداعبة والممازحة مع الأطفال :
٢١٠	الأساس الثالث- الهدايا والعطايا للأطفال:
٢١٢	الأساس الرابع - مسح رأس الطفل :
٢١٤	الأساس الخامس -حسن استقبال الطفل:
٢١٦	الأساس السادس-تفقد حال الطفل والسؤال عنه :
٢١٨	الأساس السابع - الرعاية الخاصة بالبنت واليتيم :
٢١٩	١- رعاية تربية البنت :
٢٢٠	القاعدة الأولى - النهي عن كراهية البنات :
٢٢٨	القاعدة الثانية - المساواة بين الذكر والأنثى وعدم المفاضلة بينهما:

٢٣٣	القاعدة الثالثة-أجر التربية والإحسان والصبر تربية البنات وتزويجهن :
٢٣٥	٢- تربية اليتيم واليتيمة :
٢٣٥	القاعدة الأولى - أجر رعاية اليتيم وتربيته:
٢٣٨	القاعدة الثانية - حفظ مال اليتيم والتجارة له :
٢٤١	القاعدة الثالثة -أجر الأم التي تربي أيتامها ولا تتزوج:
٢٤٢	القاعدة الرابعة- معاملة اليتيم مثل الابن في التربية والتعليم والتأديب :
٢٤٤	الأساس الثامن - التوازن في حب الطفل بلا إفراط ولا تفريط :
٢٤٥	القاعدة الأولى - أن تلزم نفسك وولدك بشرع الله تعالى :
٢٥١	القاعدة الثانية - أن تكون مضيافاً كريماً :
٢٥٧	القاعدة الثالثة - الصبر على مرض ووفاة الطفل، واحتساب الأجر عند الله :
٢٥٧	١- الصبر على مرض الولد:
٢٥٨	٢- أجر الصبر على وفاة الطفل :
٢٧٤	الفصل السادس
٢٧٤	البناء الجسمي
٢٧٥	تمهيد :
٢٧٧	الأساس الأول - حق الطفل في تعلم السباحة، والرماية، وركوب الخيل:
٢٧٩	الأساس - الأساس الثاني- إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال:
٢٨٠	الأساس الثالث- لعب الكبار مع الأطفال:
٢٨٤	الأساس الرابع- لعب الأطفال مع الأطفال :
٢٨٩	خاتمة- فوائد الرياضة للأطفال:
٢٨٩	أنواع اللعب:
٢٩٠	من الناحية الجسمية :
٢٩٠	من الناحية العقلية :
٢٩٠	من الناحية الاجتماعية :
٢٩١	من الناحية النفسية:
٢٩٢	فوائد اللعب كعلاج لنفسية الطفل:
٢٩٣	من الناحية الذاتية :

٢٩٣	 من الناحية الخلقية:
٢٩٤	 من الناحية الإبداعية :
٢٩٤	 من الناحية التربوية :
٢٩٤	 فوائد اللعب الجماعي:
٢٩٥	 فوائد اللعب بالتراب:
٢٩٦	 الفصل السابع
٢٩٦	 البناء العلمي والفكري
٢٩٧	 تمهيد :
٢٩٨	 الأساس الأول - حق الطفل في التعلم، وغرس حب العلم وآدابه في الطفل .
٣٠٥	 الأساس الثاني - حفظ الطفل لقسم من القرآن والسنة، وإخلاص النية بحفظهما .
٣٣٠	 الأساس الثالث - اختيار المدرّس الصالح، والمدرسة الصالحة للطفل .
٣٣٩	 الأساس الرابع - إتقان الطفل للغة العربية .
٣٤٣	 الأساس الخامس - إتقان الطفل للغة الأجنبية .
٣٤٨	 الأساس السادس - توجيه الطفل وفق ميوله العلمية .
٣٤٩	 الأساس السابع - المكتبة المنزلية الصالحة، وأثرها في بناء الطفل .
٣٥٨	 الأساس الثامن - رواية طفولة علماء السلف الصالح أمام الأطفال .
٣٦٦	 خاتمة- نموذج من أطفال الصحابة ممن جمع بين العلم والقرآن والجهاد.
٣٦٧	 الفصل الثامن
٣٦٧	 البناء الصحي
٣٦٨	 تمهيد :
٣٦٩	 المبحث الأول-أسس البناء الصحي :
	 الأساس الأول -رياضة الطفل للسباحة والرمية وركوب الخيل والمصارعة والجري .
٣٦٩	
٣٧١	 الأساس الثاني- تعود الطفل سنة السواك .
٣٧٤	 الأساس الثالث -اهتمام الطفل بالنظافة وتقليم الأظافر .
٣٧٨	 الأساس الرابع - اتباع السنن النبوية في الأكل والشرب.
٣٨١	 الأساس الخامس- نوم الطفل على شقه الأيمن .

.....	الأساس السادس -تعلم الطفل للعلاج الطبيعي .	٣٨٣
.....	الأساس السابع- النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر .	٣٨٧
.....	الأساس الثامن - إبعاد الأطفال عن الطفل المريض مرضاً معدياً .	٣٨٩
.....	الأساس التاسع - رقية الأطفال من العين الحاسدة والجنّ.	٣٩٠
.....	المبحث الثاني - العلاجات النبوية :	٣٩١
.....	١- السرعة في معالجة المريض .	٣٩١
.....	٢-عيادة وزيارة الطفل المريض.	٣٩١
.....	٣- العلاج باستخدام العود الهندي.	٣٩٢
.....	٤- العلاج بالحجامة .	٣٩٤
.....	٥- العلاج بالدعاء والرقي .	٤٠١
.....	٦- العلاج من إصابة العين الحاسدة .	٤٠٤
.....	٧-النهى تعليق شيء على الطفل ما لم يكن قرآناً أو حديثاً نبوياً أو أثراً.	٤١٠
.....	الفصل التاسع	٤١٣
.....	تهذيب الدافع الجنسي للطفل	٤١٣
.....	تمهيد :	٤١٤
.....	الأساس التهذيبي الأول - استئذان الطفل في الدخول :	٤١٤
.....	حكم الطفل غير المميز:	٤١٧
.....	الأساس التهذيبي الثاني - تعويد الطفل غض البصر، وحفظ العورة :	٤٢٠
.....	الأساس التهذيبي الثالث - التفريق في المضاجع بين الأطفال :	٤٢٣
.....	الأساس التهذيبي الرابع - نوم الطفل على شقه الأيمن، وابتعاده عن النوم على بطنه :	٤٢٤
.....	الأساس التهذيبي الخامس - ابتعاد الطفل عن الاختلاط والمهيجات الجنسية :	٤٢٦
.....	الأساس التهذيبي السادس - تعلم الطفل المميز فروض الغسل، وسننه .	٤٢٧
.....	الأساس التهذيبي السابع- شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميز :	٤٢٨
.....	الأساس التهذيبي الثامن- المصارحة الجنسية والتحذير من الفاحشة:	٤٣٠
.....	الأساس التهذيبي التاسع- الزواج المبكر :	٤٣٤